

Provided by the Library of Congress  
Public Law 430 Program

1

72-960062

V. 2

# السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة

تأليف

الدكتور

محمد محمد أبو شهب

أستاذ التفسير والمحدث — بجامعة الأزهر  
وعميد كلية أصول الدين — بفرع الجامعة بأسبوط

الطبعة الثانية

مزيدة ومُنقحة

كُنَّا نَعْلَمُ مَغَازِي النَبِيِّ ﷺ كَمَا  
نَعْلَمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ  
عَلَى بَنِ الْحُسَيْنِ



الدكتور

محمد محمد أبو شهب

استاذ التفسير والحديث - بجامعة الأزهر  
وعميد كلية أصول الدين - بفرع الجامعة بأسسيوط

# السيرة النبوية

في

## ضوء القرآن والسنة

الجزء الثاني

مزيدة ومُنقحة

كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما  
نعلم السورة من القرآن  
على بن الحسين

الفاخرة الحديثة للطباعة

أحمد بهاء الدين الخريوطي  
٣ شارع الجدي بالجبل

تليفون ٩٣٤٣١ - ص.ت ١٤٩١٢٨

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله  
ولو كره المشركون » .

( قرآن كريم )

« والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت  
لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه » .

( حديث نبوي صحيح )

BP  
75.2  
A25  
1973  
v.2

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



102  
11480  
MAR 15 1977

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ( مقدمة الطبعة الثانية )

المحمود الله جل جلاله ، والمصلى والمسلم عليه سيدنا محمد وآله  
«أما بعد» فقد طبع هذا القسم الثاني من السيرة النبوية منذ بضع سنين ،  
وقد لقي - ولله الحمد والمنه - رواجاً ، وقبولاً عند قارئيه ، وقد نفذت طبعته  
الأولى بعد صدورها بزمن غير بعيد ، وقد شغلت عن إعادة طبعة باهتمامي  
يا براز القسم الأول ، وقد ظهر - والحمد لله - وأشرف على النقاد .

وقد رغب إلى الكثيرون ممن حرصوا على اقتناء القسم الأول من هذه  
السيرة العطرة أن أعيد طبع القسم الثاني حتى يستكملوا السيرة بقسميها وقد  
جاءت هذه الطبعة - كما هي سنة الله في التطور والارتقاء - مزينة زيادات قيمة  
ومحقة غاية التحقيق ، فقد استدركت فيها أموراً فاتت ، وزدت بعض مباحث  
مهمة ، وتعليقات وتحقيقات مفيدة ، استفدتها من ملازمة البحث والدرس ،  
ولأأكتمك - يا قارئى الكريم - أنى كتبت هذه السيرة بعقلي ، وقلبي  
ووجداني ، فلا عجب أن أرضت العقل ، والقلب ، والوجدان !! كما أقر  
بذلك المنصفون

وأنى عنيت فيها بالتعليق والتحليل لمواقف الرسول ، والصحابة ، والموازنة ،  
والمقارنة ، والاستنتاج ، وبذلك جمعت بين أصالة القديم ، وجدة الحديث .  
كما عنيت فيها برد أباطيل المستشرقين والمبشرين ومن تابعهم من الكتاب  
المعاصرين ، بالنصفة ، واتباع قواعد البحث العلمى الصحيح مع العفة فى القول ،  
والقصد فى التسفيه ( وما راء كمن سمعا )

فإليك يا سيدى يا رسول الله أقدم سيرتك الفذة العطرة ، مشرقة مجلوة  
كعروس فى ليلة عرس ، راجيا شفاعته لى ، ولوالدى يوم تنشر الكتب  
المحجبه لله ولرسوله  
محمد بن محمد أبوشهبه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## « مقدمة الطبعة الأولى »

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، والصلاة والسلام على رسولنا محمد إمام المتقين، وسيد المجاهدين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، جاءنا بالشريعة السمحة التي ليلها كنهها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحابه الذين آمنوا به، وعزروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد) فهذا هو القسم الثاني من قسمي السيرة النبوية من بعد الهجرة إلى الوفاة النبوية، وقد كانت الهجرة للإسلام والمسلمين قوة وعزة ونصراً وفتحاً، ولذلك لما وضعوا التاريخ في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لم يجدوا حدثاً أحق أن يبدأوا به من الهجرة (١). وفي هذا الدور من الدعوة أذن الله للمسلمين في الجهاد، وكانت أولى الوقائع المشهورة غزوة بدر الكبرى، التي كانت نقطة تحول في تاريخ الإسلام ومازال النصر يتتابع ويتوالى حتى كان فتح الفتوح - وهو فتح مكة وبه دخل

---

(١) أما في الجاهلية فقد كانوا يؤرخون بالأحداث العظيمة، كحادث الفيل، وقد جاء الإسلام وعم على هذا، ثم في صدر الإسلام أرخوا بشهر المبعث، وهو شهر ربيع الأول الذي فيه نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم لما هاجر المسلمون إلى المدينة اتخذوا منها ميماً للتاريخ، وتناسوا ما قبلها، إلا أنهم سوا كل سنة أنت عليهم باسم حادثة وقعت فيها كسنة القدوم، وسنة الإذن، وسنة الأمر، وسنة الابتلاء، واستمر الأمر على هذا المنوال إلى خلافة سيدنا عمر - رضي الله عنه - فيقال إن أبا موسى الأشعري كتب إليه: إنه يأبئنا من أمير المؤمنين كتب لاندري بأيهما نعمل؟ وقد قرأنا صكاً محله شعبان فلم ندر: أي الشعبان للماضي، أم الآتي، وقيل إنه - رضي الله عنه - رفع إليه صك محله شعبان، فقال: أي شعبان هو؟ ثم قال: إن الأموال كثرت بيننا، وما قمنا به غير موقت، فكيف التوصل إلى ضبطه ثم قال: صنعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه، واضبط أوقاتهم، فتشاوروا في الأمر حتى ارتضوا الهجرة ميماً للتاريخ على السنين، لاسي الأحدث (روح المعاني ١٠ ص ٩٠)

البلد الحرام الذي هو أحب البلاد إلى الله في حظيرة الإسلام ، ودخل الناس فيه أفواجا من كل فج ، وعم الإيمان والامان في الجزيرة ، وصدقت نبوة الرسول ( والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ) رواه البخارى

ولم يجاور الرسول الرفيق الأعلى حتى كانت الجزيرة كلها على قلب رجل واحد ، مؤمنة موحدة ، ثم حمل أصحابه الأبطال المغاوير الأمانة من بعده ، وساروا على هديه ونهجه ، وجاهدوا ورابطوا ، وكان لهم في الجهاد بطولات نادرة ، ووضحيات عالية ، حتى ركعت الدولتان آتئذ - فارس والروم على ركبتيهما وثلت عروش ، وأديلت دول ، وشرق الإسلام وغرب ، ولم يكدهم مئذ من الزمان حتى بلغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار ، وامتدت دولة الإسلام من بلاد المغرب غربا إلى بلاد الصين شرقا وتحقق وعد الله لعباده الصالحين ( وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بي شيئا ، ومن كفى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون )

## أبوالسادات

محمد محمد أبو شهبه

## بين عهدين : المكي والمدني

لقد مكث النبي صلوات الله وسلامه عليه يدعو إلى الله على بصيرة ثلاثة عشر عاما بمكة ، وأهلها واقفون عقبه كأداء في سبيل الدعوة ، فلم يدخل في الإسلام طوال هذه المدة إلا عدد قليل لا يتناسب وهذه المدة من عمر الدعوة الإسلامية ، حتى أذن الله للنور أن ينتشر ، فيمم النبي وجهه شطر قبائل العرب ووفودهم في موسم الحج ، فوجد هذا النور من أهل المدينة - طيبة - عيوننا متفتحة ، واذانا صاغية ، وقلوبا واعية ، وسرعان ما سرى النور في المدينة كما يسرى نور البدر في ظلمات الليل فيبددها ، والماء العذب في الأرض الجردية فينبتها ، واحتضنت المدينة الإسلام والمسلمين كما تحتضن الأمم الرؤوم أولادها ووجد المسلمون في الأنصار خير إخوان وأعوان عرفتهم الدنيا في تاريخها الطويل .

وقد كان المحور الذي تدور عليه الدعوة في مكة انتزاع العقائد الضارة من شرك ووثنية ، وإنكار للبعث ، والنبوات ، وتثبيت العقائد الصحيحة في النفوس من توحيد ، وإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وإقامة الأدلة العقلية ، والوجدانية ، والآفاقية ، والأنفسية على ذلك ، ليؤمن من آمن عن بينة واقتناع ، ويكفر من كفر عن تعنت وعناد ، وقد مكث النبي في هذه الفترة يعلم ويلقن ويربى ويتعهد ، حتى صنع طرازاً فريداً من الرجال ، كانوا اللبنة الأولى التي منها أسس الإسلام وعليها قام صرحه العالى المنيف

وطبعي أن يكون اتجاه الدعوة في مكة إلى غرس هذه العقائد ، فقد بعث النبي بين قوم وثنين لا يؤمنون ببعث ولا رسالة ، فكان المنهج المنطقي القويم في الدعوة أن يؤمنوا بهذه الأصول أولاً حتى إذا أطمأنت قلوبهم بالإيمان وانشرحت صدورهم للإسلام ، سهل عليهم تقبل التشريعات من حلال وحرام ، وهذا ما كان

وقد كان اتجاه الدعوة في مكة أيضاً إلى أصول التشريعات العامة

والآداب والفضائل التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، وذلك كالحث على الثبات على العقيدة ، والصبر والتحمل في سبيلها ، والأمر بالصلاة والصدق ، والعفاف وبر الوالدين وصلة الرحم والعدل والإحسان ، والتواصي بالحق والخير والنهي عن الرذائل كالقتل ووأد البنات ، والظلم والزنا ، وأكل أموال الناس بالباطل إلى غير ذلك .

أما في العهد المدني فقد بدأت الدعوة الإسلامية تنجح اتجاهها آخر ، ولم تعد مقصورة على مكة وما جاورها ، بل وجدت أمامها آفاقاً فسيحة ، وديار عريضة في جزيرة العرب وخارجها ، ووجدت أرضاً خصبة تقبلت الإسلام بقبول حسن ، وأخذت عالمية الإسلام تأخذ طريقها إلى الأمم والشعوب ، فلم تمض بضعة سنوات حتى أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بالكتب إلى الملوك والأمراء والرؤساء ، داعياً إياهم إلى الدخول في الإسلام وإلى كلمة سواء « أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله ، فمنهم من أطاع ، ومنهم من أبى . ورد رداً سيئاً ومنهم من رد رداً حسناً .

والإسلام دين عام خالد نزل للبشرية جمعاء ، لافرق بين عربي وغير عربي ، ولا بين أبيض وأسود ، ففي الكتاب الكريم « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » (١) وفيه أيضاً يقول الله على لسان رسوله ( وأوحى إلى هذا القرآن لا أتدركم به ومن بلغ ) (٢) ويقول الله سبحانه ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) (٣) وفي الحديث الذي رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم ( أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يعث إلى قومه خاصة ، وبعث إلى الناس عامة . . ) ورواه مسلم بلفظ ( وبعثت إلى كل أمة وأسود ) وفي رواية ( وبعثت إلى الخلق كافة ) .

والحق ما لم تكن له قوة تؤيده ، وتفسح له الطريق كي يأخذ سبيله إلى القلوب والعقول كان حقا مضيقاً ، فكان لا بد في هذا العهد من تشريع القتال

في الإسلام ، ولو أن المناهضين للدعوة اكتفوا في ذلك بالحجاج والكلام ،  
لقابلهم الإسلام بالمثل ولكان له الفوز والغلب . ولكنهم سلكوا مسلك  
القوة ، وحملوا السلاح ، فكان من العدل وحق أن تقابل القوة بالقوة ،  
والسلاح بالسلاح ، ولا سيما وقد أضحي لهاسلمين قوة وكيان .

وقد كانت هذه الفترة من عمر الإسلام أخصب الفترتين ، ففيها نزلت معظم  
التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في الحلال والحرام ، والعبادات والمعاملات  
والحدود والجنائيات ، والحروب والمعاهدات ، والعلاقات الدولية ، والنظم  
السياسية ، وذلك لأن حياة المسلمين في المدينة بدأت في الاستقرار ، وأصبح  
لهم دولة وسلطان ، ومن شأن الجماعة التي لها رابطة تربطها أن تكون في  
ميسر الحاجة إلى تشريع يتكفل بما تحتاج إليه في دينها وديارها .

وشيء آخر : ذلك أن التشريعات العملية - ولا سيما الحدود والجنائيات -  
مرتبطة بسلطان الحكم التنفيذي ، فلا تشريع لمن لا يملك حق التنفيذ .

وقد أشارت إلى هذه الحكمة التشريعية السيدة العاقلة العاملة عائشة - رضی  
الله عنها - قالت : ( إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة (١) من المفصل  
فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ،  
ولو نزل أول شيء ( لا تشربوا الخمر ) لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ولو نزل  
( لا تزنوا ) لقالوا : ( لا ندع الزنا أبدا ) رواه البخاري .

وكما مئى المسلمون بمكة بالمشركين والوثنيين منوا في المدينة باليهود  
والمنافقين ، وبذلك أصبح المسلمون في المدينة أمام قوى ثلاث تصارع

---

(١) لعل مرادها سورة المدثر ، فانها أول ما نزل بعد فترة الوحي ، ففيها الأمر  
بتوحيد الله وذكر الجنة والنار ، أو أن مرادها بالسورة الجفص أى سور من المفصل ،  
وسور المفصل - ومعظمها نزل بمكة - تدور حول تثبيت العائد والعودة إلى الفضائل ،  
وذكر الجنة والنار ، وهذا اثنتان أرجح .

الإسلام وتحاربه : قوة المشركين ، وقوة المنافقين ، وقوة اليهود .

وهؤلاء المنافقون وهم خليط من عرب المدينة ويهودها وان لم يعلنوها حرباً  
سافرة فقد كانوا أشد خطراً على الدعوة من غيرهم ، لأن العدو المكاشف أهون  
شأناً من العدو المخالط المستتر تحت ستار من الخداع والتمويه ، وقد شاء الله  
سبحانه أن يصرع الإسلام هذه القوى الثلاث ، وان يقضى عليها قضاء امبرمة  
وأن يبقى الإسلام خفاق الراية ، على المنار يعلو ولا يعلى عليه .

وبعد ، فهذا إيجاز لا بد له من توضيح ، وإجمال يحتاج إلى كثير من  
التفصيل ، وهذا ما سنعرض له في البحوث الآتية إن شاء الله ، فاللهم أعن ،  
وسدد ، وحقق .

## منزلة المساجد في الاسلام

قبل أن أعرض لبناء مسجد قباء ومسجد المدينة أرى لزاماً علينا أن نتعرف  
منزله المساجد في الإسلام .

والمساجد بيوت الله في الأرض ، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله  
أحداً » ومهبط الملائكة ، ومثوى عباد الله الصالحين في الأرض ، فيها يصله  
المسلم حباله بحبال السماء ، ويزكى نفسه ، ويسمو بروحه حتى تصل إلى  
معارج القدس ، ثم هي إلى ذلك مصحات للأبدان كما هي مصحات للأرواح  
فلا بد لمن يغشاها مصلياً أن يتطهر من الأحداث والأنجاس في النفس والثوب  
والمكان ، وهي المستراح لمن لا مستراح له - والمأوى والملجأ لمن لا مأوى له  
وهي منازل أدب ووقار ، فلا رفع فيها لصوت ، ولا لغو ، ولا فسوق ،  
وهي منازل طهر ونظافة وتجميل ، وفي حديث الأعرابي الذي بال في المسجد  
وكاد الصحابة أن يتناولوه بالأذى فمنعهم وقال له : ( إن هذه المساجد لا تصلح  
لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ،  
وقراءة القرآن ) فلا يجوز أن تكون المساجد للبيع والشراء ، والعبث والهموم  
ولا لنشدان الضالة - ولا لإمارة الأهواء والمنازعات والمشاحنات السياسية

ونحوها ، ولا للخلافات الدينية . وقد كان من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموعدة التلويح لا التصريح - فكان يقول : ( ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ) وهي طريقة فذة مبتكر في التربية ، والتهذيب .

وفي الحق أن المساجد في صدر الإسلام ولا سيما المسجد النبوي كانت تؤدي خدمات دينية ، وعلمية ، واجتماعية ، وصحية وحرية - فكانت متعبداً تؤدي فيها المسلمون شعائر دينهم ، وكانت تقوم مقام المعاهد والجامعات في التربية والتعليم والتهذيب ، ومقام الجمعيات الخيرية في جمع الصدقات والمساعدات . والتعاون على البر والخير ، وكانت تقوم مقام الملاجئ والمبرات ، يلجأ إليها الفقراء ممن لا مال لهم ولا دار . فيجد فيها المسكن والمأكل والمشرب ، كما كان الحال في أهل الصفة ، (١) أضياف الله ، وأضياف الإسلام ، وكانت منتديات يجتمع فيها المسلمون فيتآلفون ويتجربون ويتشاورون في مصالحهم الدينية والدنيوية ، ويرمون ما يرتأون وكانت تصنع بالمسجد النبوي السهام وآلات الجهاد ، وتنصب به الحيام يستقبل فيها جرحى الحروب ويمرضون ويعالجون ، وكان يجتمع به بعض المسلمين ، فيتمرنون على فنون الحرب والقتال (١) وهكذا نجد أن المساجد في صدر الإسلام كانت تؤدي من الخدمات ما تقوم به جهات عدة في عصرنا الحديث .

## بناء مسجد قباء

فلا تعجب والمساجد في الإسلام على ما ذكرنا أن كان أول عمل قام به الرسول في المدة التي أقامها في بني عمرو بن عوف أن بنى (مسجد قباء)

(١) الصفة : الموضع المظلل من المسجد وكانت في مؤخرة المسجد النبوي ، أعد لزور الغرباء ممن لا مأوى لهم ولا أهل وكانوا يكثر فيه ويقولون بحسب من يتزوج منهم أو يموت ، أو يسافر ، وقد سرد أسماءهم أبو نعيم في الحلية فزادوا عن مائة .

(٢) راجع صحيح البخاري - كتاب الصلاة - أبواب المساجد تجد الامام البخاري عقد الكثير مما ذكرت بابا مستقلا .



وهو المسجد الذي أشار إليه الحق تبارك وتعالى في قوله «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه» ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين .

روى الطبراني بسنده عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية « فيه رجال يحبون أن يتطهروا . . . » بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عويم بن ساعدة فقال : « ما هذا الطهور الذي أتمى الله عليكم ؟ »

فقال : يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه أو قال مقعدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هو هذا » وروى نحوه أيضا أبو داود والترمذي وابن ماجه .

وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء ويؤيد رأى هؤلاء أن سياق الآيات القرآنية إنما هو في مسجد قباء ، وهو الذي قصد أهل مسجد الضرار أن يصدوا الناس عنه بمسجدهم وذهب آخرون إلى أنه مسجد المدينة ، واستدلوا بما ورد في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله أى المسجدين الذي أسس على التقوى ؟ فأخذ كفا من الحصباء فضرب به الأرض ثم قال « هو مسجدكم هذا » .

والذي نرجحه أنه مسجد قباء لظاهر الآية والسياق ، ولا تنافي بين الآية والحديث لأنه إذا كان مسجد قباء أسس على التقوى من أول يوم فمسجد المدينة بطريق الأخرى والأولى ، وهذا الحديث ذكر في معرض المفاضلة وليس من شك في أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل وهو خير المساجد بعد المسجد الحرام (٢) ولو أن النبي قال : « هو مسجد قباء » لتوهم متوهم أن مسجد النبي لم يؤسس على التقوى ، ولا تأخذ البعض من هذا ذريعة للتقليل من شأن المسجد النبوي ، فهذا هو السر في هذا الجواب الحكيم

(١) سورة التوبة ١٠٨

(٢) تفسير ابن كثير والبغوى ج ٤ ص ٢٤٢ البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٩

وقد ورد في مسجد قباء أن جبريل عليه الصلاة والسلام هو الذي أشار للنبي صلى الله عليه وسلم إلى موضع قبلته .

ولما كان قباء أول مسجد بنى في الإسلام وجعل لعموم الناس من هذه الأمة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل له ذكريات كريمة في نفسه وقد ثبت في الحديث الصحيح أنه كان يزوره كل يوم سبت تارة راكبا وتارة ماشيا ، وفي الحديث الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( صلاة في مسجد قباء كعمرة ) رواها الشيخان .

وروى الترمذى عن أسيد بن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( الصلاة في مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل ) وروى ابن ماجه عن سهيل بن خنيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من تطهر في بيته . ثم آتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة ) :

وقد زرت مسجد قباء — والله الحمد والمنة — غير مرة وأنا في طريقى إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وجلست فيه وصليت فيه مرارا .

## إلى المدينة

أقام النبي صلى الله عليه وسلم بقباء بقية وصوله وهو يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، ثم خرج يوم الجمعة قاصدا البلد الطيب ( طيبة ) فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في المسجد الذى يبطن الوادى : وادى ( رانواء ) ' وهى أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بل قيل : هى أول صلاة جمعة صلاها مطلقا ، لأنه لم يكن يتمكن فى مكة من الاجتماع بأصحابه حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان

(١) بين قباء والمدينة ، ويعرف هذا المسجد اليوم «مسجد الجمعة» .

(٢) أما صلاة الجمعة جماعة فقد حدثت قبل مقدم النبي وكان أول من جمعهم على صلاة الجمعة أبو أمامة أسعد بن زرارة النجارى أحد النقباء الإثني عشر لاية العقبة الثانية . رواه ابن اسحاق . وأبو داود وابن ماجه من طريقه .

وموعظة : لشدة مخالفة المشركين له وإيذائهم إياه وأصحابه ، وفي هذه الجمعة  
خطب المسامين خطبة بليغة مؤثرة تفيض بالإيمان واليقين ، والمواعظ  
والزواجر ، والترغيب والترهيب وها هي الخطبة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( الحمد لله ، أحمده وأستعينه  
واستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى  
ودين الحق ، والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة  
من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ،  
من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ، وضل  
ضلالا بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن  
يخشه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فأحذروا ما حذركم الله من نفسه  
ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه تقوى لمن  
عمل به على وجل ومخافة ، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ،  
ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية ولا ينوى بذلك إلاوجه  
الله يكن له ذكرا في عاجل أمره ، وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى  
ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم  
الله نفسه والله رؤوف بالعباد ، والذي صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا خلف  
لذلك فإنه يقول تعالى ( ما يبذل القول لدى ، وما أنا بظلام للعبيد ) واتقوا  
الله في عاجل أمركم واجله في السر والعلانية ، فإنه ( من يتق الله يكفر عنه  
سيئاته ويعظم له أجرا ) ( ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما ) وإن تقوى  
الله تقوى مقته ، وتقوى عقوبته وتقوى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض  
الوجه ، وترضى الرب وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا في جنب  
الله قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين  
وأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده  
هو اجنباكم وسماكم المسامين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن  
بينة ، ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله ، واعملوا لما بعد الموت . فإنه  
من أصلح ما بينه وبين الله يكفيه ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على

الناس ، ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ، ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

روى هذه الخطبة الإمام محمد بن جرير وفي السند إرسال ، وقد حرصت على ذكرها كلها لأن فيها قبسا من نور الوحي ، وحكماً من حكم النبوة ، وهي أنموذج رائع من كلمة الجوامع ، وحكمة التواضع وفيها القدوة لمن يحب أن يقتدى بالرسول في خطبه ، ويحتذى به في مواعظه .

### ( توسل الانصار إلى الرسول أن ينزل عندهم )

ثم أتاه رجال من بنى سالم بن عمرو بن عوف فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدة والعدة والمنعة ١) ويتشبثون بزمام الناقة — ناقته القصواء — فيقول لهم : ( خلوا سبيلها فانها مأمورة ) ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ، وكلا مر بدار من دور الانصار في الطريق عرضوا عليه أن ينزل عندهم في العدة والعدة والمنعة فيقول لهم مثل قوله الأولى ، حتى وصلت الناقة إلى موضع مسجده الشريف فبركت عنده ، ورسول الله راكب عليها لم ينزل ثم ثارت الناقة ، (٢) وسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها ، ورجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه وألقت بجرانها ، (٣) فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعه الملائكة أيهم ينزل عليه ، فقال إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك (٤) ثم سأل أي دور أهلنا أقرب ؟ فقال السيد الجليل أبو أيوب الانصاري : أنا فاحتمل - رحل رسول الله إلى منزله - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً بلطف عن النزول عند غير بنى النجار ( المرء مع رحلته ) ثم جاء أسعد ابن زرارة نقيب بنى النجار ليلة العقبة الثانية ، وقد فاتته شرف نزول رسول

(١) العدة : السكبرة ، العدة - بضم الميم - السلاح ، المنعة : القوة وحمايه الجار

(٢) ثارت : قامت (٣) جراتها : مقدم عنقها

(٤) وطبى أن لا يفضب أحد من أشراف المدينة ، لأن أحق الناس به هم أنرباؤه وأهله ، وبهذا القصر الحكيم تخص الرسول الكريم من هذا الموقف المحرج حقاً .

الله صلى الله عليه وسلم عنده ، فأخذ بزمام ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده واعتبر هذا شرفاً وكرامة له .

وكان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار السيد أبي أيوب الانصارى منقبة عظيمة له ، ولبنى النجار جميعاً ، وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمساكنها ، ونخلها ، وزروعها ، وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم ، وهي كالقرى المتلاصقة فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم دار بنى مالك بن النجار تكريماً لهم ، لحؤولتهم لرسول الله .

وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جميع دور الأنصار ، فقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو الأشهل ، ثم بنو الحارث ابن الحزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير » فقال سعد بن عباد : ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم إلا قد فضل علينا فقيل : « قد فضلكم على كثير » وفي رواية أخرى عن أبي حميد الساعدي عن النبي ، وزاد فيه ، فقال أبو أسيد لسعد بن عباد : ألم تر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأنصار فجعلنا آخراً - فأدرك سعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ فقال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار ، وإنما لكياسة في الجواب لن تكون إلا من صاحب العقل الكبير ، والصدر الرحيب ، والقول الفصيح البليغ .

## اليوم المشهود

وكان يوماً مشهوداً في تاريخ الدنيا يوم دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة راكباً ناقته القصواء وأبو بكر الصديق ردفه ، (١) وملاً بنى النجار

(١) يعني خلفه وقد كانت للصديق ناقه ، ولكن رسول الله أراد ذلك تكريماً للصديق وليرى الناس هذا في اليوم المشهود منزلة الصديق منه .

حواله متقلدين سيوفهم ، يرهبون بها أعداء الله ورسوله ، ومن تسول له نفسه من اليهود والمشركين أن ينال من رسول الله ، وليعلموهم أنه إذا كان ترك أهله ووطنه إلى الله ، فلا يزال في عزة ومنعة من أخواله وأتباعه وأنصاره ، وأنه لمشهد معبر يفنى عن الكلام والخطب ، وخرجت المدينة كلها بشبابها وشبيها ، وصبيانها ونسائها وولاندها ، لتشارك في استقبال القادم الكريم ، وليلمأوا عيونهم من هذا الذي أصبح ذكره على كل لسان ، وأنصاره في كل بيت روى الإمام أحمد - في وصف هذا المشهد الحافل - عن أنس بن مالك قال : «إني لأسعى في الغلمان يقولون : جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، قال حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه أبو بكر ، فكنا في بعض خراب المدينة ، ثم بعثنا رجلاً من أهل البادية يؤذن بها الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى اتهاوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمنين مطاعين ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العوائق لنفوق البيوت يتراءينه يقلن : أيهم هو ، فما رأينا منظرأ شبيها به . قال أنس : « فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض ، فلم أر يومين شبيها بهما » .

وخرجت جوار - بنات - من بنى النجار يضرين بالدفوف وهن يقلن :

نحن جوار (١) من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتحببني ، ؟ فقلن : إى والله يارسول الله فقال : « وأنا والله أحبكن » ثلاثاً وفي صحيح البخارى ومسلم فى حديث الهجرة : « وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى

---

(١) جوار : جمع جارية وهى الشابة أمة كانت أوحرة .

البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله . الله أكبر  
جاء رسول الله ، (١)

## في دار أبي أيوب الأنصاري

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب معزراً مكرماً سبعة أشهر حتى بنى المسجد وبنت دور أهله ونسائه فانتقل إليها ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما نزل في سفلى دار أبي أيوب وقد آلم أبا أيوب أن يكون رسول الله في السفلى وألح عليه أن يكون في العلو حتى بين له النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك أرفق به وبمن يأتيه من المسلمين والزائرين ، فقد كانت دار أبي أيوب منتدى يجتمع فيه المسلمون ، وبالغ أبو أيوب في إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانت تطيب نفسه أن يأكل حتى يأكل رسول الله ، فكان يهيء الطعام ويرسله إلى النبي فإذا عادت القصعة سأل عن موضع أصابع النبي فياً كل حيث أكل . وفي ذات مرة صنع طعاما وكان فيه ثوم لم تذهب رائحته فسأل عن موضع أصابع الرسول فقبل له : لم يأكل منه ففزع وذهب إليه وقال : أحرام هو يا رسول الله ؟ قال : لا . ولكنني أكرهه فإنني أناجى من لاناجى ، رواه الشيخان يريد الملائكة وهي تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، وفي مرة أخرى كسرت لأبي أيوب جرة فيها ماء ففزع أبو أيوب والسيدة أم أيوب وزوجه وأسرعاً إلى قטיפقة لهما كانا يعتزان بها ، فأخذها وصار

(١) أما ايذكره بعض كتاب السيرة من أنهم قالوا : طلع البدر علينا . . من ذنات الوداع  
وجب السكر علينا . . ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا . . جئت بالأمر المطاع

فقد خافه المحققون كابن القيم ، والمحقق العراقي ، والمحقق ابن حجر وقالوا : إن ذلك كان مرجعه من تبرك وذلك لأن ثذبة الوداع من جهة النمام لا من جهة مكة [ شرح المراهب  
ج ١ ص ٤٣٤ ] .

يحققان بها الماء خشية أن يسيل الماء إلى أسفل البيت فيتأذى منه رسول الله  
أو زواره ، وقد بلغ من أدب أبي أيوب وأهله - لما امتنع الرسول أن يصعد  
إلى العلو - أنهم كانوا لا ينزلون في المكان المسامت لرسول الله من العلو  
استحياء من الله ورسوله ، وهكذا فليكن الأدب ، والقيم الروحية العالية ،  
ومع اعتذار رسول الله عن الصعود إلى العلو لم يزل به أبو أيوب ، يرجوه  
ويلج في الرجاء ، حتى قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون في العلو ،  
إذ قد خف الزوار ولم يعد هناك من حرج .

وتسابق الأنصار في إكرام وفادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما من  
ليلة إلا وتجد على دار أبي أيوب القصاع والجفان يأكل منها من يشاء ، ويدع من  
يشاء ، وكذلك تسابقوا في أيواء المهاجرين وإكرامهم ، وعرضوا عليهم أن  
يقاسمهم دورهم وأموالهم ، بل وأعز شيء لديهم وهو التنازل لهم عن بعض  
أزواجهم كي ينكحوهن إذا رغبوا ؛ ولكن المهاجرين أبوا واكتفوا منهم  
بالارتفاق والمواساة ، وقد ضرب الأنصار في مواساة إخوانهم المهاجرين مثلا  
عليها تذكر بالإعظام والإكبار ، وسنوفهم حقهم فيما يأتي إن شاء الله .

وقد صارت دار أبي أيوب التي حظيت بهذا الشرف الرفيع إلى مولاه أفلج  
بعد وفاته ، فاشترها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف  
دينار ، وأصلح ماوهي من بنيانها ، ووهبها لأهل بيت فقراء .

وقد ذهبت إلى هذه الدار وأنا بالمدينة في زيارة رسول الله ومسجده ،  
وهي بالقرب من المسجد النبوي ، وأهاجت الدار الذكرى ، وحركت لواعج  
الشوق والحب لأهلها الأخيار ، فله أنت يادار أبي أيوب .

### (جميل بجميل)

وإني كنت قد كنت في دار أبي أيوب الانصاري البصرة  
وكان عليها يومئذ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والبا من قبل  
سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فوجد ابن عباس الفرصة سانحة لرد  
الجميل المذكور لسيدنا أبي أيوب ، فخرج له عن داره وأنزله فيها كما أنزل



رسول الله في داره ، وملكه كل ما أعلق عليها بابها ، ولما أراد الانصراف من البصرة ودعه وأجزل له العطاء .

وما كان أبو أيوب - علم الله - ليرجو على ما عمل جزاء من أحد الارضاء الله ورسوله ، ولكنه أدب من آداب الاسلام ، رد المعروف بمثله أو بخير منه ، وأحق من رعى هذا الأدب الرسول وآل بيته الكرام ، وقد قال معلم الناس الأدب والحير صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكاثبوه عليه ، فإن لم تقدروا فادعوه له بخير » رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح .

### اسلام عبدالله بن سلام وبعض أهله

وفي أثناء مقام الرسول بدار أبي أيوب الانصارى قدم عليه أحد أجباز اليهود وعلمائهم وهو عبدالله بن سلام ، وكان يعلم من كتبهم أوصاف النبي المبعوث في آخر الزمان . فلما جاء إلى النبي سأله بعض أسئلة تأكد منها أنه نبي لأنه ما يعلمها إلا نبي فأسلم . وقال للرسول : لا تعلن إسلامي حتى تسأل اليهود عنى . لأنهم إن علموا إسلامي فسينتقصوني فأرسل إليهم النبي وسألهم عنه فقالوا خيرنا وابن خيرنا ، فلما أخبرهم باسلامه قالوا : شرنا وابن شرنا وإليك هذه القصة كما رواها البخارى في صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال : « . . . فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبدالله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله . وأنت جئت بالحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم : وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فلسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى . فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله . فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتمكم بحق فأسلموا قالوا نعلمه ، قال فأى رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟ قالوا : ذلك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : رأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، وكررها وأجابوه ثلاثا - قال : يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج . فقال : يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو .

إنكم لتعلمون أنه رسول الله . وانه جاء بحق فقلوا : كذبت ، وفي رواية أخرى انهم قالوا : شرنا وابن شرنا وتنقصوه . قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله . وقد أسلم باسلامه أهل بيته . وعمته تسمى خالدة بنت الحارث (٢) .

وأما غيره من أجبار اليهود فقد طمس الحقد والحسد على قلوب الكثيرين منهم وأبوا أن يؤمنوا فكان عاقبة أمرهم خسرا ووبالا في الدنيا والآخرة كما سيأتي إن شاء الله .

## بناء المسجد النبوي

وفي المدة التي أقامها رسول الله بدار أبي أيوب بنى المسجد النبوي . وقد بنوه في المكان الذي بركت فيه الناقة ، وكان في الأصل حائطاً - بستاناً - فتحرب بعضه فبنيت فيه قبور ، واتخذ بعضه مر بدأ لتجفيف التمر . وكان لغلامين يتيمين بالمدينة ، وهما سهل وسهيل ، ابني عمرو ، وكانا في حجر أسعد ابن زرارة فساومهما النبي فأبيا وقالوا بل نهبه الله ولرسوله ؛ ولكن الرسول أبي إلا أن يكون بالثمن . وبهذا التصرف الحكيم ضرب النبي مثلا كريماً في رعاية حقوق اليتامى . وقطع ما عسى أن تنقوول به السنة السوء .

وقد ذكر موسى بن عقبه في تاريخه أن الرسول اشتراه بعشرة دنانير ، وأن الصديق هو الذي دفعها . وأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطعت وبالتبور فنبشت وبالخرب فسويت . وشرع المسلمون ينون ورسول الله ﷺ يحمل معهم التراب واللبن وهم يقولون :

هذي الحبال لآمال خير هذي أبر - ربنا - وأطهر (٣)

(١) صحيح البخاري «باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة» و«باب» قل «باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة» .

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٢ .

(٣) الجمال بكسر الميم المحمول أي هذا اللبن على ما ينال العامل في حمله من المشقة والاعترار أي أبقى زخرا ، وأكثر أبا ، وأشد طهرا من حال خير وهي ما يحمل من التمر والزبيب ونحوهما في التجارة ، وأنها بروحانية سامية لا تكون إلا من هذه النفوس الزكية .

ويقولون :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وكان على يقول :

لايستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

وكان بعضهم يقول :

لئن قعدنا والنبي يعمر ل ذلك إذا للعمـ ل المضلل

وفي هذا الارتجاز في الأعمال والأسفار تنشيط للنفوس وترويح للقلوب فيسهل الشاق ، ويلين الصعب ، ولما بنى المسجد النبوى صار مصلى المسلمين ومتعبدهم ومنتهدهم ومكان آشاورهم ، وكان فيه صفة يأوى إليها الفقراء والمساكين ممن لا مال لهم ولا دار ، ولا يجب دون ما يعملون به فيكتسبون وفيه تلتقى دروس العلم والحكمة . وهكذا كان المسجد النبوى يؤدى خدمات دينية . وعلمية واجتماعية وسياسية وكن على ذكر مما ذكرنا سابقاً ، فى منزلة المساجد فى الاسلام .

## الاطوار التى مر بها بناء المسجد النبوى

كان المسجد النبوى فى عهده صلى الله عليه وسلم مبنياً بالا بن - الطوب النىء - وكانت عمدته من جذوع النخل وسقفه من الجذوع والجريد . وهكذا كانت المساجد فى عهده صلى الله عليه وسلم تمتاز بالبساطة وعدم التكلف ولكنها كانت عامرة بالايان والهدى . والعلم والمعرفة . يدل على هذه البساطة فى بناء المسجد النبوى وغيره ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أنس بن مالك - واللفظ لمسلم - « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فنزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة (١) ثم أرسل إلى ملائ بنى النجار فجاءوا مقلدين سيوفهم

(١) و - برة ابن اسحاق أنه قدم يوم الاثنين وخرج إلى المدينة يوم الجمعة ويكن =

قال : فكأنني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وأبو بكر ردفه ، وملاء بني النجار حوله ، حتى التي بنىء أبي أيوب . فكان رسول الله يصلي حيث أدركته الصلاة . ويصلي في مراض الغنم . ثم إنه أمر بالمسجد . قال : فأرسل إلى ملاء بني النجار فجاءوا فقال : يا بني النجار تامنوني بمخاطبكم هذا . قالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى : قال أنس : فكان فيه ما أقول : كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطعت ، وقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ؛ قال : فصفوا النخل قبلة وجعلوا عضاديته حجارة قال : فكأنوا يتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم (١) وهم يقولون :

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة  
وبقى المسجد النبوي على هذا الحال في خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه .

فما كان عهد الفاروق عمر — رضي الله تعالى عنه — واتسعت رقعة الإسلام وكثروا فادون إلى المسجد ، وسعه عمر وأبقاه على ما كان عليه في عهد الرسول من بنيانه باللبن . وسقفه بالجريد ، إلا أنه جعل عمدته من الخشب بدل جذوع النخل . وقد روى عنه أنه قال لمن زاول البناء « أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر لتفتن الناس » .

فما ولي السيد الحفي عثمان — رضي الله عنه — الخلافة زاد فيه زيادات كبيرة ، وبني جدرانها بالحجارة المذقوشة ولقصة — الجص — وجعل عمدته من الحجارة المنقوشة أيضا ، وسقفه بخشب الساج .  
وقد أنكر بعض الناس على عثمان هذا ، واعتبروه إسرافاً وزخرفة ،

---

التوفيقين ما رواه ابن اسحاق وما ثبت في الصحيح بأن المراد تمة أربع عشرة ليلة ويكون داخلا فيها المدة التي قضاه رسول الله والصديق في الطريق بعد خروجهما من القار حتى دخلا بقاء .

(١) في رواية البخاري « فتمثل بشعر رجل من المسلمين . . . » قيل أنه عبد الله بن رواحة فالشعر ليس من إنشاء الرسول قطعا ، والمعزاة جانب الباب .  
(٢) خشب جيد يجلب من الهند .

روى البخارى فى صحيحه بسنده أن عثمان كان يقول عند قول الناس فيه حين  
حين بنى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم : إنكم أكثرتم ، وإنى سمعت  
النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بنى لله مسجداً بنى له مثله فى الجنة »  
ويعلم الله أن عثمان — رضى الله عنه — ما قصد الزينة حين بناه بهذا النوع  
من الحجارة ، ولا قصد الاسراف حينما وسعه وجعل جدرانها من الحجارة ، وسقفه  
بمخشب الساج ، فقد كان بيت المال فى عهده يفيض بالأموال التى لا تحصى  
وإنما هى الضرورة والمصلحة لبيت المسجد للأفراد من المسلمين ، وليكون  
ذلك أدعى إلى طول البقاء ، وعدم تسارع الخلل والحراب إليه .

ثم زيد فى المسجد فى عهد الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق ، وقد  
قام بهذا نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وفى هذه الزيادة  
أدخلت حجر أزواج النبي ومنها حجرة عائشة التى كان فيها القبر الشريف ،  
ثم زيد فيه زيادات كثيرة فيما بعد ، أزيد فيه من جهة القبلة حتى صارت  
الروضة والمنبر بعد الصفوف الأمامية للمتنوجه للقبلة كما هو اليوم .

وتما ينبغى أن يعلم أن القبر الشريف ما كان فى المسجد أولاً وإنما  
دخل فيه لما اضطروا إلى توسعة المسجد فقد وردت الأحاديث الصحيحة  
بلعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ،  
ونهى النبي عن ذلك ودعا الله أن لا يتخذ قبره وثناً يعبد ، وفى الحديث  
الشريف : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، غضب الله على قوم اتخذوا قبور  
أنبيائهم مساجد » .

وقد احتاط المسلمون الأولون فأحاطوا القبر الشريف بحائط مرتفع  
كئيل يظهر القبر فى المسجد فيصل إلى العوام ، فيقعوا فى اتخاذ قبره مسجداً  
ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين ، وحرفوها حتى التقيا على  
هيئة رأس مثلث من الشمال حتى لا يتمكن المصلى من استقبال القبر الشريف  
فى الصلاة .

زخرفة المساجد : وكان أول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن

مروان ومن يومها والناس شرعوا يغالون في بناء المساجد وزخرفتها حتى أصبح بعضها من قبيل المتاحف ، تقصد لما فيها من زخرفة لا للصلاة فيها ، وكل ذلك خارج عن هدى النبوة ، ولوروعيت البساطة في بناء المساجد وتقدم المغالاة في الزخرفة والتشييد لكان خيراً وأولى .

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بما سيصير إليه حال المساجد في بناء المساجد وزخرفتها فقال فيما رواه أنس عنه ( يأتى على أمتى زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعدهونها إلا قليلاً ) وقال : ( لتزخرفنها - أى المساجد - كما زخرفت اليهود والنصارى ) رواها أبو داود في سننه . ولم يزل الخلفاء والملوك المسلمون يتداولون المسجد النبوى من قديم بالتوسعة والعمارة والتشييد حتى أصبح وضعه الحالى وعلى هيئته الآن .

وكانت آخر توسعة وتشييد ما قام به آل سعود القائمون على شئون الحرمين ، وقد أصبح على حال من قوة التأسيس والسعة والنخامة تليق بهذا المسجد المشرف الذى تشد إليه رحال ألوف الألوف من المسلمين من جميع بقاع الأرض ، فشكر الله لهم هذا العمل المجيد .

### ( فضل المسجد النبوى )

هو أحد المساجد المشرفة التى تشد إليها الرحال فى الأرض ، وثانيها فى الفضل ، وإن كان ثالثها فى الزمان والبناء ، روى البخارى ومسلم فى صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس ، وفى الصحيحين أيضاً أن رسول الله قال : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وفى مسند أحمد بإسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله : « فإن ذلك أفضل » .

وفى مسجد النبى الروضة الشريفة التى هى من رياض الجنة ، وفى الصحيحين

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( ما بين بيتي<sup>(١)</sup> ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ، وكيف لا تكون من رياض الجنة والعبادة فيها ، مما يقرب صاحبها من الجنة ، ويباعد بينه وبين النار ، فالأعمال فيها ثوابها مضاعف ، والدعاء فيها مرجو الإجابة ، وبجوارها أشرف بقعة ضمت أشرف جسمان على وجه الأرض ، وطالما صلى فيها النبي في حياته وقام ، وكثيراً ما وعظ فيها وذكر ، وبشر وأنذر ، وشهدت من أحداث الإسلام وسياسته ما شهدت ، والجالس فيها يشعر بروحانية صافية وراحة نفسية ، وإشراق قلب ، وإنتساح صدر ، ويذوق فيها بؤس الحياة وآلامها ويفرغ إيمان بصاحب الرسالة وحب يصلان به إلى حظيرة القدس .

وذهب الإمام مالك وأصحابه إلى تفضيل مسجد المدينة على مسجد مكة ؛ لأن ذلك بناء الخليل إبراهيم ، وهذا بناء نبينا محمد .

والحق ما ذهب إليه جمهور العلماء من تفضيل المسجد الحرام ، لأنه في بلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض . وحرمه الخليل وحرمه نبينا ، وجعل الصلاة فيه أفضل من الصلاة في المسجد النبوي ، وجعل حجه فرضاً مفروضاً ومن دخله كان آمناً ، وفضيلته قد شهد بها التنزيل وصدق الله ، إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة<sup>(٢)</sup> مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين<sup>(٣)</sup> .

## بناء حجر أمهات المؤمنين

وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حجر حول مسجده الشريف ،

(١) اشتهر هذا الحديث على الألسنة بلفظ « ما بين قبري » وهو غير صحيح فالرسول قال الحديث لم يكن قبراً وإنما كان بيتاً وهي الرواية الصحيحة .

(٢) بكة هي مكة بلد الله الحرام بإبدال الميم باه ، سميت بذلك لأنها تبتك أعناق الجبابرة الذين ياعدون فيها بظلم ، وقيل لأن الناس يجمعون فيها ويتراحمون لطواف والعمى .

(٣) آل عمران ٩٦ ، ٩٧ .

تكون مساكن له ولأهله ، ولم تسكن الحجر كبيوت الملوك والأكاسرة  
والقياصرة بل كانت بيوت من ترفع عن الدنيا وزخارفها ، وابتغى الدار  
الآخرة ، فقد كانت كمسجده مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة ،  
وكانت سقوفها من جذوع النخل والجريد ، وكانت قرية الفناء قصيرة  
البناء ، ينالها الغلام الفارع بيده. قال الحسن البصرى — وكان غلاما مع أمه  
خيرة مولا أم سلمة — : قد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي صلى  
الله عليه وسلم بيدي .

ولما تمت هجرة النبي وصاحبه أبي بكر رجع عبد الله بن أريقط دليهما  
إلى مكة ، فأرسلا معه زيد بن حارثة ، وأبارافع وما موليا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ليأتوا بأهليهما ، فذهبا وجاءا بيني الرسول : أم كلثوم وفاطمة  
وزوجته : السيدة سودة بنت زمعة ، وأم أيمن زوج لزيد ، وابنها أسامة .  
أما السيدة زينب فكانت في بيت زوجها العاص بن الربيع حتى أرسلها بعد  
أن أسر في بدر كما سيأتي ، وأما السيدة رقية فكانت مع زوجها عثمان رضى  
الله عنه ، وقدمت معها أيضاً السيدة عائشة ، وأما أم رومان صحبة عبد الله  
ابن أبي بكر ، ومن آل أبي بكر أيضاً السيدة أسماء بنت الصديق امرأة  
الزبير بن العوام ، وهى حامل متم بابنها عبد الله بن الزبير ، ولم يكن مع رسول  
الله حينئذ من أزواجه إلا سودة بنت زمعة التى دخل بها بعد وفاة السيدة  
خديجة رضى الله عنها ، أما السيدة عائشة فكان عقد عليها ولم يبن بها إلا فى  
شوال بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر . وكان رسول الله كلما بنى بزوجته  
بنى لها حجرة ، حتى اكتملت حجرات نسائه حول المسجد . وكان لكل  
حجرة بابان خارجى ، وداخلى من المسجد ليسهل دخول النبي إلى المسجد .  
وقد أضيفت هذه الحجر كلها إلى المسجد لما اضطرروا إلى توسعته كما أسلفنا



## حمى المدينة

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه إلى المدينة كانت أوباً أرض الله من الحمى فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم . وصرف ذلك عن نبيه . وكان ممن وعكثهم الحمى ، وهدت من كيانهم . الصديق أبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولاه ، وبلال بن رباح ، فكان الصديق إذا اشتدت به الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله  
وكان عامر يقول :

فد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه  
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده برقه (١)  
وكان بلال يقول :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة بواد وعندى إذخر وجيل (٢)  
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يدون لى شامة وطفيل (٣)

فأخبرت عائشة النبي بما رأت وسمعت فدعا بهذا الدعاء « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة » رواه البخاري ، وقد استجاب الله لنبية الدعاء وصار جو المدينة من أحسن الأجواء ، ولم تكن الجحفة حينئذ من بلاد الإسلام ، وهي التي كانت مهل أهل الشام ومصر ومن عرفنا كلتهم ، وقد درست الجحفة وإحرام الآن من رابع ، قرية قريبة منها عن الطرق بين مكة والمدينة .

(١) الروق : الفرن .

(٢) نباتان من نبات البادية .

(٣) جبلان بمكة .

## حالة المدينة السياسية والاجتماعية بعد الهجرة

بعد أن قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة أصبح سكان المدينة يمثلون هذه الطوائف :

### المهاجرين

وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم تاركين الأهل والولد والدور والمال ، مجردين من كل شيء إلا من الإيمان ، ومنهم من اصطحب معه زوجته وولده ، ومنهم من تركهم ، وقد عانى المهاجرون في مبدأ قدومهم شدة ومرضاً وغربة ووحشة ، ولكنهم لم يلبثوا - بفضل إخوانهم الأنصار - أن تعودوا على جو المدينة ، وأن اندمجوا في المجتمع الجديد ، وصارت المدينة وطناً لهم . وأبدلهم الله بالأهل أهلاً ، وبالمال مالا ، وكانت الهجرة قبل فتح مكة واجبة ، وفرضا على المسلمين من أهل مكة لنصرة النبي ﷺ ، ومواساته بالنفس ، وليكون لهم في تجمعهم في مكان واحد كيان وقوة ، ولذلك أنحى الله باللأئمة والتويخ لمن استطاع الهجرة ولم يهاجر ، ولم يعذر إلا المستضعفين الذين ليست لهم قدرة عليها فقال سبحانه « إن الذين توفاهم الملائكة ظلمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ، (١) .

وأما بعد الفتح فلم تعد الهجرة واجبة في الحديث المتفق عليه ، لاهجرة بعد الفتح ولكن جهادية ، ومع هذا فقد أبى الله ورسوله إلا أن تكون المدينة هي الوطن للمهاجرين ، فحرم رسول الله على من هاجر قبل الفتح أن

يستوطن مكة بعد الفتح ، وأباح لمن قصد لها الحج ، أو عمرة أن يقيم بها بعد أداء نسكه ثلاثاً ، لا يزيد عليها في الحديث المتفق عليه - واللفظ لمسلم - أن رسول الله ﷺ قال : « يقيم المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً ، ولذلك رثى النبي لسعد بن خولة (١) أن مات بمكة كما رواه البخاري في صحيحه (٢) والحكمة في تحريم الإقامة للمهاجر بمكة بعد الفتح خشية أن يعتبر هذا رجوعاً في هجرتهم لأنهم تركوا ديارهم وأهلهم وأموالهم لله ، وفي سبيل نصرته رسول الله ، فأراد الله سبحانه أن يستمر تركهم لها ابتغاء مرضاته ليكون شاهداً صدق على قوة إخلاصهم ، وعظمة نفوسهم ، وسمو أخلاقهم ، وليكونوا قدوة حسنة لمن يحيى بعدهم أن من ترك شيئاً لله لا يبعى أن يرجع إليه .

هذا إلى أن المدينة - دار الهجرة - قد أضحت قلب الإسلام النابض ، ومركز الدعوة الإسلامية ، ففيها استقر الرسول بعد الهجرة . والخلفاء الراشدون من بعده . فما أشد الحاجة إلى أن يبقى فيها السابقون الأولون من المهاجرين من قريش ، التي تدين لها العرب كلها ، فمن ثم حرم على المهاجرين الأولين الإقامة بمكة بعد الفتح ، ولو أتيح لهم الرجوع لربما نزع الكثيرون منهم إلى الرجوع إليها فإن النفوس البشرية مجبولة على حب الوطن والرجوع إليه إذا سنحت الفرصة ، لذلك اقتضت حكمة الله سبحانه - والله الحكيم البالغة - أن يحرم ذلك ليبقى المهاجرون مع الأنصار في البلد الطيب « طيبه ، الذي آوى الإسلام ، ومنه انتشرت دعوة الإسلام ، وعم نوره الخافقين ، وهو من أسمى أنواع الوفاء .

ولما مرض سيدنا سعد بن أبي وقاص بمكة في حجة الوداع خاف أن يموت فطمأنه الرسول وأشار له إلى أنه ستطول به الحياة وقال : اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ، رواه البخاري .  
ولهذه المعاني كان النبي يرغب أصحابه في سكن المدينة ولا يتحولون

(١) سعد بن خولة بن بني عامر بن لؤي من المهاجرين السابقين وقد مات بمكة عام حجة الوداع .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجوائز وانظر فتح الباري ٣ ص ١٢٨

عنها إلا لضرورة فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن سعد بن ابى وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أحرم ما بين لابتى (١) المدينة : أن يقطع عضاها (٢) أو يقتل صيدها وقال : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة منها إلا أبدلها الله فيها من هو خير عنه ، ولا يثبت أحد على لأوائها (٣) . وجهدها إلا كنت له شفيعا . أو شهيدا يوم القيامة . ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص . أو ذوب الملح في الماء . »

## الانصار

هم أولئك الذين استجابوا إلى الإسلام من أهل المدينة أوسها وخزرجها في بيعة العقبة الأولى والثانية وقد كان يساكنهم بالمدينة جالية كبيرة من اليهود الذين نرحبوا إليها من الشام مشردين مضطهدين . وكان بينهم وبين اليهود وقائع وحروب . فكانوا إذا اتصفوا من اليهود وأذلوهم قالوا لهم : « لقد قرب عهد نبي يبعث من العرب وسننطوي تحت لوائه ونقتلكم معه ، قتل عاد وإرم ، فلما دعا النبي أهل المدينة في موسم الحج قالوا فيما بينهم : هذا هو الذي بشرت به يهود فلا يسبقنكم إليه . فكان هذا من أسباب كرامة الله لهم بالمسارعة إلى الإسلام ونشره بالمدينة قبل هجرة النبي ﷺ .

وقد كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية حروب وأيام مشهودة كيوم بعاث . ولذلك لما عرض النبي عليهم الإسلام قالوا : إنا تركنا قومنا وبينهم ما بينهم من العداوة والبغضاء ، فإن يجمعهم الله بك فلن يكون أحد أعز منك في العرب ، وقد حقق الله الرجاء ، فقد صاروا بعد أن أنعم الله عليهم بالإسلام إخوانا متحابين متآلفين ، وكان للإسلام من هذا الغنم والخير

(١) أى حرقتها وهى الأرض ذات الحجارة المشود .

(٢) جمع عضة شجرذ وشوك (٣) شرقتها من حر أو برد ، أو جذب مثلا

الكثير . وقد ذكرهم الله بهذه النعمة في قوله عز شأنه ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، (١) .

وقد قام السادة الأنصار تجاء إخوانهم المهاجرين بألوان من المواساة والإكرام ، والإيواء . والإيثار ما استحقوا به أن ينزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى يوم الدين . وصاروا مثلاً عالياً يضرب في الأولين والآخرين ، وسنعرض لما ترهم . ونوفينهم بعض حقهم عن كذب

وقد صار المهاجرون والأبصار بعد الهجرة كالجسد الواحد ، وعلى قلب رجل واحد ، وبدأ واحدة تجاه المشركين واليهود والمنافقين ، ولم يزلوا يكافحون ويجادون ، ويصبرون ويصابرون حتى انما هؤلاء الأعداء الثلاثة وصاروا في عهد داد الملوك الغابرين . وبقيت كلمة الله هي العليا والله عزير حكيم .

## « المنافقين »

وهم أهل المدينة من غير المسلمين . ولم يكن بمكة منافقون لأن طبيعة العرب الخلق تأبى النفاق ، فإما أيمان صادق ، وإما كفر ظاهر ، وإنما نجح النفاق بالمدينة ، فقد كان يساكن العرب فيها اليهود ، وهم قوم مخادعون منافقون بطبيعتهم وبنهم أخذ عرب المدينة الذين لم يساهوا هذا الخلق الرذول ، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وتآلف المهاجرون والأنصار ، وتآخوا في الله ، وصاروا قوة مرهوبة في المدينة وصارت للنبي صلى الله عليه وسلم الكلمة النافذة على المساهين جميعاً لا فرق بين مهاجري وأنصاري ، وصارت إليه الرئاسة الدينية والدنيوية ، والقيادة السياسية والاجتماعية - فقد عليه وعلى دينه بعض العرب ممن كانت له الزعامة في

المدينة ، واليهود الذين حقدوا على العرب أن يكون منهم النبي المبعوث في آخر الزمان ، وآمر من هؤلاء وأولئك فئات على الشر وعدواة الإسلام ، ولم يكن في استطاعتهم أن يعلنوا عن الحقد والشر الحبيء في قلوبهم ، فلم يجدوا بدا من التستر بالإسلام ، يظهرونه ويبطنون الكفر والحقد والضغينة على الإسلام والمسلمين ، وهم من يسمون في الإسلام ( بالمنافقين ) وقد تزعم هؤلاء رجل من العرب ، كان قومه قد نظموا له الحُرز ليتوجوه ، ويملكوه عليهم ، فلما انصرفوا عنه ومنهم أهله وولده حقد وضغن ، وناق وداهن وهو عبد الله بن أبي بن سلول الحزرجي .

وانضوى تحت لوائه — لواء النفاق — جماعة منهم أبو عامر ، وكان يقال له الراهب ، كان قد ترهب في الجاهلية وليس المسوح (١١) قال فيه الرسول ( لا تقولوا الراهب ولكن قولوا : الفاسق ) ومات بالشام غريباً طريداً وحيداً وكان أبه حنظلة من خيار المسلمين ، استشهد يوم أحد وهو غسيل الملائكة وجلاس بن سويد بن الصامت قال ابن اسحاق : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير ، ونبتل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله ( من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا ) وكان جسيماً ثائر شعر الرأس ، أحمر العينين ، أسفع الحدين وكان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنما محمد أذن : من خدمه بشيء صدقه ، فأكذبه الله ، وعباد بن حنيف وكان ممن بنوا مسجد الضرار ، ومرعب بن قيظي وكان أعمى وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفناً من تراب ثم قال لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ، فابتدره القوم ليقتلوه . فقال رسول الله ( دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر ) وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالفوس فشججه ، وأخوه لؤس بن قيظي ، وحاطب بن أمية ابن رافع وكان شيخاً جسيماً قد أسن في

الجاهلية . وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له : يزيد بن حاطب أمخنته الجراح يوم أحد فاستشهد وهؤلاء من الأوس .

ومن الخزرج : رافع بن وديعة ، والجد بن قيس ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو .

ومن المفارقات العجيبة أن عبد الله بن أبي رأس المنافقين . كان له ابن من خيار المسلمين وأصدقهم إيماناً حتى لقد عرض على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل أباه . فأبى النبي وقال : « لا بل نحسن صحبته مادام بيننا » ! !

وتبع ابن أبي من اليهود قوم أظهروا الاسلام نفاقاً وتقية ، منهم : سعد ابن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ورافع بن حرملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات : « قدمات اليوم عظيم من عطاء المنافقين » . ورافعة بن زيد بن التابوت ، أخبر النبي بموته مرجعه من تبوك ، ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، وغيرهم .

وكان هؤلاء المنافقون بحكم ظاهرهم يحضرون المسجد . ويسمعون احاديث المسلمين . ويسخرون ويستهنئون بدينهم ويتسقطون الأخبار وينقلونها إلى الاعداء .

ولكن الله سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد . فما يتوا أمراً إلا أظهره الله وفضحهم . وما دبروا مكيدة إلا رد الله كيدهم في نحرهم ، وأنزل في شأنهم معظم سورة التوبة ، فما زال يقول فيها : ومنهم ، ومنهم . . . حتى أخزاهم وكشف عن نذالة نفوسهم ، وآيات كثيرة في سورة البقرة ، وآل عمران والأحزاب وغيرها ، حتى أنزل فيهم سورة بتماها وهي ( المنافقون ) وكانت عاقبة أمرهم كفراً وذلة ، وعاقبة أمر المؤمنين المخلصين عزاً وسيادة . وسنبين موقف الاسلام منهم في فصول تأتي إن شاء الله .

## ( اليهود أو بنو إسرائيل )

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان فيها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظة، وكان نزوحهم إلى الحجاز أيام «مختصر» البابل (١) الذي استولى على بلادهم بالشام، وهدم متعبداتهم، وخرّب الهياكل للمرة الأولى وانزل العذاب بهم، وسبى الكثيرين منهم لما عتوا في الأرض فساداً واستكباراً؛ ولعل هذا هو ما أراده الله سبحانه وتعالى في قوله: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولنعلمن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولها بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاجسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً (٢)» ففر بعضهم إلى بلاد الحجاز؛ فمنهم من سكن خيبر، ووادى القرى وتيها، ومنهم من سكن يثرب (أى المدينة) وذلك فيما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبى (٣) وقيل: إن هجرتهم إلى بلاد الحجاز: خيبر وماجاورها، ويثرب وما قرب منها، إنما كان سنة سبعين ميلاديه، حينما هجم «طيطوس، الرومانى على بلادهم واستولى على أورشليم؛ وخرّب الهيكل للمرة الثانية؛ وونكل بهم. وقتلهم (٤) وأذلهم ولعل هذا هو ما أشار الله إليه في قوله سبحانه: «فإذا جاء وعد الآخرة ليسئخوا وجوهكم؛ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تبيراً، عسى ربكم أن يرحمكم وأن تدمر دناب؛ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً» (٥) وقد سكن بجوارهم من قديم الزمان قبيلتنا الأوس والخزرج، وكان اليهود ذوى ثروه ومال وزروع؛ إن لم يكونوا ذوى بأس وقوة كالأوس والخزرج، فن ثم عاشوا كالأتباع لهم؛ مستذلين صاغرين؛ وكان اليهود أهل كتاب؛ ويعلمون صفات النبي في توراتهم. وكانوا يستفتحون على الأنصار قبل البعثة؛ بالنبي الذى سيبعث، وإنهم سيتبعونه ويأخذون بثأرهم منهم فلما بعث النبي جحدوا رسالته وكفروا به تنادياً وبعياً وحسداً للعرب؛ وقد سجل الله سبحانه وتعالى

(١) وكان ذلك حوالى سنة ٥٨٦ ق.م

(٢) الاسراء ٤، ٣ (٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٩

(٤) الملل والنحل للاستاد حامد عبد القادر ص ٢٣ و ٣٦

(٥) سورة الاسراء ٨ و ٧



عليهم هذا في قوله: « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فله اجاءهم ما عرفوا كفروا به فلغنة الله على الكافرين (١) » وقال سبحانه: « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فرقا منهم ليكتنمون الحق وهم يعلمون » (٢)

ولما كان اليهود يزعمون كذباً وزوراً أنهم شعب الله المختار ، وأن النبوة لن تكون إلا فيهم ؛ فقد عادوا إلى سلام ونبية عداة حاقدا ؛ ولم يسلم منهم إلا القليل . أمثال عبد الله بن سلام ؛ وأهله وعمته ؛ ومخبريق الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « ومخبريق خير يهود » (٣) قال ابن اسحاق في سيرته : وكان حبراً عالماً ؛ وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ؛ وما يمجده في عامه . وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد : وكان يوم السبت قال : يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال لاسبت لكم ؛ ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ؛ وعهد إلى من ورءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم ، فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراد الله فلما أقتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مخبريق خير يهود » وقبض رسول الله أمواله وتصدق بها على المسلمين .

وقد نافق بعضهم وأظهر الإسلام خداعاً ومضارة للمسلمين كما قدمنا وأما الكثرة الكاثرة منهم فقد ناصبوا الإسلام وأهله العداوة . فمنهم حبي بن أخطب ، وأخوه ياسر ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع الأعور تاجر أهل الحجاز والربيع ابن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن ححاش . وكعب بن الأشرف وشاس ابن قيس ، ومالك بن سيف . وكعب بن أسد . ووهب بن يهودا (٤) وغيرهم .

(١) البقرة ٨٩ (٢) البقرة ١٤٦ (٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧

والاصابه في تاريخ الصحافة ج ٣ ص ٣٩٣

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٦ و٢٣٧

وروى ابن إسحاق بسنده عن صفية بنت حيي قالت : « لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني . ولم ألقهما في ولدتهما . ولم أهنس إليهما إلا أخذاني دونه . فلما قدم رسول الله ﷺ قباء — قرية بنى عمرو بن عوف — غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين - فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس . فجا أنا فاترين كسلانين ساقطين بمشيان الهويني . فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منهما فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله ! قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال عداوته ما بقيت ! ! وهذا يدل على مقدار ما كان يكنونه للنبي والاسلام . وكان عاقبة حيي خسرا وخزيا . فقتل فيمن قتل يوم قرينة (١) .

وكذلك كانت عاقبة المكذبين الخاقدين من اليهود فمنهم من قتل . ومنهم من أجلي عن المدينة . ثم عن جزيرة العرب كلها . وأروح الله من شرورهم العباد والبلاد . وسنفضل ذلك حيننا نعرض لمواقف الإسلام من بنى إسرائيل .

## ( الإخاء بين المهاجرين والانصار )

ولما استقر المسلمون بالمدينة ألهم الله سبحانه نبيه محمدا بعمل يعتبر غاية في حسن السياسة . وأصالة الرأي . وبعد النظر . فقد عقد بين المهاجرين والانصار أخوة بها يتعاونون ويترافقون : ويتناصرون ويتوارثون . وقد اختلف العلماء في وقت هذه المؤاخاة فقبل بعد الهجرة بخمسة أشهر . وقيل بتسعة أشهر . وقيل وهو بنى المسجد . وقيل قبل بئانه ، والذي نرجحه أن ذلك كان بعد الهجرة بقليل . فإن الحال كانت تدعو إلى الإسراع بهذا الإخاء جمعا للشمل . وتوثيقا للعرى . وقطعا لدسائس الأعداء ولاسيما اليهود .

فكان رسول الله ﷺ وعلي بن طالب أخوين . وأبو بكر وخارجة بن زيد أخوين . وعمر وعثمان بن مالك أخوين . وحزرة وزيد بن حارثة أخوين .

وحاطب بن أبي بلتعة ، وعويم بن ساعدة أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين . وابن مسعود ومعاذ بن جبل أخوين . ومصعب بن عمير وأبو أيوب الانصارى أخوين . وأبو حذيفة بن عتبة . وعباد بن بشر أخوين . وبلال وأبو رويحة<sup>(١)</sup> أخوين . وأبو عبيدة بن الجراح وأبو طلحة الانصارى أخوين . والزبير بن العوام وسامه بن سلامة بن وقش أخوين . وطلحة بن عبد الله وكعب بن مالك أخوين . وسعيد بن زيد وأبي ابن كعب أخوين . وعمار وحذيفة بن اليمان حليف بنى عبد الاشهل أخوين . وهكذا قال ابن سعد آخى بين مائة : خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار . وليس معنى هذا أنه لم يكن التآخى إلا بين هذا العدد . وإنما كان هذا أول ما آخى ، وصار يجردها بحسب من يأتى إلى المدينة مهاجرا . ومن دخل في الاسلام بعد ذلك .

وما ينبغي أن يتنبه إليه أن الامام محمد بن اسحاق وهم في بعض من ذكرها أخوين . وذلك مثل عمه جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين والمعروف الثابت أن جعفر كان بالحبشة وقتها . ولم يقدم المدينة إلا عام خيبر سنة سبع . وعده أبا عبيده وسعد بن معاذ أخوين . والصحيح ما ذكرته وهو ما رواه الامامان أحمد ومسلم . وقد أجاب بعض العلماء عن بعض هذه المآخذ<sup>(٢)</sup> .

وقد أنكر الامام ابن تيمية المؤاخاة بين مهاجري ومهاجري وقال إنها كانت بين مهاجري وأنصارى . ورد عليه الحافظ ابن حجر في الفتح قال الحافظ : « وأنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر الرافضى - يعنى كتاب منهاج السنة - المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصا مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلى قال : لان المؤاخاة شرعت لارفاق بعضهم بعضا . ولتأليف قلوب بعضهم على بعض . فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري . وهذا رد للنص بالقياس . وإغفال عن حكمة المؤاخاة . لأن بعض

(١) اسمه عبد الله بن الرحمن روى أنه لما دون عمر الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهداً ؛ فقال عمر لبلال : لى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبى رويحة لا أفرقه أبداً . للاخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقدها بينه وبينى ، فضم إليه .

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٧ .

المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى . فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتقى الأدنى بالأعلى . ويستعين الأعلى بالأدنى وبهذا نظر إلى مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعل . لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة . وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأن زيدا مولاهم . فقد ثبتت أخوتها وهما من المهاجرين (١) .

ولم تكن هذه الاخوة أخوة إسلام وارتفاق فحسب . وإنما كانت أخوة بها يتوارثون . قال عز شأنه « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض . والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق (٢) ...

وقد استدر الأمر على ذلك حتى عز الإسلام ، واجتمع الشمل ، وذهبت آثار الغربة من وحشة وحاجة ، فنسخ الله حكم التوارث بهذه الأخوة بالحكم الثابت المستقر ، وهو التوارث بالقرابة والرحم قال عز شأنه « وأولوا الآحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً (٣) » وقال « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم (٤) .

وقد كان لهذه الأخوة آثارها البعيدة في الحب والارتفاق ، والتعاون والتناصر ، وقاموا بحقوقها خير قيام ، وضرب الأنصار في هذا مثلاً علياً لم تعرف لغير هؤلاء السادة الأبرار ، واعترافاً بالفضل لأهله أرى لزماً على أن أقول كلمة في فضائل الأنصار بعد قليل .

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٢١٧ .

(٢) الأفعال ٧٢ .

(٣) الأحزاب ٦ .

(٤) الأفعال ٧٥ .

## المؤاخاة بين المسلمين بمكة

ومما ينبغي أن يعلم أنه كانت هناك مؤاخاة قبل هذه المؤاخاة حدثت بين المسلمين بمكة وهي تعتبر أول مؤاخاة في الإسلام ، كان الغرض منها ، تقوية الأواصر والروابط بين المسلمين ، وارتفاق الضعيف بالشريف ، والفقير بالغني ، ومن ليس من قريش بمن هو منهم ، فالحكمة منها ظاهرة والغرض منها شريف .

قال الحافظ بن حجر في « فتح الباري شرح صحيح البخاري » « قال ابن عبد البر : كانت المؤاخاة مرتين : مرة بين المسلمين ، وذلك بمكة ومرة بين المهاجرين والأنصار ... » وهي التي كانت بالمدينة ، وعنى بذكرها كتاب السير والمؤرخون .

ثم قال : وقعت المؤاخاة الأولى كما أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر قال : « وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان » وذكر جماعة قال : ( فقال علي : يا رسول الله إنك آخيت بين أصحابك فمن أخى ؟ قال : أنا أخوك » .

وقد ذكر الحافظ في الإصابة في ترجمة سيدنا بلال — رضى الله عنه — أن النبي صلى الله عليه وسلم « أخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح » فلعل مراد من قال ذلك المؤاخاة الأولى التي كانت بمكة وإلا فالمعروف الثابت أن النبي أخى بين بلال ، وبين أبي رويحة الغنصمي — رضى الله عنهما — .

## ( مآثر الأنصار الخالدة )

إن المتأمل فيما قام به الأنصار رضى الله عنهم تجاه النبي ﷺ وإخوانه المهاجرين ليتعجب مما فعله هؤلاء القوم، ولو ذهب يتلمس الأسباب، فلن يجد إلا سبب الأسباب، وهو أن ذلك كان بفضل الله ورحمته لا بصنع بشر وحكمته وسياسته، وصدق الله حيث يقول « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » (١) فلم يلتق النبي ﷺ بالأنصار إلا فى سويغات تحت جنح الليل، واكتفى فيها بعرض الإسلام، وأخذ العهود والمواثيق، ولم يطل لقاؤه معهم قبل الهجرة حتى يكون هذا الذى فعلوه بسبب تربيته النبي ﷺ إياهم. وطول تعهده لهم كما فعل تجاه المهاجرين حتى كون منهم رجالا. ولم يكن بين دخولهم فى الإسلام وقيامهم بهذه المآثر إلا أقل من عام. وقد سمعت فى ماضى طرفا من لقاءهم للرسول وإكرام وفادته. ولم يكن شعورهم تجاه إخوانهم المهاجرين بأقل من هذا فقد فتحوا لهم قلوبهم قبل أن يفتحوا لهم بيوتهم: ووسعوهم بصدورهم قبل أن يسعوهم بأموالهم. وتسبقوا إلى لقاءهم وإكرامهم حتى لم يجدوا بدا فى بعض الأحيان من تحكيم القرعة بينهم. وضرَبوا فى باب الإيثار. وسخاء النفس. وكرم الطبع مثلاعليا لا تزال تذكرها لهم الأجيال المتعاقبة بالإكبار والإعظام.

روى البخارى فى صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى فجاء سعد فعرض عليه أن يقاسمه ماله. وقال له: انظر أى زوجتى أحب إليك أتنازل لك عنها حتى إذا ما انتهت عدتها تزوجتها، فأبى عبد الرحمن وقال له: بارك الله لك فى أهلك ومالك، ولكن دلتى على السوق، فدلته على السوق، فباع وابتاع حتى صار له مال، وتزوج امرأة من الأنصار بوزن نواة من ذهب، فقال له النبي: « أو لم ولو بشاة » (٢) وهكذا ضرب سعد بن الربيع مثلاً فريداً فى الإيثار، وضرب عبد الرحمن

(١) الاعتقال / ٦٣

(٢) صحيح البخارى باب « كيف آخى النبي بين أصحابه » .

ابن عوف مثلاً عالياً لعزة النفس والرغبة في العمل والاكتساب ، وقد فتحت عليه الدنيا بعد ما توفي إلا وهو أثرى الأثرياء .

وما سعد بن الربيع إلا صورة مشرقة ومثلاً من أمثلة الأنصار الكرام .

ويبالغ الأنصار في الأيثار والعمل على مقتضى هذه الأخوة فيأتون إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه فيقولون : « أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل » فيقول لهم النبي « لا » فقالوا لإخوانهم المهاجرين : تكفونا المؤونة - يعنى السقي والعمل - ونترككم في الثمرة ، فقالوا : « سمعنا وأطعنا » رواه البخاري في صحيحه ، وروى أيضاً عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين . فقالوا : إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال : إما (١) لا فاصبروا حتى تلقوني أنه سيصيبكم بعدى أثره (٢) .

وكان النبي ﷺ أراد أن يكافئهم على ما قدموا له وللمهاجرين من برٍّ ومواساة وإيواء ، ولكن القوم سموا وأبوا إلا أن يكون عملهم لوجه الله ، لا يريدون من أحد عليه جزاء ولا شكورا .

وإن شئت في باب الأيثار أروع من ذلك وأعجب ، فاليك ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النصير للأنصار : « إن شئتم فسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ، وتشاركونهم في هذه الغنيمة . وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم تقسم لكم شيئاً من الغنيمة » فقالت الأنصار : « بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها » !! ذكره البغوى في تفسيره . يا لله لهذه النفوس الكريمة الآية ! المؤثرة السخية ! لقد كان جزاؤهم من ربهم أن أنزل فيهم

(١) إما لا : هي أن الشرطية المدغمة في ( ما ) الزائدة ولانافية وفعل الشرط محذوف -  
تقديره ، تقبلوا (٢) أثره وزن قصة أي استشار بالأحوال دونهم .

عزآنا يتلى إلى يوم الدين وصدق الله ، والذين تبؤوا الداروالإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقشح نفسه نأولئك هم المفلحون (١) وأن قال فيهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه مشهيدا بمناقبهم وفضلهم «لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، وأن جعل حبهم علامة الإيمان ، وبعضهم وعلامة النفاق فقال . « آية الإيمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار » وقالوا « الانصار لا يحبهم إلامؤمن ، ولا يبغضهم إلامنفاق ، فمن أحبهم أحبته الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » وأن أوصى بهم المسلمين بعده خيرا ، فقد حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فقال . « أبو بكر والعباس - رضى الله عنهما - بمجلس من مجالس الانصار ، وهم سيكون ، فقال : ما يبيكم ؟ قالوا : زكرنا مجلس النبي ﷺ منا ، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك قال : فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بردة قال : فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ( أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيتي (٢) وقد قضوا الذى عليهم ، وبقي الذى لهم ، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم رواها البخارى (٣) .

## ( مودعة النبي اليهود )

لئن كان النبي ﷺ باخائه بين المهاجرين والانصار بلغ الغاية فى الحكمة والتدبير والسياسى ، فقد كان العمل البارح حقا الذى يدل على الحنكة السياسية والقدرة الفائقة على حل المشاكل - هو ما قام به من مودعة اليهود ومخالفتهم ، فقد كتب بين المهاجرين والانصار كتابا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم ، وشروط لهم وهذا هو نطق الكتاب .

(١) الحشر / ٩

(٢) بطائى وخامسى ، وموضع سرى .

(٣) صحيح البخارى باب حب الانصار من الايمان وباب قول النبي ﷺ فأقبلوا من محسنهم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قریش و يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس : المهاجرون من قریش على ربعتهم (١) يتعاقلون بينهم ، وهم يفتدون عانيتهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفتدي عانيتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار :

بنی ساعدة ، وبنی جشم ، وبنی النجار ، وبنی عمرو بن عوف ، وبنی النبيت . إلى أن قال : وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا (٢) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيسة ظلم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعهم ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يحجر عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ، ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يبئس (٣) بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يحجر مشرك مالا لقریش ولا لنفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اغتبط (٤) مؤمنا قتلا عن ينة فإنه يهود به إلى أن يرضى ولى المقبول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر عدما (٥) ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه

(١) ربعتهم : جماعتهم

(٢) المفرح المنقل بالوين الكثير الضيال فانه ابن همام .

(٣) يبئس من البوء أي المساواه يريد أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيما ينال دماءهم .

(٤) يقال : اغتبطه أي قتله بلا جناية كأنه منه ولا جريره توجب قتله .

(٥) جانبا .

لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل (١) ، وإنكم مهما  
 اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد ﷺ ، وأن اليهود  
 يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين . وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين .  
 لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه  
 لا يوتغ (٢) إلا نفسه وأهل بيته . وإن لليهود بنى النجار وبنى الحارث ، وبنى  
 ساعدة وبنى جشم . وبنى الأوس . وبنى ثعلبة . وحفنة . وبنى الشنطة (٣) مثل  
 ما لليهود بنى عوف . وإن بطانة يهود كأَنفسهم . وإنه لا يخرج منهم أحد إلا  
 باذن محمد . ولا ينحجر (٤) على ثأر جرح . وإنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم  
 وإن الله على أمر (٥) . هذا وإن على اليهود نفقتهم . وعلى المسلمين نفقتهم . وإن  
 بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وإن بينهم النصح والنصيحة  
 والبر دون الإثم . وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ؛ وإن النصر للمظلوم ؛ وإن يثرب  
 حرام جرفها (٦) لإهل هذه الصحيفة وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .  
 وإنه لا تجار حرمه إلا باذن أهلها . وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من  
 حدث ؛ أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله وإن الله  
 على من اتقى (٧) ما في هذه الصحيفة وأبره . وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها .  
 وإن بينهم النصر على من دهم يثرب . وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه  
 فأنهم يصلحونه . وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب  
 في الدين على كل أناس حصنتهم من جانبهم الذي قبلهم . وأنه لا يحول هذا

(١) الصرف : التوبه ، العدل : اللديه أى لا يقبلان منه . (٢) يوتغ : يهلك ويفسد .

(٣) في حياة محمد « بنى الشطيبة » .

(٤) معنى لا يلبثم جرح على ثأر . (٥) في حياة محمد « على أبر » .

(٦) الجرف موضع قريب من المدينة . وفي ابن هشام « جوفها » .

(٧) في حياة محمد « على أنى » .

للكتاب دون ظالم أو آثم ، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم . وإن الله جار لمن بر واتقى .

هذه هي الوثيقة التي وضعها نبينا محمد ﷺ منذ قرابة أربعة عشر قرنا ؛ وهي وثيقة جديدة بالاعجاب حقا . وثق فيها ما بين المهاجرين والأنصار من إخاء وحلف ، وقرر فيها حرية العقيدة لغير المسلمين وحرية ازأى وحرمة المدينة ؛ وحرمة الحياة . وحرمة المال وبذلك سبق النبي ﷺ إلى تقرير حقوق الانسان من هذا الزمن البعيد . وقرر فيها أيضا تحريم الجريمة ؛ والإثم والغدر والخديعة . وهي فتح جديد حقا في الحياة السياسية والمدنية في هذا العالم يومئذ . هذا العالم الذي كانت تغلب عليه روح الاستبداد . وتعيث فيه يد الظلم فسادا . ولاتراعى فيه الحقوق والحرمات .

والمقتضى هذه الوثيقة أصبحت المدينة حرما آمنا . وأصبح كل من المسلمين واليهود في أمن من جانب الآخر وأصبح اليهود ملزمين بمعاونة المسلمين إذا مادهم المدينة عدو . وبعدم مساعدة المشركين ومناصرتهم ضدهم . ولقد وفي النبي والمسلمون بكل الالتزامات التي أوجبها هذه الوثيقة عليهم على حين لم يف بما فيها اليهود . ولما عادوا إلى طبيعتهم من الدس والوقية والخداع . فحاولوا الوقية بين الأوس والخزرج . وهما بقتل النبي . واستباحوا حرمات المسلمين فكانت عاقبة أمرهم ذلا .

## بناء النبي عائشة

وفي شوال من السنة الأولى دخل النبي صلى الله عليه وسلم بزوجه عائشة ، وكان خطبها من أبها الصديق وهي بنت ست وقيل سبع سنين وبنى بها بعد الهجرة وهي بنت تسع ، وكانت نامية نموا حسنا ، ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها ، وقد أراه جبريل صورتها في قطعة

من حرير خضراء قبل أن يخطبها روى البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : « أريتك فى المنام مرتين إذا رجل يملك فى سرقة من حرير فيقول : هذه امرأتك فأكشفها فإذا هى أنت فأقول : إن يكن هذا من عند الله يمضه » ولما خطبها النبى من أبيها قال : إنما أنا أخوك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أنت أختى فى دين الله وكتابه ، وهى لى حلال » رواه البخارى .

وقد دخل بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى فتاة حديثة السن تلهو مع صديقاتها ، وتلعب بالأرجوحة والعرائس كما هو شأن الفتيات الصغار ، وكثيرا ما كان الرسول يدخل عليها وهى معهن فيرفق بها ويفسخ لمن من صدره ، وقد تربت فى منزل الوحي فنشأت متخلقة بأحسن الأخلاق ، متطبعة بما يوافق هوى النبى صلى الله عليه وسلم فلا عجب أن كانت أحب نسائه إليه ، وآثرهن عنده ، وكانت تكنى بأم عبد الله قيل لسقط ولده ، وقيل باسم ابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير ، وهو الصحيح ، وكانت عاقلة عالمة روت عن النبى وعن أبيها وغيره من الصحابة وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين ، وعنهما أخذ الكثير من أحكام الشريعة ، ولا سيما ما كان يصنعه النبى فى بيته ، ومع زوجاته ، قال مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكبر يسألونها عن الفرائض وقال أبو موسى الأشعري : ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر قط ، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما ، ولما مرض النبى استأذن نساءه كي يمرض فى بيتها . فقامت عليه حتى توفى صلى الله عليه وسلم بين سحرها<sup>(١)</sup> ونحرها . وقد ألقى برأسه على صدرها . فرضى الله عنها وأرضاها .

## مشروعيه الاذان

لقد فرض الله سبحانه الصلوات الخمس على الأمة قبل الهجرة لیسلة

( ١ ) السحر : الرثة فقد توفى النبى ورأسه على صدرها .

الإسراء والمعراج . فكانوا يصلون . ولا يؤذنون ؛ لأن الظروف المحيطة بهم في مكة ما كانت تسمح بالدعوة إليها . والإعلان عنها . واستمر الحال على ذلك إلى ما بعد الهجرة . فلما اطمان الرسول وأصحابه بالمدينة . واستحكمت أمور الإسلام وبدأ تشريع الأحكام . وأصبحوا على حال تؤهلهم لإظهار شعائر الإسلام فكر النبي والمسلمون في وسيلة للإعلان عن الصلاة . وتشاوروا في ذلك . روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال : « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحنون الصلاة ليس ينادى لها . فتكلموا يوماً في ذلك . فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى . وقال بعضهم : بوقاً مثل قرن اليهود . فقال عمر : أو لا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ : قم يا بلال فناد بالصلاة » وكان هذا النداء بلفظ « الصلاة جامعة (١) » رواه ابن سعد في الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب . وليس المراد بالنداء الأذان الشرعي المهود .

فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه في منامه من يلقنه الأذان . فأتى رسول الله ﷺ فأخبره . فقال : « إنها لرؤيا حق » وأقره على ذلك وقال له : « ألقها على بلال فإنه أندى صوتاً منك » فلما سمع الفاروق عمر رضی الله تعالى عنه جاء — وهو يحمر رداءه — إلى النبي ﷺ . فقال : يا نبي الله لقد رأيت مثل الذي رأى . فقال الرسول (فله الحمد) وإليك مارواه ابن اسحق في سيرته عن عبد الله بن زيد قال :

« كان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة حين موافقتها بغير دعوة . فهم رسول الله أن يجعل بوقاً مثل بوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم . ثم كرهه . ثم أمر بالناقوس ليضرب به للمسلمين للصلاة (٢) »

(١) بنصب الصلاة على الأجراء وجامعة على الحال أي اضرروا الصلاة حالة كونها جامعة وقيل بالرفع مبتدأ وخبر أي ذات جماعة .

(٢) في بعض الروايات الحديثية أنهم كرهوا ذلك أيضاً وإنما كرهوا هذا وذلك لأنهم يهتفون =



ثم قال : وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء ، وقد رد عليه الحافظ بن كثير فيما زعم حيث قال : « فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح ؛ بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود ، الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين بالكذب ، ثم لو كان قد سمعه رسول الله ﷺ لئسلة الاسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة في الدعوة إلى الصلاة » وكل ما روى من روايات تدل على مشروعيته قبل الهجرة هي ضعيفة لا تنهض للاحتجاج بها كما نبه إلى ذلك الحافظ الكبير ابن حجر في الفتح ، وكان بلال بن رباح هو مؤذن<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ ، مع وجود مساعدين له في بعض الأحيان وكان بلال يزيد في أذان الفجر بعد حى على الفلاح الثانية « الصلاة خير من النوم » مرتين وأقره النبي على ذلك .

والأذان شعيرة من شعائر الإسلام فلا يجوز تركه ، ولو أن أهل بلد اجتمعوا على تركه ، كان للسلطان قتالهم عليه ، وأقوى ما يستدل به على هذا ما رواه البخارى ومسلم - واللفظ لمسلم - عن أنس قال « كان رسول الله عليه وسلم يغير إذا طلع الفجر ، كان يستمع الأذان ، فإذا سمع أذاناً أمسك ، وإلا أغار » .

## السرايا في السنة الأولى

كانت عادة قريش أن تذهب بتجارها إلى الشام لتبيع وتشتري ، ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيرا ، وكان يسير معها لحراستها كثير من أشرف قريش وسرايتهم ، وكانت طريقهم إلى الشام تمر على دار الهجرة ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع عليهم طريقهم ، ويصادر تجارتهم ذاهبة وآيية ،

(١) واغ- كمة في تخصيص بلال بالأذان حسن صوته ونداوته وفوته ، وأيسأ فقد كان ذلك مكافأه على ما أتى في الله فقد كان إذا اشتد به العذيب لا يستر عن قوله : « أحد أحد » فجرزى بالأذن الذي أوله تنظيم وتوحيد ، وآخره تعظيم وتوحيد .

ليكون في ذلك عقاب لهم على إخراجهم لهم من ديارهم ، وما أخذوه من أموالهم ، وإضعاف لقوتهم ، فيكون ذلك أدعى لحزولهم في ميدان القتال الذي لا بد أن يكون ، فما كانت قريش لتدع النبي يبلغ الإسلام لمن أمره الله بتبليغه إليهم من الناس كافة ، وكان النبي يتربص أن يؤذن الله له ولأصحابه في القتال وهذه هي السرايا (١) .

### « سرية حمزة بن عبد المطلب »

في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمه حمزة في ثلاثين راكبا من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله أبو مرثد الغنوي وأمره أن يعترض عيرا لقريش راجعة من الشام ، فيها أبو جهل وثلثمائة من المشتركين فسار حمزة — رضى الله عنه ومن معه حتى وصلوا ساحل البحر ، فصادف العير هناك ، فلما تصافوا للقتال حجز بينهم عدي بن عمرو الجهني ، فأطاعه الفريقان وانصرفوا .

### « سرية عبيدة بن الحارث »

وفي شوال من هذه السنة أرسل النبي عبيدة بن الحارث بن المطلب في ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وأمرهم أن يعترضوا عيرا لقريش ، فوافوا العير بيطن رابع قرب « العيص » وكان على العير أبو سفيان ابن حرب في مائتي رجل من قريش ، فكان بينهم الرمي بالنبال ، ثم خشي المشركون أن يكون للمسلمين كمين فتقهقروا ، ولم يتابعهم المسلمون وفر من القرشيين المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان ، وكانا قد أسلما قديما فاتتهزا للفرصة ، ولحقا بالمسلمين .

وفي هذه السرية أطلق أول سهم في الإسلام ، وكان الذي أطلقه عبيدة ابن الحارث وقيل سعد بن أبي وقاص .

(١) السرية الفرقة من الجيش التي لم يخرج فيها رسول الله ، أما ما يخرج فيها الرسول فهي غزوه .



## ( سرية سعد بن أبي وقاص )

وفي آخر شوال من هذه السنة خرجت سرية ثالثة عدتها عشرون من المهاجرين ، وعلى رأسهم سعد بن أبي وقاص ، فكانوا يكمنون النهار ويسرون الليل ، حتى وصلوا صباح اليوم الخامس إلى « الحرار »<sup>(١)</sup> وكان رسول الله ﷺ قد عهد إليهم أن لا يجاوزوا هذا المكان ، فلما وصلوا علموا أن العير قد مرت بالمكان في اليوم السابق فعادوا دون أن يلقوا أحدا .

وقد ذكر الواقدي أن هذه للسرايا كانت في السنة الأولى ، وكلام ابن إسحاق في سيرته يميل إلى أنها في السنة الثانية ، ورجح ابن كثير الرأي الأول قال : « والواقدي عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرر غالباً ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار ، وهو صدوق في نفسه مكثار<sup>(٢)</sup> » .

## رأينا في هذه السرايا

والذي نراه في هذه السرايا التي وقعت في السنة الأولى ، أنها كانت لمعاقبة المشركين ، والحصول على ما يمكن الحصول عليه من تجارتهم نظير ما أخذوا من أموالهم وما ظلموهم ، وإضعاف شوكتهم ، فإن المال عصب الحياة .

وأيضاً فقد قصد بها إفهام قريش أن مصلحتهم تقتضيهم التفاهم مع المسلمين من أهلهم - الذين اضطروا إلى الفرار من مكة بسبب ما عانوا من الاضطهاد والإيذاء - تفاهما يقي الطرفين شرور العداوة والبغضاء ، ويكفل للمسلمين حرية الدعوة إلى دينهم ، وحرية الإعلان عن عقيدتهم ، وحرية الدخول إلى

(١) موضع قرب الجحفة.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٤

الحرم لتأدية شعائرهم ، كما يكفل لأهل مكة سلامة تجارتهم فى طريقها إلى الشام ، ولم يكن مثل هذا التفاهم ممكنا ، ما لم تقدر قريش قوة المهاجرين من أبنائها على الإيقاع بها ، وإيصاد طرق التجارة فى وجهها .

ولا أرى أنها كانت للحرب ، فقد كان القتال لم يشرع بعد ، وذلك على حسب ما ترجح فى نظرى من أن مشروعية القتال كانت فى أوائل السنة الثانية على ما سأذكر ، لأن الأعداد التى كان فيها المسلمون فى سراياهم تلك ، لم تكن متكافئة مع أعداد المشركين ، ولم تنقل الروايات أن النبى كان يوجههم للقتال ، وإنما للقاء العير واعتراضها ، وإن كان الاعتراض لا يسلم من المناوشة .

وقدرأى هذا الرأى من قبل ، الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله تعالى - (١) وأن كنت أخالفه فى اعتباره الغزوات التى كانت فى السنة الثانية قبيل بدر من هذا القبيل ، فاحتمال القتال فيها أمر راجح ولاسيما وقد أصبح الجهاد مشروعاً للمسلمين .

## مزاعم المستشرقين فى هذه السرايا

زعم بعض المستشرقين أن هذه السرايا الأولى إنما كان يقصد بها إلى نهب تجارة القوافل ، فإن النهب كان بعض طباع أهل البادية ، وأن أهل المدينة إنما أغرتهم الغنيمة والسلب باتباع محمد على خلاف عهدهم فى العقبة ، وهذا زعم ليس له ما يؤيده ، ويرد عليه الواقع وسأدع الدكتور محمد حسين هيكل يرد عليهم قال - رحمه الله :

(١) حياة محمد ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

« وهذا كلام مردود ، لأن أهل المدينة كأهل مكة لم يكونوا أهل بادية يعيشون على السلب والنهب ، وأنهم فوق ذلك ، كان في طبعمهم ما في طبع من يعيشون على الزراعة من حب الاستقرار ، مما يجعلهم لا يتحركون لملى قتال إلا لدافع قوى . أما المهاجرون فكان من حقهم أن يستخلصوا من أيدي قريش ما أخذ من أموالهم ، لكنهم لم يستعجلوا ذلك قبل بدر ، فلم يكن هو الدافع للسرايا في الغزوات الأولى ، ثم أن القتال لم يشرع في الإسلام ولم يتم ( سيدنا ) محمد وأصحابه لهذه الغاية البدوية التي يتوهم المستشرقون ، وإنما شرع وقام به ( سيدنا ) محمد وأصحابه حتى لا يفتنهم عن دينهم أحد ، وحتى يكون لهم من حرية الدعوة له ما يشاءون (١) ... » .

## أحداث هذا العام

موليد : وفي شوال من هذه السنة ولد عبد الله بن الزبير ، فكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة من المهاجرين ، ولما ولدت السيدة أسماء بنت الصديق ، كبر المساهون تكبيرة كبيرة عظيمة فرحا بمولده ، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، ومع أن المسلمين ما كانوا يلقون بالالهة الترهات ، التي كذبها الواقع الذي لامرأه فيه ، ولما ولدت جاءت به إلى رسول الله ﷺ ، فوضعه في حجره ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له ، وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد للأَنْصار ، بعد الهجرة النعمان بن بشير .

« وفيات » في هذه السنة توفي كلثوم بن الهدم الأنصارى الأوسى من بني عمرو بن عوف ، وقد ذكر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه ، أنه أول من توفي بعد قدوم النبي ﷺ بيسير ، وكان شيخا كبيرا أسلم قبل مقدم

النبي ، ولما هاجر النبي ، ونزل بقاء نزل في بيته ، فكان ينام عنده ليلا ، ويكون مع أصحابه في النهار في منزل سعد بن خيشمة ، لأنه كان أعزب لأهل مكة ، وقيل : إنه مات قبل بدر بيسير .

وتوفي أيضا أبو أمامة أسعد بن زرارة النجاري الخزرجي ، أحد النقباء الأثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار ، وشهد العقبتين ، وهو أول من أسلم من الخزرج ، وأول من صلى الجمعة بالمدينة قبل هجرة الرسول ﷺ ، وقد مات بالذبيحة أو الشارقة والمسامون بينون المسجد النبوي ، ولما توفي سأل بنو النجار رسول الله أن يقيم لهم نقيبا فقال : « أنتم أخوالي وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بعضهم دون بعض ، فكان من فضل بني النجار على قومهم أن رسول الله كان نقيبهم ، وقد كان هذا تصرفا حكما من رسول الله ، فقد كان المتطلعون إليها كثيرون ، وبحسبهم شرفا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

## السنة الثانية للهجرة

### تشريع الجهاد<sup>(٢)</sup> في الإسلام

لقد مكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عاما بمكة ، وهو يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد حارب أهل مكة الدعوة الإسلامية حربا لاهوادة فيها

(١) الاصابة ج ٤ ص ٣٠٥ : الاستيلاء على هاشم الاصابة ج ٤ ص ٣١٤

(٢) الجهاد بكسر الجيم : أصالة لغة : - المنة ، يقال جاهدت جهادا بالغ المنة ، وشرعاً به بذل الجهد في قتال الكفار ، وإعلاء كلمة الله ويكون بالنفس ، والمال أو اللسان والقلب وهو الفراد هنا ويطلق أيضا على مجاهدة النفس ، والشيطان ، والفساق ، فاما مجاهدة النفس فملى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ، ثم على تعليمها . وأما مجاهدة الشيطان فملى دفع ما يأتي به من الشبهات ، وما يزيد من الشهوات ، وأما مجاهدة الفساق فباليد ، ثم اللسان ، ثم القلب ، وهو أضعف ثمرات الايمان

وآذوا النبي وأصحابه إيذاءً تجاوز كل معاني الإنسانية ، ومع هذا كان المسلمون يزدادون عدداً وصلابة ، وقوة في التمسك بدينهم ، وكان الله سبحانه وتعالى ينزل على نبيه من الآيات ما يقويه ويثبتته على الصبر ، وذلك مثل قوله سبحانه : « فاصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » (١) وقوله « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (٢) وقوله « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل » (٣) وقوله « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً » (٤)

وكان المسلمون كثيراً ما يأتون إلى النبي ﷺ ما بين مضروب ومشجوج ومعذب ، شاكين إليه ، فيثبتهم ويضرب لهم الأمثال والعظات ويقول لهم . « اصبروا فاني لم أؤمر بقتال » حتى هاجر النبي والمسلمون إلى المدينة وتأخوهم والأنصار ، وأصبح لهم كيان وسلطان ، وأضحوا ذوى عدد وقوة ، فلم يكن بد من أن يأذن الله لهم في القتال .

وأما ما ذكره ابن اسحاق ، في سيرته من أن الجهاد شرع قبل الهجرة فمن أوهامه .

أول ما نزل في القتال : وكانت أول آية نزلت فيه هي قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » (٥) والإذن لا يكون إلا بعد منع ، فأسلوب الآيات يشعر بأنها أول ما نزل ، هذا إلى ما روى الحاكم في المستدرک عن حبر القرآن ابن عباس ، أنها أول ما نزل في القتال ، ورواه عبد الرازق وابن المنذر عن الزهري .

(١) النحل ١٢٧ (٢) النورى ٤٣ (٣) الأحقاف ٣٥ (٤) الزمل ١٠

(٥) الحج ٣٩ - ٤١

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية - وهو من التابعين - أن أول آية نزلت فيه قوله تعالى: « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (١) »

ويرى البعض أن أول ما نزل هو قوله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ، ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ واستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم (٢) »

والذي ترجمه هو الأول ، وهو الذي يؤيده العقل والنقل ، أما الآية الثانية فهي إلى تنظيم شؤون القتال أقرب ، والتنظيم إنما يكون بعد الإذن ، وأما الآية الثالثة فهي إلى الحث والترغيب في الجهاد أقرب .

متى شرع الجهاد : والذي يترجح عندي بعد النظر والبحث أن يكون تشريع الجهاد في أوائل السنة الثانية للهجرة ، وذلك لأن المسلمين في السنة الأولى كانوا مشغولين بتنظيم أحوالهم الدينية والدينية ، كبنائهم المسجد النبوي ، وأموار معاشهم وطرق اكتسابهم ، وتنظيم أحوالهم السياسية كعقد التآخي بينهم ، وموادعتهم اليهود المساكين لهم في المدينة ، كي يأمنوا شرورهم ، ولا يقال : إن النبي أرسل سرايا في السنة الأولى ، لأنها في نظرنا كانت للناوشات وإرغامهم على أن يفكروا جديدا في تغيير خطتهم تجاه المسلمين ، وتركهم يبلغون دين ربهم وهم آمنون مطمئنون .

## لم شرع الجهاد في الإسلام؟

أقد تضمنت آيات سورة الحج المذكورة آنفاً ، الأسباب والأغراض التي اقتضت تشريع الجهاد ، ولن أخرج في بيان ذلك عن منطلق الآية وفحواها ، حتى يكون في هذا إلقام الحجة لمن يقول على الإسلام ، ومن هذه الآيات نستخلص الأسباب والحكم الآتية :

(٢) التوبة ١١١

(١) البقرة ١٩٠

١ — تأمين دعوة الإسلام ، الدين العام الخالد ، الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء ، ومساندة هذه الدعوة التحريرية الكبرى ، حتى يتمكن النبي من تبليغ رسالة ربه حسبما صدع به الوحي في قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (١) » وقوله « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ (٢) » ، وتأمين المسامحين الذين اعتنقوا الإسلام عن رضا واطمئنان ، وحمايتهم من أذى المشركين ، ومنحهم حقهم في الإعلان عن عقيدتهم وهم آمنون ، وليس من الحسق والعدل أن يدافع أصحاب المذاهب الباطلة عن باطلهم بالقوة ، وأن يترك أصحاب العقائد الصحيحة والشريعة السليمة من غير أن يؤذن لهم في الدفاع عن عقيدتهم ودينهم ، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله « بأنهم ظلموا » وأي ظلم أظلم من أن لا يجد الهداة والمصلحون متنفساً لدعواتهم في أرض الله الواسعة؟ ومن أن يحجر عليهم فلا يستطيعون الإعلان عن عقائدهم ، ولا إظهار شعائرهم؟ والمظلوم إن لم يجد النصر من أهل الأرض فسيجده لا محالة من السماء وصدق الله « وإن الله على نصرهم لقدير » .

(٢) الانتصاف للمظلوم من الظالم ، والانتصار للنفس ، فها هم المشركون قد آذوا المسامحين ، وحاولوا ما وسعهم الجهد أن يفتنوه عن دينهم ، فلما لم يفلحوا أخرجوهم من ديارهم ، وأهليهم وأموالهم . والانتصار للنفس أمر فطري ، وحق من حقوق الإنسان ، قررته الشرائع السماوية والقوانين الأرضية ، وقد قرر الله هذه الحقيقة الإنسانية في قوله سبحانه : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويعتدون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٣) » ، وقد أمر الله المسامحين بالصبر على أذى المشركين والتسامح معهم طوال العهد المكي وأوائل العهد المدني ؛ عسى أن يرجعوا ، ولكنهم لم يزدادوا إلا بطراً وظلماً واستعلاء في الأرض ، فأما إذا لم تفلح معهم سياسة المهادة والتسامح ، فلتقابل

القوة بالقوة ، والسلاح بالسلاح ، وإلا صار السكوت والاعضاء عجزاً  
وضعفاً ومهانة .

وليس من العدل والحق أن يترك المشركون يمرحون في الأرض ،  
ويجوبون الجزيرة من الجنوب إلى الشمال ، ولا يؤذن للمسلمين في محاربتهم  
من جنس ما حاربوهم به ، وأن يقطعوا عليهم تجارتهم ، ويأخذوا منها ما تصل  
إليه أيديهم نظير ما اغتصبوا من أموالهم ، وأن يضيقوا عليهم مثل ما ضيقوا عليهم  
وصدق الله حيث يقول : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء... سيئة  
سيئة مثلها .<sup>(١)</sup> وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذا بقوله ، الذين أخرجوا  
من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .

(٢) إن في تمريع الجهاد نشر للسلام والأمان في الأرض ، وتأمين كل  
ذئب دين على دينه ، واحترام مقدسات الأديان في الأرض . والإسلام هو  
الدين الذي ألزم معتقيه بالإيمان بجميع رسل الله ، وجميع كتبه المنزلة من  
عنده : وإذا كان اعتبر القرآن هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية كلها ،  
فلا أنه هو الكتاب الذي سلم من التحريف والتبديل ، لأنه نقل بأقوى طرق  
النقل والإببات ، وهو التواتر المقيد للقطع واليقين .

فالمسلمون حينما تكون لهم السلطة والغلبة في الأرض ، فلا خشية على أهل  
الأديان الأخرى منهم ، لأن لهم من وصايا دينهم ما يعصمهم من الظلم  
والجور والتعنت ، ولا كذلك الحال لو ساد غيرهم ، وهذا ما صدقه الواقع  
والتاريخ الصادق ، فحينما كان السلطان للمسلمين في الأرض ، لم يضار أحد من  
أهل الذمة في دينه ، ولا في دنياءه ولا في نفسه ولا عرض ولا مال ، ، فلما ذهبت  
ريحهم ، وغلبوا على أمرهم ذاقوا من أعدائهم ألوان العذاب من تقتيل وتخريب  
واتهاك للمحرمات .



وليس أدل على ذلك من أن الإسلام قبل من أهل الكتاب إما أن يسلموا وإما أن يقوا على دينهم ويدفعوا الجزية ، وهي ليست للاكراه على الدخول في الإسلام أو المضايقة ، ولكنها نظير ما تقوم به الدولة الإسلامية من رعاية وحماية لأهل الأديان الأخرى ، وما تؤديه لهم من خدمات اجتماعية واقتصادية ، وقد أشار الله سبحانه إلى هذا الغرض النبيل في قوله سبحانه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع ، وبيع ، وصلوات ، ومساجد<sup>(١)</sup> يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . »

٤ — إن الإسلام بما خصه الله به من عموم الدعوة للناس أجمعين ، وبما جاء به من عقائد وتشريعات وآداب ، اكتسبته الصلاحية لكل زمان ومكان ، هو الحقيق بأن يسود في الأرض ، والمسلمون المتمسكون به هم الاحق بالسيادة والاستخلاف في الأرض ، لأنهم هم الذين ينشرون فيها الهدى والحق ، والعدل والرحمة والبر والخير ، وهم الذين يأمرون بالمعروف ، وينهاهون عن المنكر . وهما أساس كل خير وإصلاح . وليس من شك في أن هذا يتطلب الجهاد والكفاح وبذل النفس والمال في سبيل هذه الغاية الشريفة . وقد أشار الله إلى هذا في قوله : . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ومة عاقبة الأمور ، وقد أشار الله سبحانه بهذه الأصول إلى ما عداها ، فالصلاة رأس العبادات البدنية التي تزكى النفس وتحسن علاقة المخلوق بالخالق ، والإنسان بأخيه الإنسان . والزكاة رأس العبادات المالية التي تقيم المجتمع على أساس من التعاون والتكافل . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس كل خير ديني أو دنيوي ، وهما دعامتنا كل إصلاح ، ودرء كل شر وفساد في الأرض .

---

(١) الصوامع قرعبان ، البيع مشيدات اليهود والنصارى وهي الكنائس والصلوات مشيدات النصارى أيضا والمساجد : مشيدات المسلمين .

## حكم الجهاد في الاسلام

الجهاد في الاسلام من الفروض الكفائية عند جمهور أهل العلم من السلف والخلف ، ومعنى هذا أنه إذا قام به من يكفي في دفع غائلة الاعتداء ، ونصر الإسلام سقط عن الباقيين ، ولا يكونون آثمين ، وإن لم يقيم به من يكفي أئمت الأمة كلها ، ولا يرتفع هذا الأثم إلا بخروج من فيهم الكفاية ، ولو أدى ذلك إلى تجنيد الجميع. والدليل على هذا قول الله تعالى « وما كان المؤمنون لينفروا كافة قلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (١) ويصير الجهاد فرض عين في أحوال ثلاثة :

الأولى : إذا التقى الجيشان ، وتقابل الصفان تعين الجهاد على من حضر وحرّم عليه الفرار، إلا أن يكون ذلك لمكيدة أو خدعة حرية ، أو لأخذ مكان أفضل وأحسن ، أو للانحياز إلى فئة أخرى من الجيش قال جل شأنه : « يا أيها الذي آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٢) وقال « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال، أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير » (٣) وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل : ما هن

(١) توبه ١٢٢ يعنى ما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد جميعاً بل لتفر طائفة ، ولتفر طائفة مع النبي ليتفقهوا في الدين ويتفوا القرآن حتى إذا عاد المنافرون أهلهم المقيون ما تعلموه من أحكام الشرع ، وما تجدد نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن وما سمعوه من الحديث .

(٢) الأنفال ٤٥ .

(٣) الأنفال ١٥ ، ١٦ .

يا رسول الله؟ قال «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

والفرار كبيرة، مهما كان عدد الأعداء، وإلى هذا ذهب بعض العلماء .

ومنهم من يرى ذلك إذا لم يزد الاعداء عن ضعف عدد المسلمين، فإن زادوا فلا، وذلك لقوله تعالى: «الآن خفف<sup>(١)</sup> الله عنكم، وعلم أن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين»<sup>(٢)</sup> والرأى الأول هو الذى يؤيده ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ من الثبات والصبر، وعدم الفرار مهما بلغ جنود الاعداء، فقد صمد المسلمون فى «مؤتة» وهم ثلاثة آلاف أمام مائتى ألف من الروم، وأحلافهم من العرب من لحم، وجذام ولم يروا الفرار .

وليس من الفرار ما يراه قائد الجيش من الانسحاب الكلى، أو الجزئى حتى لا يحاط به أو يفنى الجيش عن آخره أو لتنظيمه، وإنما ذلك داخل فى قوله سبحانه «إلا محترفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة» وذلك كما حدث من سيف الله خالد بن الوليد فى «مؤتة»، ولذلك لما عير أهل المدينة الجيش بقولهم لهم: يا فرار، قال النبي ﷺ مدافعاً عنهم: «بل هم الكرار»، ١١

(الثانية) إذا هاجم الكفار بلداً من بلاد الإسلام أو نزلوا فيه تعين على أهله قتالهم ودفعهم بما استطاعوا، ووجب على إخوانهم المسلمين فى كل قطر وبلد أن يخفوا إليهم بالعون والمساعدة أداء لحق الاخوة الإسلامية فى الحديث الذى رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخ المسلم لا يظلمه

(١) وقد كان فى أول الامر يجب الثبات إذا لم يزد جيش الاعداء عن عشرة أضعاف جيش المسلمين .

ولا يخذله » وفي رواية أخرى للبخارى « ولا يسلمه ، أى لا يخذله إذا استنصر به ، ولا يسلمه أو يتركه لأعدائه ينالون منه .

( الثالثة ) إذا استنفر ولى الأمر — خليفة أو ملكا أو رئيسا — قوما أو أقواما لزمهم الخروج وتعين عليهم الجهاد وذلك لقول الحق تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله إننا قلتم إلى الأرض أراضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير » (١) وفي الحديث الصحيح المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » وفي معنى الاستنفار العام إعلان التعبئة العامة في العرف والحديث ودعوة الأمة للجهاد ، وقد يكون الاستنفار خاصا بفتة ، فيكون تعبئة جزئية .

من يرى أن الجهاد فرض عين : ومن السلف الصالح من كان يرى أن الجهاد فرض عين على أى حال وفي جميع الأزمان ، ويستدلون بقول الحق تبارك وتعالى . « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (٢) أى شبابا وشيئا ، ورجالا وركبانا ، وأغنياء ، وفقراء ، وأقوياء وضعفاء .

مثل عليا للحرص على الجهاد :

ويمن كان يرى هذا الرأى السادة الاختيار أبو أيوب الانصارى ، وأبو طلحة الانصارى ، والمقداد بن الاسود من الصحابة ، وسعيد بن المسيب من

(١) التوبة ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) التوبة ٤١ .

التابعين ، وقد كان أبو أيوب يستدل بالآية السابقة ، وكان يرى أن الرغبة عن الجهاد ، والاشتغال بالأهل والمال إلقاء بالنفس إلى التهلكة مستدلاً بقول الله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (١) .

وقد لزم رضى الله عنه الجهاد في حياة الرسول وبعده ، ولم يتخلف عن غزوة قط ، ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية انحاز إلى جانب علي ، وشهد معه قتال الخوارج ، ولما أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لغزو القسطنطينية تخرج في أول الأمر أن يخرج في جيش تحت إمرة يزيد ، ولكن نفسه التواقفة للجهاد نازعته إليه وقال : « ما ضرني من استعمل على الجيش ، فلحق بهم وأبلى بلاء حسنا ، ثم مرض فعاده يزيد فقال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي إذا أنامت ، فأركب بي ما وجدت مساعفا في أرض العدو ، فإذا لم تجد فادفتي ثم أرحم ، فلما توفي صلى عليه يزيد والمسلمون ، وفعلوا به ما أوصى به ، فدفن بجوار أسوار القسطنطينية شاهدا على لون رائح من ألوان البطولة الإسلامية الفذة ، وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين ، فرضى الله عنه وأرضاه .

وروى أن أبا طلحة الأنصاري صاحب رسول الله وأحد الذين أحاطوا بالنبي يوم أحد ، قرأ سورة التوبة وهو شيخ كبير فأتى على هذه الآية « انفروا خفافاً وثقالاً ... » فقال : أرى ربنا استنفرنا شيوخا وشبابا جهزوني يا بني ، فقال بنوه . يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ، فأبى فركب البحر غازيا ، فمات ، فلم يجدوا جزيرة يدفنونه بها إلا بعد تسعة أيام ولم يتغير ، فدفنوه بها .

(١) تفسير ابن كثير والبيهقي ج ١ ص ٤٣٨ ط المار .

وروى ابن جرير الطبري عن أبي راشد أنه رأى المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ بمحصر يريد الغزو - وكان شيخا كبيرا هما قد سقط حاجباه على عينيه - فقال له : لقد أعذر الله تعالى إليك ، فقال : أبت علينا سورة البحوث يريد هذه الآية من سورة التوبة .

وقال الامام الزهري . خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو ، وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضر ، فقال : استنفر الله الحفيف والثقليل ، فإن لم يمسكني الحرب كثرت السواد ، وحفظت المتاع (١)

وبحسب هؤلاء السادة الأجداد أنهم مجتهدون في فهم الآية (٢) فإن أصابوا قلمهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم أجر - وبحسبهم فضلا ومثوبة هذه النبي الصادقة ، وبهؤلاء الأبطال المغاوير وأمثالهم - وما أكثرهم - مكن الله للمسلمين في الأرض ، وانتشر الاسلام حتى بلغ المشرق والمغرب .

## الترغيب في الجهاد والاستشهاد

لما كان الجهاد هو الوسيلة لحماية العقيدة ، وتأمين الدعوة ، ونشر الشريعة شريعة التوحيد والحق والعدل والخير ، رغب الله ورسوله فيه أيما ترغيب .

ففي الكتاب الكريم يقول الله : **إِن لِّلّهِ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَن لَّهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْآنرَآن . وَمَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِّنَ اللَّهِ . فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْتِكُم الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَقَالَ مَبِينَا الْفَرْق مَا بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْقَاعِدِينَ**

(١) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٤ ص ١٧٤ ، ج ١ ص ٤٢٨

(٢) ويرى ابن عباس وغيره أن حكم هذه الآية كان في مبدأ الأمر ثم نسخت بقوله تعالى ﴿ فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾ وقوله ( ليس على الضمراء ولا على اللرضى ولا على الدين لا يجردون ما يفتنون حرج .. )

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيماً (١) ، وقال مرشداً إلى أعظم طرق الخير « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم ، وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (٢)

وقال مبيناً أن القتال وإن كان مكروهاً للنفس بحسب الفطرة ، لكنه قد يكون فيه الخير الكثير ، كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، (٣)

وإذا جاز لغير المسلم أن يخشى الجهاد أو يفرض فيه فلا يجوز ذلك للمسلم ، إذ مآل الجهاد له إما نصر وغنيمة ، وإما أجر وشهادة ، وكلا الأمرين غنم وجميل قال سبحانه : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ، ونحن تربص بكم أن يصيبكم الله بعداب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٤) .

وفي السنة النبوية الكثير من الأحاديث المرغبة في الجهاد ، المنفرة من التفريط فيه ، ففي الصحيحين قال النبي ﷺ « تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، وإيمان بي وبرسلي أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ، بما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المساهين ما قدمت خلف سرية تغزو في سبيل الله ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي

(١) الآية ٩٥ والمراد بالقاعدون أولاً أصحاب الأعداء ، وبالقاعدين ثانياً من لا عذر لهم

(٢) الصف ١٠ ، ١١ (٣) البقرة ٢١٦ (٤) التوبة ٥٢ .

(٥) — السير النبوية ج ٢ )

نفس يهد يده لوددت أن أغزو في سبيل الله ، فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل « وفي صحيح البخارى مرفوعا « رباط (١) يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها » وفي صحيح مسلم مرفوعا « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه » وعين المرابط التي تبنت وتحرس ، وتراقب الأعداء في سبيل الله ، ولا تذوق طعم الكرى هي عين أوجب الله لها الجنة في الحديث الذي رواه الترمذى مرفوعا « عينان لا تمسها النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » حديث حسن ، وفي مواقف الرسول في الغزوات مواطن مشهودة تشجع الجبان ، وتجريء الشجاع حتى تصير منه لبنا هصورا .

### الاستشهاد في سبيل الله :

وكذلك رغب الإسلام في الاستشهاد في سبيل الله ، ففي الكتاب الكريم « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢) » وهي حياة برزخية روحية تتمتع فيها الروح بشقى أنواع الممذات الحسية والمعنوية (٣) ، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال : « أرواحهم في جوف طيور خضر لها قناديل معاقبة بالعرش تمرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع الله عليهم إطلاعة ، فقال : هل تشهون شيئا : فقالوا :

(١) الرباط والمرابطة الإقامة في الثغر وهي : اللواصق التي يخاف منها هجوم الأعداء كاللواى والصارات ونقط المراقبة .

(٢) آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ (٣) وهذه الحياة البرزخية فوق الحياة الدنيوية لتجرد الأرواح فيها من شوائب المادة ، وخلوها من اللاه ، والآلام ، والمنغصات التي لا تلزمها الحياة الدنيوية ودون الحياة الأخروية لعودة الأرواح فيها إلى أجسادها ، وكال تتمتع فيها بالذند الروحية والجسمانية .



أى شئ نشئى ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب زريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا « وفى مسند الإمام أحمد نحو حديث مسلم وفى آخره « فلما وجدوا طيب ما أكلمهم ومشر بهم ومقبلهم ، قالوا : من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق لكلا يزهوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال سبحانه : « ولا تحسبن ... » الآية فلا تعجب وهذا موقف القرآن والسنة من الجهاد والاستشهاد أن ضرب المسلمون الأولون فى باب الجهاد وحب الاستشهاد مثلا عليا نادرة ، وأن جادوا بأرواحهم طيبة بذلك نفوسهم ، وإن حرصوا على الموت أكثر من حرصهم على الحياة ، وكانت لهم فى هذا المضمار بطولات لم يعرفها التاريخ لغيرهم ، وسيأتيك من أبناء هذه البطولات الشئ الكثير .

## الاطوار التى مر بها الجهاد

الطور الأول : لقد كان القتال فى هذا الدور مقصورا على القرشيين الذين عذبوهم ، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، والذين لا يزالون يعدون المستضعفين الذين لم يستطيعوا أن يهاجروا ، أما من لم يحارب المسلمين ولم يتسبب فى إخراجهم فلا يحارب ، وهذا هو ما صدقت به الآية الكريمة « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلواهم حيث تقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » إلى قوله « فإن اتهاؤا فلا عدوان إلا على الظالمين » (١)

الثانى : إن بعض القبائل كانوا أحلافا لقريش ، أو صاروا أحلافا

لما بعد هجرة الرسول فحملوا على المسلمين تمشياً مع سياسة قريش العامة ، أو أخذاً بثأرها ، ومن هؤلاء من فكروا في مهاجمة المدينة ، أو هاجموا بالفعل ، كما فعل كرز بن جابر الفهري فقد أغار على سرح المدينة ، وكان ذلك سبباً في خروج المسلمين إليه في غزوة بدر الأولى فلم يدركوه ، ومنهم من تجرشوا بالمسلمين أو قتلوا بعونهم غدرا وغيلة كما حدث في سرية الرجيع والقراء فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبادر إلى لقائهم أو يرسل إليهم السرايا والبعوث ليعاقبهم على بغيهم ، ويرد عليهم كيدهم ، ومن هذه القبائل : بنو عطفان ، وبنو سليم ، وبنو عامر والأحابيش أحلاف قريش ، وقبائل نجد وثقيف ، وقد أفادت خبره مع هؤلاء كثيراً فقد اطلعوا على الإسلام ، وعرفوا سماحته ، فأسلم منهم الكثيرون ، وصاروا أعواناً للإسلام بعد أن كانوا حرباً عليه .

**الثالث :** لما تمألاً المشركون في مكة وخارجها على المسلمين وصاروا بدأ واحدة في قتالهم لم يكن بد من قتال هؤلاء جميعاً ، كما يقاتلون جميعاً المسلمين وهذا هو ما أراده الله سبحانه بقوله : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة »<sup>(١)</sup> ، وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب سماوى ، وفي هذا الدور من الجهاد يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله »<sup>(٢)</sup> .

**الرابع :** كان النبي صلى الله عليه وسلم قد وادع اليهود وعاهدتهم ، وبذلك أمنهم على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ولكنهم لم يلبثوا أن تقضوا العهد ، وتمألاً مع المشركين وصاروا يحرضونهم على قتال النبي كما حدث في أحد وغيرها ، بل حاولوا طعن المسلمين في ظهورهم كما حدث في غزوة الأحزاب ، وطالما سمعوا في إفساد ما بين الأوس والخزرج ، وإفساد ما بين المهاجرين

(١) التوبة / ٣٦ . (٢) صحيح البخارى كتاب الايمان — باب « فإن تابوا وأقاموا

الصلاة وآوا الزكاة » .

والانصار ، وبذلك أصبحوا شوكة في ظهور المسلمين ، وجرائمهم إفساد في المجتمع المدني لا بد من القضاء عليها ، فلذلك أمر الله سبحانه نبيه بقتالهم بعد إيدانهم بنقض ما بينه وبينهم من عهد بقوله سبحانه « واما تخافن من قوم خيانة ، فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » وهو أدب من آداب الحرب في الإسلام لم تصل إليه المدينة في القرن العشرين !! وقد قتل المسلمون البعض ، وأجروا البعض الآخر عن المدينة ، ولم يلبثوا أن قطع ديارهم من جزيرة العرب كلها ، وأراح الله منهم العباد والبلاد .

الخامس : لما فتح المسلمون مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ودانت لهم الطائف وما حولها ، ومجد وما جاورها لم تلبث الجزيرة العربية أن صارت مؤمنة موحدة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسل كتبنا إلى الملوك والأمراء في الهدنة ما بين الحديبية والفتح ، عارضاً عليهم الدخول في الإسلام ، فنهض منهم من أسلم ، ومنهم من أبى وتوعد ، وبذلك أصبحت دعوة الإسلام معروفة عند الدول المتاخمة للجزيرة ، والمعروفة للمسلمين وقتها ، ثم تحفزت الروم لغزو بلاد المسلمين ، فلما علم الرسول جمع الجموع وخرج إليهم فلم يجد أحداً ، فرجع بعد أن أراه أن سلطان الله في الأرض لا يرهب أحداً ، وهذا الدور من أهم أدوار الكفاح والجهاد ، فقد انتقلت الدعوة إلى العالمية ، وانتقل ميدان الجهاد إلى خارج الجزيرة ، وحدثت بعد وفاة الرسول الوقائع المشهورة بين الدولة الناشئة ودولتي الفرس والروم ، وتمت الفتوحات العظيمة في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها ، وتحققت سنة الله في الكون من تغليب المؤمنين على الكافرين ، والمحقين على المبطلين وصدق الله « وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين<sup>(١)</sup> » ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون<sup>(٢)</sup> .

## رد الفرية الكبرى ،

من الاكاذيب التي يرددها أعداء الإسلام والمسلمين ، أن الإسلام قام على  
السيف ، وأنه لم يدخل فيه معتقوه بطريق الطوعية والاختيار ، وإنما دخلوا  
فيه بالقهر ، والإكراه ، وقد اتخذوا من تشريع الجهاد في الإسلام ، وسيلة لهذا  
التجنى الكاذب الآثم ، وشتان ما بين تشريع الجهاد ، وما بين إكراه الناس على  
الإسلام ، فإن تشريع الجهاد لم يكن لهذا ، وإنما كان لحكم سامية ، وأغراض  
شريفة كما علمت آنفا .

وهذه الدعوى الباطلة الظالمة ، كثيرا ما يرددها المنتشرون ، والمستشرقون  
الذين يتأكلون من الطعن في الإسلام وفي نبي الإسلام ، ويسرفون في الكذب  
والبهتان ، فيتصايحجون قائلين : أرأيتم !! هذا محمد يدعو الى الحرب ، وإلى  
الجهاد في سبيل الله ، أى إلى إكراه الناس بالسيف ، على الدخول في الإسلام ،  
وهذا هل حين تنكر المسيحية القتال ، وتمتقت الحرب ، وتدعو إلى السلام وتنادى ،  
بالتسامح ، وتربط بين الناس برابطة الاخاء في الله وفي السيد المسيح عليه السلام ،

وقد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربي كبير هو د توماس كارليل ،  
صاحب كتاب الأبطال وعبادة البطولة فإنه اتخذ نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام  
مثلا لبطولة النبوة ، وقال مامعناه : إن اتهامه — أى سيدنا محمد — بالتعويل على  
السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ، إذ ليس مما يجوز  
في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس ، أو يستجيبوا له ، فإذا آمن به  
من لا يقدر على حرب خصومهم ، فقد آمنوا به طائعين ، مصدقين وتعرضوا  
للحرب من غيرهم قبل أن يقدر واعليها . . .

ومن الأنصاف أن نقول : أن بعض المستشرقين لم يؤمن بهذه الفرية ، ويرى أن

(١) من حيا محمد أبكر ص ٢٤٦

(٢) حقائق الإسلام ، وأبا طيل خصوصية الامداد ص ٢٢٧ ط الهلال

الجهاد كان لحماية الدعوة ، ورد العدوان ، وأنه لا إكراه في الدين ، وإليك ما كتبه « أميل در منغم » في هذا قال (١) .

« لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف ، ففي القرآن « لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » والقرآن يأمر المسلمين بالأعتدال ، وبأن لا يبدءوا بالاعتداء ، وما تجده في القرآن من الآيات المنتابعة ، أو المبثوثة ، أو المبعثرة في سوره ، حول الجهاد ، فيشير إلى حوادث ذلك الزمن الراهنة وإلى ما يجب على محمد أن يسلكه هو وأصحابه في المعازي تبعاً لتبدل الأحوال ، ولذلك نرى من اللغو جعل تلك الآيات شاملة لأحوال أخرى ، واستخراج مبدأ عام (٢) .

وهاتان الشهاداتان الحقتان من « كارليل » و« در منغم » لهما قيمتهما العلمية في هذا الموضوع الخطير ، إذ أنهما من رجلين لا يدينان بالإسلام .

وأحب قبل الشروع في رد هذه الفرية ، أن أبين كذب مزاعمهم في أن المسيحية تنسك القتال على إطلاقه ، وتمتق الحرب ، وتدعو إلى السلام ، من كلام السيد المسيح نفسه قال : « لا تظنوا أني جئت لأتق سلاماً على الأرض ما جئت لأتق سلاماً بل سيفاً ، وإني جئت لافرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والسكنة ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيته . من أحب أباه ، أو أما أكثر مني فلا يستحقني ، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ، ومن لا يأخذ صليبه ، ويتبعني فلا يستحقني ، من وجد حياته يضيعها ، ومن أضع حياته من أجل يبعدها (٣) » فما رأى المبشرين والمستشرقين في هذا ؟ أنصدهم ونكذب الإنجيل ؟ أم نكذبهم ونصدق الإنجيل ؟ ! الجواب معروف ولاريب .  
وأما التوراه فشواهد تشرع القتال فيها أكثر من أن يحصى ، على ما فيه من

(١) حياه محمد لدر منغم ص ١٩٦ ترجمة عادل زعير .

(٢) وذلك مثل قوله تعالى : « وقال لهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . . . »

الأطفال ٣٩ ، وقوله : « وقالوا المشركين كافة كما ياتلونكم كافة . . . » التوبة/ ٣٦ .

(٣) الإنجيل متى الاصحاح العاشر فقرة ٣٥ وما بعدها .

الضرامة. ويبلغ الغاية في الشدة ، بما يدل دلالة قاطعة على الفرق ما بين آداب الحرب في الإسلام ، وغيره من الأديان<sup>(١)</sup> .

وليس أدل على افتراءهم من أن تاريخ الأمم المسيحية في القديم والحديث ، شاهد تدل على رد دعواهم ، فنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا ، خضبت أقطار الأرض جميعها بالدماء باسم السيد المسيح .

خضها الرومان ، وخضبتها أمم أوروبا كلها ، والحروب الصليبية إنما أذكى المسيحيون — ولم يذك المساهون — لهيها ، ولقد ظلت الجيوش ، باسم الصليب تتحدر من أوروبا خلال مئات السنين ، قاصدة أقطار الشرق الإسلامية ، تقاتل ، وتحارب ، وتريق الدماء ، وفي كل مرة كان البابوات خلفاء المسيح — كما يزعمون — يباركون هذه الجيوش الزاحفة للاستيلاء على بيت المقدس ، والبلاد المقدسة عند المسيحية ، وتخريب بلاد الإسلام .

أفكان هؤلاء البابوات جميعا هرطقة ، وكانت مسيحياتهم زائفة ؟ أم كانوا أذعياء جهالا ، لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه ؟ أم أحبيونا أيها المبثرون ، والمستمرقون المتعصبون !!

فإن قالوا : تلك كانت العصور الوسطى عصور الظلام ، فلا يحتاج على المسيحية بها فإذا يقولون في هذا القرن العشرين ، الذي نعيش ، والذي يسمونه عصر الحضارة الإنسانية الراقية ؟

لقد شهد هذا القرن من الحروب التي قامت بها الدول المسيحية ، ما شهدت تلك العصور الوسطى المظلمة بل وأشد وأقوى !! ألم يقف « اللورد النبي » ممثل الحلفاء : إنجلترا وفرنسا ، وإيطاليا ، ورومانيا ، وأمريكا في بيت المقدس في سنة ( ١٩١٨ ) حين استولى عليه في أخريات الحرب الكبرى الأولى قائلا : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » ؟

والم يقف القائد الفرنسي « جورو » ممثل الحلفاء أيضا — وقد دخل

(١) أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين ص ٥٩ .

دمشق — أمام قبر البطل المسلم العربي « صلاح الدين الأيوبي » قائلا : « لقد عدنا يا صلاح الدين !! »

إن الإسلام إنما غزا القلوب ، وأسر النفوس بجماعة تعاليمه : في العقيدة ، والعبادات ، والأخلاق ، والمعاملات ، وآدابه في السلم والحرب ، وسياسته الممثلة في عدل الحاكم ، وإنصاف المحكومين ، والرحمة الفائقة ، والإنسانية المهدبة في الغزوات والفتوح ، إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فلا عجب ، أن أسرعت إلى اعتناقه النفوس ، واستجابت إليه الفطرة السليمة ، وتحملت في سبيله ما تحمات ، فاستعذبت العذاب ، واستجحات المر ، واستهتت الصعب ، وركبت الوعر ، وضحت بكل عزيز وغال في سبيله .

والآن وقد فرغنا من تنفيذ ما بنوا عليه زعمهم الكاذب ، من دعوة الإسلام إلى الجهاد ، وتحريم المسيحية له ، فلنأخذ في تنفيذ هذه الدعوى الظالمة من واقع تاريخ الدعوة المحمدية ، قبل فرض الجهاد ، ومن حكم تشريعه في الإسلام ، ومن نصوص القرآن والسنة المتكاثرة ، ومن سيرة النبي ﷺ ، وسير خلفائه الراشدين وأصحابه ، ومن واقع تاريخ المساهين اليوم ، وما تعرضوا له من اضطهاد ، وحروب ومظالم ، لم تزدهم إلا صلابة في التمسك بالإسلام ، والعرض عليه بالنواجذ ، فأقول وبالله التوفيق .

(١) لقد مكث رسول ﷺ ، وهو يدعو إلى الله بالحق والموعدة الحسنة ، وقد دخل في الإسلام في هذه الفترة من الدعوة خيار المساهين من الاشراف وغيرهم ، وكان الداخلون أغلبهم من الفقراء ولم يكن عند رسول الله من الثراء ما يفري هؤلاء ، وهذا أمر لا يختلف فيه إثنان ، وقد تحمل المساهون ، ولا سيما الفقراء والعبيد ومن لا عصبية له منهم من صنوف العذاب والبلاء ألوانا ، فما صرفهم ذلك عن دينهم ، وما تزعزعت قلوبهم ، بل زادهم ذلك صلابة في الحق ، وصمدوا صمود الأبطال مع قاتمهم وفقيرهم ، وما سمعنا أن أحدا منهم ارتد سخطا عن دينه ، أو أغرته مغريات المشركين في التكموص عنه ، وإنما كانوا كالذهب الإبريز لا تزيده النار إلا صفاء وتقاء ، وكالحديد لا يزيده الصهر إلا قوة وصلابة ، بل بلغ من بعضهم أنهم وجدوا في العذاب عذوبة ، وفي المرارة حلاوة .

ثم كان أن هاجر بعضهم إلى بلاد الحبشة هجرتين ، ثم هاجروا جميعا  
الهجرة الكبرى إلى المدينة ، تاركين الأهل والولد والمال والوطن ، متحملين  
آلام الاغتراب ، ومرارة الفاقة والحرمات . واستمر الرسول بالمدينة عاما وبعض  
العام يدعو إلى الله بالحكمة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وقد دخل في الاسلام  
من أهل المدينة قبل الهجرة وبعدها ، عدد كثير عن رضا واقتناع ويقين  
واعتماد ، وما يكون لإنسان يحترم عقله ، ويدعن للمقررات التاريخية الثابتة  
أن يزعم أنه كان للنبي والمسلمين في هذه الأربعة عشر عاما أو تزيد حول  
أو قوة ، ترغم أحدا على الدخول في الإسلام إلا إذا ألغى عقله وهدم  
التاريخ الصحيح .

(٢) إن تشريع الجهاد في الإسلام لم يكن لإرغام أحد على الدخول  
في الإسلام كما زعموا ، وإنما كان للدفاع عن العقيدة ، وتأمين سبلها ووسائلها  
وتأمين المعتنقين للإسلام ، ورد الظلم والعدوان ، وإقامة معالم الحق ونشر  
عبادة الله في الأرض ، وبحسبنا في هذا المقام ما ذكرته آفا في حكمة مشروعية  
الجهاد من نص القرآن ، وما عرضت له في الأطوار التي مر بها الجهاد ، من أن  
القتال كان للمقاتلين والمعتدين ، فلما تمألا المشركون على المسلمين أمرهم الله  
بقتالهم عامة ، ثم ماذا يقول هؤلاء المغرضون في قوله تعالى : « لا ينهاكم الله  
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا  
إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ،  
وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك  
هم الظالمون ،<sup>(١)</sup> فالإسلام لم يقف عند حد أن من سلمنا سلمنا ، بل لم يمنع من  
البر بهم والعدل معهم ، وعدم الجور عليهم ، وكذلك كان موقف القرآن  
كرهنا جدا مع الذين قاتلوا المسلمين ، وأخرجوهم من ديارهم ، أو ساعدوا عليه  
فلم يأمر بظلمهم أو البغى عليهم ، وإنما نهى عن توليهم بإفشاء الأسرار إليهم  
أو نصرتهم وإخلاص الود لهم ، فإن حاربونا حاربناهم ، وإن كفوا عنا كفنا  
عنهم وصدق الله ، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ...



(٣) نصوص القرآن والسنة الصحيحة تردان على هذا الزعم وتكذبانه .

وقد صرح الوحي بذلك في غير ما آية قال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (١) » وإليك ما ذكره نقاة المفسرين في سبب نزول هذه الآية . روى أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم ابن عوف ابنان منتصران قبل مبعث النبي ﷺ ، ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمها أبوهما وقال : لا أدعكما حتى تسلما ، فاختصموا إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر؟ فأنزله الله تعالى : « لا إكراه في الدين ... » فحلى سبيلها ، وقال الزهري : سألت زيد بن أسلم عن قوله تعالى : « لا إكراه في الدين » قال : كان رسول الله — ﷺ بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له . ومعنى « لا إكراه في الدين » أى دين الإسلام ليس فيه إكراه عليه .

وقال سبحانه : « أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٢) » وقال : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (٣) » فالآية نص في أن من اختار الإيمان فباختياره ، ومن اختار الكفر فباختياره فلا إكراه ولكن مع هذا التخيير فالله سبحانه يحب الإيمان ويرضاه ويدعو إليه ، ويكره الكفر ويحذر منه ، ونصوص القرآن حافلة في هذا المعنى ، ولهذا عقب الله التخيير بقوله محذراً ومنفراً « إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ... » والكفر رأس الظلم ، فلا يتوهم أحد أن حمل الآية على التخيير وعدم الإكراه يشعر بإباحة الكفر أو الرضا حاشا لله أن يكون هذا ، ولعل خوف هذا التوهم هو الذى حذرا كثيراً من المفسرين على حمل الآية على التهديد ، والوعيد حتى مثل علماء البلاغة

(١) البقرة ٢٥٦

(٢) يونس ٩٩ (٣) الكهف ٢٩

للأمر الذي يراد به التهديد بهذه الآية ، فالآية بنصها تخيير ، ولكنه تخيير يستلزم تهديداً ووعيداً لا عمالة في حال اختيار الكفر على الإيمان وهي نصوص صريحة في عدم الإكراه على الإسلام .

وأما السنة فقد جاءت مؤيدة لما جاء به القرآن وإليك طرفا منها :

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده أن النبي ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية ، أو ضام في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، (١) ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ، أو خلال ، فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ... فان هم أبوا ، فسلمهم الجزية ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستنن بالله وقاتلهم (٢) وهكذا ترى أن النبي لم يأمر بالقتال إلا بعد أن تستنفذ الوسائل السلمية ، وليس بعد استفادها إلا أنهم قوم مفسدون أو يريدون الحرب . وقد بينت فيما سبق أن الجزية ليست للارغام على الإسلام ، وإنما هي نظير حمايتهم وتأمينهم ، وتقديم شتى الخدمات لهم وليس أدل على هذا مما رواه البلاذري في فتوح البلدان أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لواقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الجزية وقالوا : قد شغلنا عن نصرتك والدفع عنكم فأتهم على أمركم » فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل - مع انه على دينهم - فن

(١) الغلول : الحيازة في الغنيمية ، الغدر : عدم الوفاء بالعهود في الحروب

الذلة : تقطيع أعضاء القتول ، وإشويهه جسده بعد القتل أو نيله .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٣٩٤ ، ٣٧٠ .

المدينة مع عاملكم ؛ وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، وإلا فإننا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد (١) . .

وقد يقول قائل فما تقول في الحديث الشريف « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... ؟

قلنا : المراد بالحديث فئة خاصة ، وهم وثنيو العرب ، أما غيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم على التخيير بين الأمور الثلاثة التي نص عليها حديث مسلم .

على أن بعض كبار الأئمة كمالك والأوزاعي ، ومن رأى رأييهما ، يرون أن حكم مشركي العرب كحكم غيرهم في التخيير بين الثلاثة : الإسلام ، أو الجزية أو القتال ، واستدلوا بحديث مسلم السابق ويقولون : إن حديث « أمرت أن أقاتل الناس ، منسوخ أو أنه فيه إيحاء اقتصاراً على بعض الأمور الثلاثة (٢) .

وإذا نظرنا بعين الانصاف إلى الذين حملوا حديث المقاتلة على وثني العرب لانجدهم يجافي الحق والعدل ، فهؤلاء الوثنيون الذين بقوا على شركهم لم يدعوا وسيلة من وسائل الصدق عن الإسلام إلا فعلوها ، ثم هم أعرف الناس بصدق الرسول فهو عربي من أنفسهم ، والقرآن عربي بلغتهم ، فالحق بالنسبة إليهم واضح ظاهر ، فلم يبق إلا أنهم متعنتون معوقون لركب الإيمان والعدل والحضارة عن التقدم .

هذا إلى أن الشرك مذهب فاسد ، والمذاهب الفاسدة تحارب ويحارب دعائها بكل الوسائل ، من قتل أو نفي أو سجن ، وهذا أمر مقرر في القديم والحديث وها هي دول الحضارة اليوم في سبيل تأمسين سلامتها بل وفي سبيل إرضاء

نزواتها وأهوائها ، تزهد الآلاف من الأرواح ، ويغض الناظرون أعينهم عن هذا ولا يعترض المعترضون ، فهل هذا حلال لهم حرام على غيرهم ؟

فالإسلام حينما لم يقبل من مشركي العرب المخاريبين إلا الإسلام بعد ما تبين لهم الحق ، وأصبحوا قلة تعتق مذهباً فاسداً بجانب الكثرة الكاثرة من العرب التي أسلمت طواعية واختياراً لم يكن متجنياً ولا ظالماً ، فالحديث كيفما فهمناه لا ينهض دليلاً للمفترين على الإسلام .

( ٤ ) ويرد هذه الفرية ويقتلعها من أساسها ، ما التزمه الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته من التسامح مع أناس أسروا وهم على شركهم فلم يلبسهم على الإسلام بل تركهم واختيارهم ، ذكر الثقة من كتاب السير والحديث أن المسلمين أسروا في سرية من السرايا سيد بنى حنيفة — تمامة بن أمال الحنفي — وهم لا يعرفونه ، فأتوا به إلى رسول الله فعرفه وأكرمه ، وأبقاه عنده ثلاثة أيام ، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضاً كريماً فيأبى ويقول : إن تسأل ما لا تعطه ، وإن تقتل تقتل ذادم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك ، فما كان من النبي إلا أن أطلق سراحه ، ولقد استرقت قلب تمامة هذه اللهاة الفاتكة ، وهذه المعاملة الكريمة ، فذهب واغتسل ، ثم عاد إلى النبي مسلماً مختاراً . وقال له : يا محمد والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى ، والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلى من دينك ، فقد أصبح دينك أحب الدين كله إلى ، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فقد أصبح أحب البلاد إلى ، وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه سروراً عظيماً ، فقد أسلم بإسلامه كثير من قومه ولم يقف أثر هذا التسامح في المعاملة عند إسلام تمامة وقومه ، بل كانت له آثار بعيدة المدى في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد ذهب إلى مكة معتمراً : فهم أهلها أن يؤدوه ولكنهم ذكروا حاجتهم إلى حبوب اليمامة ، فآلى على نفسه أن لا يرسل لقريش شيئاً من حبوب

اليامة حتى يؤمنوا ، فجهدوا جهدا شديدا فلم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ترى ماذا كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ؟ أيدع ثمامة حتى يلجئهم بسبب منع الجيوب عنهم - إلى الإيمان ؟ لا لقد عاملهم بما عرف عنه من التسامح ، وأن لا إكراه في الدين ، فكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين جبوب اليامة ، ففعل ! ! فإرايكم أيها المفكرون ؟ بل امتد أمر دخوله في الاسلام على أساس من الاختيار والرغبة الصادقة إلى ما بعد حياة النبي ، ذلك أنه لما ارتد بعض أهل اليامة ثبت ثمامة ومن اتبعه من قومه على الاسلام ، وصار يحذر المرتدين من اتباع مسيلة الكذاب ، ويقول لهم : إياكم وأمرأ مظالم الانور فيه ، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم ، وبلاء على من لم يأخذ به منكم ، ولما لم يجد النصح معهم خرج هو ومن معه من المسلمين وانضموا للعلاء ابن الحضرمي مددأ له ، فكان هذا مما فت في عضد المرتدين ، والحق بهم الهزيمة (١)

وإليك قصة أخرى : لما فتح النبي مكة ودخلها ظافراً منتصراً كان صفوان ابن أمية (٢) ممن أهدرت دماؤهم لشدة عداوتهم للاسلام ، والتأليب على المسلمين فاختنى وأراد أن يذهب ليلقى بنفسه في البحر ، فجاء ابن عمه عمير ابن وهب الجمحي وقال : يا نبي الله إن صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه ، فأعطاه عمامته ، فأخذها عمير حتى إذا لقي صفوان قال له : فذاك أبي وأمي . جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، وهو ابن عمك ، وعزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكيه ملكك ، فقال صفوان :

(١) الاصابة في تاريخ الصحابة ، والاستيعاب بالهاش ج ١ ص ٢٠٣

(٢) صفوان هذا هو الذي كان أغرى عميراً هذا على قتل النبي ، ويبدو فلما قدم عمير لتنفيذ ما اتفقا عليه أخبره النبي بما جرى فما كان منه إلا أن أسلم وحسن إسلامه لما استيقن أنه نبيه وحى لايه من ربه .

إني أخافه على نفسي . قال عمير . هو أحلم من ذلك وأكرم ، وأراه علامة الأمان وهي العمامة ، وقيل بردة ، فرجع إلى رسول الله فقال : إن هذا يزعم أنك أمنتني فقال النبي : صدق فقال صفوان : أمهلني بالحيار شهرين فقال له رسول الله بل أربعة أشهر ، ثم أسلم بعد وحسن إسلامه .

فهل بعد هذه الحجج الدامغة يتقول متقول على الإسلام ، زاعماً أنه قام على السيف والإكراه ؟

(٥) ثم ما رأى المبشرين والمستشرقين في أن من أسكره على شيء لا يلبث أن يتحلل منه إذا وجد الفرصة سانحة له ، بل ويصبح حرباً على هذا الذي أسكره عليه ؟ ولكن التاريخ الصادق يكذب هذا ، فنحن نعلم أن العرب إلا شردمة ، تسور الشيطان عليها — بنوا على ما تركهم عليه الرسول وحموا الرسالة ويلغوا الأمانة كأحسن ما يكون البلاغ إلى الناس كافة ، ولم يزالوا يكافحون ويجاهدون في سبيل تأمين الدعوة ، وإزالة العوائق من طريقها حتى بلغت ما بلغ الليل النهار في أقل من قرن من الزمان ، ومن يطلع على ما صنعه العرب في حروبهم وفتوحاتهم لا يسعه إلا أن يحزم بأن هؤلاء الذين باعوا أنفسهم رخيصة لله ، لا يمكن أن يكون قد تطرق لإكراه إلى قلوبهم وفي صحائف البطولة التي خطوها أقوى برهان على إخلاصهم وصدق إيمانهم ، وسل سهول الشام وسهول العراق وسل اليرموك والقادسية ، وسل شمال إفريقيا تحريك ما صنع هؤلاء الأبطال .

(٦) ثم ما رأى هؤلاء المفترين على الإسلام في حالة المساهين كما ذهبت ريجهم ، وانقسمت دولتهم الكبرى إلى دويلات وصاروا شيعاً واحزاباً وتعرضوا لمحن كثيرة في تاريخهم الطويل كحنة التتار ، والصلبيين في القديم ودول الاستعمار في الحديث ، وكل سنة من هذه المحن كانت كافية لمكروهين على الإسلام أن يدخلوا منه ويرتدوا عنه نأين هم الذين ارتدوا عنه ، اخبرونا يا أصحاب العقول !!؟

إن الاحصائيات الرسمية لتدل على أن عدد المساهين في ازدياد ، على الرغم من

كل ما نالهم من اضطهاد وما تعرضوا له من عوامل الاغراء ؛ وقد خرجوا من هذه المحن بفضل إسلامهم وهم أصلب عودا ، وأقوى عزيمته على استرداد مجدهم التليد وعزتهم الموروثة.

بل ما رأى هؤلاء في الدول التي لم يدخلها مسلم مجاهد بسيفه ؛ وإنما انتشر فيها الإسلام بواسطة العلماء والتجار والبحارة كإندونيسيا ، والصين وبعض أقطار إفريقيا ، وأوروبا وأمريكا ، فهل جرد المسلمون جيوشاً أرغمت هؤلاء على الإسلام ؟ ألا فإيسألوا أحرار الفكر الذين أسلموا من أوروبا وغيرها . وسيجدون عندهم النبأ اليقين . لقد انتشر الإسلام في هذه الأقطار بسماحته ، وقربه من العقول والقلوب ، وها نحن نرى كل يوم من يدخل في الإسلام وذلك على قلة ما يقوم به المسلمون من تعريف بالإسلام ، ولو كنا نجرد للتعريف به عشر معشار ما يبذله الغربيون من جهد ومال لا يخصص في سبيل التبشير بدينهم وحضارتهم ، لدخل في الإسلام الوف الأول في كل عام . ولن ترى — إن شاء الله من يحل عروة الإسلام من عنقه أبدا مهما أنفقوا وأسرفوا في سبيل دعواتهم التبشيرية ، وبعثاتهم التعليمية والتنصيرية « أما بعد » فقد لاح الصبح لدى عينين . وتبين الحق لكل ذى عقل وقاب وما إخالك أيها القارئ المنصف — إلا ازددت يقينا يسماحة الإسلام وسماحة الرسول في الدعوة إليه ، وأن ماردده المستشرقون والمبشرون ما هو إلا فرية كبرى « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا »

## ( أحداث وتشريعات )

### ( تحويل القبلة إلى للكعبة )

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، تأليفا لليهود وتحجيباً لهم للدخول في الإسلام ، ولكن اليهود لم تشر معهم هذه السياسة ، واتخذوا من توجه النبي إلى بيت المقدس

ذريعة للطعن فيه فقالوا : يخالفنا ويتبع قبلتنا ؟ فألم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وكان النبي يجب أن تكون قبلته هي الكعبة قبلته أيه إبراهيم (١) ، ومفخرة آبائه وأجداده ، فكان كثيرا ما يرفع بصره إلى السماء داعيا وراجيا ، وقد مكث على استقبال بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم أجابه الله على سؤاله ، وحقق أمنيته فوجهه إلى الكعبة البيت الحرام ، قال عز شأنه : « قد نرى قلب وجحك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » وبذلك تحقق للنبي والمسلمين شرف التوجه إلى القبلتين .

وقد كان التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة في منتصف شهر رجب على الصحيح ، وبه جزم جمهور العلماء ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس ، وذهب البعض إلى أن التحويل كان في نصف شعبان ، وهو قول ضعيف وقد اختلف العلماء في أول صلاة حصل فيها التحويل ، فقيل الظهر وقيل العصر ، والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء ابن معرور خارج المدينة في بني سامة ، فصنعت لهم طعاما ، وحانت صلاة الظهر ، فقام رسول الله صلى الله وسلم وأصحابه للصلاة في مسجدهم ، وبعد أن صلى بهم ركعتين نزل جبريل على النبي بتحويل القبلة فاستدار النبي وهو في صلاته إلى الكعبة ، واستدار معه أصحابه ، فسمى هذا المسجد ، المسجد ذي القبلتين ، ولا يزال مكانه موجودا إلى وقتنا هذا بالقرب

---

(١) أما قبلته بحسبه فقبل كان النبي يستقبل بيت المقدس ولكنه لا يستدير الكعبة بل يجعها يديه وبين بيت المقدس ، وذلك بأن يقف بين الركنين : الأسود والبياني ، فلما هاجر استمر على استقبال بيت المقدس حتى نسخ الله ذلك بالوجه إلى الكعبة وقيل كانت قبلته الكعبة فلما هاجر أمره الله باستقبال بيت المقدس حتى نسخ ذلك قال ابن عبد البر عالم المنزب : وهذا أصح أقوالين عندي وهو ما نرى ججه ، ويؤيده حديث إمامة جبريل للنبي غداة ليلة الإسراء والمعراج ، فقد كان وقوفهما عند باب الكعبة ، وغير ممكن لمن كان عبد بابها أن يستقبل الكعبة وبيت المقدس معا (٢) البقرة / ١٤٤



من المدينة ، وفيه مكان القبلتين ، ثم خرج النبي إلى المدينة فحانت صلاة العصر فصلاها إلى الكعبة ، ثم خرج رجل من صلى معه بالمسجد النبوي ، فرأى على نبي حارثة في مسجدهم وهم يصلون إلى بيت المقدس ، فأخبرهم بتحويل القبلة فاستداروا وهم في صلاتهم إلى الكعبة ، ثم ذهب هذا الرجل أو غيره إلى قباء ، فأدركهم في صلاة الفجر وهم يصلون إلى بيت المقدس فأخبرهم بنزول القرآن بالتحويل إلى الكعبة ، فتوجهوا في صلاتهم إليها ، وبهذا التحقيق يحصل التوافق بين الروايات المختلفة الواردة في هذا المقام ، والتي يكمل بعضها بعضاً (١) .

وقد أكثر اليهود من الطعن في النبي والمسلمين ، بسبب هذا التحويل ، ولهجوا بقالة السوء ، مع أنهم من كتبهم أن هذا سيكون ، وأن توجهه صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس لن يدوم ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى موقفهم هذا في قوله : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ثم بين سبحانه أن هذا التحويل كان بلاء واختبار ليميز عند الناس المؤمنون المخلصون من الشاكين المرتابين فقال سبحانه : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ؛ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم » (٢)

ولما كان نسخ القبلة أول نسخ وقع في الإسلام : وقارنه إرجاف اليهود والمنافقين أكد الله سبحانه الأمر بالتوجه إلى الكعبة في ثلاثة مواضع متقاربة فقال سبحانه أولاً « قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ... » وقال ثانياً : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون » وقال ثالثاً : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون

(١) صحيح مسلم بفتح النورى ج ٩ ص ٩٠ . فتح البارى ح ١ ص ٧٩ - ٨١

(٢) البقرة ١٤٢ ، ١٤٣ .

للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوم واخشوني ولا تخم نعمتي عليكم ولعلمكم تهتدون» (١)

وقد روى قصة تحويل القبلة إلى الكعبة ، الإمامان البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث ، وإليك رواية البخارى لأنها أتم وأكمل : عن البراء ابن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا (٢) وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فرأى أهل مسجد — هم بنو حارثة — وهم راكعون فقال : « أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل البيت فداروا كما هم » وفي رواية أخرى للبخارى فنزلت « سيقول السفهاء من الناس . . . » الآية وفي رواية أيضا « أنه مات قبل أن تحول — يعنى القبلة — رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأ نزل الله تعالى « وما كان الله ليضيع إيمانكم » يعنى صلاتكم التى توجهتم فيها إلى بيت المقدس .

فله الحمد والمنة أن اختار لنا القبلة أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ، وأن جعل قبلتنا خير القبل ، كما جعل أمتنا خير الأمم وإن كره الكافرون واليهود .

### تشريع فريضة الصيام (٣)

وفي شعبان من السنة الثانية فرض الله شريعة من أعظم شرائع الإسلام وركنا من أركانه ، وهو صيام رمضان ، وكان النبي ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء — وهو اليوم العاشر من المحرم ، فسألهم عن سبب

(١) البقرة ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) قدوم النبي المدينة كان في ربيع الأول واتحول كان في منتصف رجب على الصحيح فإذا اعتبرنا شهرى القدوم والتحول شهرا كانت المدة ستة عشر شهرا ، وإذا اعتبرنا ما شهرين كانت المدة سبعة عشر شهرا فمن ثم تردد الراوى وبعض الروايات جاءت بالمزوم .

(٣) الصوم والصيام في اللغة الإمساك . وفي الشرع : إمساك المكلف نفسه بنية عن

ذلك فقالوا : هذا يوم نجي الله فيه موسى وقومه فصامه موسى شكراً لله ، فقال النبي لهم : نحن أولى بموسى منكم فصامه ، وأمر المسلمين بصيامه ، روى ذلك البخارى ومسلم ، فلما فرض صوم رمضان أصبح صيام عاشوراء غير واجب ، فمن شاء صامه ، ومن شاء أفطره ، روى ذلك الشيخان أيضا عن عائشة .

وقد أوجب الله صيام رمضان بقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » (١) .

وكان صيام رمضان في أول الإسلام على سبيل التخيير فمن شاء صام وأدى الفريضة ومن شاء أفطر ووجب عليه الفداء : عن كل يوم إطعام مسكين ثم لما مرتوا عليه ، أصبح أمراً مألوفاً أمرهم بصيامه على سبيل الإلزام ونسخ التخيير وذلك بقوله سبحانه « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . . » الآية (٢) .

روى ذلك الشيخان في صحيحهما عن سلامة بن الأكوح - واللفظ لمسلم -

قال : لما نزلت هذه الآية « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها « وهى قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقد أكدت الآيتان الرخصة للمريض أو المسافر أن يفطر ويقضى دفعا للخرج ، وتيسيرا من الله على المسلمين « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

ويرى فريق من العلماء وعلى رأسهم ابن عباس ، أنه لانسح وأن

---

== تناول الطعام والشراب والجماع وسائر المفطرات ، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن كمال الصوم الامساك عن اللغو والرفث ، والفحوق ، والمعصيان وبذلك يشعر الصائم بفائدة الصوم ، ويفوز بثمرته .

(١) البقرة ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) البقرة ١٥٨ .

الآيتين محكمتان وأن قوله « وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين » إنما هي في الشيخ الكبير ، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما ، فلهما أن يفطرا ويطعما بدل كل يوم مسكينا » رواه البخارى في صحيحه ، وعلى رأى ابن عباس ومتابعيه تكون الآيتان قد نزلتا مرة واحدة .

وفي مبدأ الإسلام كان الصائم إذا أفطر يأكل ويشرب ويباشر امرأته إلى أن ينام أو يصلى العشاء فتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والمباشرة ، فشق ذلك على المسامين ، ووقع بعضهم في الحرج بسبب هذا فخفف الله عن الأمة ، ورحمها ، وأباح لهم هذه الثلاثة إلى طلوع الفجر (١) .

روى الامام احمد في مسنده عن معاذ بن جبل من حديث طويل في أحوال الصلاة والزكاة قال « ... وكانوا يأكلون ، ويشربون ، ويأتون النساء ما لم يناموا ، فاذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلا من الأنصار يقال له صرمة - يعنى ابن قيس - كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فرآه رسول الله ﷺ قد جهد كثيرا فقال « ما لي أراك قد جهدت جهدا شديدا ، فأخبره ، وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله ﷺ وهو يبكى ندما فذكر له ذلك فأنزله الله سبحانه « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأتم لباس لهن . . . » إلى قوله « لعلمكم تهتدون » ورواه أبو داود في سننه . والحاكم في مستدرکه وغيرهما .

وبهذا استقر تشريع الصيام على هذا اليسر ورفع الحجر ، وتأكد وجوبه بالسنة القولية والعملية المتواترة عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ، وأجمع على هذا المسامون ، فلا يحل لمسلم أن يفطر في هذا الأصل من أصول الاسلام الذى هو من أسس التقوى ، وهى جماع الخير كله ، ومن حكمة تزكية النفوس والسمو بالأرواح ، وتعطيف قلوب الأغنياء على الفقراء وتعويد النفوس على الصبر والتحمل ، ومواجهة شدائد الحياة ولأوائها ، ومن بعد ذلك كله يكون غفران الذنوب ، والفوز برضاء الله رب العالمين .

(١) تفسير ابن كثير والبغوى ج ١ ص ٤١٨ .

## زكاة الفطر

وفي رمضان من نفس العام شرع الله سبحانه وتعالى زكاة الفطر من رمضان ، طعمة للمساكين والفقراء ، وطهرة للصائم من اللغو والرفث ، وهي على كل حر أو عبد ، وذكر أو أنثى ، وصغير أو كبير من المسلمين . وقد روى أن النبي ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين وأمرهم بذلك ، عن ابن عمر رضی الله عنهما قال « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صائنا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين » رواه الجماعة ، وهي فريضة عند جمهور الأئمة واجب عند الحنفية على قاعدتهم في التفريق بين الفرض والواجب ، ولها أحكام وتفصيلات تطلب من كتب الفقه .

## صلاة العيد

وفي هذه السنة صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد فكانت أول صلاة عيد صلاحها ، وخرج بالناس إلى المصلى - كما هي السنة - يهللون الله ، ويكبرونه ويعظمونه شكراً لله ، على ما أفاء عليهم من النعم المتتالية ، ولا سيما نعمة النصر في يوم الفرقان : يوم التقى الجمعان ، وهو يوم بدر العظمى ، اليوم الأغر في تاريخ الأيام ، وخرجوا من بين يديه بالحربة وهي التي وهبها له النجاشي ، فكانت تحمل بين يديه في الأعياد<sup>(١)</sup> ، فمن ثم اتخذ الأمراء من بعده الحربة يخرج بها بين يديهم في صلاة العيد .

وقيل إن الحربة كانت للزبير بن العوام وهبها له النجاشي ، ثم وهبها للنبي

ﷺ (٢)

## الصوم والفترة والعيد

من روافد الاشتراكية في الإسلام

و بتشريع الصوم وزكاة الفطر والعيد خطط الإسلام روافد ثلاثة من روافد البر والمواساة والتكافل الاجتماعي في الإسلام ، فالصوم كما أراد الله ورسوله يربي في النفس صفات السخاء والبذل والعطاء ، فالصائم إذا لذعه الجوع وعضه ، بناه أدرك بحسه ووجدانه ما يعانیه الفقراء والمساكين والمعوزون فيجد نفسه ، مدفوعاً إلى البر والمواساة عن اقتناع وشعور ، وهذا إلى ما ورد في فضل البر والانفاق والجود في رمضان ، وأن من فطر صائماً كان له مثل أجره ، وهذا جانب من الجوانب الفسيحة في تشريع الصيام .

ثم تأتي زكاة الفطر فتكون بأدائها شاهداً من شواهد صدق المسلم في صيامه ، ورافداً من روافد البر والتوسعة على الفقراء في هذا اليوم الكريم ، وكثيراً ما كان النبي يقول في يوم العيد : « أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم ثم يأتي العيد ، وهو موسم من مواسم الخير والتعاطف والتحابب ، فيكون رافداً ثالثاً ، وقد كان من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا صلى العيد ذكر وأندر ، ورثب ورهب : فيتسابق في مضار البذل والعطاء والرجال والنساء والصغار والكبار ، وتمتد الأيدي ، إلى الأقران ، والجلي فتلقى بها إلى بلال بن رضاء وطيب خاطر ، روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس « أن النبي ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها ، ثم أتى النساء ومعه بلال — فيأمرهن بالصدقة ، فجعلن يلقين : تلقى المرأة خرصها ، وسخاها (١) » .

(١) الخرس بضم الخاء : القرط ، السخا بفتح السين : القلادة

## تشريع الزكاة<sup>(١)</sup> في الإسلام

وفي السنة الثانية أيضا شرع الله الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام ، وكان ذلك بعد شهر رمضان ، لأن تشريع الزكاة العامة كان بعد زكاة الفطر ، وزكاة الفطر كانت بعد فرض صيام رمضان قطعا ، يدل على هذا ما رواه الأئمة أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث قيس بن عباد قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة ، ثم نزلت فريضة الزكاة ، فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله » قال الحافظ ابن حجر : إسناده صحيح<sup>(١)</sup>

وجهور العلماء سلفا وخلفا على أن مشروعية الزكاة إنما كانت بالمدينة في السنة الثانية وقالوا : إن قوله تعالى في سورة الأنعام المكية « وآتوا حقه يوم حصاده » ليس المراد به الزكاة المفروضة ، وأن هذا شيء كانوا يعطونه عند الجذاذ ، ترضية للفقراء والمساكين من غير تقدير حده بل هو متروك لأريحية كل معط ، فكان الواحد منهم يأتي بالقنون أو العذق<sup>(٣)</sup> فيضعه في جانب المسجد فيأتي الفقراء والمساكين فيأكلون منه ، أو يعطى من حصاده ما تجود به نفسه من غير إلزام ولا تحديد بمقد<sup>(٤)</sup>

(١) الزكاة في اللغة : التباه ، والتطهير وفي الشرع : إعطاء جزء من النصاب المولود للمفقير ومسكين وغيرهما من المصارف غير هاشمي ولا طلبي ، والمناسبة بين الغنيين ظاهرة لأن إخراجها - بسبب التباه في المال أو الأجر وأيضاً فهي طهرة للنفس من رذيلة البخل ، وطهرة للمجتمع من الأحقاد والفساد والمذاهب المنحرفة وركنها الاخلاص ، ونزطها : هو ملك النصاب الحولي ، وشرط من يجب عليه : العقل والبلوغ ؛ والحربة وبأدائها - يقطع الواجب في الدنيا ويحصله الثواب في الآخرة .

(٢) فتح الباري ح ٣ ص ٢٠٧

(٣) يجمع للكفاية وهي ما تسد بها «المباطة»

(٤) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٢ ص ٤١٠ ، فتح الباري ج ٣ ص ٢٤١ ط يولاق

وذهب بعض العلماء إلى فرضية الزكاة كانت بمكة بهذه الآية ثم نزل تأكيد فرضيتها وبيان أنصبتها ومصارفها . ومقدار المخرج من كل نوع إلى غير ذلك من التفصيلات في المدينة .

وأياماً كان الأمر ، فقد ثبتت فرضيتها بالقرآن والسنة والإجماع ، وأجمع الصحابة على قتال مانعها . فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر : وكفر من كفر من العرب قال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله » فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . فإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني عناقاً أو عقالا<sup>(١)</sup> كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

وإنما تجب الزكاة على المسلم المكلف إذا بلغ ما يملكه نصاباً من أى نوع من الأنواع التي تجب فيها الزكاة ، فنصاب الذهب أن يبلغ عشرين مثقالاً<sup>(٢)</sup> ونصاب الفضة أن تبلغ مائتي درهم<sup>(٣)</sup> وما زاد منهما فبحسابه ، وذلك بشرط حولان الحول ، ونصاب الغنم أربعون شاة ، ونصاب البقر والجاموس ثلاثون ، ونصاب الإبل خمس ، فمن ملك نصاباً منها وحال عليه الحول ، وكانت سائمة وجب إخراج زكاته ، وعروض التجارة تقوم بأحد النقدين ، والزرع تجب فيها الزكاة على تفصيل بين الفقهاء في النصاب ، وما يخرج منه وما لا يخرج ، وما يسقى بالسيح أو ماء المطر وما يحتاج في سقيه إلى آلة وتعب ، وقد فصلت ذلك كتب الأحاديث النبوية وكتب الفقه بما لا مزيد عليه .

(١) العناق الإبل من ولد الماعز والعقال ما تمقل به الإبل أى لا يترك شيئاً من الزكاة قط ولو قس

(٢) وقدر ذلك مائتي عشر جنبها ذهباً تقريباً

(٣) وقدر ذلك بست وعشرين ريالاً فضة تقريباً



وقد كان الشارع حكيمًا في تقدير الزكاة الواجبة من كل نوع ، وجعل ذلك جزءًا من المال لا تضن به النفوس الشحيحة ، لأن الله يعلم حب النفوس للمال ، فاقنضت حكمته أن يكون جزءًا يسيرًا ، وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذه الحكمة السامية قال عز شأنه « وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ، إن يسألكموها فيحففكم تبخلوا ويخرج أضغانكم . ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ، فنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء ، وإن تولوا يبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (١) »

وقد رتب الشارع الحكيم هذا الحق الذي يخرج بحسب المؤونة والتعب في المال وعدمها : فأقلها تعبا الركاز (٢) وفيه الخمس لعدم التعب فيه أو قلته ، ويليه الزرع والتمر ، فإن سقى بماء المطر والسيح فيه العشر ، وإن سقى بالآلة أو الدالية أو الساقية ونحوها فنصف العشر ، ويليه الماشية وقد لوحظ فيها أنها يدخلها الأوقاص (٣)

مصارف الزكاة : وقد تكفلت ببيان هذه المصارف الآية الكريمة :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم (٤) » ، وقد أسقط الفاروق عمر مصرف المؤلفة قلوبهم بعد أن أعز الله الإسلام ، ولم يعد في حاجة إلى تأليف ، وإلى هذا ذهب جمهور الفقهاء ، ويرى بعض العلماء أن يسقط حقهم لم يسقط . وأنه لا يزال باقيا إذا دعت الضرورة إليه .

(١) سورة محمد ٣٦ - ٣٨

(٢) الركاز : ما يوجد في بطن الأرض من مال أو معدن .

(٣) جمع ولس بفتح الفاء وسكونها ما بين الفريضة من نصب الزكاة مما لا شيء فيه .

(٤) التوبة / ٦٠

## ( الزكاة أساس الاشتراكية الإسلامية )

إن الغرض من تشريع الزكاة هو إشراك الفقراء والمساكين ومن على شاكلتهم في أموال الأغنياء ، ولما بعث النبي ﷺ سيدنا معاذ إلى اليمن قاضياً أو والياً قال له : « أخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، وترد إلى فقرائهم » رواه البخارى .

والزكاة هي أساس الاشتراكية الصحيحة ، اشتراكية في المنفعة والنمرة . لا في أصل المال ، فقد ترك الشارع لأهل الأموال أموالهم لينموها ثم فرض فيها حقاً لازماً لا يجوز التساهل فيه قال سبحانه في صفة عباده الله المتقين : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم <sup>(١)</sup> » وقال : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم <sup>(٢)</sup> » وقد سمعت آتفاً أن الصديق قاتل مانع الزكاة وجادله في هذا أمر حتى اقتنع برأيه ، وصار أمراً مجتمعاً عليه من الصحابة ، ولا عجب فالزكاة ركن أصيل في بناء المجتمع على أساس من التعاون والتكافل ، والمشاركة في الخير والنماء ، وقد رأيت أن الإسلام جعلها حقاً في الذهب والفضة ، والإبل والبقر والغنم ، والزروع والثمار ، وعروض التجارة بل ذهب بعض الفقهاء إلى وجوبها في البقول ، والخضر ، والفواكه وحلى النساء .

ترى لو أن الزكاة أخرجت من كل هذه الأنواع الحولية وغير الحولية ووزعت في مصارفها المشروعة هل كان هناك جائع لا يجد ما يسد جوعته ؟ أو عار لا يجد ما يستر عورته ؟ أو منتشر لا يجد مسكناً يؤويه ؟ أو مريض لا يجد مستشفى يستشفى فيه ، أو طالب علم لا يجد ما يعينه على طلب العلم ؟

ترى لو أن الناس أخرجوا زكاة أموالهم بأمانة وإخلاص ، من غير  
تهرب أو تحايل ووزعت في مصارفها ، هل كنت تجد بين المسلمين من يدعو  
إلى الشيوعية أو يعتنقها مذهباً ؟ وهل كنت تجد بينهم في كثير من أقطار  
المسلمين هذا الفقر والضعف ، وهذه الفوارق الشاسعة بين الناس ؟ فهناك قلة  
تتمتع بمتع الحياة وزخارفها ، بما يصل إلى حد الإسراف ، وتبعثر الأموال  
هنا وهناك في الحانات وبيوت اللهو والفجور ، وحلبات الرقص ، والسباق  
والقمار !! وهناك الكثرة الكثيرة لا تتمتع بالطيبات الحلالات ، بل ولا تجد  
الضروريات .

إن الزكاة حينما كانت تجمع من كل من تجب عليه ، وتنفق في سبيلها  
المشروعة في صدر الإسلام ، كان المجتمع الإسلامي على خير ما يكون رخاء  
ورغدًا ، وتمتعاً بالطيبات ، وتألفاً وتأخياً وتحايلاً . فقد روى الرواة أنه  
في عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أخصب الناس ،  
واغتنوا حتى أنهم بحثوا عن مستحق للصدقة فلم يجدوا فما كان منهم إلا  
اشترى بها عبيداً وأعتقوهم لوجه الله ، وهكذا بلغ الإسلام في عصوره الأولى ،  
بمستوى حياة المسلمين ومعيشتهم ، حدًا لم يبلغه إلا أمم قليلة اليوم وذلك بفضل  
تشريع الزكاة .

## « الغزوات والسرايا في السنة الثانية »

« غزوة الأبواء » أو « ودان » (١) وهي أولى غزوات النبي ﷺ  
وكانت في شهر صفر من السنة الثانية ، خرج فيها النبي وبعض  
أصحابه ، بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عباد من الخزرج ليعترض  
عيرا لقريش ، وكان يحمل لواءه عمه حمزة أسد الله وكان لونه أبيض ، فلما

وصلوا إلى ودان وجدوا العير قد فاتتهم فوادع النبي مخشي بن عمرو الضمري سيد بني ضمرة<sup>(١)</sup> وعاهده على أنهم آمنون على أنفسهم، ولهم النصر على من رامهم وأن عليهم نصر المسلمين إذا دعوا، وكانت هذه أول معاهدة عقدها الرسول مع غير يهود المدينة وقد حققت نصراً للمسلمين.

غزوة بواط (٢) : وأقام رسول الله بالمدينة حتى كان شهر ربيع الأول من هذه السنة ، فبلغه أن عيراً لقريش آية من الشام ، فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير ، فخرج إليها في مائتين من المهاجرين والانصار بعد أن استخلف على المدينة سعد بن معاذ سيد الاوس ، وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص ، فسار حتى بلغ بواط ، ولكن أمية كان قد نمي إليه خبر خروج المسلمين للقائم فأسرع بالقافلة ونجا بها.

غزوة العشيرة (٣) : وفي جمادى الأولى أو الثانية بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج قريش بأعظم عير لها ، فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي له مثقال إلا بعث به في تلك العير ، وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب في بضعة وعشرين رجلاً من قريش ، فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استخلف على المدينة أبا سامة بن عبد الأسد المخزومي ، وحمل لواءه عمه حزة ، ولم يزل سائراً يسعى الليل ويخفي النهار ، حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد أفلتت مما يدل على أن قريشا بدأت تأخذ حذرهما ، وترسل لذلك العيون والجواسيس ، وفي أثناء عودته حالف بني مدلج وحلفاءهم بمثل ما حالف بني ضمرة ، وبهذا كسب أيضاً ود قبيلة أخرى من القبائل الواقعة على طريق التجارة بين مكة والشام ، وهذا ولاشك فيه تقوية للمسلمين وإضعاف لقريش فقد قطع عليهم الرسول بهذه الأحلاف أن يستجروا بقبيلة من هذه القبائل ، ويحتسوا بها ، وهي سياسة حكيمة ولا ريب .

(١) بفتح الصاد المعجمة وإسكان الميم

(٢) بواط بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو جبل من جبال جهينة بالقرب من يثرب

(٣) العشيرة بالنون والسين بهاء وبغيرها ، وبالواو بهاء وبغيرها مكان بيتان بفتح

غزوة بدر الأولى : لم يقم الرسول بالمدينة إلا بضع ليال، بعد أوبته من العشي، حتى أغار كرر بن جابر القهري على سرح<sup>(١)</sup> المدينة حيث ترعى الأغنام ليأخذ منها ما تصل إليه يده، فخرج الرسول في طلبه بعد أن استخلف على المدينة زيد ابن حارثة مولاه، وكان يحمل اللواء على بن أبي طالب، حتى بلغ واديا يقال له « سفوان » من ناحية بدر، ولكن كان قد هرب كرز فلم يدركه، وهكذا بين النبي بهذا العمل الحازم أنه لن يقبل من أحد انتقاص حقوقهم، أو الأغارة على المدينة وما حولها من حمى وقرى .

### سرية عبد الله بن جحش

في رجب من السنة الثانية، أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رهطا من المهاجرين ثمانية<sup>(٢)</sup> وقيل سبعة وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي وأعطاه كتابا وقال له : « لا تفتحه إلا بعد يومين » فاذا فتحت فامض لما أمرتك به، ولا تستكره أحدا من أصحابك، فاما سار بهم يومين فتحه فإذا فيه :

« إذا نظرت كتابي فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فاما قرأ الكتاب قال : سمعاً وطاعة وأخبر أصحابه بما في هذا الكتاب، وقال . قد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيهم - فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فاما أنا فامض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد .

وانما وقع اختيار النبي على هذا المكان البعيد لأن أهل مكة كانوا قد بدءوا محتاطون لتجارته، ويأخذون لها الحذر، ويجتهدون في إخفاء أخبارها عن أهل المدينة، فقلبتهم النبي على حذرهم، وأراد أن يعرف أخبار تجارته من

(١) السرح : المرعى الذي ترعى فيه الدواب .

(٢) هم : أبو حذيفة بن عتبة : وعكاشة بن محسن . وغنبة بن غزوان ، وسهيل بن بطاء القهري . وقاس وعامر ، بن ربيعة . وواقد بن عبد الله التميمي . وخالد بن البكير . وسهيل بن بطاء القهري .

وادي نخلة الواقع بين مكة والطائف ؛ وكانت حكمة بالغة أن لم يخبر النبي السرية بمقصده من ارسالهم ووجهتهم قبل مغادرتهم المدينة ، حذراً من أن يشاع الخبر فينقاه أحد المنافقين أو اليهود إلى قريش فتصددهم في هذا المكان النائي عن المدينة ، وهم قلة فتقاتلهم

وسار الراكب حتى وصلوا مكانا يسمى «بحران» فأضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه ؛ فتخلفا في طلبه ، ومضى بقية الراكب حتى نزلوا «نخلة» فمرت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ومعه ثلاثة آخرون ، فلما رأهم القرشيون هابوهم وقد نزوا قريبا منهم ، فأطل عليهم عكاشة بن محصن (١) ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا وقالوا : همار لا بأس عليكم منهم ، وتشاورت السرية في أمرهم وكان في آخر يوم من رجب (٢) فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهاجوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتالهم ، وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التيمي عمرو بن الحضرمي بهم فقتله وأسرنا اثنين وأقلت واحد ، واستاقوا العير ، ورجعوا بها والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ، فلما علم أنهم قاتلوا في رجب قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، ووقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فسقط في يد رجال السرية ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وغنمهم إخوانهم المساهون واتخذ المشركون مما حدث وسيلة للطعن في المسامين ، وقالوا : قد استحل مجد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكرا فيه الدم ، وأخذوا الأموال ، وأسروا الرجال ، وأرجف اليهودو المنافقون في المدينة قصد إشعال الفتنة

(١) عكاشة : بضم العين وتشديد الكاف وقد تخفف وعصن بكسر الميم وفتح الصاد

(٢) وقيل ان ذلك كان في آخر يوم من جمادى الثانية فقاتلوهم ظنا منهم أنه من جمادى ثم ظهر

وفي هذه الغمرة من الأسى والأسف ، والتثريب والعتاب ، والإرجاف من الأعداء، نزل الوحي من السماء بقول الله سبحانه ، يسألونك عن الشهر الحرام : قتال فيه . قل : قتال فيه كبير ، وصعد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام . وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ، فألك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم « (١) .

فكان في هذا إعداز من الله لأصحاب السرية ، فمرى عنهم ، وعن المسلمين ما كانوا فيه من الكرب والغمة ، فقبض الرسول العير والأسيرين ، وبعث قریش في فدائها فقال رسول الله : « لا تفديكموها حتى يقدم صاحبانا — يريد سعدا وعتبة — فأنا نخشاكم عليهما ، فإن قتلتموهما قتل صاحبكم » . فقدم سعد وعتبة سالمين ، فأفداهما رسول الله ، فأما أحد الأسيرين وهو الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام بالمدينة حتى قتل يوم بدر معونة شهيدا ، وأما الثاني وهو عثمان بن عبد الله بن المغيرة فلحق بمكة . ومات بها كافرا .

وقفة عند ما نزل من القرآن : وما كان لنا أن نمر بهذه الآية دون أن نعرض لها بالبحث والاستنتاج ، فقد كان ذلك مفترق طرق في سياسة الإسلام من تقدير اللقيم الدينيه والحلقية ، وسمو بالمعاني الروحية والإنسانية وعدم إغفال للبواعث الشريفة التي دعت رجال السرية للقتال في الشهر الحرام دون الوقوف عند الظواهر والرسوم وما ألزمه الناس من تقاليد كريمة مشروعة ، أو موروثه ، فالله سبحانه أجاب المتسائلين بأن القتال في الشهر الحرام أمر كبير ، ولكن هناك من الكبار التي قام بها المشركون تجاه المسلمين ما هو أكبر وأعظم ، فالصد عن سبيل الله —

وهو الإسلام — والكفر به ، والصدعن المسجد الحرام أن تؤدي فيه الشعائر والمناسك ، وإخراج المسلمين من بلدهم وأهلهم وأموالهم كلها أكبر عند الله مما فعل المسلمون !! ثم هم مع كل جرائمهم هذه فعلوا ما هو أشنع وأظلم فقد ابتغوا الفتنة ، فتنة المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وسلوكواكل وسيلة ممكنة للفتنة من وعد ووعيد وإغراء وتعذيب وتجردوا في هذا من معاني الإنسانية والرحمة ، ولا يزالون — وقد فعلوا كل هذه الجرائم — يحاولون جاهدين فتنة المسلمين وقتالهم والتضييق عليهم فإذا كان المشركون يرتكبون هذه الكبائر كلها فلا جناح على من وقعت عليهم هذه الكبائر والآثام إن قاتلوهم في الشهر الحرام ، وأسروا منهم ، واستاقوا غيرهم ، وإنما الحرج والاثم ان يقاتل في الشهر الحرام من يجترح هذه الأوزار والآثام .

وفي الآية الثانية عدة بالجميل لمن هاجر وجاهد في سبيل الله على سبيل الرجاء وهو أسلوب من أساليب القرآن قصد به إزالة الأطماع . وعدم الاتكال والاعتماد على ما قدموا من أعمال مجيدة فيما مضى . وحث لهم على إدامة الجهاد والكفاح فيما يأتي وما يستقبلون من حياتهم . وفي ضمن هذا عدة لأصحاب هذه البرية بالأجر والمغفرة .

## • غزوة بدر الكبرى •

ترقب وانتظار : — بقى الرسول ﷺ والمؤمنون بالمدينة يترقبون قدوم العير العظيمة التي أفلت بها أبو سفيان . وكانت تبلغ ألف بعير ، فيها معظم أموال قريش ، وهي التي خرج للقائهما في غزوة العشيرة . وبعث برجلين من أصحابه بطليحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى « الحوراء » على البحر الأحمر ، وهي محطة من محطات القوافل التي تسير بين الحجاز والشام ولا بد للبعير أن يمر بها وقد تمكن الرجلان من أن يستميلا قبيلة جهينة . وأقاما يتسقطان الأخبار ، حتى تأكدا من موعد مبارحتها الشام ، فعادا إلى الرسول يبلغانه الخبر . ويقال



إن الرسول لم ينتظر قدوم الرسولين من مهمتها ، وقرر الخروج إلى طريق الشام ، خشية أن تفوته العير في إيابها كما فاتته في ذهابها . ولا سيما أنه قوم ما فيها خمسين ألف دينار .

الخروج إلى العير : ندب الرسول ﷺ أصحابه إلى الخروج قائلاً « هذه عير قریش فأخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكها وها » (١) فخفف لدعوته أقوام ، وتناقل عنها آخرون ، لظنهم أن رسول الله ﷺ لم يرد حرباً ، وقوى عندهم هذا الظن أن الرسول قال : « من كان ظهره حاضراً فليركب معنا » ولم ينتظر من كان ظهره غائباً ، فخرج رسول الله ﷺ لثلاث وقيل لثمان ليال خلون من رمضان ، وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، منهم نيف وأربعون ومائتان من الأنصار ، والباقي من المهاجرين . ولم يتخلف منهم إلا عثمان بن عفان لتبريض زوجته السيدة رقية بنت الرسول فقد اشتد عليها المرض .

واستخلف النبي عبد الله بن أم مكتوم ليصلي بالناس في المدينة ، ورد أبا لبابة الأنصاري من الروحاء ، واستعمله على المدينة ، ورد عاصم بن عدى أيضاً واستخلفه على قباء والعالية ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان : إحداهما مع علي بن أبي طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ ، وكان معهم فرسان : أحدهما للزبير ابن العوام ، والثاني للمقداد بن الأسود ، وسبعون بعيراً يعقبونها ، كل ثلاثة أو أربعة يتناوبون بعيراً : فكان رسول الله ﷺ ، وعلي بن أبي طالب وأبو لبابة على بعير ، ولما رد أبا لبابة كان ثالثهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي (٢) وضرب رسول الله ﷺ صاحبيه غاية العدل والرحمة ، ذلك أنه لما جاءت نوبته في المشي قال له : نحن نأمن بك فقال : « ما أنتم بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منك » ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعقبون بعيراً . وكان حمزة وزيد بن حارثة ،

(١) في القاموس : نقله . الفل ونقله . وأنقله أعطاه إياه والنقل ، الغنوية

(٢) أبو مرثد . اسمه كنان بن حصين بتهى نسبة إلى قيس بن عيلان

وأبو كبشة وأنسة<sup>(١)</sup> يتعاقبون بعيرا .

وسار الجيش القليل في عدده الكثير بروحه وإيمانه حتى وصل إلى بيوت السقيا « خارج المدينة ، وعسكر فيها واستعرض النبي من خرج معه ، فرد من ليس له قدرة على الحرب المحتملة الوقوع ، وكان ممن رد البراء بن عازب ، وعبد الله بن عمر ، ففي صحيح البخاري عن البراء قال : « استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين ، والأنصار نيفا وأربعين ومائتين »<sup>(٢)</sup> .

وروى عن البراء أيضاً « أنهم كانوا عدة أصحاب لوط الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة » .

وقد اختلف في هذا البضع ، فقبل : ثلاثة عشر ، وقيل : أربعة عشر وقيل : خمسة عشر ، ولا ينافي هذا ما ذكره ابن سعد من أنهم كانوا ثلثمائة وخمسة رجال ، وما ذكره ابن جرير من أنهم كانوا ثلثمائة وستة ، لأن هناك صحابة عدوا من أهل بدر ، ولكن النبي ﷺ رد بعضهم ، استخلافاً له كسيدنا أبي لبابه ، أو تخلفوا عنها لأعذار وضرورات كسيدنا عثمان ، فقد تخلف لتمريض زوجته السيدة رقية بنت الرسول ، وكسيدنا الحارث بن الصمة ، فقد كسرت رجله بالروحاء فرده النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> والاختلاف في مثل هذا سهل غير بعيد .

## أبو سفيان واستنصار قریش

كان أبو سفيان على حذر أن تقع العير في قبضة المسلمين ، فلما دنا من الحجاز ، صار يتجسس الأخبار ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنصر

(١) الثلاثة : موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) صحيح البخاري - كتاب المغازي باب . عدة أصحاب بدر

(٣) فتح الباري . ج ٧ ص ٢٤٣

أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، وخاف العاقبة ، إذ لم يكن معه من قريش في حراسة العير إلا ثلاثون أو أربعون رجلا ، وما يعنى هذا العدد عند اللقاء ؟ فاستأجر ضمضم<sup>(١)</sup> بن عمرو الغفارى فبعثه مسرعا إلى مكة ليستنفر قريشا إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فوصل ضمضم إلى مكة ، وقد جدع أذنى بعيره وأنفه ، وحول رحله ، وشق قميصه . وقال : يامعشر قريش اللطيمة . اللطيمة<sup>(٢)</sup> أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمداً في أصحابه . لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، وما لبث أبو جهل حين سمعه أن صاح بالناس من عند الكعبة يستنفرهم ، وكان أبو جهل رجلا خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر ، ولم تكن قريش في حاجة إلى من يستنفرها فقد كان لكل منهم في هذا العير نصيب .

فجهز الناس سراعا وقالوا : أياظن محمداً وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي ؟ والله ليعامن غير ذلك فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش<sup>(٣)</sup> ، فلم يتخلف من أشرفها إلا أبو لهب ابن عبد المطلب ، فقد بعث مكة العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت عليه قد أفلس بها ، وكاد أمية بن خلف يتخلف ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، ذلك أنه سمع من صديقه سعد بن معاذ - وقد ذهب إلى مكة معتمراً بعد الهجرة - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إنهم قاتلوك » قال : بمكة ؟ قال سعد : لا أدري . فلما حصل الاستنفار تذكر هذا وداخله رعب شديد ، ولكن الله إذا أراد شيئاً هبأ له الأسباب ، فلم يلبث أبو جهل ، وقد علم بخبر تخافه إن جاءه ومعه عقبة بن أبي معيط ، ومع عقبة بحجرة فيها بخور ، ومع أبي جهل مكحلة ومروء ، فوضع عقبة الحجرة بين يديه وقال له : يا أبا على استجمر فانما أنت مثل النساء ، وقال أبو جهل : اكنحل أبا على فانما أنت امرأة ، فلم

(١) بفتح الصادين ، و- كرن الميم بينها .

(٢) العير التي تحمل التجارة والأوال .

(٣) يقال : أوعب القوم إذا خرجوا جميعاً إلى الغزو .

يُجد بدا وقد استثار احميته بهذا الكلام الجارح لرجولته، إلا أن قال لهم : ايتبعوا لي أجود بعير بمكة ، وخرج معهم ، وفي نيته أن يرجع بعد قليل متسللا، ولكن منيته ساقته إلى حتفه ورشم أنفه ، وهكذا لم يتخلف بمكة قادر على القتال. غير بنى عدى فلم يخرج منهم أحد .

تخوف قريش من بنى بكر : وكانت قريش تتخوف إذا خرجت إلى لقاء النبي وصحبه أن يأتيهم بنو بكر بن عبد مناه بن كنانة من خلفهم ، لما كان بينهم من تارات ، وقتل في الجاهلية حتى كاد ذلك يشيهم عن الخروج لولا أن جاء سراقة بن مالك بن جعشم<sup>(١)</sup> المدلجى وكان من أشرف بنى كنانة فقال : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بئىء تسكرهونه ، فزال مخاوفهم وأجمعوا على المسير ، فخرجوا بجمعهم بطرين أشربين وقد أشار الحق تبارك وتعال إلى هذا بقوله : ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من النار وإنى جار لكم . فلما تارات الفئتان نكص على عقبيه وقال : إنى برىء منكم إنى أرى ما لاترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب<sup>(٢)</sup> ، وكان مثله ومثلهم كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر . فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتها أنها في النار خالدین فيها وذلك جزاء الظالمين<sup>(٣)</sup>

وكان تعداد جيش المشركين تسعمائة وخمسين رجلا ، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير يعقبونها . وأمامهم القينات يغنين بهجاء المسلمين . وساروا

---

(١) وقيل إن إبليس جاء في صورة سراقة وقال . إنى جار لكم وسار معهم ، حتى كانت الموقعة ، ونزلت الملائكة نكص على عقبيه

(٢) الأنفال ٤٧ و ٤٨

(٣) المنبر ١٦ و ١٧

يحدوهم البطر . وماؤهم الزهور والغرور حتى كانت غاقبة أمرهم هلاكاً وخسراً .

## فرار أبي سفيان بالعرير واختلاف لمشركين في الخروج

أما أبو سفيان فقد ساحل بالعرير خارجاً عن الطريق المعتاد. فنجأ وأرسل إلى قريش وقد خرجت عن بكرة أبيها يعلمهم بذلك، ويشير عليهم بالرجوع قائلاً : إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا . ورأى رأى أبي سفيان من قريش عدد غير قليل ، لكن أبا جهل ما لبث حين سمع هذا الكلام أن صاح قائلاً : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنتقم عليها ثلاثاً تنحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون بها بونتنا أبداً ، فامضوا . وقال الأحنس بن شريق (١) — وكان حليفاً لبني زهرة وكان فيهم مطاعاً — : يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لکم صاحبکم — محرمة بن نوفل ، فارجعوا فاتبعوا مشورته ورجعوا ، فلم يشهد بدرًا زهرى ، وكذلك لم يشهدا أحد من بني عدي ، وكان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في صفوف المشركين ، وبين بعض قريش محاورة فقال له : والله لقد ترفنا يا بني هاشم — وإن خرجتم معنا — أن هوأكم مع محمد . فرجع طالب إلى مسكة مع من رجع ومضت جموع قريش في خيلها وخيلائها حتى وصلت وادى بدر فترلوا عدوته القصوى عن المدينة في أرض سهلة لينية .

### ( مسير المسلمين إلى بدر ) (٢)

أما النبي ﷺ فقد سار وأصحابه في الطريق إلى بدر ، وكان لا يزال

(١) بفتح الشين المعجمة وكسر الراء .

(٢) مكان بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب سمي باسم بشر هناك . وكان به سوق

تقام كل سنة ثمانية أيام وبه قرية الآن .

شائعاً ، بين صفوف المساميين ، أن عير أبي سفيان ستمر بها في طريقها إلى مكة ، ولم يكن عليه السلام عارفاً بما فعله أبو سفيان من إفلاته بالعير ، ولا بما قامت به قريش من جمع جوعتها ، والتوجه إلى بدر حتى بلغ وادياً يقال له «ذفران»<sup>(١)</sup> أو «الروحاء» ، وهناك أتاه الخبر عن قريش ومسيرهم في جيش كبير لمنع العير وحمايتها. وحينئذ تغير وجه الامر ، ولم يصبح الامر مقصوراً على الاتحاق بالعير والاستيلاء عليها ، فها هي قريش خرجت بجموعها الكثيرة ، وبذلك ترجحت كفة القتال والمناجزة ، فجمع رسول الله ﷺ كبراء الجيش وقال لهم : «أيها الناس إن الله وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم : إما العير ، وإما النفير ، فبين له عليه الصلاة والسلام أن البعض يريد العير ، ولا يرغب في لقاء النفير . وقال بعضهم : هلا ذكرت لنا القتال فنستعد؟ ولكن الاكثرية كانت تريد لقاء النفير ، وقد ذكر الله سبحانه هذا في قوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون»<sup>(٢)</sup> وإذا أراد الله شيئاً هياً له الأسباب وإن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً .

## (استشارة النبي أصحابه في القتال)

وقد كانت هذه الاستشارة بمثابة اختبار لإيمان المساميين وصلابة عقيدتهم ومقدار استعدادهم للقتال ، والتضحية في سبيل الإسلام ، وقد أسفر الامتحان عن نجاح باهر ، ودلوا بحق على أنهم أهل لحمل الرسالة المحمدية ، والجهاد في سبيل تبليغها للناس كافة .

(١) يفتح الذال انجماً وكسر الفاء : وادقرب وادي الصفراء .

(٢) الأفعال ٧ و ٨ والمراد بالطائفتين : البر أو النفير بمعنى الجيش . ومعنى الشوكة : السلاح ففير ذات الشوكة هي العير . وقد صار مثلاً أن يقال : فلان لاق العير ولا في النفير إن لاحظت له ولا يؤبه به .

استشار النبي أصحابه في القتال ، فقام أبو بكر الصديق فقال واحسن الكلام ، وقام الفاروق عمر فقال وأحسن الكلام ، ثم قام المقداد بن الأسود (١) فقال : « يا رسول الله امض لما أراك الله فبحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون — وفي رواية البخارى فى صحيحه : « ولكن نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك . وبين يديك وخلفك — فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (٢) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . » فقال له رسول الله خيرا ودعا له ثم ، قال رسول الله : « أشيروا على على أيها الناس » وإنما يريد الأنصار لأنهم لما بايعوه ليلة العقبة ، بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ما دام بين أظهرهم ، ولم تكن المبايعه على قتال خارج المدينة ، وإنما لمشورة حقة ممن كان أصدق الناس بالوعود ، وأوفاهم بالعهود ، وأبعدهم عن التوريط والخداع ، وقد فطن لهذا السيد الجليل سعد بن معاذ فقال : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله » ؟ قال « أجل » فقال : لقد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض لما أردت فبحن معك . فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن نلقى عدونا غداً إنا لصبر في الحرب . صدق (٣) .

(١) هو المقداد بن عمرو وبين ثمانية الكندي كان أبوه ترك بلاد قومه الى حضر موت وهما لك تزوج وولدهم ابقاد فلم كر المقداد تلاحى هو ورجل آخر ، فضر به بالسيف . وهرب الى مكة فعاف الأسود بن عبد يغوث الزهرى فتبى المقداد ، فكان يعرف به قلته . أبطل الإسلام ذلك كان يقل له : المقداد بين ٤٠ و ٤٠ ولكن بقيت شهرته أبى الأسود .

(٢) برك : بفتح الباء ، الغماد بكسر الغين موضع على خمس لبال من مكة فى طريق اليمن .

(٣) صبر بضم الصاد والباء جمع صبور ، صدق بضم الصاد والذال . جمع صدوق .

عند اللقاء . لعل الله يريك ما تقر به عينك فسر على بركة الله « فسر الرسول وأشرق وجهه . ثم بشر القوم بالنصر قائلاً : « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » .

وكيف لا يسر الرسول بهذه المواقف المشرفة . التي مبعثها الإيمان الصادق الذي لا يعرف الضعف ولا الاستخذاء والذي ظهرت ثمراته في كلمات طيبة مؤمنة ، والتي كشفت عن معدن العرب المسامحين الأصيل ، وأبانت الفرق الشاسع ما بين موقف اليهود من نبيهم موسى عليه السلام . وموقف المسامحين من نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنها لمقارنة صادقة حقة في هذا الموقف الدقيق تشف عن نفاسة معدن العرب ، وبطولتهم ، وعن خبت معدن بني إسرائيل ونذالهم .

### « تنطس أخبار قريش »

وارتحل المسامون من « ذفران » حتى إذا كانوا على مقربة من بدر ركب رسول الله وصاحبه الصديق حتى وقفنا على شيخ من العرب يقال له : سفيان الضمري فسأله الرسول عن قريش وعن عهد وأصحابه وما بلغه من أخبارهم فقال الشيخ لا أخبرك حتى تخبراني بمن أنتما ؟ فقال له رسول الله « إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال أو ذاك بذاك : قال : « نعم » قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا ، وكذا لمكان الذي به جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا لمكان الذي به قريش ، فلما فرغ قال : من أنتما ؟ فقال رسول الله : نحن من ماء .<sup>(١)</sup> ! ثم انصرفا عنه فقال الشيخ ما من ماء ؟ أمن ماء ؟<sup>(٢)</sup> ؟ العراق ؟

ثم رجع رسول الله وصاحبه إلى أصحابه . فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يتسقطون له الأخبار ويتجسسون على قريش ، فأصابوا راوية<sup>(٣)</sup> لقريش غيبها غلامان لهما : غلام لبني الحجاج ، وغلام لبني العاص بن سعيد ، فاتوا

(١) هذا من التوريات البدوية وهو يحتمل معنيين : أحدهما قريب ، وهو المكان الدروف بهذا الاسم ، والثاني بعيد وهو الماء الذي خلق منه كل كائن حي وهو مراد النبي .

(٢) يعني أمن الماء الذي بالعراق أم من غيره (٣) الأبل يستقى عياها الماء .



٤٠ ورسول الله ﷺ يصلى فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء ففكره القوم خبرها ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضر بوهما فلما أوجعوا قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوها فلما فرغ رسول الله من صلاته قال : « إذا صدقكم ضربتوهما ، وإذا كذباكم تركتوهما ، صدقا — والله — إنهما لقريش » ثم قال لهما : « أخبراني عن قريش » فقالا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما : « كم للقوم » ؟ قالوا كثير قال : ما عدتهم ؟ قالوا لا ندرى ، قال الرسول : « كم ينحرون كل يوم » ؟ قالوا : يوما تسعا ، ويوما عشرا ، فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التسعة والألف » . فقال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ فذكر : عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبا جهل ، وأمية بن خلف ، وسهل بن عمرو في آخرين من صناديد قريش ، فأقبل رسول الله ﷺ إلى أصحابه قائلا : « هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاز كبدها !! »

## ( تعرف أخبار العير )

وكما عاد سيدنا على ومن معه بالغلامين ، وبخبر قريش معها . عاد رجلا ن آخران ذهبا يتعرفان أخبار العير ، حتى عرفا من جارتين تتنازعان على حق لإحداهما على الأخرى على ماء لهم أن العير ستقدم شدا أو بعد غد ، وأخبرا الرسول بما سمعا ، وكان أبو سفيان قد سبق العير يتسقط الأخبار ، حذر أن يكون المسامون قد سبقوه إلى الطريق ، فلما ورد الماء وجد عليه مجدى بن عمرو ، فسأله هل رأى أحدا ؟ فأجابه بأنه لم ير إلا راكبين أناخا إلى هذا التل ، وأشار إلى حيث أناخا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فوجد في روث بعيرهما نوى عرفه من علائف يشرب ، فأسرع إلى أصحابه ، وعدل بالسير عن الطريق المعهود متبعا ساحل البحر ، مسرعا في سيره حتى نجا بالعير كما قدمنا ، وأصبح الغدو المسامون في انتظار مرور العير بهم ، فإذا الأخبار تصلهم أنها فاتت ، وأن قريشا

بمجموعها تعسكر بالقرب منهم ، وهكذا أفلتت العير ، ولم يبق إلا النفير  
وتعين القتال .

## ( جيش المسلمين فى بدر )

وسار المسلمون حتى نزلوا بعدوة الوادى الدنيا<sup>(١)</sup> بعيدا عن الماء فى أرض  
سبخة ، لا تثبت عليها الأقدام فأصبحوا عطاشى ، وبعضهم جنب ، وبعضهم محدث ،  
ووجد إبليس وأعوانه مجاللا للوسوسة ، وإلقاء الريب والشكوك فى النفوس ،  
فهمس قائلا : ما ينتظر المشركون منكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويذهب  
قواكم ، فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا .

آية من السماء : ولكن الله عز شأنه أبطل كيده ، ومن عليهم بأن أرسل  
عليهم السماء مدرارا فثربوا : وتوضأوا واغتسلوا ، وملأوا الأسيقية ، ولبد  
المطر الأرض من تحت أقدامهم ، فسهل لهم السير ، على حين كان نقمة على  
المشركين ، فقد وحل الأرض تحت أقدامهم ، حتى لم يعودوا يقدرتون على  
الارتحال وصدق الله حيث يقول : « إذ يغشيكم العناس أمنة منه ، ويترل عليكم  
من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان ، وليربط على  
قلوبكم ، ويثبت به الأقدام<sup>(٢)</sup> » وسار جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء  
من بدر .

## ( مشورات حكيمة )

لما نزل النبي بالمسالمين هذا المنزل قال الجباب<sup>(٣)</sup> بن المنذر الخزرجى - وكان  
معروفا بمجودة الرأى والدربة فى الحروب - لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم : رأيت هذا المنزل ، أمتزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر

(١) بعدوة . جانب الوادى الدنيا . القريبة من المدينة أما بعدوة القصى فهى البعيدة عنها .  
(٢) الأقدام ١١ الجباب : بضم الجاء . المعاملة وفتح الباء الواحدة المخففة .

عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة» يقال يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فنزله ثم تعور ما وراءه من الآبار، ثم بنى عليه حوضاً فملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنترب ولا يشربون، فقال رسول الله: «لقد أشرت بالرأى ونفذ ما أشار به الجبابر».

وقد دلل النبي بهذا على تأصل روح الشورى في نفسه الشريفه فيما لم ينزل فيه وحى، وأنه على جلاله قدره، ووفور عقله وبعد نظره لا يستبد برأيه ولا يأنف من الرجوع إلى الحق، كما هو شأن الكثيرين من القادة والزعماء والسياسيين، فإن الواحد منهم قد يودى بأمة في سبيل التثبيت برأى قد يكون خطأ، وما ذلك إلا لأنه نبي يتبع ما يؤمر به وصدق الله «فما رحمه من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر». فاذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين»

ومن المشورات الصائبة مشورة سعد بن معاذ الأوسى فقد قال: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحيينا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد جبالك منهم، ولو ظنوا أنك تلتقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، ويناصحونك ويجاهدون معك، فأثمتي عليه النبي خيراً، ودعا له بخير، ثم بنى للرسول عريش على تل مشرف على ميدان القتال، فكان فيه ومعه صاحبه الصديق يحرسه.

وهذه الفكرة التي أشار بها سعد هي من أدق فنون الحرب، فالقائد ينبغي أن يكون بمنأى عن ميدان القتال، حتى يكون قادراً على التوجيه والإشارة بما يراه من أساليب القتال. وحتى لا يصاب فينفرط باصابعه تنهد الجيش فيكون مآله

الفشل والهزيمة. وقضى الرسول في ذلك العريش ليلته ، ومعه الصديق وأقام سعد ابن معاذ على مدخل العريش بسيفه ، ونام المسلمون نوما عميقا استراحوا فيه من وعناء السفر

تصاف المسلمون : وفي الصباح صف النبي جنوده للقتال صفوفاً متراسة لا خلل فيها ولا اعوجاج ، حسبما أشار إليه القرآن في قوله سبحانه « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (١) »

وارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما رآها رسول الله تنحدر من وراء الكتيب إلى الوادي قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم (٢) الغداة » ووقف الجيشان وجهاً إلى وجه ، فلما رأى رسول الله ﷺ عتبة بن ربيعة في القوم على جبل له أحمر قال : « إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل إن يطبعوه يرشدوا » .

رؤيا الرسول : وكان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه — ليلة اليوم الذي التقى فيه الجيشان — المشركين قليلاً عددهم كمن يجروا عليهم ولا يهابوهم قال سبحانه « إذ يريكم الله في منامك قليلاً ، ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه علم بذات الصدور (٣) »

وكذلك شاء الله أن يقلل المشركين في أعين المسلمين ، ويقلل المسلمين في أعين المشركين كي يتجراً الجيشان ، وتقع الواقعة فيكون النصر والعزرة للمسلمين ، والهزيمة والذلة للمشركين ، والله سبحانه إذا أراد شيئاً مما يجري بين الخلق ، يسر له الأسباب ، ووفر له الدواعي ، قال عز شأنه « وإذ يريكمهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ، ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، وإلى الله ترجع الأمور (٤) » وروى عن ابن مسعود قال : لقد قالوا في أعيننا يوم بدر ، حتى إنى لأقول للرجل إلى جنبى أراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة !

(١) الصف ٤ (٢) الخين يتبع الماء الهلاك أى أن أهلكتهم وأمتهم. (٤،٣) الأفعال

وكان ذلك عند ما تراءى الفريقان ، فلما ابحم الجيشان ، وأمد الله المسلمين بالملائكة تعينهم وتثبت قلوبهم ، وتلقى الرعب في قلوب أعدائهم ، وتكثر عددهم وآهم المنركون مثلهم ، وعلى هذا ينزل قول الحق تبارك وتعالى : « لقد كان لكم آية في فتنين النقتا ، فئمة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثلهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعلبة لأولى الأبصار (١) فإن المعنى على أصح القولين أن الفئمة الكافرة رأت الفئمة المؤمنة مثل عدو الكافرة على الصحيح أيضا (٢)

تخاذل في صفوف المنركين : لما نزلت قريش منازل القتال بعثوا عمير ابن وهب الجمحي فقالوا له : احرز — قدر — لنا أصحاب محمد فاستجاله بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم فقال : ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أهلونى حتى أنظر اللقوم كمين أو مدد ؟ فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم . فقال : ما رأيت شيئا ، ولكن قد رأيت — يامعشر قريش — البلياء تحمل المنايا . نواضح يثرب تحمل الموت النقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجله منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فإخبر العيش بعد ذلك فروا رأيكم (٣) .

« فشل المساعى لعدم الحرب »

ثم سعى بعض العقلاء فى الحيلولة بين قريش والحرب ، فقد مثنى حكيم بن خزام إلى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع الناس وتحمل أمر حليفك عمر بن الحضرمى ، قال : قد فعلت . هو حليفى على عقله — ديتة — وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنفلية

(١) آل عمران ١٣ (٢) أنوار تفسير ابن كثير والبغوى ج ٤ ص ٧٣ وتفسير

الكلوسى ج ٣ ص ٩٦ (٣) فروا : أمر من رأى وصل بواو الجماعة

— أبا جهل — فإني لا أخشى أن يحبس أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيبا فقال : يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بان تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا واخلوا بين محمد وبين سائر العرب فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك لم تتعرض منه لما تكرهون ، فانطلق حكيم إلى أبي جهل فأرغى وأزبد ، واتهم عتبة بالجبن والخوف على ابنه أبي حذيفة الذي كان في صفوف المسلمين وأوعز إلى تامر الحضرمي أن ينشد مقتل أخيه ، فقام عامر مكتشفا وصرخ : واعمرأه ، واعمرأه ، فانتصر الشر على محاولات الخير ، ولم يعد من الحرب مفر

مخاطرة من بعض المشركين : وقبل أن تقوم الحرب خرج من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي وقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهد منه ، أو لأموتن دونه ، وتقدم نحو الحوض فعاجله أسد الله حمزة بضربة قطبها نصف ساقه فوقع على الأرض وصار يزحف نحو الحوض لبرار القسمة حتى اقتحمه ، فنتى عليه سيدنا حمزة بضربة أخرى قضت عليه ، وحينئذ ثار الدم في العروق ، وأهاج منظر الدم النفوس وأوشكت رحي الحرب أن تدور ، ووقف رسول الله بين أصحابه ينفخ فيهم من روحه ، ويشحذ عزائمهم بصدق إيمانه وسحر بيانه فكان مما قال : « وإن الصبر في مواطن الباس مما يفرج الله به الهم ، وينجي به من الهم »

ابتداء الحرب بالمبارزة : وابتدأت الحرب بالمبارزة فخرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة ، فخرج إليهم فتية ثلاثة من الأنصار فقالوا من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار<sup>(١)</sup> ، فقالوا : أكفاء كرام ولكن اخرجوا إلينا أكفاءنا من بني عمنا ، وذكر بعض محقق كتاب السيرة<sup>(٢)</sup> أن نفر من الأنصار لما خرجوا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ذلك ، لأنه أول موقف واجه فيه الرسول أعداءه ، فأحب أن يكون أولئك من

(١) هم : عرف ، ومعوذ ابنا المحدث ، وعبد الله بن رواحة الأنصارين

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٣

أهله وذوى قرباه ، فأمر الأنصار بالرجوع وقال : « قم يا عبدة بن الحارث و قم يا حمزة ، و قم يا علي (١) » فبارز عبدة — وكان أسن الثلاثة — عتبة ؛ و بارز حمزة شيبه ، و بارز علي الوليد بن عتبة ، فأما حمزة و علي فقتل كل منهما صاحبه ، و أما عبدة و عتبة فاختلفا بضربتين كلاهما أصاب الآخر ، فمكر حمزة و علي فأجهزا علي عتبة ، و احتملا صاحبها و جاء به إلى الرسول الله فأفرشه قدمه ، فوضع خده عليهما و قد طاب نفسا بذلك ، ثم قال : يا رسول الله وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أنا أحق منه بقوله :

و نسامه حتى نصرع حوله و نذهل عن ابنائنا و الحلائل (٢)

ثم لم يلبث عبدة أن توفي بعد من جراحته فقال رسول الله : « أشهد أنك شهيد » . و في شأن هذين الفريقين المتبارزين نزل قوله تعالى : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » رواه البخاري و مسلم .

تعديل الرسول صفوف الجيش : و بعد المبارزة رجع رسول الله ﷺ إلى جيش المساميين يعدل من صفوفه بقضيب في يده فمر بسواد بن غزيرة (٣) حليف بني النجار ، و هو خارج عن الصف ، فطعن في بطنه بالقضيب و قال : « استقم

(١) عبدة هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، و قد أخطأ قلم بعض كتاب السيرة فظن أنه عبدة ، بن الحارث بن عبد المطلب . مثل المرحوم الشيخ الحضري في « نور اليقين » و علي هذا فيكون المتبارزون اثنين من بني هاشم و واحدا من أبناء عمومتهم و بنو هاشم و المطلب سواء في الجاهلية و الاسلام كما قال الرسول الكريم .

(٢) من قصيدة أبي طالب اللامية المشهورة التي يقسم فيها أن لا يسلم لهم رسول الله أبدا حتى يموتوا دونه . و الحلائل . الزوجات و قبل هذا البيت

كذبت و بيت الله نبزى محمدا  
 نبزى : نساه و نقلب عليه و الاسكلام علي حذف « لا » أي لا نبزى و لا نسله و في رابة  
 « لا يبزى محمد » بالرغم .

(٣) سواد بتخفيف الواو ، غزيرة ككنية

ياسواد » فقال : يارسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني —  
يعني مكنتني من نفسك حتى أقتص — فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه راضيا  
وقال : « استقد ياسواد » فاعتنقه سواد وقبل بطنه ! فقال النبي : « وما حملك  
على هذا ياسواد » : قال : يارسول الله حضر ما ترى يعني موطن الشهادة —  
فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له  
الرسول بخير !!

وإن لنا هنا لوقفه ترينا كيف يبلغ السمو للنفس والخلق بصاحبه ، وترينا  
كيف قبل النبي على جلالته عن طيب خاطر أن يقص أحد المساهمين من نفسه ،  
وهو غاية ما يطمع فيه من عدل في هذه الحياة ، وترينا أيضا كيف بلغ حب  
هؤلاء الصحابة للرسول وتكريمه وتقديسه في نفوسهم ، قداسة لا تخل بدين  
ولا عقيدة ، فهذا سواد ، وقد حضر موطن الشهادة يريد أن يحظى بهسة من جسد  
الرسول ؛ لأنه يرى فيها ثلج الصدر ، وطماينة القلب وغذاء الروح !!

وصاة النبي للمساهمين . وتزاحف الناس من الفئتين ، ودنا بعضهم من بعض ،  
وأخذت جموع المشركين الفقيرة تنحدر نحو معسكر المساهمين ، والمساهمون ثابتون  
في مكانهم ، وذلك عملا بنصيحة الرسول ﷺ فقد قال لهم : « لا تحملوا حتى  
آمركم ، وإن اكتشفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم »  
وقد بلغ النبي الغاية في السياسة الحربية بهذه الخطة الحكيمة ، إذ أن معسكر  
المساهمين يكاد يكون خلوا من الحيل التي لا بد من وجودها في الهجوم ،  
هذا إلى قلة عددهم وكثرة عدد عدوهم ، فكان لا بد من اتباع خطة الدفاع  
بدل الهجوم .

إشفاق ودعاء : وعاد رسول الله ﷺ إلى العريش ومعه صاحبه الصديق ،  
وسعد بن معاذ على باب العريش شاهرا سيفه ، وكان رسول الله أشد ما يكون  
إشفاقا على المساهمين وهم قليل ، وأخوف ما يكون من مصير هذا اليوم الذي له  
ما بعده ، واتجه النبي بقلبه وصدق إخلاصه إلى ربه ، مناشدا إياه ما وعده ،



ومستزلا النصر والمدد لأصحابه قائلا : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، فلا تعبد بعد في الأرض أبدا ، وما زال يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه ، فأخذه أبو بكر فردة على منكبيه ثم قال : يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك .

وأخذت النبي سنة وهو في العريش ثم اتبته فقال : « أبشر يا أبا بكر فقد أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على تناباه النقع » وصدق الله حيث يقول : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، .

#### التحريض على القتل :

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى صفوف المسلمين يحرضهم على القتال ، ويعدم بالخلود في جنات النعيم بمثل قوله : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلًا فله سلبه » (١) وقوله : « قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض » فسمع ذلك عمير بن الحمام الأنصاري (٢) فقال : يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ! قال : ( نعم ) قال : بنح بنح (٣) !! فقال له رسول الله : « ما يحملك على قول : بنح بنح ؟ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال : [ فانك من أهلها ] وكان معه تمرات في يده يأكل منهن ، فقال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة !! فرمى بما بقي معه ثم قاتل وهو يتول :

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد  
والعبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاذ  
غير التقى والبر والرشاد

(١) السلبة بفتح السين واللام ما على المقاتل من سلاح وثياب وقيل من سلاح  
(٢) عمير : بالتصغير ، الحمام : بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم (٣) كلمة رضا واستحسان  
(٤) الإصابة في تاريخ الصحابة ص ٣١

وما زال يقاتل حتى قتل شهيدا رضى الله عنه وارضاه .

وقال عوف بن الحارث وهو ابن عفراء : يارسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال غمسة يده — أى سيفه — فى العدل حاسراً ، فترعادرعا كانت عليه فقتلها ، وصار يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه وأرضاه .

## ( القوى الروحية تفوق القوى المادية )

وأخذ رسول الله كفا من الخصاص يده ، ثم خرج واستقبل القوم فقال : « شأهت الوجود ، ثم رماعمبها وقال لأصحابه شدوا فشدوا .

والنحم الجيشان ، واشتد القتال ، وحى الوطيس ، وتعانقت السيوف ، وتخطبت الأسنان بدل الألسنة ، وتوالت الإمدادات الإلهية بجند الله من الملائكة تثبت قلوب المؤمنين ، وتزف لهم البشرى ، وتلقى الرعب فى قلوب المشركين ، وتشارك فى القتال أحيانا وصدق الله « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » (١) .

وأظهر المسلمون بطولات فائقة وعرفوا الدنيا أن القوى الروحية لاتقهرها القوى المادية ، وأن النفس البشرية إذا امتلأت بالإيمان وحب الشهادة تضاءلت أمامها شم الجبال الراسيات ، فما بالك بالنفوس الخاويات ، والقلوب الفارغات ؟ وأن الله القوى القاهر يمد عباده المؤمنين بنصر من عنده إذا صدقوا الإيمان ، وأخلصوا له فى الجهاد واتصروا على شهواتهم وأنفسهم واتقوا الله حق تقواه ، وكان شعار المسلمين يوم بدر « أحد . أحد . وماهى

إلا ساعة حتى انجحت المعركة عن نصر حاسم للمسلمين ، وهزيمة منكزة للمشركين ، فقتل سبعون من صناديدهم ، وأسر سبعون ، ومن أفلت من القتل أو الأسر سارع إلى الهرب وقال : النجاء النجاء ! ولم تزد خسارة المسلمين يومئذ عن أربعة عشر شهيداً : منهم ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار . ولا عجب فقد كان يد الله فوق أيديهم ، وقوته معهم ، وكأنا كانت الحصى التي رمى بها الرسول سهاما ، صائبة ونازلاً محرقة ، وصدق الله « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (١) (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) (٢) « ولقد نصركم الله بيدرو أنتم أذلة فأتقوا الله لعلكم تشكرون » (٣) .

وكان هذا النصر المبين في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان يوم الفرقان الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، وهو يوافق اليوم الذي ابتدأ الله فيه نزول القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعبد في غار حراء ، وبين التاريخين أربع عشرة سنة قمرية ، بدئت بالقرآن ، وتوجت بيوم الفرقان .

مشاركة الرسول في القتال : ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء ، والتحريرض على الجهاد ، فقد شارك في القتال ، روى الإمام أحمد بسنده عن علي قال : « لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً » وروى البخارى بسنده عن ابن عباس أن رسول الله خرج من العريش يوم بدر ، وهو يثب في الدرع ويقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل للساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر) وهذه الآية مكبة قطعاً ، ولكن وقع مصداقها يوم بدر ، وهذا مما سبق نزوله معناه ، ولما نزلت

(١) الأنفال ١٧ .

(٢) الأنفال ١٠ .

(٣) آل عمران ١٦٣ .

الآية بمكة قال عمر : أى جمع هذا ؟ ! فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدروع وهو يقول : ( سيهزم الجمع ويولون الدبر ... ) فعرفت تأويلها يومئذ<sup>(١)</sup> .

الصديق والقتال : وكان الصديق فى بدر ملازماً للرسول فى العريش وخارجه ، ويده السيف يذب به عنه . روى عن على رضى الله عنه أنه خطب ذات يوم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين فقال : إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن هو أبو بكر . إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله لثلاً يهوى إليه أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله لا يهوى إليه أحد من المشركين إلا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس ، ثم قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يحاده ، وهذا يتلته ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلها واحداً ؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر ، يضرب هذا ، ويجاهد هذا ، وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ، ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله أو مؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم فقال على : والله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون : ذلك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه<sup>(٢)</sup> .

### « إمداد الله المسلمين بالملائكة يوم بدر »

اتفق للعلماء قاطبة على إمداد الله سبحانه للمسلمين يوم بدر بالملائكة وذلك لقوله سبحانه ( إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من

(١) لأنفان ج ١ ص ٣٦

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١

الملائكة مردفين ، إلى قوله « إن الله عزيز حكيم »<sup>(١)</sup> وقوله : إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ... — إلى قوله — أو يكتبهم فينقلبوا خائبين<sup>(٢)</sup>. وقد حصل هذا الإمداد على مرات بألف أولاً ، ثم بثلاثة آلاف ، بخمسة آلاف ، وبذلك تكمل الآيات بعضها بعضاً .

ولكنهم اختلفوا ، أحصل قتال من الملائكة أم لا ؟ فذهب الكثيرون إلى حصول القتال فضلاً عن البئسرى والتنبيت بالقاء الحواطر الحسنة في قلوب المساميين وذلك لقوله سبحانه « إن يوحى ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » واستدلوا أيضاً بالأحاديث والآثار الواردة في هذا ، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال . ( بينا رجل من المساميين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم — إسم فرس هذا الملك — فنظر إلى المنرك أمامه ففخر مستاقياً فنظر إليه فاذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك أجمع فجاء الانصاري ، فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ( صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ، )

وروى ابن إسحاق عن ابن عباس قال ( لم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر وكانوا يكونون عدداً ومدداً لا يضربون<sup>(٣)</sup> ) وابن عباس وإن لم يكن حضر الواقعة يومئذ لصغره وعدم هجرته فلا بد أن يكون سمع ذلك من رسول الله فيما بعد ، أو من مشيخة المهاجرين والانصار

وذهب بعض العلماء إلى أن الملائكة لم تقاتل يوم بدر وإنما كانت عوناً ومدداً

(١) الانفال ٩ ، ١٠

(٢) آل عمران ١٢٤ — ١٢٧

(٣) صحيح مسلم : شرح نووي ج ٤ ص ٨٥

تثبت القلوب وتبشر بالنصر وتكثر العدد واستدلوا بقوله سبحانه ( وما جعله الله الا بشئى ولنطمئن به قلوبكم ) (١) وقوله « وما جعله الله الا بشئى لم ولنطمئن قلوبكم به » (٢) فقد ذكر الله هاتين الآيتين بعد آيات الإمداد وقالوا: إن الخطاب فى قوله سبحانه « فاضربوا فوق الاعناق .. » إنما هو حكاية لما أمر الله الملائكة أن يلقوه إلى المساهين يوم بدر (٣) .

والذى نراه — والله أعلم — أن الإمداد بالملائكة حصل قطعاً لتكثير العدد وتثبيت القلوب وإلقاء البشئى وأن بعضهم قاتل لأكلهم ، وأن الجهد الأكبر فى القتال إنما هو للمساهين ، وبذلك لا نكون تعسفنا فى التأويل ، وخرجنا عن ظواهر بعض الآيات بغير داع ، ولا نرد الاحاديث الصحيحة الدالة على حصول قتال من بعض الملائكة . والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وقد يقول قائل : إن صيحة من جبريل أو انتفاضة منه كانت تكفى للقضاء على قريش وإبادتها فى لحظة عين ، فلم كل هؤلاء الملائكة ؟

وجوابنا عن ذلك أن الله جرت سنته مع الأمة المحمدية أن لا يأخذها بما أخذ به الأمم السابقة من عموم العذاب والاستئصال ، وترك إهلاكهم للسنة العادية التى أجراها الله فى عباده بدفع الكافرين بالمؤمنين ، والمبطلين بأهل الحق ، والظالمين بالعادلين ، فأراد الله سبحانه أن يكون هلاك الكفار بأيدي المؤمنين ، ليكون ذلك أنكى لقريش ، وأذل لها ، واشقى لنفوس المؤمنين ، وفى الوقت ذاته أمدهم بالملائكة ، تثبت وتؤيد ، وتبشر ، وتخوف ، وتكثر العدد ، ولا حرج أن يشارك البعض فى القتال كما ذكرنا ، وقد اشار الحق إلى هذه الحكمة فى قوله : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويغزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم » إلى قوله « والله خير بما تعملون » (٤) .

(١) الأنفال .

(٢) آل عمران ١٢٦

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٩ — ٢٨١

(٤) التوبة ١٤ — ١٦ أنظر تفسير ابن كثير والبغوى ج ٠ ص ١٩ ، ٢٤ .

## « وصاة النبي ببعض القرشيين »

لما حرض النبي المؤمنين على القتال ، واستحث عزائمهم ، لم ينس وصيته بأناس خرجوا مكرهين إلى القتال بحكم العصبية الجاهلية ، وكانت لهم مواقف مشكورة في منع النبي وحايته ، أو مساع حميدة في رد الظلم والطغيان فقال لأصحابه يومئذ « إني قد عرفت رجالا من بني هاشم وشيبرهم قد أخرجوا مكرهين لاحاجة لهم بقتالنا ، فن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أباالبختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكراًها » .

ولا تحسبن أن الرسول بهذه الوصاة أراد أن يحابي أهله وذوى قرباه ، فقد كانت نفسة الشريفة أسمى من ذلك وأرفع ، وإنما ذكر لبني هاشم منعهم له ثلاثة عشر عاماً ، وانحيازهم لأجله في الشعب ثلاثة أعوام حتى جهدوا وأكلوا ورق الشجر ، وذكر لعنه العباس موقفة المشرك في بيعة العقبة الثانية وقوله للأتصار: إن مجدداً لا يزال في عزة ومنعة من قومه ، وذكر لأبي البختري أنه كان له ضلع كبير في نقض الصحيفة الظالمة ، وهي حسنات لا ينساها الإسلام قط ، وقد كان من خلق رسول الله أن يرد الجميل بخير منه وليس أدل على ذلك من أن أباالبختري ليس من بني هاشم ، ولا تربطه بالنبي قرابة قريبة ، وإنما هو السمسو الخلقى والإنسانى .

وفي ثورة من الحمية والغضب بدرت بادرة من رجل من خيار المسلمين وهو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة فقال : « أقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وترك العباس ؟ والله لئن لقيته لألحقنه (١) بالسيف » فبلغت مقاتله رسول الله فقال لعمر : « يا أبا حفص أضرب وجه عم رسول الله بالسيف » فقال عمر يا رسول الله دعنى فلا أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، ولكن الرسول أبى وغفر له ما بدر بحسن نية وصدق وإيمان .

(١) أى لأضرته بالسيف .

ولقد بقيت الكلمة التي قالها أبو حذيفة شبيحا مخيفاً يترأى له أمام عينيه يعلق عليه راحته النفسية ، وطماً نينته القلبية كلما ذكرها ، حتى لقد كان يرى أن لا مكفر لها إلا الشهادة في سبيل الله فكان يقول : ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة وقد قتل يوم اليامة شهيدا فرضى الله عنه وأرضاه .

## مثل عليا للإيمان

من المثل الإيمانية الرائعة في غزوة بدر ما حدث من بعض المسلمين ، فقد التقي المسلم الصادق أبو عبيدة بالأب الممترك عبد الله بن الجراح ، وقد كان الأب يتصدى لابنه يريد قتله ، وابنه يحيد عنه رعاية لحق الأبوة ، ولكن الأب ما زال يتصدى للابن يريد قتله ، فلم يكن بد لأبي عبيدة من قتله .

وفيها دعا الصديق أبو بكر ابنه عبد الرحمن إلى المبارزة وقال: دعني يارسول أكن في الرعدة<sup>(١)</sup> الأولى فقال له النبي ﷺ : « متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر » . وفيها قتل الفاروق عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة ، وقتل حمزة وعلى أبناء عمومتهم من قريش<sup>(٢)</sup> وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير<sup>(٣)</sup> .

وهكذا ضرب المسلمون في بدر مثلاً عليا لصدق الإيمان . وأنهم آثروا رضاء الله ورسوله على حب الوالد والولد والأهل والعشيرة ، فلا تعجب إذا كان الله سبحانه أشاد بهذه المواقف الصادقة وأمثالها في قوله سبحانه » لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو

(١) في التاموس : « والرعدة - بفتح الراء - .. القطعة من الميل كالرعييل أو مقدمتها أي في مقدمة المجاهدين والمستشهرين »

(٢) تفسير الألويسي ٢٨ من ٣٧ .

(٣) تفسير القرظي ج ١٧ من ٣٠٧ .



كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح من منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون (١)

## قتلى المشركين

لقد قتل في بدر من صناديد قريش وأشرفهم مايربوع على السبعين منهم عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبه ، وابنه الوليد ، وأبو جهل بن هشام قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ (٢) ابن عفراء فتيان من الأنصار (٣) ، ثم أدركه عبدالله ابن مسعود وبه رمق ، فوضع رجله على عنقه فقال أبو جهل له : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعي الغنم ، فاجتزأ ابن مسعود رأسه وجاء به إلى رسول الله ، وأميه بن خلف وكان هو الذي يعذب بلالا على الإسلام فلما رآه بلال قال : رأس الكفر أميه بن خلف لا نجوت إن نجا ، وكان أميه وابنه قد وقعا أسيرين في يد عبد الرحمن بن عوف فدرأ بلالا عنهما فقال بلال لا نجوت إن نجا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أميه بن خلف لا نجوت إن نجا فأحاطوا به وبابنه حتى قتلوهما ، والعاص بن هشام بن المغيرة ، وعبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة ، وحظلة بن أبي سفيان ، ونوفل بن خويلد الأسدي ، وأبو البختری بن هشام ، وكان رسول الله قد أوصى المسلمين به خيرا كما أسلفنا ولكنه أبى إلا أن يترك هو وزميل له فقالوا له : ما أمرنا رسول الله إلا بك بوحدك قال . لا والله إذا لأموتن أنا وهو جميعاً ، وغيرهم كثير .

## « موقف إنسانى للرسول »

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التي

(١) المحادثة ٢٢ (٢) يضم الليم وفتح العين وكسر الواو المشددة ، وقيل : د قنتح وعفراء ؛ أمه (٣) وقيل اشترك في قتله معاذ ، ومعوذ ابنا عفراء ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، أنظر صحيح البخارى وكتاب فرض الخمس - باب من قتل قتيلاً فله سلبه ، وكتاب المغازى - باب قتل أبي جهل) وفتح البارى في الموضعين

كانوا بها إلى قلب (١) بيدر ، وقد كان من سنة رسول الله ﷺ في مغازيه إذا مر بجيفة إنسان أمر بها فدقت لا يسأل عن صاحبها مؤمنا أم كافرا (٢) ، وهو موقف إنساني كريم لا يفعله إلا أولو العزم من الرسل ، فطالما أهانوه ، وسبوه وأذاقوه وأصحابه العذاب ألوانا ، وهم الذين أخرجهم من ديارهم وأهلهم وأموالهم ، ولكنها إنسانية الإسلام تعلق عن الأحقاد والانتقام ، ولما طرحوهم ولم يبق إلا أمية بن خلف ، وقد كان رجلا بدينا فانتفخ في درعه فلاها فذهبوا ليخرجوه فترايل لحمه ، فأقروه وحفروا له وألقوا عليه التراب حتى واره . ولما مروا بعتبة بن ربيعة ليلقوه في القلب وكان ابنه أبو حذيفة حاضرا نظر رسول الله ﷺ في وجه ابنه فإذا هو كئيب قد تغير لونه فقال : « يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أهلك شيء » ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت مآثرت عليه من الكفر ، بعد الذي كنت أرجو له أحزنتني ذلك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له : خيرا

## البشرى بالنصر

ولما تم النصر أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مبشرين قبل مقدمه المدينة : عبد الله بن رواحه لأهل العالية (٣) ، وزيد بن حارثة لأهل المدينة راكبا على ناقه رسول الله ، فدخلا وهما يرفعان عقيرتهما إعلاما بالنصر للمسلمين ، والقتل والهزيمة للمشركين فتلقاهم الرجال والصبيان والولائد ، وطافوا بالمدينة وضواحيها يهللون ويكبرون الله على هذا النصر العظيم .

(١) القلب البئر التي لم تعلق أي لم يمين جوانبها بالطوب فانهارت

(٢) رواه الدارقطني في سنته

(٣) العالية قرى ظاهر المدينة ومنها قبا .

وكان اليهود والمنافقون قد أرحفوا بالمدينة ، وزعموا أن النبي قد قتل وأن المسلمين هزموا ، فلما جاء المبشران شرقوا بريقتهم ، ورأوا أنهم قد ذلوا وهانوا حتى قال أحد زعماء اليهود : بطن الأرض اليوم خير من ظهرها بعد أن أصيب أشرف الناس وساداتهم ، وملوك العرب وأهل الحرم الآمن .

وقد جاءت البشرى والمسلمون منصرفون من دفن السيدة رقية بنت النبي ﷺ ، وكان تركها مريضة لما خرج لبدر ، وخلف معها زوجها عثمان ، فخفف من هول المصاب ما من الله به على المسلمين من نصر مؤزر وقد ضرب النبي ﷺ بهذا مثلا لإيثار مصلحة الإسلام والمسلمين على الأهل والولد .

## ( الاختلاف على غنائم بدر وقسمتها )

لما أراد المسلمون أن يقسموا الغنائم التي غنموها في بدر اختلفوا . فقال الشباب الذين خرجوا يتعقبون الكفار : نحن الذين نفينا عنها العدو ، ولولانا لما أصبتموها ، وقال الرجال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ ونافحوا دونه : نحن خفنا على رسول الله أن يصيب منه العدو غرة ، فاشتغلنا به عن جمع الغنائم ، وقال الذين جمعوا الغنائم : نحن الذين استحوذنا عليها وليس لأحد فيها نصيب ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجميع الغنائم حتى يحكم الله حكمه فيها فأنزله سبحانه قوله : « يسألونك عن الأنفال قل : الأنفال لله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » (١)

وقد ذهب بعض كتاب السيرة كابن اسحاق وبعض العلماء كأبي عبيد القاسم بن سلام إلى أن النبي ﷺ قسمها بين المجاهدين بالبواء يعنى بالسواء . ولم يخصصها ، وهؤلاء يرون أن هذا الحكم كان في مبدأ الأمر ثم نسخ فيما بعد بقوله سبحانه : « واعلموا أننا غنمتم من شيء فأن لله خمسة ، وللرسول ولذي

القربى ، واليتامى والمساكين وابن السبيل... الآية (١)

وزهب كثير من العلماء من المحدثين وغيرهم أن رسول الله ﷺ خمسها ، فأخذ الخمس لنفسه ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقسم أربعة الأخماس الباقية بين المجاهدين ، ويرى هؤلاء أن سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها فى غزوة بدر وقصتها، وهو يقتضى أنها نزلت كلها جملة واحدة فى وقت واحد غير متأخر بعضها عن بعض حتى يقال بالنسخ ، قال ابن كثير فى بدايته : « وهو قول البخارى وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح » وقال هؤلاء : إن ماورد فى رواية ابن اسحاق من أن الغنائم قسمت بالبواء أى ساوى فيها للنبي بين الذين جمعوها وبين الذين ثبتوا تحت الرايات مع الرسول لم يخص بها فريقاً دون الآخر ، ولا ينفى هذا تخميسها وصرف الخمس فى مواضعه ، ويشهد لهم أيضاً ما رواه البخارى فى صحيحه من قصة الشارفين (٢) اللذين كانا على رضى الله تعالى عنه فجب حمزة — رضى الله عنه — أسنمتها ، وجر بطنها ، وهو نمل وذلك قبل أن تحرم الحمر ، ففيها أن أحدهما كان من نصيبه فى غنائم بدر ، والآخر كان من الخمس الذى أفاء الله به على رسوله من بدر (٣) ، ومهما يكن من شئ فقد حسم الله الخلاف ، وبذلك زال الانقسام ، وحل الوثام وعاد الصفاء .

وقد أسهم النبي لبعض من لم يحضر الموقعة لعذر ، وهم أبو لبابة الأنصارى لأنه كان مخلصاً على أهل المدينة ، وعاصم بن عدى لأنه خلفه الرسول على أهل قباء والعالية ، والحارث بن حاطب لأن الرسول خلفه على بنى عمرو ابن عوف ، والحارث بن الصمة ، وأخوات بن جبير لأنهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنوا من السير ، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لأنهما أرسلتا

(١) الأنفال ٤١ — (٢) الشارف : النافه المنه (٣) البداية والنهاية ج ٣ ص

يتجسسان الأخبار فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب ، وعثمان بن عفان لأن رسول الله كان خلفه على السيدة رقية ليمرضها .

وكذلك أسهم الرسول لمن استشهد بيذر ، فأعطى ذلك لورثتهم وهم أربعة عشر مسلماً : ستة من المهاجرين منهم عبيدة بن الحارث الذي جرح في المبارزة الأولى ، ثم مات عند رجوع المسلمين من بدر ودفن « بالصفراء » .  
وثمانية من الأنصار . وما فعله النبي هو غاية العدل والإنصاف ، وقد سبق به إلى رعاية أسر الشهداء وذوهم وضمان عيشة كريمة لهم بعد وفاة عائلتهم قبله .  
أن يعرف العالم الحديث ذلك .

### ( الأوبة إلى المدينة )

ثم قفل المسلمون إلى المدينة شاكرين الله وحامدين ، لا يزهيمهم النصر ، ولا يبطرهم الغلب ، وقد سبقتهم البشرى بالنصر إلى المدينة وما جاورها ، وكان مع رسول الله الأسرى ، وكانوا نحواً من السبعين ، وفي الطريق تحت سرحة عظيمة بالقرب من « الصفراء » قدم رسول الله الغنائم بين المسلمين على حسب ما أراه الله ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفونه ومن معه من المسلمين بالفتح العظيم ، والنصر المبين ، ودخل الجيش المنصور المدينة بين تهليل المهلبين ، وتكبير المكبرين ، وضرب الولايت بالدفوف . وترديد أهازيج النصر .

### ( وصاة النبي بالأسرى )

وصل الرسول المدينة قبل قدوم الأسارى بيوم ، وكان قد فرقهم بين أصحابه وقال : ( استوصوا بهم خيراً ) وهذا غاية الرحمة والإنسانية حيث أوصى بأناس طالما عذبوه وأصحابه ، وحاولوا فتنهم تن دينهم ، وقد نفذ الصحابة وصية رسول الله بأمانة ، وكانوا سمحاء كرماء معهم ، فهذا أبو

عزير بن عمير أخو مصعب بن عمير يقول : كنت في رهط الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا شذاءهم وشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر ، لو صية رسول الله ﷺ يا هم بنا ، ماتقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا انفجني بها ، فأستحي فأردها فيردتها علي ما عسها .

وكان أبو عزير هذا صاحب لواء المنركين يبدر بعد النصر بن الحارث وكان قد مر به أخوه مصعب ورجل من المسلمين فأسروه فقال له : شديدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، فقال له أبو عزير : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب : إنه أخي دوتك فسالت أمه عن أغلى ما قدي به قرشي فقبل لها أربعة آلاف درهم فبعثت بها فداء له ، وكان أخا شقيقاً لمصعب وقد أسلم أبو عزير بعد وحسن إسلامه ، وروى الحديث (١) .

ولما قدما المسلمون بالأسارى كانت السيدة سودة بنت زمعة زوج النبي عند آل عفرأ في مناحتهم على عوف ومعوذا بنى عفرأ وهما من شهداء بدر وذلك قبل أن ضرب الحجاب فلما أخبرت بقدم الأسارى رجعت إلى بيتها ورسول الله فيه فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو (٢) مجموعة يدها إلى عنقه بجبل فما ملكت نفسها حين راته كذلك أن قالت : أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم إلا تم كراماً؟! قالت فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله من البيت «ياسودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين»؟! فقالت : والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي أن رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه أن قلت ما قلت ، فقبل النبي اعتذارها

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ٧٨ الإجابة ص ١٣٣

(٢) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود — ابن عم والد السيدة سودة ،

وهو زمعة بن نيس بن عبد شمس بن عبد ود

## ( قتل أسيرين )

وبينا كان النبي والمسلمون في طريقهم إلى المدينة أمر بقتل أسيرين : أحدهما النضر بن الحارث ، والثاني عقبة بن أبي معيط وكانا من شرعباد الله ، وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وإيذاءً للنبي والمسلمين ، وهجاءً للإسلام وأهله ، ولم يأمر النبي بقتل أحد من الأسرى غيرهما .

ذلك أنه لما بلغ النبي في مرجعه « الصفراء » عرض عليه الأسرى ، فنظر النبي ﷺ إلى النضر نظرة رأى فيها الموت ، فلما رأى ذلك قال لمصعب بن عمير — وكان أقرب من هناك به رحماً — . كالم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابه فهو والله قاتلي ، إن لم تفعل فقال مصعب : إنك كنت تقول في كتاب الله وفي نبيه كذا وكذا ، وكنت تعذب أصحابه ، فقال النضر : لو أسرتك قريش ما قتلتك أبداً وأنا حي قال مصعب : والله إنني لأراك صادقاً ، ثم إنني لست مثلك فقد قطع الإسلام العهود ! ! وكان النضر أسير المقداد بن الأسود وكان يطمع أن ينال في فدائه مالا كثيراً ، فلما هموا بقتله صاح . النضر أسيري فقال النبي لعلي بن أبي طالب : اضرب عنقه ، والاهم أغن المقداد من فضلك .

أما عقبة بن أبي معيط فقد قتل « بعرق الظبية » ولما أمر النبي بقتله قال : فبن للصبية يا محمد ؟ قال « النار » ثم قال : أتقتلني من بين قريش ؟ فقال النبي « نعم » ثم التفت إلى أصحابه وقال « أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجلي على عنقي ، ونغم زهافاً رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران (١) . وجاء مرة بسلا (٢) شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت قاطمة ففسدته عن رأسي » وهذه القصة الثانية رواها البخاري ومسلم ، فقد كان النبي

(١) ستخرجان من مكانها .

(٢) الكيس الذي يكون فيه البنين في بطن أمه « المشيمة » .

يصلى عند الكعبة ورؤساء الشرك جالسون فقالوا من يذهب إلى سلا جذور:  
 بنى فلان فيأتي به فإذا سجد سجد وضعه على ظهره؛ فقال عقبه هذا: أنا، فذهب  
 وجاء به ومعه فرث (١) ودم فوضعه على ظهر النبي ورأسه فصاروا يتضحكون،  
 ومكث النبي على هذا خشية أن يقوم فيقع في المسجد الحرام فيقذره، حتى انطلق  
 أحد الناس فأخبر ابنته فاطمة، وكانت صغيرة السن فجاءت، ونحت القدر عن  
 أيها. وقلبها يكاد يتفطر مما رأت وعيناها مغرورقتان بالدموع، ثم التفتت إلى  
 القوم، فسبتهن، ووبختهن على هذا العمل، وقد قتله على بن أبي طالب، وقيل:  
 عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح.

ولما قتل النضر بن الحارث رثته أخته قتيلة بنت الحارث وكان مما قالت:  
 أمجد يا خير صنء (٢) كريمة من قومها والفعل (٣) فحل معرق  
 ما كان شرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق  
 والنضر أقرب من أسرت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق

قال ابن هشام: يقال أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغني هذا  
 قبل قتله لمننت عليه» (٤) «ولبس هذا بعجيب من الرؤوف الرحيم الذي وسع  
 خلقه الناس جميعا: عسنتهم ومسيئتهم أما باقي الأسارى فلم يكن الرسول وأصحابه  
 قد اتفقوا على رأى بالنسبة إليهم أ يقتلون أم يفادون؟»

## (أسارى بدر)

ولما استقر المقام للمسلمين بالمدينة بعد بدر استشار النبي أصحابه فيما يصنعون  
 بالأسارى فقال الصديق أبو بكر — وكان رحيما رقيقاً — يا رسول الله قومك  
 وأهلك، وإني أرى أن تأخذ منهم الفداء، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار

(١) الفرث. ما يكون في الكرش من قدر.

(٢) الصنء. بنتح الضاد وكسرهما: الولد.

(٣) تريد الأب، أى انه كريم الأبوين.

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٥.



وعسى أن يهديهم الله فيكونون لنا عضدا ، فقال رسول الله ماترى يا بن الخطاب؟ فقال عمر — وكان صلباً في الحق شديداً — والله . ما أرى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تمكنتى من فلان — قريب لعمر — فأضرب عنقه وتمكن علياً من أخيه عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم ، وأئمتهم ، وقادتهم .

وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله أنظر واديا كثير الخطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً ، ومكث ساعة ثم خرج والصحابة ما بين قائل برأى أبى بكر ، وقائل برأى عمر ، وقائل برأى ابن رواحة فقال : « إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثلى إبراهيم قال : « فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم » وكمثلى عيسى قال : إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » ، وإن مثلك يا عمر كمثلى نوح قال « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » وكمثلى موسى قال : « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » أتم اليوم عالة<sup>(١)</sup> فلا يفلتن أحد ، إلا بفداء أو ضربة عنق .

فقال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء فأنى قد سمعته يذكر الإسلام فسكت النبي قال عبد الله : فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال النبي : « إلا سهيل بن بيضاء » فسرى عنه وهكذا رجح النبي صلى الله عليه وسلم رأى الصديق لما جبل عليه قلبه من الرأفة والرحمة ولما فيه من التخلق بصفة من صفات الرب — جل وعلا حيث قال : « سبقت رحمتى غضبى » .

(١) بنى قراء فى حاجة إلى المال

## وصول النذير بالهزيمة إلى قریش

على حين كان المسلمون فرحين بنصر الله ، وما أفاء الله عليهم من الغنائم كان الحديسان بن عبد الله الحزاعي يحث الطريق إلى مكة حتى كان أول من دخلها ، وأخبر أهلها بالهزيمة ، وقتل الكثيرين من صناديدهم وأشرفهم وأسرى الكثيرين منهم ، وقد تشككوا أول الأمر ثم لم يلبثوا أن استيقظوا لما توالى عليهم النذر فكأنها نزلت عليهم صاعقة من السماء ، وكان أشدهم غيظا وكذا أبو لهب بن عبد المطلب ، ولم يمكث إلا بضع ليال حتى رماه الله بمرض العدسة ففضى عليه ، وكانت قریش تتقى هذا المرض ، فركاه أبناء بعد موته ثلاثا حتى أتت ، فقال لهما رجل من قریش : ألا تستحيان ان أباكما قد أتت في بيته ألا تدفنانه؟ فقالا : إنا نخشى عدوى هذه القرحة ، فقال : انطلقا وأنا أعينكما عليه ، فغسلوه قذفا بالماء من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلى أعلا مكة فأسندهوه إلى جدار ثم ردموا عليه الحجارة ، وهكذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يموت هذه الميثة الشنيعة لعداوته للرسول ومناهضته للإسلام ، وعدم رعايته للرحم حرمة .

ومكث قریش تنوح على قتلها مدة ، ثم تواصلوا فيم بينهم وقالوا : لا تفعلوا يبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا بكم ، وكذلك تواصلوا أن لا يسرعوا في بذل الفداء ، وقالوا : لا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب<sup>(١)</sup> عليكم محمد وأصحابه في الفداء وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت فإن البكاء مما يبيل فؤاد الحزين ، ويخفف من لوعة الحزن. وهول المصاب ، وكان الأسود ابن المطلب قد أصيب في ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث ، فقال لغلام له : هل بكت قریش على قتلها لعل أبسكى على ولدى فان جوفى قد احترق .

(١) قال في النهاية في تفسير هذا الخبر أي يشددون عاينكم في طلب العداة

## ( إفتداء الأسرى )

ولم تطق قريش الصبر على ما اتفقوا عليه من عدم التسارع إلى الفداء ، وانسلوا واحداً وراء الآخر ، وقد كان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له بمكة ابناً كيساً تاجرأ إذا مال وكأنهم به قد جاء في طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم .. قال المطلب بن أبي وداعة : صدقتم لا تعجلوا ، وكان هو أول من نقض هذا فانسل من الليل ، وقدم المدينة ، وفدى أباه بأربعة آلاف درهم وكان هذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش في فداء أسراهم .

فقدم مسكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو ، وكان سهيل رجلاً أعلم<sup>(١)</sup> من شفته السفلى فقال عمر بن الخطاب لرسول الله : دعني انزع نفيه سهيل بن عمر فيدلع<sup>(٢)</sup> لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في مواطن أبدا ، فكان جواب النبي هذا الجواب البالغ السمو في الرحمة والإنسانية : ولا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً وعسى أن يقوم مقاماً لا تدمه . وقد صدقت نبوءة الرسول ، فإنه لما جاور الزريق الأعلى أراد بعض أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الاعراب والمنافقين ، فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله .

« أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال : « إنك ميت وإنهم ميتون » وقال . « وما محمد إلا رسول قد خلق من قبله الرسل ... » ثم قال : والله إنني لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها فلا يغرركم هذا — يريد أبا سفيان — من أنفسكم فإنه يعام من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم ، وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم ، وكلته تامة ، وإن الله ناصر من نصره ،

(١) مشقوق الكفة

(٢) يخرج عند الكلام

ومقر دينه، وقد جمعكم الله على خيركم — يعنى أبا بكر — وإن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رأيتهم ارتد ضربنا عنقه، فراجع الناس عما كانوا عزموا عليه ، فكان معجزة من معجزات النبوة .

ومن الأسرى عمرو بن أبى سفيان بن حرب، فقالوا له: اقدم أبنك فقال: لن يجتمع على دمي ومالي. قتلوا احتظلة وأدى عمرا؟ دعوه في أيديهم فيمسكوه ما بدالمهم فبينما هو كذلك خرج سعد بن النعمان وكان شيخاً مسلماً إلى مكة معتمراً، فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ، فثنى قوم سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان ، فيفكوا صاحبهم به ، فأعطاهم إياه فأرسلوه إلى أبى سفيان فعلى سبيل سعد .

ومن الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ابن إسحاق قال: لما أسى رسول الله يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق بات النبي ساهراً أول الليل، فقال له أصحابه: مالك لا تنام يا رسول الله؟ فقال: سمعت أنين عمى العباس في وثاقه، فأطلقوه فسكت، فنام رسول الله<sup>(١)</sup> وروى الحناكم في المستدرك عن ابن عمر قال: لما أسر العباس فيمن أسر يوم بدر أوعدته الأنصار أن يقتلوه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إني لم أتم الليلة من أجل عمى العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه» فقال عمر: أفأتيهم؟ فقال: «نعم» فأتى عمر الأنصار فقال لهم ارسلوا العباس فقالوا: لا والله لا نرسله فقال عمر: فإن كان لرسول الله رضا؟ قالوا: فإن كان له رضا فخذوه، فأخذه عمر فقال له: يا عباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يهجه إسلامك .

ومع أن النبي تألم لألمه وهو في الاسر فقد أبى إلا أن يأخذ منه الفداء، وقد فدى نفسه وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب

وحليفه عتبة بن عمرو أحد بنى الحارث بن فهر بمائة أوقية من الذهب ، ولما قال للنبي : إنه لا مال له . قال له : فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل : وقلت لها : إن أصبت في سفرى فهذا لبنى : الفضل ، وعبد الله ، وقيم فقال . والله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما أعلمه إلا أنا وأم الفضل !! ولما قال : إنه خرج مستكرها وأنه كان قد أسلم قال له النبي . ، أما ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك « وكذلك أبي أن يتنازل له الانصار عن الفداء . روى البخارى في صحيحه عن أنس ابن مالك قال . إن رجلا من الانصار (١) استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إئذن لنا فلنترك لابن اختنا (٢) العباس فداءه ، فقال « لا والله لا تذرون له درهما » (٣) .

وهذا غاية العدل والإنصاف في المعاملة ، فرسول الله مع رحمة بعمه وشفقته عليه وتحوفه أن يقتل وهو يرجى من ورائه للإسلام خير كثير ، تأبى عليه نفسه السامية أن يفرق بينة وبين الأسارى في الفداء أو أن يقبل أن يعين عليه الانصار خشية أن يكون عملهم هذا لمكانه من رسول الله وقرابته مع أنه صلى الله عليه وسلم من على بعض الاسارى دون فداء ، وهذا ليس بعجيب ممن كان خلقه القرآن .

ومن الاسرى أبو عزة الشاعر ، كان فقيرا إذا عيال ، فقال : يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لندو حاجة وذو عيال فامنن على ، فمن عليه رسول الله ، وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحدا ، فتعهد بذلك ومدح الرسول بشيء من شعره ثم لم يلبث أن أغراه المشركون بهجاء النبي والمسلمين ففعل بعد أن تمنع ، وصار يؤلب على المسلمين لأجل أحد ، وقد حضر الواقعة فأسر ، فسأل النبي أن يعين عليه فقال له : « لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمد أمرتين ،

(١) هم بنو النجار ، وقد كان ومنهم من أسرهم ، واهل الذين أرادوا أن يقتلوه غير بنى النجار أو بعض آخر منهم فلا تناق بين هذه الرواية والسابقة

(٢) هم أخوان أبيه . والمطلب لأن أمه سلمى بنت عمرو من بنى النجار فى الكلام مجوز .

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٩

ثم أمر به فضربت عنقه وقيل : إن الرسول قال له : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، قيل ، إن هذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عليه الصلاة والسلام (١) .

ومن الأسرى الوليد بن الوليد افتداه أخواه خالد وهشام ، فلما افتدى ورجع إلى مكة أسلم ، فقيل له : هلا أسأمت قبل الفداء فقال خفت أن يعدوا إسلامي خوفاً ، ولما أراد الهجرة إلى المدينة منعه أخواه ، فبقى بمكة حتى فر إلى النبي في عمره القضاء .

ومن الأسرى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس صهر رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب — رضى الله عنها — وهو ابن أخت (٢) السيدة خديجة رضى الله عنها ، وكان من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة وكان تزوجها قبل النبوة ، فلما دعا للنبي إلى دين الله متى رجال من قريش إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبك ونحن تزوجك بأى امرأة من قريش شئت قال : لا والله إذا لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش ، وكان رسول الله ﷺ يثنى عليه فى صهره كما ثبت فى صحيح البخارى ويقول : « حدثنى فصدقنى ، ووعدنى فوفى لى » وكان أسر بيدير فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت السيدة زينب بنت الرسول فى فداء زوجها بمال وفى المال فلاة كانت لاسيده خديجة — رضى الله عنها — فاهدتها إليها وأدخلتهاها على أبي العاص ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وأهاجت فى نفسه ذكرى السيدة الجليلة التى واسته بنفسها ومالها خديجة فقال لاصحابه : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا فقالوا » نعم يارسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها اقلادتها ، وكان النبي قد أخذ عليه أن يخلى سبيل ابنته زينب

(١) المرجع السابق ص ٣١٣

(٢) الروض الأوفى ص ٨١ ، ٨٢ الإصابة ج ٤ ص ١٢٢ والاستيعاب (على ما هو لاصابة)

فوفى بالعهد وأرسلها ، فبقيت عند أبيها إلى ما بعد الحديبية فأسر مرة أخرى ففر إلى المدينة واستجار بزوجه زينب — وكان الإسلام قد فرق بينهما — فأجارتها ، فأقر المسلمون إجارتها له ، ورجع إلى مكة ومعه ماله ، فأدى الامانات إلى أصحابها ، ثم عاد إلى المدينة مسلماً ، فردها النبي ﷺ إليه بعقد ومهر جديدين على الصحيح .

ومن الأسرى وهب بن عمير بن وهب الجحفي وكان أبوه شيطاناً من شياطين قريش ، شديد الإيذاء للرسول وأصحابه بمكة ، جلس يوماً بعد الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير : والله لولادين علي ليس عندي قضاؤه . وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد فأقتله فان ابني أسير عنده فاشتتمها صفوان بن أمية فقال له : علي دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسهم ما بقوا لا يسعني شيء ، ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاکتم تلي ، قال : سأفعل ، ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له ، وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، وما أكرمهم الله به إذ نظر إلى عمير بن وهب وقد أناح بعيره تلي باب المسجد متوشحاً بسيفه ، فقال : هذا تدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ! وهو الذي حرش بيننا وحزرننا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله فأخبره فقال له . « أدخله علي » فأقبل إليه عمر فأخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوه علي رسول الله فلما رآه وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال . « أرسله يا عمر : أدن يا عمير » فدنا فقال له . « فما جاء بك يا عمير » ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم : فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك » ؟ قال : قبضها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً ؟ قال : « أصدقني ما الذي جئت له » ؟ قال . ما جئت إلا لذلك ، وقال . بل قعدت أنت و صفوان بن أمية في الحجرة فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت . لولادين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل

لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك ، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ! ! قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضرم إلا أنا وصفوان : فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لك الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ : ( فقهوا أخاكم في دينه وعلومه القرآن ؛ واطلقوا أسيره ) ففعلوا ، ثم قال يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعواهم إلى الله ورسوله ، وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم ، كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم ، فأذن له رسول الله فالحق بمسكه ، وكان صفوان حين خرج عمير يمتحن نفسه الأمانى ، ويقول : أبشروا بوقعة تأتيتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان يخرج فيتلقي الركبان يسألهم عن عمير ليتأكد من نجاح المؤامرة حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فسقط في يده ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً ، أما عمير فلما قدم مكة أقام بها يدعوا إلى الإسلام ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير ، وهكذا خرج كافراً جاهداً على قتل النبي ، فإذا به يعود مؤمناً صادق الإيمان !!! .

## قيمة الفداء

وكانت قيمة الفداء يومئذ ما بين الأربعمائة والأربعة آلاف درهم ، كما رواه أبو داود في سننه ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب عن نفسه كالعباس رضي الله عنه ، ومن لم يكن له مال ويعرف القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم القراءة والكتابة ، روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة فجاء غلام يبكي إلى أمه فقالت : ما شأنك ؟ فقال



ضربني معلمى فقالت الخبيث يطلب بدخل بدرا والله لاتأتيه ابداء<sup>(١)</sup> ومن لم يكن يعرف القراءة والكتابة منوا عليه كأبي عزة الشاعر. والمطلب بن حنطب المخزومي أسره بعض بني الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلو أسبيله فلحق بقومه .

وقبول النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في هذا الوقت الذي كانوا فيه أشد الحاجة الى المال يرينا سمو الاسلام في نظراته الى العلم والمعرفة وازالة الامية. وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم»<sup>٢</sup> واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة والترغيب في العلم. وبيان منزلة العلماء وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي ﷺ أول من وضع حجر الاساس في ازالة الامية وإشاعة القراءة والكتابة ، وأن السبق في هذا للاسلام .

## وعد الله الأسارى بالخير إن أسلموا

وقد وعد الله سبحانه الأسارى من آ من منهم وأسلم وحسن إسلامه بالعوض مما أخذ منهم في الدنيا والآخرة قال عز شأنه : « يا أيها النبي قل إن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم »<sup>(٤)</sup> وهو ترغيب لهم في الإيمان ، وعدة لهم بالعوض في الدنيا والغفران في الآخرة وكان العباس — رضى الله عنه — ممن ناله هذا الوعد الكريم فكان يقول : أبدلني الله من ذلك عشرين عبداً — وفي رواية أربعين — كلهم تاجر بمالى ، وأعطاني زمزم — يريد السقاية — وما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة ، وكان يقول بعد ما ناله من الخير حتى رضى : وأنا بعد أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه<sup>(٤)</sup> .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣٨

(٣) الذى علم بالقلم ، إشارة الى العلم الكسبى (علم الانسان ما لم يعلم) إشارة الى العلم الوهيبى

الذى يهديه الله لأتباعه ، وأولياؤه

(٤) الأنفال / ٦٨

## العتاب في الفداء

وقد عاتب الله سبحانه النبي والمسلمين على اختيارهم الفداء على القتل الذي أشار به الفاروق — رضى الله عنه — وأنزل في ذلك قوله سبحانه : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم <sup>(١)</sup> ». ولما نزلت الآيتان جاء عمر من الغد فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر يكيان فقال : يا رسول الله أخبرني ماذا يكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تبأ كيت لبكائكما !! فقال رسول الله : للذي عرض عن أصحابك من أخذتم الفداء . وقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة « لشجرة قريبة منه ، وأخبره بما نزل من الآيات ، وهذا يدل على أن جمهرة الصحابة كانوا على رأى أخذ الفداء ..

ولما نزلت الآيتان كسف الصحابة أنفسهم عن الانتفاع بما أخذوا من الفداء وأسفوا لهذا العتاب فأنزل الله سبحانه : ، فكلوا مما غنتم حلالا طيبا ، واتقوا الله إن الله غفور رحيم .

## طنين المستشرقين بشأن أسارى بدر

يقف غير واحد من المستشرقين والمبشرين عند أسارى بدر، وقتل أسيرين من سبعين أسيرا ، ويزعمون زورا وكذبا تعطش الدين الجديد للدماء

(١) الاقوال ٦٧، ٦٨ تفسير الآيتين : أسرى : جمع أسير ، الأتخان في الشيء المبالغة فيه والاكثار منه والمراد المبالغة في تقتيل الكفار ، عرض الدنيا : الفداء . « لو لا كتاب من الله سبق » يعنى لو لا ما قدره الله في الأزل وجرى به تقديره الحكيم من أنه لا يؤخذ من اجتهد وبذل الوسع : وإن لم يصادف الصواب ، وقيل : من أنه لا يؤخذ أهل بدر بما صنعوا ، وقيل من أنه لا يعذب قوما حتى يبين لهم الحلال من الحرام ، وما ينبغي مما لا ينبغي ، يعنى لو لا هذا لنالكم عذاب شديدة بسبب إيتاركم عرض الدنيا على ثواب الآخرة ، وهذا درس تربوي عظيم ، وبهذا الدرس وغيره أنشأ الله خم جيل عرفته الدنيا قديما وحديثا وهم الصحابة الكرام ، والآية الثانية بمثابة الترضية والاعتذار لهم بعد العتاب

ويرون أنه كان الأحسن أن يمن المسلمون على الأسرى وبحسبهم ما نالوا من غنيمة ، قالوا هذا وتغافلوا عما قام به هذان القتيلان ، وما قام به معظم هؤلاء الأسرى من تعذيب وإيذاء للنبي والمسلمين ، وصددهم الناس عن الإسلام ثلاثة عشر عاما ، ولم يكفهم ما فعلوا بالمسلمين بمكة ، فهام لايزالون يحاربون الإسلام والمسلمين ، ويحاولون القضاء عليهم في موطنهم الجديد وهانحن قد سمعنا عتاب الله للذين أن قبلوا الفداء ، ولم يتخنوا فيهم قتلا ، ولو أنهم فعلوا لما عوتبوا ، ولحظوا بالثنا . من رب العالمين .

يقولون هذا ، ويتجاهلون ما قام به المسيحيون باسم الصليب تجاه المسلمين من حروب دامية دامت حقبان الزمان ، وحاولوا أن يفتصبوا جزءا عزيزا من أرض المسلمين في فلسطين ، بل وأن يقضوا على الإسلام والمسلمين ويتناسوا لولا ما قبض الله للإسلام والمسلمين من أمثال صلاح الدين الأيوبي البطل المسلم العربي فهزمهم وألقى بهم في البحر ، وطردهم شر طردة !! ويتناسون ما قام به المسيحيون ضد المسلمين في الاندلس ، وأيضا ، المجازر الكبرى التي قامت باسم المسيحية تجاه إخوانهم المسيحيين مثل جزيرة (سان بارتلمي) هذه الجزيرة التي تعتبر سبة في تاريخ المسيحية لاشيء مثلها قط في تاريخ الإسلام ، هذه الجزيرة التي دبرت بلبيل وقام فيها الكاثوليك يذبحون البروتستانتين في باريس وفي فرنسا غدرا وغيلة ، بل في أحط صور الغدر ، وابشع صور الغيلة (١)

وتجاهلوا أيضا ما حدث في أثناء الثورة الفرنسية والثورات المختلفة التي وقعت وتقع في أمم أوروبا المختلفة . من تقتيل وتدييح للألاف ، وما قامت وتقوم به الدول المسيحية في العصر الحديث باسم قمع الثورات في بلاد يحكونها على كره من أهلها قصد استغلال خيراتها ، وامتصاص دماء بنائها ، وما رأينهم فيما تقوم به الدول المتحضرة اليوم في الشرق والغرب ، وما جرى في الحربين العالميتين الأولى والثانية من قتل الأسارى قتلا جماعيا والتشكيل تشكيلا جاوز حدود الإنسانية ؟ فلماذا أنغمضوا عن هذا نيونهم ، وأصموا آذانهم؟

وفتحوها لقتل أسيرين حذلت حياتها بالمساوىء ، والجرائم تجاه النبي  
والمسلمين ؟ فأين هذا مما صنعه المسلمون مع الأسارى فى بدر من إحسان  
إليهم حسب وصاة نبيهم لهم حتى كانوا يؤثرونهم على أنفسهم بالطعام  
والشراب !؟

إن ماجرى فى بدر وفى غير بدر من المسلمين فى مغازيهم وفتوحاتهم إنما  
هى رحمة وعدل من آثار هذا الدين : دين الرحمة والعدل ، ولقد لهج بذلك  
رجل لا يمت إلى الإسلام بصلة ، وهو المؤرخ الكبير (غوستاف لوبون) حيث  
قال : « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب ، (١)

وإليكم أيها السادة المستشرقون والمبشرون هذه الحكمة ، من كان يئته  
من زجاج فلا يرشق بيوت الناس بالحجارة ،

## فضائل أهل بدر

لا تعجب : وقد سمعت ما سمعت عن أهل بدر ، وما قدموه من التضحيات  
راضية بذلك نفوسهم ، وما كان لهذه الغزوة من أثر بعيد فى نشر الإسلام  
وظهوره على الأديان كلها - أن جعل الله سبحانه لأهل بدر من المنزلة والمكانة  
فى الدنيا والآخرة ما ليس لغيرهم حتى صار من المآثر والمفاخر أن يقال :  
فلان بدرى . روى البخارى فى صحيحه عن حميد قال : سمعت أنس بن مالك  
رضى الله عنه يقول : « أصيب حارثة (٢) يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه  
إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى  
فإن يكن فى الجنة اصبر واحتسب ، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع فقال :  
ويحك ، أو هبت - أى تكلمت - أو جنه واحده هى ؟ إنها جنان كثيرة .

(١) الوحى المحمدي ص ١٢٩

(٢) هو حارثة بن سمرانة من بني عدى بن النجار الأنصارى وأبوه سمرانه له صحبة

واستشهد يوم حنين ، وأمه هى الربيع بنت النضر عممة أنس بن مالك .

وإنه في جنة الفردوس ، وفي رواية « إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » قال الحافظ بن كثير : وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا لم يكن في حومة الوغى . بل كان من النظارة من بعيد ، وإنما أصابه سهم غرب<sup>(١)</sup> وهو يشرب من الحوض : ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس الذي هو أعلا الجنان ، ومنه تفجر أنهار الجنة والتي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها ، فإذا كان هذا حاله فما ظنك بمن كان واقفا في نحر العدو ، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عددا وعددا ؟ !

وروى الشيخان في صحيحيهما قصة حاطب ابن أبي بلتعة ، وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح يخبرهم فيه بعزم رسول الله على قصد مكة ، وأن عمر استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه ، لأنه قد خان الله ورسوله ، فقال له الرسول : « أليس من أهل بدر ؟ لعل الله أطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فدمعت عيننا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

والمراد عدم مؤاخذتهم عما عسى أن يدر منهم بعد ذلك من الزلات والتجاوز عن سيئاتهم ، كفاء ما قدموا للإسلام من مخاطرة بالنفس في هذه الغزوة ، وما أظهروه من إيمان وبطولة ، وليس المراد أن الله سبحانه أباح لهم أن يفعلوا أى شئ أرادوه من المعاصي والآثام كما يتوهم ذلك ، وقد كان صحابة رسول الله ولا سيما أهل بدر أشد الناس تقوى لله ، وخوفا من الله على كثرة ما وعدهم من المغفرة والرضوان والنعيم المقيم في الآخرة ، وكانوا يقبلون الخوف على الرجاء وقد كان الصديق على منزلته يشم من فيه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله ، وكان الفاروق عمر على زهده وعدله يقول . ليت أهي لم تلدني . وكان أبو الحسن على يقوم في محرابه بالليل فيبكي

(١) أى أتاه من حيث لا يدرى فإن الذى رماه قصد غرته فرماه وحارثة لا يشعر به.

بكاء الشكلى . ويتململ تملل السليم — اللديغ — من خوفه وخشيته لله . إلى غير ذلك من المثل الكثيره التى زخرت بها سير الصحابة الكرام .

وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن جابر : أن عبدأ حاطب جاء رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا ويقول : ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله : « كذبت لا يدخلها . إنه شهد بدرأ والحديبية » وروى البخارى فى صحيحه أن جبريل جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ماتعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « ومن أفصل المسلمين أو كلمة نحوها » قال . وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة (١)

وقد عرف الخلفاء الراشدون لأهل بدر منزلتهم . وقدمهم فى الإسلام . دينا ودنيا ، فقد جعل سيدنا عمر عطاء أهل بدر : لكل واحد خمسة آلاف (٢) فقال : لأفضلنهم على من بعدهم وكذلك عرف لهم العلماء منزلتهم لما تكلموا فى فضل الصحابة وجعلهم طبقات ، حتى أن بعضهم جعل الطبقة الأولى أهل بدر ، وهذا عرفان منهم بالفضل لنبيه (٣)

## نتائج غزوة بدر

(١) كانت من نتائج غزوة بدر أن قويت شوكة المسلمين . وأصبحوا مرهوبين فى المدينة وما جاورها . وأضحى من يريد أن يغزوا المدينة ، أو ينال من المسلمين أن يفكر ، ويفكر قبل أن يقدم على فعلته ، وإلا نزل به ما نزل بقريش على عددها وعدتها .

(٢) أنها تركت بنفوس أهل مكة المشركين كدأ وأحزانا وآلاما بسبب هزيمتهم ومن فقدوا أو أسروا ، فهذا أبو لهب لم يلبث أن أصيب بالعلة ومات ، وهذا أبو سفيان فقد ابتلاه وأسره ابن آخر ، وما من بيت من بيوت مكة إلا وفيه مناحة على قتل عزيز أو قريب ، أو أسر أسير

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٢٨ (٢) الباعث الميثيق إلى علوم الحديث ص ٢٣٣

(٣) صحيح البخارى — كتاب المنازى — باب فضل من شهد بهرا

فلا عجب أن كانوا صمموا في أنفسهم على الأخذ بالنار حتى أن بعضهم حرم على نفسه الاغتسال<sup>(١)</sup> حتى يأخذ بالنار ممن أذلوهم ، وقتلوا أشرافهم وصناديدهم وانتظروا يترقبون الفرصة للقاء المسلمين والانتصاف منهم . فكان ذلك في أحد .

(٣) إن النصر المبين في بدر حرك ما كن في نفوس اليهود والمنافقين والمشركين من أهل المدينة . فهذا الذي وفد عندهم فارا مهاجرا يزداد سلطانه ونفوذه يوما بعد يوم ، ويكاد يكون صاحب الكلمة في المدينة كلها لا في أصحابه وحدهم ، وكان اليهود قد بدأ تدمرهم من قبل بدر ، وبدءوا يضحكون الدسائس والمؤامرات لتفريق وحدة المسلمين ، ولولا عهد المواعدة الذي كان بينهم وبين المسلمين لوقع الصدام السافر بين الفريقين ، لذلك ما كاد المسلمون يعودون من بدر منصورين حتى جعلت طوائف اليهود والمنافقين تنغامز ، وتستخف بالنصر الذي أحرزوه زاهمين أنهم لقوا أغمارا<sup>(٢)</sup> في الحرب ، ولئن وقعت بينهم وبين المسلمين الحرب فسيرون الناس<sup>(٣)</sup> !! وبدءوا يتحرشون بالنبي والمسلمين ، وما كان النبي ليخفي عليه شيء من ذلك ، وإنما كان يراقبهم عن حذر ويقظة حتى استخفوا بالمقررات الخلقية ، والمرام التي يعتز بها العرب ، واستعلنوا بالعداوة ، فلم يكن بد من حرهم وإجلانهم عن المدينة كما سنفصل ذلك فيما بعد إن شاء الله .

## مواطن العبرة في بدر

إن في بدر لعبرا وآيات يستجلبها ذوو البصائر النيرة ، والقلوب المؤمنة والعقول الفاحصة المتحررة وصدق الله حيث يقول : « لقد كان لكم آية

(١) هو أبو سفيان بن حرب كان نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء من -نابذة حتى ينزوي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أغار على المدينة في رجال من قومه ، ولكنه لم ينل مأرباً ، فخرج إليه النبي في جماعة من أصحابه ، ولكنه فر هاربا ، وكان ذلك في «غزوة البويق» .

(٢) لاخبرة لهم بالحروب، وفنونها .

(٣) يعنون أنفسهم وأهملهم هم أهل الخبرة والدربة في الحروب .

في فئتين للتقنا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثلهم رأى العين ، والله يؤيد نصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار .  
من هذه العبر والآيات :

(١) أثر القوى لروحية والمعنوية : وأساس هذه القوى هو الإيمان :  
الإيمان بالله . وأنه قوة لا تغالب ، وأن ييده النصر ، والموت والحياة ، وأن الموت في سبيل الله خلود . والإيمان بالرسول ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، وأن حبه إيمان ، وتفديته بالنفس فريضة ، وأن كل مصاب دونه هين ويسير .  
والإيمان باليوم الآخر ، وأن هناك حياة أخرى خيرا من هذه الحياة يوفي فيها كل عامل جزاءه إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وإن الجنة للمتقين المجاهدين والنار للكفار والمتقاعسين عن نصرة الأنبياء والمرسلين . والإيمان بالرسالة المحمدية ، وأنها الشريعة العامة الخالدة التي يجب أن تسود ادنيا وأن يستظل بها البشر ، فقد ناط الله بها كل سعادة ، وربط بها كل هدى وحق وخير ، والإيمان بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وأنهم الأمة الوسط الشاهدة على الأمم كلها بعقيدها وشريعته ، وتمامها وعملها ، وأخلاقها وسلوكها ، وعلى الأمة الإسلامية أن تنشئ أبناءها على هذا الإيمان اليوم ، وحينئذ ستسترجع عزتها ، وسلطانها .

هذا الإيمان العميق الجذور ، المنتشعب الفروع هو سر الانتصار في هذه الموقعة وغيرها من مواقع الإسلام وأيامه المشهورة ، وهو سر الأسرار وعبرة العبر ، وإنا لنلمسه جليا في مقالة السادة أبي بكر وعمر ، والمقداد . وسعد بن معاذ لما قال النبي ﷺ : « أشيروا على أيها الناس ، ونامسه أيضاً في مقالة عمير ابن الحمام لما سمع النبي ﷺ يقول : « قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض » فرمى بثمرات في يده كان يأكلها قال : إني إن حبيت حتى آكل هذه الثمرات إنها حياة طويلة ! !

ونحس هذا الإيمان المثالي في طلب الصديق . أن يبارز ابنه عبد الرحمن .



وفي قتل الفاروق لحاله العاص بن هشام ، وقتل أبي عبيدة لأبيه ، ومصعب ابن عمير لأخيه . وفي مقالة أبي حذيفة لما رأى أباه عتبة وقد مات على الكفر ... إلى غير ذلك من المواقف المشرفة ، والمثل الإيمانية العليا .

(٢) من العبر أن النصر من عند الله ، وأن لله جنودا كثيرة منها الملائكة ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، والله سبحانه وتعالى قد أمرنا في صريح الكتاب الكريم بأعداد العدة ، وأخذ الأبهة للأعداء ، وقد بلغ النبي والصحابة المدى في هذا ، فلم يدعوا وسيلة من وسائل القوة والنصر مما يقع تحت أيديهم ، وفي استطاعتهم إلا اتبعوها فضرروا بالسيوف والحراب ، ورموا بالسهام والنبال ، وحفروا الخنادق ، وصنعوا الدبابات بما يلائم عصرهم ، وتدرّبوا على فنون القتال ، وتعلموا الكر والفر ، ومع هذا كانوا على صلابة وثيقة بالله ، توكل عليه ، وهم على صلاح واستقامه ، لم يفتروا بعدد ولاعدة ، وإنما يستنزلون النصر من عند الله ، ولذلك كان النبي كثيراً ما يلجأ إلى الدعاء عند حضور المواطن بل ويبالغ فيه كما حدث في بدر ليثبت في نفوسهم هذا المعنى الكريم ، ولذلك لما عرض الله سبحانه في الكتاب الكريم لإمداد المسلمين بالملائكة ختم ذلك بقوله : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »<sup>(١)</sup> وقوله : « وما النصر إلا من عند الله إن الله عزّ وجلّ حكيم »<sup>(٢)</sup> وإنه لدرس عظيم يجب أن يعيه المسلمون في كل قطر ، فما أجدرهم أن يأخذوا أنفسهم بتقوى الله والاستقامة على شريعته ، وأن يصلوا حياهم بحبل السماء ، وإلا كانوا هم والأعداء في المعاصي سواء ، وإن لا يمكن لنا عليهم فضل بالدين والاستقامة والطاعة فضلونا بالعدد والعدة ، وإذا تخلى الله سبحانه وتعالى عنا ، ووكلنا إلى أنفسنا واغترارنا عز علينا استنزال النصر من الله ، وصارت الغلبة لمن هم أكثر عدداً وعدة .

(٣) احترام النبي ﷺ لمبدأ الشورى في الحرب ولو كانت من فرد واحد،

وهو تقرير لهذا المبدأ التي يعتبر من مبادئ الإسلام ، وذلك مثل ما حدث من أخذه برأى الحباب بن المنذر في تخيير مكان نزول الجيش ، ورأى سعد بن معاذ في بناء العريش ، واستشارة أصحابه في القتال ، لما علم بمخروج قريش في جوعها ، وفي الأسارى أيقتلون أم يفادون ؟ وليس هذا بعجب ممن نزل عليه قول الله سبحانه « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واسخفر لهم وساورهم في الأمر ، فاذا عزمتم فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » (١)

(٤) إنسانية الرسول الفاتحة : إنسانية مبعثها الرحمة التي امتلأ بها قلبه الكبير ، والعظمة النفسية التي تسمو عن أن تؤاخذ كل مذهب بذنبه ، وإنما تعفو وتسمح ، وتتسامى وتصفح ، وإنا لنلمس هذا في الأمر بدفن القتلى وفي أمر أصحابه بالإحسان إلى الأسرى ، وفي إباته على سيدنا عمر أن ينزع مني سهيل بن عمرو حتى لا يقوم ضد النبي خطيباً ، وقوله هذه المقالة : « لا أمتلئ فيمثل الله بي وإن كنت نبياً » ! ! وفي موقفه لما سمع رثاء قتيله لأخيها النصر بن الحارث وقوله . « لو بلغني هذا قبل قتله لمنت عليه . »

(٥) مواهب النبي ﷺ السياسية : هذه المواهب التي تفجر بها القلب المستدير الذي أشرق بالإيمان ، وامتلاً بالفيوضات الإلهية والتجليات الربانية التي أفاض الله بها عليه ، والعقل الكبير الذي تربى على التأمل والنظر في الكون ، وترعرع في حياطة الله ورعايته ، وتمرس بآيات الوحي والحكمة ، فوسع العقول جميعاً ، ولو وزنت به العقول كلها لرجحها .

وإنا لنلمس هذه المواهب في استشارة أصحابه لما ترجح جانب القتال بمخروج جيش قريش ، فقد كان هذا بمثابة اختبار لإيمان القوم ، وتعرف مبلغ استعدادهم لنصرة الإسلام خارج المدينة ، وقد نجحوا في هذا الاختبار أيما نجاح ، وأبأنوا بما قالوا عن معدنهم الأصيل ، تجاه نبينهم محمد الذي يختلف عن معدن بني إسرائيل معدن الجبن والخور والنذالة ، تجاه نبينهم موسى .

كما نلمس هذا أيضاً ، حين بدأت المبارزة فقد أخرج النبي ، كما رجحنا للثلاثة

القرشيين ثلاثة من أصدق الناس به وذوى قرباه : اثنين من بنى هاشم وواحداً من بنى المطلب ، وبنو هاشم والمطلب سواء فى الجاهلية والإسلام ، وذلك ليكون إيداناً على روس الأَشهاد بأن أقرباء النبى الأقربين سيكونون فى مقدمة المسلمين — مهاجرين وأنصاراً — تضحية بالنفس ، وتقدياً للرسول والإسلام ، وإياه لموقف معبر دونه الخطب والكلام .

ونلمس هذه الموهبة الفائقة فى موقف يعتبر من أخرج المواقف بين رأيين متعارضين ، وكل من صاحبى الرأيين يعتبر وزير صدق للنبى ﷺ ، وانحاز إلى رأيه كثيرون ، وذلك حينما استأشار أصحابه فى الأسرى ، فقد رأى الصديق ، الفداء ، ورأى الفاروق للقتل ، ودخل للنبى بيته وفكر فى الأمر فرأى بما جيل عليه من الرحمة والتسامح رأى الصديق ، ولكن رأى المعارض رأى عمر ، وهو من هو فى الإسلام وصاحب المواقفات ، وربما يكون فى هذا غضاضة على عمر ، وفكر الرسول ، ثم فكر ففتنق العقل الكبير عن هذا التصرف الحازم البصير ، فخرح وأتى على كلا الرجلين ثناء نابعا من طبيعة الرجلين ، لا تحيف فيه على أحدهما ، ولا هضم لحقه ، ولا عاباة ولا مداهنة ، فشبّه الصديق بنبيين رحيمين إبراهيم وعيسى عليهما الصلاة والسلام : وشبه الفاروق بنبيين اشتد غضبها على قومها ، بعد أن لم يدعا فى قوس الصبر منزعا ، وهما نوح وموسى عليهما الصلاة والسلام ، ثم رأى رأى الصديق ، وبهذه التقدمة البارعة قضى الرسول على ما عسى أن يداخل نفس الفاروق ، فإذا كان الرسول لم يأخذ برأيه فبحسبه شرفا وتقديرا أن يكون شبيها بنبيين من أولى العزم من الرسل ، وإنها لأمنية تتقطع دونها الأمانى ، وحلم ترنو إليه أى نفس مها بلغت من أصاله رأى ، وحسن التدبير ، والافتناع بما رأت .

ومن هذه السياسة الحكيمة إسهام النبى لكل من لم يحضر الموقعة لتخلفه فى مصلحة عامة أو خاصة المسلمين وكذلك إسهامه من استشهدوا فى بدر وإعطاء حقوقهم لورثتهم وديهم وبذلك كان للإسلام السبق فى تكريم الشهداء ورعاية

أسرهم وأبنائهم من قرابة أربعة عشر قرنا .

(٦) عدالة النبي التامة في أخذ الفداء من القادرين عليه وعدم محاباته لذوى قرباه بل كان الأمر على خلاف ذلك فقد أغلا الفداء على عمه العباس ، ولم يقبل أن يتنازل له أخواله من الأنصار عن شيء منه ، وترك أمر صهره إلى خيار المسلمين فنوا عليه لما رأوا زوجته السيدة زينب أرسلت في فدائه بقلادتها الغالية التي تحمل في نفسها أعظم ذكرى لأمتها السيدة خديجة ، وفضل خديجة على الإسلام المذكور مشكور ، وقد دلت المسلمون بصنيعهم هذا على حسن مرهف ، وشعور كريم ، وإنسانية فائقة ، وعلى حين فعل النبي هذا مع ذوى قرباه من على أناس لا يمتنون إليه بصلة القربى لاعتبارات تدعو إلى ذلك .

(٧) أن النبي ﷺ له أن يجتهد فيما لم ينزل فيه وحى ، وأنه إذا اجتهد في أمر من الامور ، وسكت الوحي عن هذا الاجتهاد ، كان ذلك دليلا على موافقته الصواب والحق ، واكتسب صفة إقرار الوحي لما أدى إليه الاجتهاد ، لآئنة سبحانه حاشاء أن يقر نبيه على أمر يخالف الحق والصواب ، أما إذا اجتهد النبي ولم يصادف الصواب نزل الوحي معاتبا ومبيناً ، وذلك كما حدث في هذه الغزوة فقد نزل قوله تعالى معاتبا : « ما كان لنبي أن يسرى حتى يشخن في الأرض ... » والنبي في كنا الحالتين مأجور ، لأن الإسلام يقرر أن من اجتهد فإن اصاب فله اجران وإن اخطأ فله اجر ، وهذا يدل على مبلغ تقدير الإسلام للاجتهاد والدعوة إليه ، وتكريم المجتهدين ، وهذا الذي ذهبنا إليه من انه ﷺ له أن يجتهد ، هو ما عليه جمهور العلماء ، والمحققون منهم ، وهو الرأي الراجح المنصور .

(٨) حدوث بعض المعجزات النبوية الحسية ، في هذه الموقعة ، فقد ذكر ابن إسحاق وغيره أن عكاشة بن محصن الأسدي حليف بنى عبد شمس قاتل يوم بدر

بسيفه حتى انكسر ، فأتى النبي ﷺ فأعطاه جبلا (١) من حطب فقال . « قاتل بهذا يا عكاشة » فأخذه فهزاه فصار سيفا في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الجديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان يسمى « العون » ولم يزل هذا السيف عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله حتى استشهد على يد طليحة الأسدى أيام حروب الردة ، وكان النبي يشيد بشجاعة عكاشه هذا فيقول . « منا خير فارس في العرب » قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : « عكاشه بن محصن » فقال ضرار بن الأزوار الأسدى : ذلك رجل منا يا رسول الله ، فقال : « ليس منكم ولكنه منا للحلف » (٢) وبحسبه شرفا هذا التقدير الكريم .

وروى الواقدي بسنده في مغازية عن رجال من بني عبد الأشهل قالوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب — نخل بالمدينة ترطبها جيد — فقال . « اضرب به » فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد (٣)

ومن ذلك ما أعلم به النبي عمه العباس لما اشتكى الفقر ، واخبراه بما ترك من مال عند زوجته أم الفضل ، وقوله لما ان هلكت فهذا المال لبنى ، (وما حدث) به عمير بن وهب لما جاء متظاهرا بفداء ابنه ، وهو يريد قتل النبي باتفاق

(١) الجبل : ما عظم من أصول الشجر المقطم وقيل : هو من العبدان ما كان عن مثال شمرايح النخل وهو المراد .

(٢) الروض الأنف ، ص ٧٣ الجملة .  
(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٠ وفي البداية أبي عبيدة وهو خطأ والصحيح أبي عبيد وهو أبو عبيد بن مسعود الثقفي وكان عبر الفرات إلى الضفة الأخرى لقتال الفرس على جسر ، فلما قتل أبو عبيد حال المسلمون جولة ثم انهزموا فقطع رجل الجسر حتى لا يفكر أحد من الجيش في الفرار وكانت خطاه ترتب عليها أن قتل كثير من المسلمين وتمافتوا في الفرات ولولا موقف المنى بن حارثه ومعه بعض أبطال المسلمين لكانت الهزيمة ساحقة ماحقة (الاصابة ج ٤ ص ١٣٠) والاستيعاب ج ٤ ص ١٢٤

مع صفوان بن أمية ، فقد أنباء نبأ المؤامرة فكانت سبباً فى إسلامه ،  
وصدق إيمانه .

وما ينبغى لأحد أن يزعم أن المعجزات الحسية لا ضرورة إليها بعد القرآن  
فها هى قد بدت آثارها واضحة جليلة فى إسلام البعض ، وتقوية يقين البعض الآخر ،  
وإثبات أنه نبي يوحى إليه ، فقد أخبر بمغيبات انتفى فى العلم بها كل احتمال إلا أنه  
خبر السماء وغير خفى ما يحدثه انقلاب عود أو عرجون فى يد صاحبه سيفاً بتاراً  
فى إيمانه وتقوية يقينه ، وجهاده به جهاد إلا يعرف التردد أو الحور ، وحرصه  
البالغ على أن يخوض المعارك بسيف خرقت به العادة . وصار مثلاً وذكرى فى  
الاولين والآخرين .

## أحداث فى السنة الثانية

زواج على بفاطمة : فى هذه السنة تزوج أبو الحسن على بن أبى طالب رضى  
الله عنه السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعلى آله وبنى بها . وقد ذكر  
البخارى أن ذلك كان بعد غزوة بدر بقليل . وقال الواقدى إنه بنى بها فى ذى  
الحجة من هذه السنة وإليك قصة خطبتها كما رواها البيهقى عن على قال . خطبت  
فاطمة من رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى . هل علمت ان فاطمة خطبت من رسول  
الله ؟ قلت لا . قالت . فقد خطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله فيزوجك بها ؟  
فقلت . أو عندى شىء أتزوج به ؟ فقالت . إنك إن جئت رسول الله ﷺ فزوجك  
فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله فأن قعدت بين يديه أفحمت  
فوالله ما استطعت أن أتكلم جلاله وهيبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما جاء  
بك ، ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : « لعلك جئت تخطب فاطمة » فقلت نعم :  
فقال « وهل عندك من شىء تستحلها به ، ؟ فقلت لا والله يارسول الله ، فقال .  
« ما فعلت درع سلاحكها » ؟ فوالذى نفس على ييده إنها لحطمية ما قيمتها أربعة  
دراهم . فقلت عندى ، فقال قد زوجتكها فابعت إليها بها ، فاستحلها بها ،  
فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وكان زواج ميمونا مباركا انجبت منه السيدة الزهراء السادة حسنا وحسينا ومحسنا وأم كاثوم وزينب عليهم السلام أما محسن فمات صغيرا وعاش الحسن والحسين حتى بلغا مبلغ الرجال فمات الحسن ، واستشهد الحسين بكر بلاء ولعلك تعجب إذا علمت أن السيدة الزهراء كان جهازها خميلا قטיפية — وقربه ووسادة آدم حشوها إذخر<sup>(١)</sup> وهكذا كان الأمر في صدر الإسلام لا مغالات في المهور، ولا إرهاب في سبيل إمداد الجهاز كما هو الحال اليوم . وإنما الحال سماحة وبساطة وتعاون في سبيل الحياة الزوجية الكريمة ولو كانت المغالاة في المهور مكرمة لكان أولى بها رسول الله صلى الله وبناته ، وأهله ، وأصحابه الكرام الميامين .

## وفيات

في هذا العام توفيت السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك عند قدوم المبشرين بالنصر يدر إلى المدينة كما اسلفنا .

وفيها استشهد أربعة عشر من المهاجرين والأنصار في بدر منهم عبيدة بن الحارث ابن المطلب . وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص من المهاجرين ومعوذ وعوف أبنا عفراء . وعمير بن الحمام . وسعد بن خيثمة من الأنصار .

وفيها توفي بعد بدر السيد الجليل عثمان بن مظعون أحد السابقين الأولين ومن هاجر المهجرتين وكان أخا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع . ولما توفي دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وبكى حتى سالت الدموع على وجهه رواء احمد والترمذي ، ثم شيع جنازته هو ، وأصحابه ، ولما دفن أمر للنبي رجلا أن يأتيه له بحجر ، فلم يقدر الرجل على حمله لكبره فقام النبي وأحضره ووضع عند رأسه وقال : « أهل به قبر أخي ، وأدفن إليه من مات من أهلي » رواء أبو داود<sup>(٢)</sup> ومن هنا . فاخذ جواز تمييز القبر بحجر ونحوه ولما توفي ابراهيم ابن النبي قال : « الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون » رواء الترمذي

(١) آدم : جلد ، إذخر : نبات طيب الرائحة .

(٢) نيل الأوطار ج ٤ من ٥٥ ، ١٣٧

وقد وهم بعض المؤلفين في السيرة<sup>(١)</sup> فذكر أنه توفي في العام الأول وهو غلط والصحيح كما ذكرنا .

## السنة الثالثة للمجرة

في هذه السنة واجه النبي خصوماً لم يكن له بهم سابق عهد ذلك أنه كان حالف معظم القبائل التي تسكن شرقي المدينة ، بينها وبين ساحل البحر . فكاد يصبح طريق تجارة مكة إلى الشام مغلقاً ، ولكن ماذا يصنع القرشيون والتجارة هي روحهم وعماد معيشتهم ، لذلك فكروا في طريق صحراوي آخر من مكة إلى نجد ، ومنها إلى العراق والشام ، وكان بنو سليم وغطفان أهم من يسكن هذا الطريق من القبائل ، وكانوا حلفاء قريش يستخدمونهم في تأمين متاجرهم إلى العراق ، وقد وثق القرشيون ما بينهم وبين سليم وغطفان وأغرى بمحاربة الرسول ، وقد كان من سياسة النبي الحكيمة في محاربة هذه القبائل هي مبدأ المبادأة ، فما إن يعلم بعزمهم على حربه حتى يسرع إليهم بالخروج ليبريهم أنهم أقوياء ، وقد أثمرت هذه السياسة ثمرتها فكان النبي إذا خرج إلى قوم منهم ألقى في قلوبهم الرعب وفروا . فيعود غانماً منتصراً ، وقد كفاه الله المؤمنين القتال .

## غزوة الكدر

تجمعت جموع من بنو سليم وغطفان يريدون مهاجمة المدينة فلما علم النبي بعزمهم خرج إليهم على رأس مائتين من أصحابه . فلما وصلوا ماء لهم يسمى « قرقرة الكدر » وجدهم قد فروا ، فرجع ولم يلق كيده ، وغنم المسلمون فيها خمسمائة بعير خمست ، فأخذ النبي الخمس ، ووزع الباقي على المجاهدين .

(١) والمنظر له الشيخ الحضرمي « نور اليقين » ص ١٠٨



## غزوة غطفان أودى أمر

وفي شهر ربيع الأول تجمع بنو تملبة ومحارب — ما حيان من غطفان — وعلى رأسهم رئيس لهم يسمى « دغثور » يريدون الغارة على المدينة ، فخرج إليهم النبي في أربعائة وخمسين من أصحابه بعد أن خلف على المدينة عثمان بن عفان ، فلما سمعت الأعراب بمسيره رعبوا وفروا . وسار المسلمون حتى وصلوا ماء لهم يسمى ( ذا أمر ) فعسكروا به وأمطرت السماء مطراً غزيراً فابتلت ثياب رسول الله فذهب إلى شجرة هناك بمنأى عن المعسكر ونثر عليها ثيابه . وشغل المسلمون بشئونهم . ورأى المشركون أن ينالوا من النبي على غرة فأرسلوا رجلاً منهم شجاعاً فقال أنه دغثور هذا ويقال غورث بن الحارث لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، فما شعر به النبي إلا وهو قائم على رأسه بالسيف مشهوراً ، فقال : من يمنعك مني يا محمد ؟ فقال النبي : « الله » ! الفرع بالرجل ، وسقط السيف من يده ، فتناوله الرسول ، ورفع ، وقال له : « من يمنعك مني » ؟ فقال الرجل لأحد ، فمعا عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان من الرجل إلا أن أسلم ، وتعهد أن لا يكثر على النبي جمعا ، وعاد إلى قومه ، فأخبرهم الخبر ، ودعاهم إلى الإسلام . وهكذا شاء الله سبحانه أن يخرج قاصداً قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا به يعود مؤمناً به ومحبا له !! وصار يجمع قومه للرسول ، بعد أن كان يجمعهم عليه ، وقد قيل : إنه نزل (١) في هذا قوله سبحانه : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ؛ إذ هم قوم أن يسطوا عليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٢) .

### « سرية زيد بن حارثة أوالقردة »

علمت قريش من مبادأة الرسول لطفان ، وسليم ، وخروجه إليهم أن قوة المسلمين المادية والمعنوية لا يستهان بها ، وأن الطرق المطروقة إلى الشام أصبحت غير مأمونة ، وأن القبائل المتحالفة: معهم أصبحت غير قادرة على حماية تجارتهم ،

فكروا في طريق وعر قليل الماء ، عرفهم به مرشد يأتمنونه فخرجت غيرهم في تجارة عظيمة ، وكان رئيس العير صفوان بن أمية ، ومعه أبو سفيان بن حرب ، وآخرون ، واستأجروا رجلا من بني بكر بن وائل يسمى : فرات بن حيان<sup>(١)</sup> ، ليذهب على الطريق ، وتكتموا أمر هذه العير ، ولكن الأقدار ساقته يثربا ، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي فقد كان بمكة وتلم بخبر العير ، فلما قدم المدينة . وجلس في رفقة له يشربون ومعهم رجل مسلم . وذلك قبل أن تحرم الخمر . فجرى على لسانه ذكر عير قريش والطريق الذي سلكته . فأسرع الرجل المسلم فأخبر النبي ، فأرسل من فوره زيد بن حارثة في مائة راكب مجاهد ، وكان ذلك في مستهل جمادى الأولى من السنة الثالثة فسارت السرية حتى لقوا العير عند ماء يسمى «القردة» ففر الرجال ، وأصاب المسلمون العير ، وكانت أول غنيمة ، ذات قيمة غنمها المسلمون ، وعادت السرية بها ، فحتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ خمسها خمسة وعشرين ألفا ، وقسم الباقي على رجال السرية ، وكان فرات بن حيان فيمن أسر ، فعرضوا عليه الإسلام فأسلم .

### « غزوة أحد »<sup>(٢)</sup>

تجهر قريش لأحد : لما أصيبت قريش في بدر أرصدوا التجارة التي كانت تحملها العير لقتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأنثأ منه ومن أصحابه ، وأوقفوها بدار الندوة ، وكانت تبلغ خمسين ألفا دينار ، فسعى رجال من رؤسائهم قبيل أحد إلى أبي سفيان بن حرب ، فقالوا له : إن عهدا وترنا<sup>(٣)</sup> ، وقتل خيارنا . وإنا رضينا أن نترك ربح أموالنا فيها استعدادا لحرب عهد وأصحابه ، وقدرضى بذلك كل من له فيها نصيب .

وصاروا يجمعون الجموع لقتال النبي ، واستنفروا حلفاءهم من الاحابيش ،

(١) حان : بالياء اللتاء . وائل : بالياء الموحدة .

(٢) أحد : جبل بينه وبين المدينة نحو ستة أميال . وكانت الواقعة عنده

(٣) أسابنا وأحبنا وأهلنا .

والقبائل المنتشرة حول مكة من كنانة ، وأهل تهامة ، وعبأوا القوي لهذا الاستنفار ، فقد سعى صفوان بن أمية إلى أبي عزة الشاعر الذي كان في الاسارى يوم بدر ، ومن عليه الرسول ، وقال له يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، وأخرج معنا ، فقال : إن محمدا قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه ولم يزل به يغريه ، ويقول : لله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل نباتك مع نباتي يصيبهم ما أصابهم من عسر ، ويسر ، حتى قبل فخرج أبو عزة يسير في تهامة ، ويدعوني كنانة لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك اشترك في تأليب القبائل أبو عامر الذي كان يقال له : الراهب ، فسماه رسول الله : الفاسق .

وما زالت قریش تجمع الجموع حتى تكون جيش تعداده ثلاثة آلاف منها ، ومن حلفائها وأعراب كنانة ، وتهامة .

وقد اختلفوا : يخرجون بالنساء أم لا ؟ وكان آخر الامر أن ترجع رأى القائلين بخروجهن لما صرخت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ، وأصرت على خروجهن فخرجت مع زوجها تؤلب وتحث على القتال ، وكذلك خرجت زوجات عكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن العاص ، وصفوان بن أمية وغيرهن وسار هذا الجيش قاصدا المدينة ومعهم ثلاثة آلاف بعير ، وماثنا فرس ومن بينهم ستمائة دراع ، وكان في الجيش عبد حبشى يقال له « وحنى » وهو غلام لجبير بن مطعم فقال له جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى — وكان قتل يوم بدر مشركا — فانت حر ، وكانت هند تحرضه هي الأخرى على قتل سيدنا حمزة بن عبدالمطلب الذى فجعها بقتل الأجد من أهلها فى بدر فكانت كلما مرت به أو مر بها تقول له : وبها أبا دسمة اشف ، واستشف<sup>(١)</sup> ، وسار الجيش حتى وصل إلى الأبواء حيث القبر الطاهر : قبر السيدة آمنه بنت وهب أم النبي ، ففكر بعض سوقتهم فى نبش قبرها ، ولكن زعماءهم أبوا ذلك حتى لا تكون سنة سيئة فى العرب ،

(١) وبها : كلمة لغراء وتحريض . أبو دسمة : كنية وحنى :

وقالوا : لاتذكروا من هذا شيئاً فلو فعلنا نبشت بنو بكر ، وبنو خزاعة موتانا ،  
وتابعت قريش سيرها حتى نزلت عند بعض السفوح من جبل أحد على خمسة  
أميال من المدينة .

« وصول الخبر إلى الرسول » وكان العباس بن عبد المطلب يعلم ما صنعت  
قريش من تأليب القبائل ، وجمع الجموع ، وعزمها على مهاجمة المدينة ، فكتب  
كتاباً إلى ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم يخبره فيه بما جرى ، وأعطاه لرجل من بني غفار  
فأوصله الرجل إلى النبي فقرأ عليه أبي بن كعب ، فاستكتمه الرسول ما فيه ،  
وأخبر بعض أصحابه واستكتمهم الخبر أيضاً ، ثم أرسل النبي أنسا ومؤنسا ابنا  
فضاله يستنطان أخبار قريش ، فألفياها قد قاربت المدينة ، وأرسلت خيلها وأبلها  
ترعى زروع يثرب المحيطة بها ، وأرسل بعدها الحباب بن المنذر مستطلعاً ، فجاءت  
الرسلة تؤكد ما أخبر به العباس وأن جيش قريش بمشارف المدينة ولم يعد الأمر  
سراً فقد توالى الأخبار بوصول قريش وعسكرتها بالقرب من أحد ، وأخذ  
المسلمون الحيطه للرسول ولأنفسهم ، حتى لقد بات وجوه المساهين من أهل  
المدينة وعليهم السلاح بالمسجد النبوي خوفاً على الرسول ، وأقاموا حراساً على  
مداخل المدينة بالليل .

#### « مشاورة النبي أصحابه »

ولم يكن بد من أن يتشاور النبي والمسلمون فيما دهمهم ، فجمع النبي وجوه  
المهاجرين والأنصار وحضر معهم عبد الله بن أبي راس المنافقين ، وكان ذلك في  
يوم جمعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ليلة الجمعة رؤيا فلما أصبح قصها على  
أصحابه فقال : « إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً تذبح ، ورأيت في  
ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت إني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة »  
وقد ورد في تأويل بقية الرؤيا أن النبي قال : « يأما البقر فأناس من أصحابي  
يقتلون ، وأما الثلم . . . فهو رجل من أهل بيتي يقتل »<sup>(١)</sup> فمن ثم كان رأى

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦٢ ط الحبي

رسول الله المقام بالمدينة والتحصن بها فان هم دخلوا عليهم قاتلوهم ، ورأى هذا الرأي شيوخ المهاجرين والأنصار ورأى هذا الرأي أيضاً عبداً لله بن أبي ابن سلول ، فقال : « يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فكيف وأنت فينا؟ فإن أقاموا أقاموا بئر مقام ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين » .

ولكن الكثيرين ولا سيما الشباب ممن لم يشهد بدرأ ، أو شهدا وأمتهم الله بالنصر قالوا : يارسول الله : اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جينا عنهم وضعفنا . ومن هؤلاء حمزة بن عبد المطلب فقال : والذي أنزل عليك الكتاب لتبجالدنيهم ، وصلى رسول الله ﷺ بهم الجمعة ، ووعظ الناس وذكرهم وحشمهم على الثبات والصبر ، ثم دخل بيته فلبس لامته (١) ثم خرج عليهم ، فلما رآه الذين أشاروا بالخروج ندموا وقالوا : استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، يارسول الله إن شئت فاقعد ، فقال : « ما ينبغي لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين أعدائه » وأذن مؤذن رسول الله بالخروج ، فخرج في ألف من أصحابه واستعمل على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ، ثم عقد الألوية فأعطى لواء المهاجرين لمصعب ابن عمير ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر . ولواء الأوس لأبي سعيد بن حضير وسار الجيش ، وفي الطريق بصر النبي بكنتية كبيرة فسأل عنها ، فقيل له هؤلاء حلفاء ابن أبي من اليهود فقال : « لا حاجة لنا فيهم إنا لانستعين بكافر على مشرك » ونعما فعل ، فهم قوم مرنوا على الحيانة والنفاق فلا يؤمن جانبهم .

فلما وصلوا إلى الشوط - مكان بين المدينة وأحد - انخذل عبد الله بن أبي بنمائة من أصحابه وقال أطاعهم وعصاني ، علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ؟

فرجع عن اتبعه من قومه من أهل النفاق والشك ، فتبعهم عبد الله بن عمرو ابن حرام والد جابر فقال : يا قوم ، أذ كرتم الله ألا تخذلوا قومكم ونيبكم عند ما حضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتالا ، فلما استعصوا عليه قال : أبعدم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه وفي هؤلاء المنخزلين نزل قول الله تعالى : « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيبأذن الله وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو اذفَعُوا قالوا : لو نعلم قتالا لا تبغناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون » (١)

ولما رجع ابن أبي وأصحابه همت بنو سلمة وبنو حارثة أن ترجعا ، ولكن الله ثبتهما وعصمهما وفي ذلك نزل قوله سبحانه : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ، والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (١)

« استعراض الجيش ورد بعض الصبيان » وفي الطريق استعرض رسول الله الجيش وكان خرج مع الرجال بعض الغلمان ممن لاطاقة لهم على الجهاد رغبه في الجهاد وجبا للاستشهاد في سبيل الله فردهم النبي لصغرهم منهم : عبد الله ابن عمر ، والبراء بن عازب ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وعرابة بن أوس (١) وأجازهم يوم الخندق ، وكان الرسول رد سمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وهما أبناء خمس عشرة سنة ، فقبل له يارسول الله إن رافعا رجل رام فأجازته فقبل له : فإن سمرة يصرع رافعا فأجازته .

وما كان لنا أن نمر بهذا دون أن نشيد بأثر التربية الإسلامية ، آذاك في نفوس الشبان ، وأنهم لم يكونوا أقل من الرجال جبا للجهاد وتضحية في سبيل العقيدة والمثل الانسانية العاليه ، وبهؤلاء الشباب وأمثالهم انتصر الإسلام وعلا على كل الأديان ، وكان المساهون خير أمه أخرجت للناس ، وعى أن يكون لشباننا في هؤلاء أسوة حسنة .

« نزول المسلمين بالشعب في أحد والتعبئة للقتال »

ومضى رسول الله في سبعمائة من أصحابه حتى وصل الشعب من أحد ، وجعل ظهره وعسكره إلى الجبل ، وقال : لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر من شوال عبأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال ، وصف الصفوف وبوأ كل فريق مكانه ، وأمر رسول الله على الرماة عبد الله بن جبير ، وهو معلم بثياب بيض ، وكانوا خمسين رجلاً ، وأوصاهم قائلاً : « انضحوا بالنبل عنا لا تؤتينا من قبلكم ، والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم » وفي هذا نزل قول الله تعالى « وإذا غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال والله سميع عليم » (١)

الرسول يحمس أصحابه :

وصار النبي يحمس المسلمين ، وينفخ فيهم من روحه ، وقوة إيمانه ، ويحثهم على الصبر والثبات في هذه المواطن ، وابتدع طريقة تثير الحمية ، وتدعوا إلى الاستبسال في القتال ، فقد أخذ بسيف في يده وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فأحجم القوم ثم كرر الكلمة فقام رجال فأمسكهم ، فقام إليه أبو دجانة سمالك بن خرشة فقال : وما حقه يارسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني قال : أنا آخذه بحقه فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكانت له عصابة حمراء إذا اعتصب بها علم أنه سيقاتل ، فأخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبعثر بين الصفين فقال رسول الله : « إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن »

« جيش قريش » وعبأت قريش حينها ، وتضافوا للقتال ، وكان معهم

ورأيت عرابة الأوسى يسير إلى الخيرات منقطع النظير  
إذا ماراة رعدت لمجد تلقاها عرابة باليمير  
( م ١١ — السيرة النبوية ج ٢ )

(١) قال فيه الشاعر :

مائتا فرس قد جنبوها ، فجمعوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد . وعلى ميمنةها  
عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية ، وكان حامل لوائهم طلحة  
ابن عثمان من بني عبد الدار ، وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء يحمسمهم .  
ويستثير حميتهم يا بني عبد الدار ، قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم .  
وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زلوا ، فاما أن تكفونا وإما أن تخلوا  
بيننا وبينه فكفيكوه فهموا به وتواعدوه . وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا  
غدا إذا التقينا كيف نصنع ؟ وهذا ما أراد أبو سفيان ، وقامت هند امرأة أبي  
سفيان في نساء من قريش وهن يتجولن بين الصفوف ، ويضربن بالدفوف ،  
ويحرضن على القتال ويقلن :

ويهاً بني عبد الدار      وبها حماة الأدبار      ضرباً بكل بتار (١)

ويقلن :      نحن بنات طارق (٢)      نمتى على النمارق

مضى القطا النوازق      والمسك في المفارق

والدر في المحائق

إن تقبلوا نعانق      ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق      فراق غير وانف (٣)

---

(١) وبها . كلمة تحرض وحث على القتال . حماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس .  
البتار ، السيف القاطم .

(٢) قال السهيلي : فيقال : إنها — أي هند — تمثلت بهذا الرجز وأنه لهند بن طارق  
ابن بياضه فأنته في حرب الفرس لأباد فولى هذا يكون انشاده . نحن بنات طارق — بالنصب  
على الاختصاص . . . وإن كابت إرادت النجم فبنات مرفوع خبر مبتدأ أي نحن شريفات  
رفيعات كالنجوم ، وبه — أي أن استبعده ذكر عن بعضهم أنه استحسنه (الروض الانف  
ج ٢ ص ١٢٩ — ١٣٠)

(٣) النمارق . جمع نمرقة وهي الوسادة . النيارق — الخفاف ، لخاق — جمع مضغفة  
وهي القلادة ، والواق — الناجب



« محاولة فاشلة » وحاول أبو عامر الفاسق — وقد تصاف الجيشان — أن يستزل بعض الأنصار ، فقال: يامعشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك علينا يافاسق ، فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدى شر : ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ورماهم بالحجارة .

« بدء القتال بالمبارزة ، وابتدأ القتال بالمبارزة فقد دعا طلحة بن أبي طلحة العبدري أحد حملة لواء المشركين يومئذ إلى البراز ، فأحجم عنه الناس فبرز إليه الزبير بن العوام ، فوثب حتى صار معه على جملة ، ثم ألقاه على الأرض وذبحه بسيفه ، فقال الرسول : ( إن لسكل نبي حواريا <sup>(١)</sup> ) ؟ وحواري الزبير وقال . « لو لم يبرز إليه أحد لبرزت أنا إليه . لما رأيت من إحجام الناس عنه ، وهذا يدل على شجاعة رسول الله الفائقة التي لاتدانيها شجاعة .

وخرج سباع بن عبد العزى من صفوف المشركين ، وهو يقول : هل من مبارز ؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : ياسباع يا ابن أم أثمار أتجاد الله ورسوله ! ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب ، ونادى أبو سعد بن أبي طلحة وكان أحد حملة لواء المشركين وقد سمع على بن أبي طالب يقول: أنا أبو القصم <sup>(٢)</sup> فقال : هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة ! قال نعم : فبرزوا بين الصفتين فاختلفا ضربتين ، فضربه على فصرعه ولم يجهز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ قال : إنه استقبلني بعورته فعطفتي عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله <sup>(٣)</sup> .

« التحام الجيشين » ثم التحم الجيشان ، وحى الوطيس ، وتعانقت السيوف

---

(١) الحواري - الخلفى الصفى الناصر

(٢) بضم القاف وفتح الصاد وروى بالفاء والقصم — بالقاف — القطع مع الأبانة ، والقصم — بالفاء — قطع من غير إبانة

(٣) وقد فعل ذلك سيدنا على يوم صفين مع بسر بن ابى اوطاه لما حمل عليه ابنته له أبدى له عورته فرجع عنه وكذلك فعل مع عمرو بن العاص حين شد عليه في بعض أيام صفين فأبدى له سواته فكف عنه

وحملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، فينضحهم الرماة بالنبال  
فيتكصون على أعقابهم ، وأبلى كثير من المسلمين في هذا اليوم بلاء حسنا ، وأظهروا  
من البطولات ما أعجز المشركين .

فاندفع أبو دجانة<sup>(١)</sup> وقد اعتصب بمصابة الموت وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسحق لدى النخيل  
أن لا أقوم الدهر في الشكيول<sup>(٢)</sup> أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلتقي أحدا من المشركين إلا قتله ، ورأى — رضى الله عنه —  
إنسانا يمش الناس خشاً شديدا ، قال : فصدت له فلما حملت عليه بالسيف ولول  
فإذا هي امرأة ، وهى هند بنت عتبة ، قال : فأكرمت سيف رسول الله ﷺ  
أن أضرب به امرأة .

وقاتل على والزير ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو طلحة الأنصاري ، وسعد  
ابن أبي وناص ، وأبطال غيرهم كثيرون ، وقاتل أسد الله حمزة بن عبد المطلب  
قتال الأبطال لا يمر به أحد المشركين إلا أطاح برأسه ، ولا يقدر أحد أن يهوى  
إليه ، فقتل نفرا من حملة اللواء من بنى عبد الدار ، وبينما هو على هذه الحال ،  
كمن له وحشى تمكن منه ، ثم رماه بحريته فأصابته منه مقتلا . وسأدع  
وحشيا يحدثنا عن هذا المشهد المؤلم المثير قال : كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان  
عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير :  
إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت حر قال : فخرجت مع الناس وكنت رجلا  
أقذف بالحربة قذف الحبيشة ، قل ما أخطىء بها ، فلما التقى الناس خرجت أنظر  
حمزة وأبصره حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق<sup>(٣)</sup> يهد للناس

---

(١) أبو دجانة . بضم الدال وتخفيف الجيم واسمه : سمالك بكسر السين بن خرشه وفتح الحاء

والراء ، والشين

(٢) الشكيول : آخر الصفوف في الحرب ويروى أيضا الشكيول جمع كبل وهو القيد

(٣) الأورق الذى لونه بين الأبيض والأسود «الرمادى»

بسيفه هدأ ما يقوم له شيء ، فوالله إنى لأتنبأ له أريده واستر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى ، فلما دنا هزرت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثمنه — تحت سرته — حتى خرجت من بين رجله ، وذهب لينوء محوى فغلب وتركته وإياها حتى مات ، ثم أخذت حربتى ورجعت ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعتق<sup>(١)</sup> وسرت قوة الإيمان فى نفوس المسلمين ، وضاعت من قوائم المعنوية ، فاذا السبعائة يهزمون الثلاثة الآلاف ، حتى لقد قتل من حملة لواء المشركين ، من بنى عبد الدار سبعة أو تسعة ، ولم يزل اللواء صريعا لا يجد من يحمله ، حتى أخذته عمره بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش فاجتمعوا عليه وأنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسومهم بالسيوف ، حتى كشفوهم عن المعسكر ، وولولت نساء المشركين ، وأصعدن فى الجبل هربا ، قال الزبير بن العوام : والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم<sup>(٢)</sup> هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير ، وأضحت الهزيمة لاشك فيها وأقبل المسلمون على جمع الغنائم ، وما أكثرها وشغلوا بها عن مطاردة المشركين والإثخان فيهم ، وتطلع إلى الغنائم كثير من الرماة فركوا أماكنهم فكانت بوادر الهزيمة .

« مخالفة الرماة أمر الرسول » ونسى معظم الرماة وصية الرسول اليهم أن لا يبرحوا مكانهم وقالوا : مالنا فى الوقوف من حاجة ، وذكرهم رئيسهم عبد الله بن جبير قائلا : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ وقال لهم : أما أنا فلا أبرح مكانى ، فخالفه أكثرهم ، وانطلقوا إلى الغنائم وثبت معه عشرة رماة ، حينذاك اهتبل هذه الفرصة خالد بن الوليد ، فشد على بقية الرماة فقتلهم ، واندفع بخيله فى ظهور المسلمين وأخذوهم على غرة وهم لاهون بجمع الغنائم ، وصاح فى قريش : أن ارجعوا ، فعاد كل منهزم منهم ، واندفعت قريش كالسيل

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨

(٢) بفتح الغاء والدال جمع خدمة : الضلاخيل ، وقيل موضع الضلاخيل من السان

الآتي إلى معسكر المسلمين ، وصار المسلمون بين نارين ، وهنالك دارت الدائرة على المسلمين وتمحلت الصبادبور<sup>(١)</sup> ، ووقع الاضطراب في صفوفهم ، وصار كل واحد يلقى بما في يده من منغم ، وعاد إلى سيفه يسله ليقاتل به ، ولكن هيبات هيبات ، لقد تفرقت الصفوف وتمزقت الوحدة ، وابتلع البحر الهجي من جيش قريش ، هذه الفئة القليلة من المسلمين .

لقد كانوا من منذ ساعة يقاتلون ، بوحى من إيمانهم ، ودفاها عن عقيدتهم ، وهام الساعة يقاتلون لينجوا من برائن الموت ، ويفلتوا من ذل الأسر ، وكانوا يقاتلون متراصين متضامنين ، وهم الآن يقاتلون مبعثين مفرقين ، لا نظام يجمعهم ولا وحدة تشملهم ، وكانوا يقاتلون تحت قيادة حكيمة حازمة ، وهم الآن يقاتلون ولا قيادة لهم ، فلا تعجب إذا صار المسلمون يضرب بعضهم بعضا ، وهم لا يشعرون ، كما حدث في قتل «الihan»<sup>(٢)</sup> ، والد حذيفة ، فقد قتله المسلمون خطأ وهم لا يعرفونه ، واعتذروا لحذيفه فقال : يغفر الله لكم ، وأراد رسول الله أن يعطيه رية أبيه فأبى ، وتصدق بها على المسلمين فما زال في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عز وجل .

« شائعة قتل الرسول » واندفع المشركون نحو رسول الله ، يريدون قتله ، منهم ابن زينة ، فتلقاء مصعب بن عمير ، فقتله ابن زينة ظننا أنه رسول الله وصاح صائح ألا أن هذا قد قتل ، وهنالك عظمت البلية ، وطاشت أحلام المسلمين ، وذهلوا عن أنفسهم ، فمنهم من ولى هاربا ، ولم ترده إلا حيطان المدينة فرجع استحياء ، وفي هؤلاء نزل قوله سبحانه « إن الذين تولوا منكم يوم النقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كذبوا ، ولقد عفا الله عنهم ، إن الله غفور حلیم »<sup>(٣)</sup> ومنهم

(١) الصبادبور تهب من المشرق ، والديبور تهب من المغرب .

(٢) هو حسيل بن جابر وسمى الياني لانه من ولد جروة بن مازن وكان جروة قد همد عن أهله في اليمن زمنا طويلا ثم رجع إليهم فسموه الياني .

(٣) آل عمران ١٥٥

من انطلق صاعداً فوق الجبل وألقى بسلاحه من هول الفاجعة ، ثم لم يلبثوا أن قاءوا إلى الرسول وإلى القتال بعد أن أفاقوا من أثر الصدمة ، ومنهم من قاتلوا دفاعاً عن دينهم وحماية لأنفسهم ، وهم كثير منهم : حنظلة بن أبي عامر ، وكعب بن مالك ، وقتادة ابن النعمان ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر .

وقدم أنس بن النضر عم أنس بن مالك ، على قوم ممن أذهلتهم الشائعة وألقوا بسلاحهم فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله فمات : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ، فقالتوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه وقال : اللهم إني أعوذ بك عما قال هؤلاء يعني المسلمين — وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين — ثم لقي سعد ابن معاذ فقال : يا سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، ثم التي بنفسه في أتون المعركة ، وما زال يقاتل حتى استشهد . فوجد به بضع وثمانون ، مابين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رميه بهم فلم تعرفه إلا أخته بينانه ، وفي هذا وأمثاله نزل قول الله سبحانه : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه . ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (١) .

﴿ الذين ثبتوا مع الرسول ﴾ وثبت حول النبي ثلثة من المهاجرين والأَنْصار . وفدوه بأنفسهم ، قال ابن سعد : إنهم أربعة عشر رجلاً منهم أبو بكر وسبعة من الأَنْصار . وذكر الواقدي في مغازيه أنه ثبت مع الرسول يوم أحد من المهاجرين سبعة : أبو بكر وعليؓ ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد ، وطلحة والزبير ، وأبو عبيدة . ومن الأَنْصار : أبو دجانة والحباب ابن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة . وسهل بن معاذ : وأسيد بن حضير (٢) وذكر البغوي في تفسيره أنه كان ممن ثبت أبو بكر وعمر ، وفي هذا ما يرد ما ذكره الدكتور هيكل في كتابه : ﴿ حياة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾ (٣) من أن أبا بكر وعمر ممن انتحوا

(١) الأحزاب ٢٣ قضى نحبه : مات (٢) فتح الباري ج٧ ص ١٨٨

(٣) ص ٢٩١

ناحية الجبل والقوا بأيديهم ، والظان بالصديق في قوة إيمانه ، وتفديته للرسول بنفسه في الهجرة وغيرها أن يكون ممن ثبتوا وكذلك الظان بعمر ، ولعل هيكلا أخذ بما رواه ابن اسحاق في قصة أنس بن النضر من أنه وجد عمر ، وطلحة بن عبيد الله فيمن ألقوا بأيديهم ، وهي رواية مردودة ، فقد انفقت الروايات كلها في الصحيحين وغيرها على أن طلحة كان ممن ثبت (١) وهو مما يوهن هذه الرواية ويضعفها ، ويقلل الثقة بها ، وليس لنا أن نأخذ ببعض ما تفيد وندع البعض .

وفي بعض الروايات أن المقداد ، وسعد بن عباد ، ومحمد بن مسلمة ممن ثبتوا مع الرسول . والذي يظهر لي — والله أعلم — أن رسول الله ﷺ كان يدعو أصحابه إليه ، فصار كل من يسمع النداء ينفذ إليه ، حتى تجمع حوله عدد كثير ، فن ثم اختلفت الروايات في ذكر العدد والأشخاص بحسب الأحوال والأزمان .

نبات الرسول : وثبت رسول الله ﷺ كالجبل الأشم ، يدافع ويجالد جموع المشركين المحيطين به ، من كل ناحية وهو يقول : « إلى عباد الله إلى عباد الله » ففأى إليه الكثيرون ممن أذهلتهم شائعة أنه قتل ، فعمدوا عن القتال ، ومن تفرقوا يقاتلون بين الصفوف ، حتى تكونت حوله ثلة من أصحابه فسار بهم حتى وصل إلى الصخرة التي فوق الجبل ، وكان أول من عرف رسول الله بعد شائعة قتله كعب بن مالك ، فإنه رأى عينيه تزهرا (٢) من تحت المغفر ، فنادى : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ، فأشار إليه الرسول أن انصت ، وكانت تلك حكمة بالغة من الرسول ، فإن شائعة قتله كان من شأنها أن يخفف المشركون الوطأة على المسلمين ، فإذا ما علموا أنه لا يزال حيا عاودوا الكرة ، وكرروا محاولة قتله ، ولكن لم يلبث الخبر أن ذاع وانتشر بين المسلمين ، فقويت العزائم بعد خور ، وتجمعت الصفوف بعد تفرق ، ثم أراد رسول الله أن

يعلو الصخرة التي في الشعب من الجبل فلم يستطع لكثرة ما نزل من دمه الذكي ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به ، حتى استوى عليها ، فقال رسول الله حينئذ « أوجب طلحة » وبصر رسول الله بجماعة من المشركين ، فيهم خالد بن الوليد ، على ظهر الجبل ، فقال ، لا ينبغي لهم أن يعلونا » ثم أرسل إليهم عمر بن الخطاب في رهط من المهاجرين ، فقاتلوهم حتى أهبطوهم من الجبل ، وهذا يدل على أن المسلمين على الرغم مما أصابهم من جروح وهزيمة كانوا ولم يزالوا بهم قوة ومنعة .

ما نزل بالرسول من جراح : فقد رماه عتبة بن أبي وقاص فكسر رباعينه اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وكان سعد بن أبي وقاص يقول : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة — يعني أخاه — ولقد كفاني فيه قول الرسول : « اشتد غضب الله على من دمی وجه رسول الله » ، وقد دعا عليه الرسول فما حال عليه الحول حتى مات كافرا ، وشج رسول الله في جبهته عبد الله بن شهاب ، ورماه ابن قثم — أقاء الله — فجرح وجنته ودخلت حلقتان من المغفر فيها فكان أن سلط الله عليه تيسا فقتله ، ذلك أنه لما انصرف إلى مكة خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل ، فشد عليه تيسها فنطحه نطحه أردته من شاهق الجبل ، فتقطع قطعا ، وكان أبو عامر الفاسق قد حفر حفرة وغطاها ليقع فيها المسلمون ، فوقع رسول الله في حفرة منها ، فأخذ على بن أبي طالب يده ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى المستوى قائما ، وأقبل أبي بن خلف ، وهو مقنع في الحديد قائلا : أين محمد لا نجوت إن نجنا ؟ فقال أصحاب النبي : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ، فقال رسول الله : دعوه فلما دنا منه تناول الحربة من الحارث بن الصمة ، قال الراوى : فلما أخذها رسول الله انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله فطمعنه في عنقه طعنه تدرج منها عن فرسه ، وهو يخور خوار الثور ، ومات — لعنه الله — بسرف<sup>(١)</sup> والمشركون راجعون إلى مكة

سرف ككثف موصف قريب من التنعيم .

(١) سرف ككثف موصف قريب من التنعيم .

وبحسبه إنما قول الرسول : « اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله في سبيل الله » رواه الشيخان وعالج أبو عبيدة بن الجراح إخراج حلقتي المغفر من وجه رسول الله ، وكره تناولها بيده فيؤذى الرسول ، فأزم على إحدى الحقتين بضمه فاستخرجها وقد سقطت ثنيتة معها ، ثم أزم على الأخرى فأستخرجها فوقعت الثنية الأخرى ، فكان أبو عبيدة لذلك من أحسن الناس هتما ، ومص مالك ابن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم أزرده — ابتلعه — فقال الرسول : من مس دمي دمه لم تصبه النار .

« على وفاطمة يضمندان جراح النبي ،

أصلح على وزوجه السيدة فاطمة ، من شأن الجروح ، فكان على يسكب الماء بالمجن ، وفاطمة بنت الرسول تفصل ، فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها والصقتها بالجراح فأستمسك الدم (١) وكان النبي يقول وقد أصابته الجراح والدم يسيل على وجهه يوم احد : « كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم ، وكرروا رباعيته وهو يدعو إلى الله ، فأنزله الله سبحانه : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (٢) فصبر النبي ورضى .

وقد كان ثبات النبي ﷺ موقفاً بطولياً فذاً ، لا يكون إلا من نبي يوحى إليه ، ولولا هذا الموقف لما تجمع الأبطال حول البطل ، ولكانت المزيمة ساحقة ماحقة .

« مثل من البطولات في الدفاع عن الرسول »

وقد أبدى بعض المسلمين في ثباتهم حول الرسول ودفاعهم عنه يوم أحد بطولات فدائية ، لم يعرفها التاريخ لأحد إلا لأصحاب نبينا محمد ، وسواء في ذلك المهاجرون والأنصار ومن هؤلاء :

طلحة بن عبيد الله من السابقين الأولين ، وكان الصديق أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كاه لطلحة ونكاد تجمع الروايات على أنه

(١) صحيح البخاري . كتاب المغازي باب فزوة أحد (٢) آل عمران ١٣٧



من ثبت ، وقد روى البيهقي بسنده عن جابر أن المشركين رهقوا رسول الله وهو صاعد في الجبل جماعة من الأنصار ومهم أبو طلحة ، فقال رسول الله « الأرجل لهؤلاء ؟ » فقال طلحة : أنا فقال : كما أنت يا طلحة فقال رجل من الأنصار ، أنا ، فقاتلهم حتى قتل ، فلحقه المشركون ، وما زال يقول : الأرجل لهؤلاء ؟ وطلحة يقول : أنا فيدخره ، ويتقدم أحد الأنصار فيقاتلهم حتى يقتل ، حتى قتلوا جميعا ، ثم قاتلهم طلحة فقاتل مثل قتال جميع من كانوا قبله ، وأصيبت أنامله فقال « حس » فقال رسول الله : « لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة ، والناس ينظرون إليك حتى تليج بك في جو السماء » وروى البخاري في صحيحه عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي ﷺ يوم أحد ولقد بقيت يده — رضى الله عنه — وساما دونه كل وسام إلى يوم القيامة .

ومنهم سعيد بن أبي وقاص الزهري ثل له رسول الله ﷺ كنانته (١) يوم أحد وقال له : إرم فذاك أبي وأمي ، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله لم يجمع أبويه لأحد في النفذية إلا له .

ومنهم أبو طلحة الأنصاري ، روى البخاري في صحيحه عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي محبوب عليه بجحفة له (٢) ، وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع (٣) كسر يوم مؤذقوسين أو ثلاثه ، وكان الرجل يمر معه جمعته (٤) فيقول النبي : انثرها لابي طلحة ، ويشرف النبي ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك (٥) وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي ان رسول ويقول : إني جلد يا رسول الله ، فوجهي في حوائجك ، ومررتي بما شئت .

(١) السكانة كيس يوضع فيه السهام .

(٢) مجرب بضم الميم وفتح الجيم ، وكسر الواو المشددة : الجحفة بفتح الجيم والهاء الترس الذي يتقى به المقاتل . (٣) شديد النزع : أي الرمي بالقوس .

(٤) بضم الجيم : وهاء الهمام .

(٥) صحيح البخاري — كتاب المغازي . باب فزوة أحد .

ومنهم « أبو دجانة » فقد « ترس » بنفسه على رسول الله ، فحفي ظهره عليه ،  
والنبيل يقع فيه حتى كثرت به الجراح

ومنهم « زياد بن السكن » ، ويقال : عمارة بن يزيد بن السكن كان أحد النفر من  
الأنصار الذين قتلوا بين يدي رسول الله دفاعا عنه حينما غشية القوم وتكاثروا  
عليه لقتله (١) .

ومنهم فتي الفتيان « علي بن أبي طالب » فقد كان ممن ثبت مع الرسول ، وناصح  
عنه ، وممن قاتل في هذا اليوم قتال الأبطال .

« بطولة امرأة » وإنما لبطولة تستحق التسجيل ، وبطلتها هي السيدة نسيبة  
بنت كعب المازنية الأنصارية . روى ابن اسحاق وغيره أنها دخلت عليها أم سعد  
ابن الربيع فقالت لها : يا خاله أخبريني خبرك قالت : خرجت أول النهار أنظر ما  
يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه  
والدولة والريح (٢) للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزرت إلى رسول الله ،  
فعمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح  
إلى قالت الراوية : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف ، له غور ، فقلت لها : من أصابك  
بهذا ؟ قالت : ابن ذئبة — أذناه الله — لما ولى الناس عن الرسول أقبل يقول :  
دلوني على محمد ، لانبجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبتوا  
مع الرسول ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن  
عدو الله كان عليه درعان ، وقد غشى عليها من جراحها ، فلما أفاقت قالت : أي  
رسول الله وما صنع المشركون معه ؟ فقالوا لها بخير .

وروى الواقدي بسنه عن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما التفت  
يوم أحد يمينا وشمالا إلا وأراها تقاتل دولي »

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨١ ، (٢) الطبعة والنصر ج ١ ص ٥٠

وإن الإنسان ليدهش من هذه الشجاعة التي لا نكاد نجد لها مثالا في تاريخ الدنيا ، إن لهذه السيدة البطلة لتاريخا حافلا في باب الجهاد في الإسلام ، فقد ذكر ابن عبد البر في ترجمتها : أنها شهدت أحدا مع زوجها زيد بن عاصم وابنيها : حبيب وعبد الله ، وشهدت كذلك بيعة الرضوان ، وقد أبلت بلاء حسنا في حروب الردة ، وكان مسيامة الكذب ، قد ظفر بابنها حبيب وهو مقبل من عمان إلى المدينة وأخذه أسيرا<sup>(١)</sup> ، فقال له : أتشهد أني رسول الله ! فيقول : لا أسمع ، فيقول أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم فيقطع منه عضوا ، وما زال يسأله ويوجب بما أجاب به حتى قطعه إربا إربا ، ومات شهيدا عقيدته مرضيا عليه من ربه ، وأبت عليه بطولته أن يداهن في موطن تجيز له النقية أن يوافق ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان ، ولكن المؤمنين الأبطال يأبى عليهم إيمانهم الفذ إلا العزائم ! !

ولما بلغها ما صنع الكذاب بحبيب عاهدت الله أن تموت دون مسيامة ، فلما كان يوم اليمامة ذهبت إلى الصديق تستأذنه في الخروج فقال لها : ما مثلك يحال بينه وبين الخروج ، فقد عرفناك ! وعرفنا جرأتك في الحرب ! فاخرجي على اسم الله ! فخرجت هي وابنها عبد الله وأصيبت يومها بأثنى عشر جرحا ، وفقدت يدا في هذا اليوم وكانت حريصة على قتل مسيامة ، ولم يهدأ بالها حتى قابلها ابنها البطل عبد الله بن زيد الذي شارك وحشيا في قتل مسيامة ، وسيفه يقطر دما من دمه ، فقالت له ، أقتلته ؟ قال : نعم ، فسجدت شكراً لله ، وعادت وقد فقدت في حروب الردة يدا وابنا ، وعادت بيد وابن ، ولكنها كانت قريرة العين أن أبر الله قسمها ، وأن فقدت ماتت في سبيل الله ! !<sup>(٢)</sup> .

« مثل آخر من إيمان النساء » فقد مر رسول الله ﷺ بعد الموقعة بامرأة

(١) وذكر ابن عبد البر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه إلى مسيامة الكذاب

باليمامة ففعل به ما ذكرنا

(٢) الأصابة ٤٧٩ ، وج ١٥٦ ، ٣٠٦ والاستيعاب على هامش الأصابة ج ٤ ، ص ٤٧٥

من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها ، وأخوها ، وأبوها مع رسول الله بأحد ، فلما نوا إليها قالت : ما فعل رسول الله ؟ قالوا خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جليل !! تريد صغيرة وهذا اللفظ من الاضداد :

### ومن جهاد النساء في أحد

وقد كان للنساء المسلمات جهاد مشكور في أحد : يسقين العطشى ، ويداوين الجرحى . روى الشيخان في صحيحيهما عن أنس قال : « ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر — زوج الرسول — وأم سليم — يعنى أمه — وأنها لمشمرتان أرى خدم<sup>(١)</sup> سوقهما تنقران<sup>(٢)</sup> القرب على متونهما ، تفرغان في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملاتها ، ثم تخبثان فتفرغانه في أفواه القوم » ومنهن أم سليط . روى البخارى في صحيحه بسنده « أن عمر بن الخطاب قسم مروطا<sup>(٣)</sup> بين نساء من نساء المدينة فبقى منها مرط جيد فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله التى عندك يريدون أم كلثوم ، بنت على ، فقال عمر : أم سليط أحق به منها قال عمر : فانها كانت تزفر<sup>(٤)</sup> لنا القرب يوم أحد<sup>(٥)</sup> وكان النساء يقمن بهذه الخدمات وهن على حالة من الوقار والاحتشام وعدم التبرج ، والمخالطة المريية فالإسلام لا يمنع المرأة من المشاركة في الحرب بما يليق بمجالها ، بل ومن الأخذ بالسلاح إذا لزم الأمر ، كما فعلت السيدة نسبية وغيرها روى مسلم في صحيحه بسنده عن أنس أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين ، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت : « اتخذته إن دنا مني احد من

(١) جم خدمه وهو الخيخال ، والسوق جمع ساق

(٢) تبرعان المشى وقيل ، نهرولات .

(٣) المرط كساء من صوف أو حرير تتلفم به المرأة وتتستر

(٤) مثل تحمل وزنا ومفنى .

(٥) صحيح البخارى — كتاب المغازى — فزوة أحد باب ذكر أم سليم

المشركين بقرت بطنه » وهكذا فلتكن النساء ، وروى مسلم أيضا عن أنس قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ، ويداوين الجرحى » وروى أيضا عن أم عطية الأنصارية قالت : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، فأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى « (١) .  
فالإسلام يديح للمرأة المشاركة في الجهاد ، ولكن بشرط التدين والتصون والتعفف وعدم الابتدال والوقوع في المآثم ، وإلا كان ضررها أكثر من نفعها ، وإفسادها أكثر من إصلاحها .

« المقاتلون حمية » على حين كانت الكثرة من المسلمين تقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا كان في صفوفهم من يقاتل حمية عن قومهم بمن يظهرون الإسلام : ولا يرجون الله واليوم الآخر ، ومن هؤلاء رجل يسمى : « قزمان » قال ابن اسحاق : وحدثني عاهم بن عمر بن قنادة قال : كان فينا رجل أتى — غريب — لا يدري بمن هو يقال له « قزمان » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكر له قال : ( إنه من أهل النار ) قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً ، وقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس فأثبتته الجراح فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فابشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا هذا ما قاتلت ! فلما اشتدت به جراحه أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه وهكذا صدق الله مقالة رسوله ، وكانت خاتمة أمره خيرا ، ومآلا إلى النار حيث قتل نفسه

### « المشركات يمثلن بشهداء أحد »

لما وقعت الهزيمة بسبب مخالفة الرماة أمر الرسول وأصيب من أصيب من المسلمين انطلقت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي كن معها إلى قتلى المسلمين يمثلن بهم

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الشهادة - باب غزوات النساء مع الرجال

يحقد وغيظ وشراسة . فصرن يمدعن الأذان والأنوف . ويقرن البطون حتى أن هنداً بقرت عن كبد سيد الشهداء حمزة فلاكتها — مضغتها — فلم تستطع أن تسيغها — تبتلعها — قلفظتها . وبالغن في التمثيل بالشهداء ، ونسب صنع الرسول والمسلمين في قتلائهم بيد ، حيث أمر بدفنهم ، ولم يتركهم للسباع والطيور ، فضلاً أن يمثلوا بأحد منهم فستان ما بين الصنيعين ، وصنعت هند من الأذان والأنوف خلاخيل وأقراطاً وقلائد ، وأعطت وحشياً قلائد ها وخلاخيلها وأقر أطها مكافأة له على جريمته التكرار ، بل بلغ الأمر بأبي سفيان بن حرب ، أن صار يضرب في شدة سيد الشهداء حمزه برج الرمح ويقول : ذق عقق — يعني ياعاق — فر عليه الحليس بن زياد سيد الاحابيش يومئذ وهو يفعل ذلك فقال : يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ماترون لحماراً ؟! فقال : ويحك اكتمها على فإيها كانت زلة .

(حزن الرسول على عمه) وخرج رسول الله يتفقد القتلى ، ويتلمس عمه حمزة ، فوجده قد مثل به فبقر بطنه ، وأخرج كبده ، وقطعت أنفه وأذناه فقال : « لن أصاب بمنك أبداً ، وما وقفت قط موقفاً أغيظ على من هذا » ثم قال « ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بشائين رجلا منهم مكانك » وقال المسلمون لما رأوا المثلة في قتلائهم ، وحزن النبي البالغ على عمه حمزة

لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لتمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب .

« أمر الله بالعدل في القصاص » ولم يلبث الوحي أن نزل بالأمر بمراعاة العدل في القصاص ومحبة في الصبر والعفو فقال عز شأنه ( وإن عاقبتهم فعاقبوا يمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (٢) فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر وكفر

عن يمينه ونهى عن المشة وروى ابن اسحاق بسنده عن ممرة بن جندب قال :  
« ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه ، حتى يأمرنا بالصدقة  
وينهانا عن المشة . »

ولا يشكلن عليك كون هذه الآيات من سورة النحل وهى مكية ، لأن  
بعض العلماء قال : إنها مكية إلا هذه الآيات من خواتيم السورة فإنها مدنية ، نعم  
ذهب كثير من العلماء إلى أنها كلها مكية وعلى هذا فتكون هذه الآيات مما تكرر  
نزولها على حسب المناسبات والدواعى تذكيراً بما فيها من هذا الأدب الإسلامى  
العالمى ، وهو رعاية للعدل عند النصر والظفر ، وعدم الاستجابة لهوى النفس ،  
أو الإسراف فى الانتقام والتشفى ، وهو أدب إسلامى لم تصل إليه المدينة  
فى القرن العشرين (١) .

« بعد الموقعة » وبعد الموقعة : عرف أبو سفيان بن حرب على المسلمين فقال : أفى القوم محمد  
فقال لهم النبى لاجيبوه ، أفى القوم ابن أبى قحافة : أفى القوم ابن الخطاب ؟ والنبى يقول :  
لا تجيبوه ، فقال أبو سفيان : إن هؤلاء قتلوا قتلوا كانوا أحياء لأجابه ، فلم يملك عمر نفسه  
أن قال : كذبت والله يا عدو الله إن الذى عددت لأحياء ، وقد بقى لك ما يسوءك فقال : يوم  
يوم بدر والحرب سجال — يعنى يوم لك ويوم عليك — فقال له عمر : لا سواء ! اقتلانا فى  
الجنة وقتلناكم فى النار ، فقال أبو سفيان : وإنكم ستجدون فى القوم مثله لم أمر  
بها ولم تسؤنى ، ثم أخذ يرتجز : أعل هبل . أعل هبل (٢) ، فقال النبى :  
أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : ( قولوا : الله أعلى وأجل ) فقال أبو سفيان  
لنا العزى ، ولا عزى لكم ، فقال النبى : أجيبوه قالوا : ما نقول قال :  
( قولوا : الله مولانا ولا يمولى لكم ) ثم قال أبو سفيان : إن موعدكم بدر العام  
المقبل ، فقال رسول الله لرجل من أصحابه ( قل : نعم هو بيننا وبينك موعد )  
روى هذا ابن اسحاق وأحمد والبخارى ، ومسلم .

(١) للدخول لدراسة القرآن الكريم للمؤلف ص ١٥

(٢) يعنى أظهر دينك . أو أعل هبل أى لزددهلوا

تعرف وجهة المشركين؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على  
تعرف رغبة القوم حتى لا يميلوا إلى المدينة ، فأرسل ابن عمه علياً وقال له :  
أخرج في آثار القوم ، وانظر ماذا يصنعون ، وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا  
الحيل وامتطوا الأبل فانهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الحيل وساقوا الأبل فهم  
يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأنجزهم  
فخرج علي ، فوجدهم جنبوا الحيل : وامتطوا الإبل ، وتوجهوا إلى مكة ، وهذا  
يدل على أن المسلمين كانوا لا يزالون أقوياء ، وعلى استعداد للقتال وأن الهزيمة لم  
توهن من قواهم المعنوية .

صلاة النبي بالمسلمين قائداً : وصلى رسول الله بأصحابه الظهر قاعداً أكثر  
ما تزف من دمه . وصلى وراه المسلمون قعوداً .

دعاء وإتهال : وتوجه النبي إلى الله الذي بيده كل شيء بالدعاء والثناء ، على  
ما نالهم من الجهد والبلاء ، فقال لأصحابه . « استنوا حتى أنى على ربي عز  
وجبل ، فصاروا خلفه صفوفاً ثم دعا بهذه الكلمات المؤمنه العذاب « اللهم لك  
الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ،  
ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت . ولا مانع لما أعطيت . ولا مقرب  
لما باعدت ، ولا مبعد لما قربت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ، ورحمتك وفضلك  
ورزقك اللهم إني عاثد بك من شر ما أعطيتنا ، وشر ما منعتنا ، اللهم حبب إلينا  
الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والنسوق والمعصيان ، واجعلنا من  
الراشدين ، اللهم توفنا مساهين ، وأحينا مساهين ، وألقنا بالصالحين غير خزايا  
ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ،  
واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله  
الحق » رواه الامام أحمد .

### من استشهد في أحد

وقد استشهد في أحد من خيار المسلمين حوالي سبعين منهم أربعة من



المهاجرين ، وقيل ستة والباقي من الانصار . فن المهاجرين :

(١) حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله ، قتله وحشى كما أسلفنا ، وقد بقى وحشى بمكة حتى فتحت ، ففر الى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف أعيته المذاهب ، فعزم على الفرار الى الشام أو اليمن فقبل له : ان النبي لا يقتل أحدا من الناس دخل في دينه ، فخرج حتى قدم على رسول الله بالمدينة فإذا هو واقف على رأسه يشهد شهادة الحق فقال له : « اوحشى أنت ؟ » قال نعم فعدته بمقتل حمزة ! فقال له : ويحك غيب وجهك عنى فلا أرينك ، ففعل فكان يتعمد أن لا يلتقى رسول الله كى لا يثير السكامن من الحزن ، ولا الذكريات المؤلمة ، فلما حصلت حروب الردة ، وخرج المسلمون إلى مسيعة ، خرج معهم ومعه حربته التي قتل بها سيد الشهداء كى يكفر عن فعلته بقتل مسيعة ؛ فأمكنه الله منه وشاركه عبدالله بن زيد بن عاصم في قتله (١) ؛ فلذا كان يقول :  
قتلت خير الناس بعد رسول الله وقتلت شر الناس ؛ وكانت وفاته بمحصر .

ولما قتل حمزة ومثل به جاءت أخته صفية بنت عبد المطلب لتراه ، وكان أخا شقيقا لها ؛ فقال رسول الله رحمة بها وشفقة عليها — لابنها الزبير بن العوام (للقها فأرجعها لاترى ما بأخيها ، فقال لها ابنها : أن رسول الله يأمرك أن ترجعى ؛ فقالت . ولم ؟ وقد بلغنى أنه مثل بأخى : وذلك فى الله ، فما أرضانا ما كان من ذلك !! لا تحسبن ولا تصبرن إن شاء الله ، فلما أخبر الزبير رسول الله بمقاتلتها قال : خل سبيلها فأتته ، فنظرت إليه ، وصلت عليه (٢) واسترجعت واستغفرت .

(٢) مصعب بن عمير وكان حامل اللواء يومئذ ، قتله بن قنينة لما اعترضه مفديا رسول الله بنفسه . ولما قفل رسول الله إلى المدينة لقيته حممة بنت جحش زوجة مصعب — رضى الله عنه — فنعى إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى إليها خالها حمزة فاسترجعت واشتغفرت ، ثم نعى إليها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولوات ، فقال رسول الله : (ان زوج المرأة منها لبيمكان)

(١) صحيح البخارى - كتاب المغازى غزوة أحد باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه والاضابة والاستيعاب ترجمه حمزة (٢) أى دعته

(٣) عبد الله بن جحش بن السيدة أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مثل به حتى سمى : المجدع في الله ، وذكر الزبير بن بكار أن سيفه انكسر يوم أحد فأعطاه رسول الله عز وجل فصار في يده سيفاً فقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار .

واستشهد في الأنصار — رضوان الله عليهم — كثيرون منهم : -

(٤) أنس بن النضر عم أنس بن مالك ، وقد قدمنا طرفاً من خبره .

(٥) سعد بن الربيع ، ولما افتقده رسول الله قال : « من رجل ينظر لي سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات ، فذهب إليه رجل فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، فأخبره بمقالة رسول الله فقال : أنا في الأموات فأبلغ رسول الله سلامي ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومت عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : لا عذر لكم إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم لم يلبث أن مات فجاء الرجل وأخبر النبي بخبره .

(٦) عبد الله بن عمرو بن حزام والد جابر وفي الصحيحين عن جابر أنه لما قتل أبو صرار يكشف عن وجهه الثوب ويصيح ، وصارت عمته تبكي أيضاً فقال رسول الله : « تبكيه أو لا تبكيه لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه » وروى البيهقي عن جابر قال : نظر إلى رسول الله ﷺ فقال : ( مالي أراك مهتماً ) فقال قتل أبي وترك ديناً وعيالاً فقال له : ( إلا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً — يعني مواجهة — وقال له : يا عبدي سلني أعطيك . قال : أسألك أن تردني إلى الدنيا فاقبل فيك ثانية فقال الحق تبارك وتعالى : إنه سبق مني القول انهم إليها — أي الدنيا — لا يرجعون ، قال : اربي فأبلغ من ورأى فأنزل الله سبحانه ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) وكان والد جابر قد خلفه على أخواته البنات السبع ، وقال له : ما كنت لأوثرك على نفسي في الخروج مع رسول الله ، حتى كتب الله له الشهادة .

(٧) عمرو بن الجموح . وكان رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون المشاهد مع رسول الله فلما كان يوم أحد أرادوا منعه من الخروج وقالوا : إن الله قد عذرك ، فأبى النبي وقال : إن بئى يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجي هذه الجنة ، فقال رسول الله (أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك) وقال لبيته: (ما عليكم أن لا تتموه لعل الله يرزقه الشهادة) فخرج فرزقها .

(٨) حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، كان أبوه من أشد الناس عداوة للرسول ، وكان هو من خيار المسلمين وقد لقي هو وأبو سفيان بن حرب فلما علا حنظلة رآه شداد بن الأوس وكان يسمى : ابن شعوب فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : (إن صلح بكم تغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه) فسألوا صاحبه — زوجته — وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة — الصيحة للجهاد — فقال رسول الله : (لذلك غسلته الملائكة). وقد التقى به بعد استشهاده الموالد للفاسق القاسي فضربه برجله وقال : لقد نهيتك عن مصرعك هذا ولقد كنت — والله — وصولاً للرحم ، برأ بالوالد . ولا أدري لو لم يكن برأ به فإذا كان سيلقى منه ؟! وبموجب حنظلة فضلاً أن لا يزال ذكره مسكاً يتضوع على مدى الأجيال .

(٩) عبد الله بن جبير أمير الرماة، وقد ذكر من كان معه بوصية رسول الله وأبى أن يبرح هو ومن وافقه حتى قتلوا شهداء .

قتل المشركين : أما عدد من قتل من المشركين فكانوا عشرين .

## دفن شهداء أحد

وأمر رسول الله أن يدفن شهداء أحد حيث ماتوا ، وقد كان بعض أهالي الشهداء يلقونهم إلى المدينة المنورة ليدفنوا فيها ، ولكن نادى منادى رسول الله

: أن اردو القتل إلى مضاجعهم ، فأعادهم (١) وكان رسول الله يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل وفي الكفن الواحد ، وكان يسأل : أهيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير إليه قدمه في اللحد ، وقال ، وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصل عليهم ، ولم يغسلوا (٢) وإنما أرخص لهم في الدفن في القبر الواحد ، لما كان بهم من الجراح والجهد الذي يشق عليهم معه أن يحفروا السكل واحد قبراً ، وقد دفن حمزة مع ابن أخيه عبد الله بن جحش في قبر ، ودفن عمرو بن الجموح مع صاحبه وصهره عبد الله بن حرام في قبر ، ومصعب بن عمير وسعد بن الربيع في قبر وهكذا.

وهذا الذي ذكرناه من أن شهداء أحد دفنوا بئياهم ودمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم هو الذي ثبتت به الروايات الصحيحة في الصحيحين وغيرها وذلك لتكون دماؤهم وجراحاتهم شاهدة لهم يوم القيامة بفضلهم ومنزلتهم .

وفي الصحيحين وغيرها أن النبي ﷺ قال : ( والذي نفسى بيده لا يكلمكم — بجرح — أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كالم لون لون الدم ، والريح ريح المسك )

ولذلك ذهب الجمهور من الفقهاء إلى عدم الصلاة على الشهداء الذين قتلوا في جهاد الكفار ، وعدم تغسيلهم

وأما مارواه ابن اسحاق وغيره من أن النبي صلى عليهم ، وأنه صلى على حمزة سبعين صلاة بتعدادهم فقد قال الحافظ بن كثير : إنه ضعيف (٣) نعم ثبت في صحيح البخارى ومسلم أنه ﷺ صلى عليهم بعد ذلك بيضع سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : ( إنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإنى لا أنظر إليه من مقامى هذا

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣

(٢) صحيح البخارى - كتاب المغازى - باب من نزل من المؤمنين يوم أحد .

(٣) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٠ - ٤١

وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن أخشى عليكم الدنيا ، أن تنافسوها ، قال الراوى : وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ ، ومن هنا ذهب بعض الفقهاء إلى مشروعية الصلاة على الشهيد : شهيد المعركة . وأما الجمهور فحملوا هذا على الدعاء أو أن ذلك خصوصية للنبي (١)

مذله شهداء أحد : ولما لشهداء أحد منزلة وتضحية في سبيل الله كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورهم ويسلم عليهم ، ويقول : «سلام عليكم بما صبرتم فنعيم عقبي الدار» وكان أبو بكر يفعله ؛ وكان عمر يفعل ذلك ، وكان عثمان يفعله ، وحكى الوافدى زيارتهم عن السيدة فاطمة وسعد ، وأبي سعيد الخدرى ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأم سلمة رضى الله عنهم أجمعين ، وبحسبهم فضلا أن الله أنزل فيهم وفى أمثالهم قوله سبحانه : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أموالا بل أحياء عند ربهم يرزقون « وقد قدمنا فى فصل الاستشهاد فى الإسلام من روى ذلك من الأئمة وبيننا المراد بهذه الحياة فكان على ذكر من ذلك (٢) .

وقد بقى الشهداء بمكانهم حتى كان عهد معاوية وإجرائه العيين من أحد فانفجرت العيين عليهم فنقلوا من أما كنهم ؛ وفى رواية ابن اسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس ، وهذا إكرام من الله للشهداء ، كما حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء ، روى الإمام مالك فى الموطأ أن عمرو بن الجموح . وعبد الله بن حزام الانصارين كان قد حفر السيل قبرهما : وكان قبرهما مما يلي السيل ، وكانا فى قبر واحد (٣) وهما بمن استشهد يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوجدوا لم يغيرا كأنما ماتا بالأمس وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه . فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت . وكان بين أحد ويوم حفر عنهما

(١) فتح البارى ج ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) ص ٦٤ ، ٦٥ من هذا الكتاب .

(٣) لأهما كانا متصاحبين ومتصاهرين فى الدنيا .

ست وأربعون سنة» (١).

من أصيب بالجراح يوم أحد : وأصيب كثيرون بجراح ولا سيما الذين كانوا يحيطون برسول الله منهم أبو دجانة ، وأبو طلحة ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وعبد الرحمن بن عوف فقد جرح عشرون جراحة أو أكثر . وكثرت ثنيتهم فهم . وأصيبت يومئذ السيدة نسيبة بنت كعب بجرح غائر في عاتقها .

معجزة نبوية : وأصيبت يومئذ عيينة بن قنادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما . وقد روى هذه القصة ابن إسحاق . والدارقطني والبيهقي في اللاتل وذكروا أنها كانت في أحد . وروى للبعث أن ذلك كان في بدر والصحيح الأول ، ولما وفد حفيده عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — وهو والى المدينة قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً :

أنا ابن الذى سألت على الخد عينه      فردت بكف المصطفى أحسن الرد  
فمادت كما كانت لأول أمرها      فيأحسنها عينا ، ويا حسن ما خد  
فأجابه عمر متمثلاً :

تلك المكارم لاقبـان من لبـن      شيـبـا بـمـاء فـعـادـا بـعد أبـوالـا  
وصدق خامس الراشدين فتلك هى المفاخر الباقية حقاً ، فلا عجب إذا  
كان وصه وأحسن جائزته (١) .

### ( سبب الهزيمة فى أحد )

(١) مخالفة معظم الرماة أمر رسول الله ووصيته لهم أن لا يبرحوا أما كتبهم سواء اتصروا أم انهزموا . وقد كان النصر للمسلمين فى الجولة الأولى فلما

(١) للوطأ كتاب الجهاد — باب الدفن فى قبر واحد من ضرورة «البداية و نهاية»

ج ٤ ص ٤٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤ .

تخلوا عن أما كنهم كانت الهزيمة .

(٢) إيثار بعضهم الغنيمة على الجهاد ، وعرض الدنيا على ثواب الآخرة فلولاً أن الرماة سارعوا إلى الغنائم يمحوزونها ، ولولا أن البعض شغلوا بالغنيمة عن الإنحان في المشركين لما حدث ما حدث ، وقد سجل الله ذلك في كتابه فقال : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بلائنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا . ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين (١) .

« وعده » يعنى بالنصر « تحسونهم » تقتلونهم « ما تحبون » أى النصر .  
« ليبتليكم » أى يعاملكم معاملة المختبر ، ليظهر صادق الإيمان من غيره .

عبرة وعظة : وقد كانت أحد درسا قاسيا تعلم عنه المسلمون أن مخالفة الرسول لا تخرج إلا إلى الحية والهزيمة فمن ثم لم يقعوا في هذا الخطأ بعد ، ولم تقع مثل هذه الهزيمة ، كما تعلموا منه أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن الغنائم ما هي إلا عرض زائل لا ينبغي أن تكون غرضاً لمجاهد في سبيل الله كما كان اختباراً تميز به المؤمنون الصاهقون من ضملاء الإيمان والمناقضين وقد دل ما حدث في أحد على أن للرسول وأتباعهم قد تسالهم الهزيمة في بعض المواقف لخطأ أو لغير ذلك ولكن العاقبة بالنصر لا بد أن تسكرون لهم ، وهذه هي سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وصدق الله : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز ، (٢) وقد سجل الله سبحانه ذلك في كتابه فقال : « إن يمسخكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين وليحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين (٣) »

(١) آل عمران ١٥٢ .

(٢) المائدة ٣١ .

(٣) آل عمران ١٤٠ ، ١٤١ .

(قرح) جراح في أحد فقد نزل بهم مثله في بدر (تداولها) يوم لك ويوم عليك ، (وليعلم الله ... ) أى يظهر لعباده المؤمنين المخلصين من المنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ، (وليمحص ... ) أى يطهرهم بالبلاء الذى نزل بهم مما عسى أن يكونوا اقترفوا حتى يصبروا كالذهب نقاء وصفاء وهلك الكافرين والمنافقين ويكشف عن دخيلة نفوسهم .

## ما نزل من القرآن في احد

وقد أنزل الله سبحانه في أحد ، وما يتصل بها حوالى أربعين آية من سورة آل عمران ، وقد ذكرنا بعضها أثناء الدراسة التحليلية للغزوة ، وهما هي بعض الآيات الأخرى منزلاتها على مواقعها ، وموجزا مقاصدها ومواضع العبرة فيها .

قال تعالى في بيان سنة الله في الأمم ، وأن النصر للرسول وأتباعهم ، والملاك للمكذبين أعدائهم: «قد خلت من قبلك سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . إلى قوله : « ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

« ولا تنهوا » أى لا تضعفوا عن الجهاد بسبب ما جرى لكم ( ولا تحزنوا ) على ما أصابكم من قتل وجراح ( وأنتم الأعلون ) جمع الأعلى أى الأعلون شأننا ، لأن قتالكم لله ، وفى سبيل إعلاء كلمته ، وقتالهم للشيطان ، وإعلاء كلمة الكفر وأيضا فقتلهم فى الجنة ، وقتلهم فى النار ، ثم إنكم أصبتم منهم فى بدر أكثر مما أصابوا منكم ( إن كنتم مؤمنين ) أن العاقبة والنصر للمؤمنين ، أو إن كنتم من أهل الإيمان الصادق ، فقيه تهيج لهم وإلهاب حماسهم لأن الإيمان الصادق لا يهن صاحبه ولا يحزن لما أصابه ويستهن بكل شدائد الحياة فى سبيل العقيدة الحققة والغاية الشريفة أما قوله تعالى : « إن يمسك قرح ... » الآية فقد سبق شرحها آنفا

ثم بين سبحانه أن الجنة حفت بالمكاراة فلا يحصى لمن يطالها من الجهاد



والصبر والكفاح ، والقتل والجراح فقال سبحانه :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم : ويعلم الصابرين ، إلى قوله : « وأنتم تنظرون » ومعنى يعلم يظهر ، أو المراد تعلق علم الله بالشئ واقعا وحادثا ، ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، تحضروا موطنه « فقد رأيتموه ، وأنتم تنظرون » هاينتم أسبابه ، وأبصرتم مواردته ثم عاتب الذين انهزموا وفرّوا أو قعدوا عن القتال لما أشيع أن النبي قتل مع أنه كسلفه من الأنبياء الذين مضوا ، وسيموت كما ماتوا ، ولكل أجل كتاب فقال عز شأنه وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، إلى قوله سبحانه « وسنجزي الشاكرين » .

« انقلبتم ، انهزمتم وتحاذلتم ، وفعلتم فعل المرتدين وإن كان لاردة ، ومن فرأو تحاذل فلا يضر إلا نفسه ومن ثبت وفاتله وصابر فيجزيه خير الجزاء ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ، بقضائه وقدره « كتابا مؤجلا » أي كتب ذلك كتابا مؤقتا لا تقدم عنده ولا تأخر ثواب الدنيا ، من يرد بعلمه الدنيا أعطى من الدنيا « ثواب الآخرة » ومن قصد وجه الله ورضاه أجزله الثواب .

ثم عرض لاتباع الأنبياء في الأمم السابقة ، وأنهم ما ضعفوا لمآلهم من قتل أو هزيمة ، إلهابا لحماسهم ، وإثارة لنفوسهم فقال عز شأنه : (وكاين من بنى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ) إلى قوله : ( والله يحب المحسنين ) .

« وكاين من بنى ... » أي وكثيره وقرىء « قتل » وقاتل » :

اريون : الجماعات الكثيرة ، ( فما وهنوا ) تخاذلوا المانزل بهم من هزيمة أو قتل أو جراح ( وما ضعفوا ) عن طلب عدوهم ( وما استكانوا ) لما أصابهم في الجهاد دفاعا عن دينهم وهذا ظاهر على قراءة قاتل وعلى الأخرى يكون

المراد بقوله : فإذ وهنوا ... ، الباقون بعدم (نواب الدنيا) النصر والظفر (وحسن نواب الآخرة) الجنة ونعيمها (والله يحب المحسنين) الاحسان الإتقان ومراقبة الله في الاعتقاد والقول والعمل ، أى يشيهم .

ثم عاتبهم على فرارهم عن نبيهم وهو يدعوهم إليه فقال : ( إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأنا بكم نعماً بنم لكبلا تحزنوا على ما فاتكم ، ولا ما أصابكم والله خير . بما تعملون ) .

(تصعدون) من أصعد وهو الذهاب والإسراع فى الأرض هرباً ، وأما صعد فمعناه ارتقى فى جبل أو نحوه ( ولا تلوون ) ولا تطفون وترجمون ( فى أخراكم ) فى آخركم ومن ورائكم حينما قاله ( إلى عباد الله ) ( فأنا بكم نعماً بنم ) أى نعماً بسبب غم وهو ما نزل بهم من الهزيمة والقتل بسبب ما أدخلتموه على نفس الرسول بمخالفتكم أمره أيها الرماة ، أو نعماً بعد غم ، وهو ما نزل بهم من الهزيمة وما حصل لهم لما أشيع أن النبي قتل : ( على ما فاتكم ) من النصر والغنيمة ( ولا ما أصابكم ) من القتل والجراح .

ثم وبخ الله المنافقين وضعفاء الإيمان الذين لم تهتمهم إلا أنفسهم : وظنوا بالله ورسوله الظنون السيئة ، والذين زعموا أنهم لو لم يخرجوا لما قتل من قتل فقال : وطائفة قد أهتمهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هنا ، قل : لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور . وليبتلى الله ما فى صدوركم ... ، أى أصابكم الله بما أصابكم ليميز الخبيث من الطيب ، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس ، أما هو سبحانه فليعلم بما فى القلوب

( يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ) أى إن الله خاذل دينه ونبيه ( قل لو كنتم ... ) فالخروج فى الجهاد لا يقصر أجلاً والجن والجنان والخائف

البيوت لا يطيل عمرا وما قدره الله لا بد أن يكون ، والله لا تخفى عليه خافية ،  
ويعلم ما تكنه صدوركم .

ثم حذر سبحانه المؤمنين أن يكونوا كالمناقين الذين يفتحون عمل الشيطان  
في نفوسهم بقولهم : لو ولو .. ولن تجر عليهم هذه التمنيات الباطلة إلا الحسرة  
والله سبحانه وتعالى هو الذى بيده الحياة والموت فقال : ( يا أيها الذين آمنوا  
لا تمكثوا كالذين كفروا ، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا  
غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا ، وماقتلوا ليجعل ذلك حسرة في قلوبهم ، والله  
يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ) .

( لإخوانهم ) أى لأجل إخوانهم فى النفاق أو فى النسب ( ضربوا فى الأرض )  
سافروا فيها لتجارة أو غيرها فماتوا ( غزى ) جمع غاز أى غزاة فقتلوا ( حسرة  
فى قلوبهم ) أى ندامة فى الدنيا أن فاتهم ما أحبوا ، وفى الآخرة حينما يحرمون  
من النعيم وتكشف لهم الحقائق ، والله قادر أن يرجع من خرج باهدأ  
غانما سالما ، وأن يميت من أقام فى أهله ، ونكص عن القتال

ثم بين سبحانه أن الموت أو القتل فى سبيل الله هو أسمى الغايات وأشرفها  
وأن ما أعد الله للمجاهدين ولاسيما الشهداء من النعيم الدائم المقيم خير من  
الدنيا وما فيها فقال : ( ولئن قتلتم فى سبيل الله ، أو متم لمغفرة من الله ورحمة  
خير مما يجمعون ، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تمشرون ) فيجازيكم على أعمالكم  
إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر

ثم قال سبحانه معزيا للمسلمين ومسلما ، ومبينا أن ما أصابهم فى أحد  
قد أصابوا مثليه فى بدر ، وأن ما أصابهم إنما هو بسبب مخالفتهم ( أو لما أصابتكم  
مصيبة قد أصبتم مثلها قاتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم إن الله على  
كل شىء قدير ) ( أنى هذا ) ؟ أى من أين حصل لنا هذا ( قل من عند أنفسكم )  
أى بسبب مخالفتكم أمر الرسول ورجبتكم فى الغنائم .

ثم ختم الحق سبحانه قصة أحد ببيان منزلة الشهداء عند ربهم فقال سبحانه  
( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون .

فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، إن الله لا يضيع أجر المؤمنين) والخوف : ألم يحصل في النفس من توقع حصول مكروه فيما يستقبل ، والحزن : ألم يحصل في النفس من خوف فوات محبوب فيما مضى وأهل الجنة لا يخافون فيها شيئا لأنها دار أمن وسلام فلا مكروه فيها ، ولا يحزنون لأنهم سيجدون كل ما عملوه من خير محضرا وأن ما أعد الله لهم من النعيم يفوق أضعافا مضاعفة ما كانوا يحبون ويرجون وصدق الرسول الكريم حيث يروى عن رب العالمين : ( أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ) ما اطلعت عليه ثم قرأ : ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ) وقد قدمت ما يتعلق بحياة الشهداء نسأل الله الكريم أن يرزقنا هذا النعيم المقيم تفضلا وكرما .

### ( آثار غزوة أحد )

رجع النبي إلى المدينة وقد دفن بأحد سبعين شهيدا ، وبأصحابه العائدين جراح ، فأظهر المنافقون واليهود بالمدينة فرحهم وفارت المدينة بالنفاق والتشفي ولم يقف أمرهم عند حد السرور والانشراح النفسى ؛ بل ظهرت سخائم نفوسهم في كلمات على ألسنتهم فقالت لليهود : لو كان نبيا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ؛ ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ؛ ونسوا ما حمل بأبياء نبي إسرائيل من تقتيل وتشريد ، بل نسوا فرار موسى وأتباعه من فرعون وقومه ؛ ولولا أن أنجاهم الله لكانوا من المهلكين . وقال المنافقون لو كنتم أطعمتمونا ولم تخرجوا لما أصابكم ما أصابكم .

وتجاوز أمر أحد المدينة إلى من حولها من الأعراب والقبائل الموالية لأهل الشرك ، فكان لا بد من استرجاع هيبة المسلمين ؛ وإيدان الناس جميعا بأن المسلمين على الرغم مما نالهم لا يزالون أقوياء ، وقادرين على منازلة الأعداء ، فكان الخروج إلى غزوة حمراء الأسد .

## « غزوة حمراء الأسد »

كانت غزوة أحد في يوم السبت الخامس عشر من شوال وفي يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله في الناس يطلب قريش وقال : ( لا يخرجن معنا إلا من حضر معنا القتال ) فخرج الذين حضروا أحد من المسلمين ، واستأذن جابر بن عبد الله رسول الله في الخروج ، لأن تخلفه عن أحد كان لعذر كما أسلفنا ، فأذن له ، وقال ابن أبي رأس المناققين : انا راكب معك فأبى عليه الرسول ذلك ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وحمل اللواء على بن أبي طالب ، وساروا حتى وصلوا ( حمراء الأسد ) (١) يوم الإثنين ؛ ومر برسول الله معبد بن أبي معبد الخزاعي . وهو يومئذ مشرك — وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة (٢) رسول الله — فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ؛ ولودنا أن الله عافاك فيهم ، وكان المشركون لما غادروا المدينة . وبلغوا الروحاء قد أخذوا يتلاومون أن لم يستاصلوا المسلمين . فر معبد بأبي سفيان وأصحابه وقد هموا أن يرجعوا إلى الرسول وأصحابه فقال له : ما وراءك يا معبد ؟ قال : قد خرج محمد في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله . يتحرقون عليكم تحسراً ؛ واجتمع إليهم من كان تخلف عنهم . ونصحه بعدم العودة . فخاف أبو سفيان إذا ما عادوا أن تكون الكرة عليهم فأسرع إلى مكة . ولكنه لجأ إلى حيلة فقد مر به ركب بنى عبد القيس يقصدون المدينة . فمرض عليهم أن يبلغوا النبي وأصحابه أن قريشاً قد اجتمعت السير إليهم ، ووعدهم أن يوقر لهم ابلهم زيباً إذا وافوا عكاظ في الموسم . فر الركب برسول الله وهو بحمراء الأسد . فاخبروه بما قال أبو سفيان . فقال : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) وأقام المسلمون بحمراء الأسد ثلاثة أيام . وفي يوم الأربعاء عادوا إلى المدينة وقد استردوا الكثير من هيبتهم ؛ بعد أن كدت تترزع بسبب أحد . وقد ذكر الله هذا الموقف المشرف في قوله سبحانه ( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح . للذين

(١) موضع عل ثمانية أميال من المدينة (٢) بنى موضع سره وأهل مودته

أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم  
فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ) إلى قوله . ( والله ذو  
فضل عظيم )

مخزاة لابن أبي

كان عبدالله بن أبي بن سلول له مقام بقومه كل جمعة لا ينكر لشرفه في قومه  
فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ليخطب الناس قدام  
فقال : ( أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم ؛ أكرمكم الله وأعزكم به ،  
فانصروه وعزروه ، وامتعوا له وأطيعوا ) ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد  
ما صنع ، ورجع بالناس قال يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من  
نواحيه . وقالوا : اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت  
فخرج وهو يقول والله لكأنا قلت مجراً — أمراً عظيماً — أن قت أشدد أمره  
فلقبه رجل من الأصار بباب المسجد فقال : مالك ؟ وتلك ! فآخبره فقال له :  
له أرجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والله ما أبتغي أن  
يستغفر لى .

## حوادث هذا العام

(تزوج عثمان بأم كلثوم ) فى هذه السنة تزوج سيدنا عثمان بن عفان  
السيدة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أختها رقية عام بدر  
وقد عقد عليها فى ربيع الأول ودخل بها فى جمادى الآخرة ، ولما خطبها من  
النبي قال له : ( لو كان لى يا عثمان لزوجتك واحدة بعد الأخرى )  
ويقال لم يتزوج أحد بابنتى نبي واحدة بعد الأخرى غيره ولهذا كان يقال له :  
ذو النورين :

(١) آل عمران ١٧٢ - ١٧٤ والمراد بالناس أولاً . وقد عبد القيس ، المراد بالناس  
أبو سفيان وأصحابه « حسبنا » كافينا . الوكيل متولى أمورنا وناسرنا - فانقلبوا بنعمة من  
الله عافية مؤفة . وفضل أجر عظيم . وقبل هى تجارة أصابوها فربحوا بها « لهم عهدهم  
سوء » أذى من أعدائه واتبعوا رسول الله بطاعتهم لرسول الله على ما بهم من جراح وآلام

زواج النبي بحفصة : وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبل النبي زوجاً لحنيس — مصغراً — ابن حذافة السهمي وكان بدرياً ، توفي بعد بدر ، وقيل بعد أحد والأول هو الصحيح وقد روى البخاري في صحيحه أن عمر — رضى الله عنه — عرضها على عثمان بعد وفاة زوجته رقية ، فقال : لا حاجة لي في الزواج . ثم عرضها على أبي بكر فسكت ، ولم يرجع له بقول حتى وجد عمر في نفسه ثم خطبها النبي فأنكحها إياه ، وقد بين له الصديق بعد خطبة النبي لحفصة أنه ما منعه من الجواب إلا أنه كان يعلم أن رسول الله ذكرها وأنه كره أن يفشى سر رسول الله (١) .

وقد وثق النبي بهذا الزواج علاقته بصاحبه ووزيره الثاني عمر ، كما وثق من قبل علاقته بصاحبه ووزيره الأول أبي بكر بزواج عائشة ، وأيضا فقد كرم النبي بزواجه منها أباه ، كما كرم بذلك زوجها بعد ثماته — وكان من أهل بدر — برعاية أرملة وضمها إليه ، وأزال عنها تأيمها .

مولد الحسن : وفيها ولد للسيدة فاطمة بنت رسول الله ابنها الحسن بن علي ، وفيها حملت بالحسين رضى الله عنها ، وكان مولد الحسن في رمضان عند الأكره ، وقيل بعد ذلك .

### السنة الرابعة للهجرة

عاد النبي ﷺ من غزوة حراء الأسد . وقد استرد بعض هيبة المسلمين في مدينة وما حولها ، إلا أن بعض القبائل الضاربة حولها سولت لها أنفسها النيل من المسلمين لما أصابهم في أحد . ولتجريض قريش إياهم على محاربتهم ، وكان للرسول عيون وجواسيس يأتون إليه بأخبار تلك الحركات العدائية قبل وقوعها ، فيسارع إلى وأدها في مهدها قبل استفحالها فن ذلك :

(١) صحيح البخاري — كتاب النكاح — باب عرض الرجل ابنته أو أخته على أهل الخير .

« سرية أبي سلامة بن عبد الأسد » ففي المحرم من هذه السنة بلغه عليه الصلاة والسلام أن طليحة وسلامة ابني خويلد الأسديين قد جمعا الجموع لحرب النبي ، فأرسل أبا سلامة على رأس سرية تعدادها خمسون ومائة فساروا حتى وصلوا إلى أرضهم فلما سمعوا بهم هربوا وتفرقوا ، وتركوا نعا كثيرة لهم من الإبل والغنم فأخذوها غنيمة ، فخمست فأبقوا الخمس للنبي يصرفه كما أراه الله ، وقسموا بينهم الباقي ، وعادوا إلى المدينة ظافرين غانمين ، وقد أعادوا إلى النفوس من هيبة المسلمين شيئا مما ضيعت أحد . ثم لم يلبث السيد الجليل أبو سلامة أن توفي . فقد كان أصيب في أحد مجرح ثم التأم . فلما خرج في هذه السرية نغر<sup>(١)</sup> عليه الجرح ومات بسبب ذلك .

« سرية عبد الله بن أنيس » وفي نفس الشهر بلغه عليه الصلاة والسلام أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي المقيم بعرة<sup>(٢)</sup> يجمع الجموع لحربه . فأرسل عبد الله بن أنيس لقتله . فاستأذن عبد الله رسول الله أن يقول حتى يتسكن منه ، فأذن له فخرج فلما وصل إلى ديار القوم قال له سفيان من الرجل ؟ قال من خزاعة سمعت بجمعك لحمد ، فجمت لأكون معك . قال : أجل إني لفي الجمع له ، فشى عبد الله معه وصار يحدته ، وسفيان يستحلى حديثه حتى إذا أمكنته الفرصة منه قتله ، ثم عاد إلى المدينة وقد كفى الله المؤمنين القتال ، وهدأت بنو لحيان من هذيل بعد موت زعيمهم لتجد فرصة فتتأثر فيها من المسلمين .

### سرية الرجيع<sup>(٣)</sup>

في صفر من هذه السنة قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة<sup>(٤)</sup> فقالوا يارسول الله إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في

(١) سال منه الدم

(٢) عربة: بنيم الدين وفتح الراء والنون؛ موضع قريب من عرفات كما في القاموس =



الدين ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله معهم نفرأ ستة في رواية ابن اسحاق - وقيل عشرة - في رواية البخارى - وهو الأصح ليؤدوا هذه المهمة السامية ، وليكونوا عيوننا على قريش والمشركين وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح (١) ، فساروا حتى كانوا بالرجيع غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم بنى حليان من هذيل - هم قوم سفيان بن خالد الهذلى الذى قتله عبد بن أنيس - فنفروا إليهم فى مائتى رجل ، فلم يرح المسلمون وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد شمشوهم ، فلبجأ رجال السرية إلى ربوة عالية ، واستمصوا بها ، وأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فلجأ المشركون إلى الحديعة وقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، وأما عاصم وآخرون فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وأبو التسليم ، وقاتلوا حتى استشهدوا ، واعتز بعدهم خبيب بن عدى ، وزيد بن الدثنة ، وعبدالله بن طارق فنزلوا إليهم فلما استمسكوا بهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال عبدالله : هذا أول الغدر حتى إذا كانوا بالظهران فى طريقهم إلى مكة انزع عبدالله يده منهم ثم استأخر عنهم وأخذ بسيفه ليقاتلهم ، فرجوه بالحجارة حتى مات شهيداً ، وأما خبيب (٢) وزيدا فباهوهما لأناس مر أهل مكة بأسيرين من هذيل ، فاشترى خبيبا بنوا الحارث بن عامر ليقتلوه بأيهم الذى قتله يوم بدر ، واشترى زيدا صفوان ابن أمية ليقته بايه فحبسوهما حتى انتهت الأشهر الحرام فاخرجهما إلى التنعيم فقتلوهما .

(٣) الرجيع اسم موضع من بلاد هذيل بين مكة وعسفان على ثمانية أميال من عسفان

(٤) عضل بفتح الهملة والعجمة بطن من بنى لهون - بفتح الهاء وقبل بضمين خزيمة ابن مدركة بن إلياس والقارة بالقاف وتخفيف اللام بطن من بنى لهون أيضا

(١) ورواه ابن اسحاق أن أميرهم مرثدين بن أبي مرثد الغنوى

(٢) يضم القاء وفتح الباء وسكون الياء مصفرا

وكان من أمر خبيب أنه وهو محبوس في دار لبني الحارث قد استعمار من جارية لهم «موسى»<sup>(١)</sup> ليستجد بها لما دنا قتله . فاعارته إياه . وغفلت عن غلام لصادتها درج حتى أتى خبيبا فوضعه على فخذه ، فلما رأت هذا المنظر فزعت فزعة شديدة وقالت في نفسها : أصاب - والله - الرجل ثأره بقتل هذا الغلام فادرك زيد ما حدثت به نفسها فقال لها . أمخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله !! وكانت الجارية تحدث بعد أن اسلمت فتقول : ما رأيت أسير قط خيرا من خبيب . ولقد رأيت ياكل من قطف من عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد - وما كان إلا رزقا رزقه الله !!

ولما خرجوا به إلى الحل ليقتلوه قال : دعوني أصل ركعتين . فكان أول من سن الركعتين عند القتل ، ثم انصرف إليهم وقال : لولا أن تروا أن ما بي<sup>(٢)</sup> جزع من الموت لزدت ، ولما رفعوه على الحشبة ، واوثقوه ليقتلوا صبوا قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك . فبلغه الغداة ما يفعل بنا ، اللهم أحصم عددا واقتلهم بددا - متفرقين - ولا تبق منهم أحداً .

ثم أنشد يقول :

ولست أبالي حين اقتل مسلما      على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على اوصال شلو بمنزع<sup>(٣)</sup>

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله : ومات - رضى الله عنه - شهيد

إيمانه وإخلاصه .

وأما زيد بن الدثنة<sup>(٤)</sup> فلما جاءوا به ليقتلوه ، وعابن الموت قال له أبو سفيان ابن حرب : انشدك الله يا زيد أن تحب أن سجدنا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلِكَ ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن سجدنا الآن في مكانه الذي هوفيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي !! فقال أبو سفيان : ما رأيت أحد من

(١) هو الألة الحادة المعروفة استئثارها ليحاط بها شعراثة (٢) ما . موصولة

(٣) الشلو : العضو بمنزع . مؤنق

(٤) الدثنة بفتح الدال وكسر التاء ، وفتح النون المشددة

الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً ! ثم قام إليه نسطاس - عبدلصفوان -  
فقتله رضى الله عنه .

ولما قتل عاصم بن ثابت أمير السرية أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من  
سلافة بنت سعد . وكان قتل ابنها يوم أحد فنذرت لئن قدرت على رأس عاصم  
لتشمرين في قحفة الحجر<sup>(١)</sup> . ولكن الله - عز شأنه - منعه . فبعث على جسده  
مثل الظلة من الدبر<sup>(٢)</sup> : وكذلك أرادت قريش أن تنال من جسده فلم يستطيعوا ،  
فقالوا : دعوه حتى يمى فيذهب عنه الدبر فناخذه ، فغيبه الله في الوادى فما  
عرفوا له أثرا .

وكان عاصم - رضى الله عنه - قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك  
ولا يمس مشركا أبدا تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول  
حين بلغه أن الدبر منعت : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذرا ان لا يمس  
مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا في حياته ، فثبته الله بعد وفاته ، كما امتنع منه  
فى حياته<sup>(٣)</sup> .

### (أصحاب بدر معونة) (٤) أو (سرية القراء)

وفى شهر صفر أيضاً وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو براء  
عامر بن مالك ملاعب الأسنة وهو من رءوس بنى عامر فدعاه رسول الله  
إلى الإسلام ، فلم يسلم ، ولم يبعث ، وقال يا محمد لو بعثت رجلا من أصحابك  
إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال صلى الله عليه  
وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا لهم جار فبعث رسول  
الله المنذر بن عمرو فى سبعين رجلا من خيار المسلمين ، وكانوا يعرفون

(١) القحف بكسر القاف أعلى الدماغ .

(٢) الزنابير أو ذكور النحل

(٣) البداية والنهاية جزء ٤ ص ٦٤

(٤) اسم موضع من بلاد هذيل بين مكة وعسفان .

بالقراء<sup>(١)</sup> ، وقيل في أربعين رجلاً والصحيح الأول منهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان - خال أنس بن مالك - وعامر بن فهيرة مولى الصديق فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في الكتاب ، وأوعز إلى رجل فأنفذه بالرمح من خلفه فقال حرام : فزت ورب الكعبة ! ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا وقالوا : لن نخفر<sup>(٢)</sup> أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم - رعلا وذكوان ، وعصية<sup>(٣)</sup> - فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحلمهم ، فقال لهم المسلمون : والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأبوا عليهم ، فقاتلهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق . فأرث<sup>(٤)</sup> بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الحندق شهيداً ، وإلا عمرو بن أمية الضمري ، والمنذر بن محمد بن عقبة فقد كانا في سرح القوم<sup>(٥)</sup> فلم ينبثهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم حول العسكر . فقالا : والله إن لهذا الطير لشأناً . فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دماهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال المنذر لعمرو : ماترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر . فقال المنذر بن محمد : لسكتي لا أرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو . وما كنت لأخبر عنه الرجال ! ! وقاتل القوم حتى قتل - رضى الله عنه - شهيد البطولة والوفاء ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل بعد أن جزنا صيته ، وأعتقه

(١) هم جماعة من حفظة القرآن كانوا يمتطبون بالنهار ، ويتدارسون القرآن ويصلون بالليل ويطعمون أهل الصفة ، وإذا دعوا إلى الجهاد لبوا سراعاً .

(٢) نخفر بضم أوله : نتقض عهده وأما خفر الثلاثى فبمعنى وفى بالعهد

(٣) رجل يكسر الراء وسكون العين وذكوان بفتح الذال وعصية بضم العين وفتح الصاد وتهديد الهاء أحياء من بنى سليم

(٤) أى رفع من بين القتلى وبه بنية حياة (٥) حيث ترعى الإهـم ودوابهم

عن رقبة كانت عن أمة فيما زعم ، فخرج عمرو قاصداً المدينة ، فلقى رجلين من بنى عامر ، وكان معهما عهد من الرسول وهو لا يعلم فأمهلهما حتى تأما فقتلتهما ، وهو يرى أنه أصاب بهذا ثارا من بنى عامر ، فلما قدم عمرو وأخبر الرسول بقصتها قال .

« لقد قتلت قبيلتين لأدينيهما » ثم قال : « هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارها متخوفا ، فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار ابن أخيه عامر إياه ، فذهب ابنه ربيعة إلى عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح إنتقاما منه على فعلته التكرار ، فجرح ولكنه لم يموت ، ثم وفد على النبي بعد قاصداً الغدير به فنتعه الله منه ، وقد دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكفني عامرا » فأصابه الله بغدة<sup>(١)</sup> في بيت امرأة من بنى سلول فكان يقول : غدة كغدة البعير في بيت امرأة سلولية ، ثم ركب فرسه ، فمات على ظهره بالعراء ، تطعم منه والطيور والسباع .

وكان وصول خبر سرية الرجيع وبئر معونة في يوم واحد فعزن النبي صلى الله عليه وسلم والمسامون حزنا شديدا عليهم لم يخفف منه إلا أنهم شهداء عند ربهم يرزقون ، ولقد بلغ حزن النبي عليه الصلاة والسلام أنه مكث شهرا يدعو في صلاة الصبح على رعل وذكوان وعصية الذين غدروا بالقراء . وروى البخاري أن النبي لما نعى القراء قال : « إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ، ورضيت عنا ، فأخبرهم عنهم فأنزل الله فيهم قرآنا كان يتلى » بلغوا عنك قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم نسخ بعد<sup>(٢)</sup> .

#### وقفة عند سرية الرجيع وبئر معونة :

وإن لنا لوقفة ترينا كيف يستهين الإيمان بالكثرة حينما قاتل بضعة نفر غرباء عن ديارهم مائتي رجل في عقر دارهم ، وكيف يسمو الإيمان عن الضعف والاستخذاء

(١) نوع من الطاعون يصيب الابل

(٢) صحيح البخاري -- كتاب المغازي -- باب سرية الرجيع وبئر معونة

والترخص ويأبى إلا العزيمة . فقد كان يمكن لزيد وخبيب أن يظهرَا كلمة الكفر ، أو أن ينالا من النبي : وقلهما مطمئن بالإيمان . ليكون سبباني نجاتهما من القتل والصلب ، ولكن أولى العزائم الثابتة . والعقائد الصادقة . يابون إلا أن يموتوا أبطالا ، كما عاشوا أبطالا .

ولو أن خبيبا المأسور ليقتل بعد أن غرروا به قتل الغلام ، نأرا من أهله لما كان أمرا مستكرا ، فهو مظلوم انتصر لنفسه ، ولكنه الخلق الإسلامي الأصيل ، والقلب المؤمن ، والضمير الحي ترفع بصاحبها عن الغدر والغيلة حتى ولو كان على سبيل المجازاة ، وأن يؤخذ الغلام بحريرة أهله ، وإن هذه المعاني الشريفة لتستشفها في قولة خبيب للجارية : أنخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ! !

وكنا نحب من المستشرقين الذين أسرفوا في القول من أجل أسيري بدر اللذين قتلا أن نسمع لهم كلمة في قتل الأسيرين المؤمنين على فرق ما بين الموقفين ، وفي قتل من قتل غدرا وغيلة في سريتي الرجيع وبئر معونة ، ولكن الأمر كما قيل .

وعين الرضا عن كل عيب كليلية ولكن عين السخط تبدى المساويا

وقد يقول قائل : كيف يوافق النبي صلى الله عليه وسلم على إيفادهايتين السريتين مع أناس ليسوا بمسلمين ، وفي جوار رجل لم يدخل الإسلام مع احتمال أن يكون هذا استدراجا للمسلمين ومكيدة للإيقاع بهم ، وقد كان النبي من من رجاحة العقل ، وبعد النظر ، والمواهب السياسية بالمتزلة التي لا تدفع وللجواب عند ذلك تقول :

(١) إن حفظ الجوار كان من خيرة فضائل العرب والخلق المتأصل فيهم فاحتمال الغدر بهم مستبعد . ولا سيما أن القراء كانوا في جوار رجل له منزلة في بني عامر ، وهو أبو براء . ولذلك لم يقبل بنو عامر يخفروه في جواره فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل من بني سليم .

(٢) أن إيفادهايتين السريتين لم يكن إلا حلقة من حلقات الجهاد في سبيل

الله ، والدعوة إلى هذا الدين ، والسهر على نشره بشتى الوسائل ، أليس غاية ما يحتمل أن يموتوا شهداء؟ وهذا ما كان يرجوه كل مسلم آتئذ! وصدق الله « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » إما النصر والغنيمة ، أو الموت والشهادة .

## ( غزوة بدر الآخرة )

في شعبان من نفس العام خرج الرسول وأصحابه إلى بدر لميعاد أبي سفيان واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي . وسار في ألف وخمسمائة من أصحابه . وكانت بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم فيها التجار ثمانية أيام يتبادلون فيها التجارة ، فلما وصلوا إليها أقاموا بها ثمانية في انتظار أبي سفيان .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى بلغ عسفان ، وقيل مجنة ، ثم أتى الرعب في قلبه فبدأ له أن يرجع فقال : يامعشر قريش إن هذا العام عام جذب ، ولا يصلحكم إلا عام خصب . ترعون فيه الشجر ، وتثربون فيه اللبن ، وإني راجع فارجعوا ، فرجعوا فسامهم أهل مكة جيش السويق<sup>(١)</sup> يريدون أنهم خرجوا لثرب السويق لا للحرب ، وكان أبو سفيان قد لجأ إلى حيلة يقصد بها إرهاب المسلمين حتى لا يخرجون إلى بدر ، فيكون خلف الوعد من جانب المسلمين لامن جانبه ، فاتفق مع نعيم بن مسعود الأشجعي وجعل له جعلاً على أن يذهب إلى المدينة فيرجف فيها بعظام جيش أبي سفيان وعدته ، فذهب نعيم وقال : للنبى وأصحابه ، إن قريشاً قد جاءت لكم الجوع ولكنهم لم يلتفتوا إلى مقاتله ، وخرجوا وهم يقولون : « حسبنا الله ونعم الوكيل » وفي أثناء مقام المسلمين ييدر اشتغلوا بالتجارة فعادت عليهم بربح عظيم ، وقد ذكر الله هذا في قوله « الذين قال لهم الناس ، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ،

(١) السويق . شراب يصنع من التمر أو الشعير .

وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ،  
واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » (١) .

والمتبوع لمجريات الحوادث في هذه الغزوة يرى أن المشركين قد باتوا  
يخشون المسلمين ، ولا يجرون على لقيامهم ، وكأما كان نصرهم في أحد فلتنة  
لا يطمعون في مثلها ، فمن ثم لجأوا إلى الحيلة يدرءون بها عن أنفسهم عار خلف  
الوعد باللقاء ، ولكنهم لم يفلحوا ، وخيب المسلمين ظنونهم ، وقد شعر المشركون  
بأنهم تخلفهم في إذهاب هيبتهم المزعومة في النفوس ، ولذلك قال صفوان بن أمية  
لأبي سفيان : قد — والله — نبيتك أن تعد القوم ، قد اجترءوا علينا رأوا  
أنا أخلفناهم .

## حوادث في هذا العام

« وفاة أبي سلمة » في هذه السنة توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال  
القرشي المخزومي ، وأمه برة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكان أخا  
رسول الله من الرضاع ارتضعا من ثوية مولاة أبي لهب ، وكان من السابقين  
الأوليين ، هاجر إلى الحبشة هو وزوجته أم سلمة ، وقد ولد لهما بها أولاد ، ثم  
عادا إلى مكة ، وكان أول من هاجر إلى مكة ومعه زوجته فمنعها أهلها ثم لحقت  
به بعد عام ، وشهد بدرًا وأحدًا فأصيب فيها بجرح فسكت شهرًا يداويه حتى برأ ،  
ثم بعثه رسول الله في سرية في أول هذا العام ، فلما عاد انتقض جرحه فات ثلاث  
بقيين من جمادى الأولى فرضى الله عنه وأرضاه .

« وفاة عبد الله بن عثمان » وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله

(١) جمهور المعربين على أن قوله تعالى «الذين استجابوا لله والرسول» إلى «والله ذو  
فضل عظيم» في غزوة حراء الأسد ، وقد عرضت لذلك آتفا ومنهم من يرى أنها نزلت في غزوة  
بدر الآخرة ، وذكر الواقدي في المغازي أن الآية الأولى في غزوة حراء الأسد ، وهاتان الآيتان في غزوة  
بدر الآخرة .



بن عثمان رضى الله عنه وهو من السيدة رقية بنت الرسول، وكان ابن ست سنين،  
فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل والده عثمان رضى الله عنه في حفرة .

« مولد الحسين » وفي ليال خلون من شعبان من هذا العام ولد الحسين بن علي  
من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وقد قال فيه  
الرسول وفي أخيه الحسن : « هما ريحائتاى من الدنيا » وقد روى أن رسول الله  
كان يشمهما ويقبلهما .

### نزوج رسول الله بزینب بنت خزیمه

وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمه بن  
الحارث بن عبد الله ينتهى نسبها إلى هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية ، وهى  
التي يقال لها أم المساكين ، لكثرة صدقاتها عليهم ، ويرلها إياهم واحسانها إليهم ،  
وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث بن المطلب ، ثم خلف عليها أخوه عبيدة  
ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أحد شهداء بدر ، وقيل كانت تحت عبد الله  
ابن جحش فقتل عنها يوم أحد ، وهذا يرجح أن زواج النبی بها فى السنة الرابعة  
لا فى السنة الثالثة كما زعم بعض كتاب السيرة (١) إذ أن عدتها على للرأى الأخير  
لا تنهى إلا فى آخر صفر من السنة الرابعة قال ابن عبد البر : ولا خلاف إنها  
ماتت فى حياة النبی ﷺ وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم توفيت  
رضى الله عنها ، وقد أصدقها رسول الله أربعمائة درهم .

وقد ظهر مما ذكرنا الحكمة فى زواج رسول الله بها وأن ذلك كان تكريماً  
للتضحية والاستشهاد فى شخص زوجها الذى مات عنها سواء أكان ذلك عبد الله  
ابن جحش أو عبيدة بن الحارث فسكلاهما ممن أسلم وهاجر وسبق إلى الشهادة هذا  
إلى ما كانت تمتاز به من حب المساكين ، والبر بهم ، فما أجدرها أن تكون فى  
كفالة النبی وأن يحظى بزواجه منها بهذا الشرف الرفيع فى الدنيا والآخرة ،  
ولم نر أحداً ذكر أنها كانت ذات جمال ، أو شباب ، بل الظاهر أنها كانت مستمة

(١) هو الشيخ الحضري - رحمه الله - نور اليقين ص ١٤٤

وكغيرها من النساء في الجمال مما يؤكد أن النبي ﷺ تزوجها لما ذكرنا من المعاني الشريفة ، وهذا يرد أي تقول على النبي في هذا الزواج .

## تزوج النبي بأم سلمة

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ بالسيدة أم سلمة وأسمها هند بنت أبي أمية المغيرة المخزومية القرشية وكانت قبل النبي عند الصحابي الجليل ابن عمها وأبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي (١) الذي توفي في جمادى الأول من نفس العام وقد أنجبت منه سلمة ، وعمر وزينب ورقية فلما انقضت عدتها وحلت خطبها النبي ﷺ في شوال من هذا العام فأرسل إليها عمر بن الخطاب فاعتذرت بأنها امرأة غيرى وأنها ذات عيال فلم يجد رسول الله بدا من أن يذهب إليها بنفسه، وروى الإمام أحمد في مسنده عنها قالت : « أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به قال : « لا يصيب أحداً من المسامين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى ، وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله وأخلف له خيراً منها » قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت ، وقلت اللهم أجرني في مصيبتى ، وأخلف لي خيراً منها ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت من أين لي خير من أبي سلمة ؟ ! فلما انقضت عدتي استأذن على رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي ففلسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسه فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى امرأة بي غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى متى

(١) أبو سلمة هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فهما ياتقان في الجذ الثاني واسم أيها حذيفة وقيل سهيل . وكان يسمى « بزاد الراكب » لجوده كان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد بل يكتفي رفقاءه من زاد معها بلغوا .

شيئا يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأنا ذات عيال ، فقال :  
أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك — يعني بسبب دعائه لها كما في رواية  
أخرى — وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك !! وأما  
ما ذكرت من العيال فأتما عيالك عيالي ، فقالت : قد سلمت لرسول الله ، فقالت  
أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ وقد زوجها إياه  
ابنها سلمة وأصدقها رسول فراشاً حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفه ، ومجشة —  
أي رحي — وقد تربي أولادها الصغار في بيت النبي مما جعلهم لا يشعرون بمرارة  
اليتم وذل الحاجة .

« الحكمة في زواجها » ومن ثم نرى أن زواج رسول الله بها لم يكن لإجباراً  
لخاطرها وكسرهما ، وحفظاً لها ولأولادها من الضيقة ، وقد سمعت آنفأناهما كانت  
تعديل بأبي سلمة أحداً ، ولولا أن رسول الله تقدم إليها لما رضيت بالزواج من  
أى رجل أيا كان في قومها ، لأنها لا ترى خيراً من أبي سلمة إلا رسول الله الذي  
لم يكن يخطر لها على بال أثناء مقالتها ، وإيضاً فقد كان هذا الزواج وفاء بحق  
زوج من خيار المسلمين ، وخاطر بنفسه في سبيل الله ، وبهذا الزواج ضرب  
رسول الله أروع الأمثال في باب المواساة بالنفس والمال ، ووضع الأساس  
الصالح لأولى الأمر في رعاية حقوق المواطن المؤمن الصالح ، والجندي  
الباسل المضحى بنفسه في سبيل الله ورسوله ، فهذه الاعتبارات السامية هي التي  
حدث برسول الله أن يتزوج بها ، لا كما يزعم بعض المتخرفين من أن ذلك كان لجمالها ،  
وهي بشهادتها كانت مسنة ومها قيل في بقاء مسحة من جمال الشباب عليها فهناك —  
ولا ريب — من الشباب الأبرار الشريقات من يفقنها في هذا ، وللشباب ماله  
من سحر وفتنة ، وإنكار ذلك مكابرة ، ولا أدري كيف يرغب رجل شهواني —  
كما زعموا — في امرأة مسنة مترهلة ، وذات شغل شاغل بعيالها ؟ ألا كبرت كلمة  
تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

وقد كانت عاقلة عالمة راوية روت عن رسول الله بالذات ، وبالواسطة  
وعن غيره من الصحابة ، وعنهما روى الكثيرون ، وقد ساهمت في نشر العلم

والحكمة عن رسول الله ، وبسبب سؤالها للنبي نزلت بعض آيات القرآن وتشريعاته ، وهى آخر أمهات المؤمنين وفاة كما قال الحافظان الذهبي وابن حجر ، وكان وفاتها سنة اثنتين وستين بعد مقتل الحسين إبان حكم يزيد بن معاوية ، وقيل غير ذلك وبموتها انطلقاً آخر مصباح من مصابيح أمهات المؤمنين طالما شع النور والهدى والعلم فرضى الله عنها وأرضاها .

« تعلم زيد بن ثابت كتابة اليهود ولغتهم » وفى السنة تعلم زيد بن ثابت كتابة اليهود ، فى صحيح البخارى تعليقا عن خارجة بن زيد « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقراه على النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا إليه فتعلمه فى خمسة عشر يوما » (١) وفى مسند الإمام أحمد أن رسول الله لما قدم المدينة ذهب بزيد إلى رسول الله وقالوا : يا رسول الله هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك رسول الله وقال « يا زيد تعلم لى كتاب يهود فأنى والله ما آمن يهود على كتاب » قال زيد : فتعلمت له كتابهم ، ما مرت خمس عشرة ليلة حتى حدقته ، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأجيب عنه إذا كتب « وهذا ذكاء مفرد ، وقوة حافظه ، ومن لوازم تعلم الكتابة تعلم اللسان ، وقد ثبت أنه كان يعرف السريانية والعبرانية (٢) وقد كان - رضى الله عنه - ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ، ومن أشهر كتاب الوحي بين يديه ، وهو الذى تولى كتابة القرآن وحده فى الصحف فى عهد الصديق ، وكان أحد الكتّابين المصاحف فى عهد عثمان رضى الله عنها ، وأمر رسول الله زيدا بتعلم لغة اليهود وكتابتهم يدل على أن الإسلام يجب إلى المسلم أن يتعلم لغة غيره وكتابتهم ، ويشعر على علومهم ومعارفهم ولاسيما إذا دعت لذلك ضرورة

(١) صحيح البخارى - كتاب الأحكام باب ترجمة الحكام أى الترجمة لهم

(٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٦ ، فتح البارى ج ١٣ ص ١٥٨ ، ١٥٩

## السنة الخامسة

غزوة دومة الجندل (١) في ربيع الأول من سنة خمس بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً من الناس وأنهم يظلمون من مرهم ويريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب أصحابه إلى الخروج ، فخرجوا في ألف واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وكانوا يسرون الليل ، ويكتمون النهار ، ومعهم هاد خربت يقال له «مذكور» فلما دنوا من دومة الجندل ، هجموا على الماشية والرعاء ، فأصابوا من أصابوا ، وهرب من هرب ، فلما علم أهل دومة الجندل ، رعبوا وتفرقوا ، فنزل رسول الله بساحتهم فلم يجد أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا والعيون فأصاب محمد بن سلمة رجلاً منهم ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن أصحابه ، فقال : هربوا أمس ، فعرض عليه الإسلام فاسلم ورجع رسول الله إلى المدينة بعد أن غاب عنها شهراً (٢) وقد امتازت هذه الغزوة بأمرين .

(١) أنها أول غزوة بعيدة عن المدينة من جهة الشام إذ بينها وبين دمشق ما لا يزيد عن خمس ليال ، وقد كانت بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية وأطراف الشام الجنوبية ، وأحسوا بقوة الإسلام وسطوته ، كما كانت إرهاباً لقيصر وجنده .

(٢) أن سير الجيش الإسلامي هذه المسافات الطويلة قد كان فيه تدريب له على السير إلى الجهات النائية ، وفي أرض لم يعهدها من قبل ، ولذلك تعتبر هذه الغزوة فاتحة سير الجيوش الإسلامية للفتوحات العظيمة في بلاد آسيا وأفريقيا فيما بعد .

مصالحة عيينة بن حصن : وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هائد

(١) بضم الدال وفتح واحة على المدود بين المجاز والشام .

(٢) البداية والنهاية ٤٠٤ ص ٩٢

عينته بن حصن الغزاري وهو الذي كان يسميه عليه الصلاة والسلام  
«الأحق المطاع» لأنه كان يتبعه ألف قناة لا يسأله أصحابها : فيم غضب ؟  
وقد أقطع الرسول أرضا يرعى فيها دوابه على بعد ست وثلاثين ميلا من المدينة ؛  
لأن أرضه كانت قد أجدبت .

## (غزوة بنى المصطلق) (١) أو «المريسيع» (٢)

وفي شعبان من سنة خمس بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق  
الذين ساعدوا قريشا على حرب المسلمين في أحد بقيادة رئيسهم رئيسهم الحارث  
ابن أبي ضرار يجمعون الجموع لحربه ، فخرج إليهم في سبعمائة من أصحابه بعد  
أن استخلف على المدينة أباذر الغفار وقيل غيره ، وأعطى راية المهاجرين إلى  
أبي بكر الصديق ، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد ، وساروا حتى دهمهم  
وهم عند ماء لهم يسمى «المريسيع» وهم غارون (٣) ، وأنعمهم تسقى على الماء ،  
فامر عمر بن الخطاب فنأدى فيهم : أن قولوا أن لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم  
وأموالكم ، فابوا ، فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله المسلمين فحملوا حملة  
رجل واحد ، فقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، ولم يقتل من المسلمين إلا هشام  
بن صبابه ، ، قتله أحد الأنصار خطأ ظنا أنه من الأعداء ، وقد غنم المسلمون  
غنائم كثيرة ، ألفي بعير ، وخمسة آلاف شاة هذا عدا السبأيا من النساء

(١) المصطلق : بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء . وكسر اللام لقب لحزيمة بن كعب ،  
وهم بطن من خزاعة . والمريسيع : بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء وكسر الهمزة ماء  
بنى خزاعة .

(٢) قد اختلف في زمن هذه الغزوة ، فذهب ابن اسحق أنها في شعبان سنة ست ووافقه الطبري  
وقال موسى بن عقبة : إنها في شعبان سنة خمس ، ووافقه الحاكم ، والبيهقي ، وأبو عمرو والراجح الذي  
تشهد له الأحاديث الصحيحة .

(٣) غافلون .

والاسارى من الرجال، وكان شعار المسلمين يوم المريسيع (يامنصور: أمت أمت).  
تصرف نبوى حكيم ) وكان بنو المصطلق من أعز العرب داراً وأشرفهم  
نسباً ، وأسرى نسائهم على هذه الحال مما ترك في نفوسهم ، ونفوس حلفائهم  
جراحاً لا تندمل ، وحزازات لا تنسى ، والعربى يهون عليه المال مهما غلا ،  
ولكن لا يهون عليه أن ينال في عرضه ، أو يتحدث كرامته وشرفه ، لذلك لم  
يرتح قلب النبي الكبير لما تم من سبى واسترقاق ، وفكر ثم فكر ، حتى تفنق  
العقل الكبير عن هذا التصرف الحكيم ، فقد كانت من السبايا يوماً مذ  
جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق ، وقد وقعت في سهم ثابت بن  
قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، فأنت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه ،  
وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ف وقعت في سهم ثابت بن قيس أو  
لابن عم له فكاتبته<sup>(١)</sup> على نفسى فجئت أستعينك على كتابتى ، فوجد الرسول  
الفرصة سانحة لتخليص بنى المصطلق مما وقعوا فيه ، فقال لها : ( فهل لك في خير  
من ذلك قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أفضى عنك كتابك وأتزوجك  
قالت : نعم ، وخروج الخبر إلى الناس ، وفشا بينهم أن رسول الله قد تزوج  
جويرية بنت الحارث ، وكان المسامون عند حسن ظنه ، وبعد نظره فقالوا  
أصهار رسول الله يسترقون ؟ !! فاطلقوا كل من بأيديهم قالت عائشة - راوية  
القصة - فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة من أهل بيت من بنى المصطلق ، فأعلم امرأة  
كانت أعظم على قومها بركة منها .

وبفضل هذا التصرف النبوى الحكيم أسلم بنو المصطلق عن طواعية جميعاً ،  
وصاروا أعواناً للمسلمين بعد أن كانوا عليهم .

(١) أى على أن يعترفها نظير مال ، وروى أن الذى لم يجملهاق بهم أحد تكبرمه لها حتى قدم أبوها  
بعد في فدائها بإبل ، فلما بلغ العتيق غيب بعيرين من الغداء صنابها ، فلما قدم على الرسول قال له :  
ابن البعيران اللذان غيبتهما في شعب كذا ؟ فلم يملك الرجل نفسه أن يشهد بشهادة الحق وقال :  
والله ما أعلم على ذلك إلا الله ، وأسلم معه ابناً له وناس من قومه ، وأرسل في طلب البعيرين  
فدفع الإبل ، وسلمت إليه ابنته ، فأسلمت بخطبها رسول الله من أبيها فتزوجه إياها ، وأيا كان  
الأمر فقد من الصحابة على من بأيديهم من قومها لمصاهرة رسول الله فيهم .

## (حدثان عظيمان)

وفي هذه الغزوة نجحت حادثتان عظيمتان : إحداهما كادت تحدث فتنة بين المسلمين لولا أن النبي تدارك ذلك بموهبته السياسية الفائقة ، والثانية حادثة الإفك التي حسم الكلام بشأنها وحى السماء ، ونزل بسببها تشريع عام خالد.

« الحدث الأول » بينا المسلمون على الماء يستقون ، وكان مع عمر غلام أجير له من بنى غفار يسمى جهجاه بن مسعود الغفارى يقود له فرسه فتراحم جهجاه ، وسان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الحزرج على الماء وتضاربا فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصاح الغفارى : يا معشر المهاجرين فاجتمع الفريقان ، وكادوا يقتتلون ، فذهب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فانها منتنة ، وأزال ما بينهما من شحنةاء ونيم الفتنة ، ولكن عبدالله بن أبى رأس النفاق أراد أن يوقظها ، ويذكرى لها فقال - وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم - : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول : « سمن كلبك يا كلك » أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل ، ثم أقبل على الحاضرين من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم فسمى إلى رسول الله فأخبره ، وعنده عمر بن الخطاب سيف الحق ، فأستأذن رسول الله فى قتله ، أو أن يأمر به من يقتله ، فقال ذو الحلق العظيم ، والسياسى الحكيم : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولكن آذن بالرحيل » ! !

« إعتذار ابن أبى » ولما بلغ ابن أبى أن زيدا أخبر الرسول بما سمع منه ذهب إلى رسول الله ، وحلف بالله ما قلت ما قال لك ، ولا تكلمت به فقال بعض الحاضرين من الأنصار من أصحابه لرسول الله : عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ترضية للرسول ، ودفعاً عن ابن أبى



سير النبي بالجيش ليشغلهم عن الفتنة

وارتحل النبي بالمسلمين في وقت لم يكن يرتحل فيه ، فلقبه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، وقال : يا رسول الله لقد رحمت في ساعة ما كنت تروح في مثلها ؟ فقال له : او ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : أى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبى ، قال : وما قال ؟ قال : زعم انه إن رجع الى المدينة ليخرجن الأعر من الأذل ! فقال أسيد فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت هو — والله — الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك ، وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا ! وسار رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم الثانى حتى آذنتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما

وبهذا التصرف البالغ الغاية فى السياسة الرشيدة قضى على الفتنة قضاء مبرما . ولم يدع مجالاً للحديث فيما قال ابن أبى .

« نزول سورة المنافقين » وفى هذه الحادثة أنزل الله سورة بتامها وهى المنافقون ، وفيها نزل قوله سبحانه : « هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون ، يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر من الأذل والله العزة ، ولرسوله ، وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ولما نزلت السورة أخذ رسول الله بأذن الغلام الصادق اللقن ، وقال : « هذا الذى أوفى الله بأذنه » وقد شاء الله أن تتحقق مقالة ابن أبى لأعلى ما أراد ، فكان الرسول وأصحابه هم الأعراء ، وكان ابن أبى وجماعته هم الأذلاء !!

« مثل أعلى للإيمان » وقد تجلّى فى هذه الحادثة موقف بطولى إيمانى

سماعن الرحم والعاطفة ، وعز فى تاريخ الدنيا به سير الصحابة ، ذلك أن المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله بن أبى أتى رسول الله فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فرنى به وأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرزج ، ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى

نفسى أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبى يمشى بين الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ! ! ماذا ترى يكون جواب الرسول الكريم ؟

إنه لموقف مخرج حقا ، أوافق الرسول ؟ إنه إن فعل فسيستريح من شر مستطير طالما نال من النبي والمسلمين ، وأضر بالدعوة الإسلامية ، ولكن كيف ؟ ونبينا محمد إنسان بشر قبل أن يكون نبيا ، وإنسانيته فاقت كل ما يتصور من إنسانية ، وفطرته هي أرقى ما عرفت الدنيا من فطرة سليمة ، وهو فى عقله وخبرته بالنفوس البشرية ، وغرائزها فى المحل الذى لا يطاول وهو يعلم يقينا أن الابن فى مأساة نفسية وعاطفية تناب عليها بقوة إيمانه ، وسمو نفسه ، وحبه لله ولرسوله ! ! لقد ضرب الابن أروع مثل الإيمان والتضحية بعاطفة الأبوة ، فليضرب النبي الإنسان ذو القلب الكبير والخلق العظيم أروع المثل فى العفو والرحمة وحسن الصحبة فيقول : « بل تترفق به ، ونحسن صحبته ما بقى معنا » ! ! !

بالروعة العفو ، وبالجلال العظمة الإنسانية ! !

ويسمو الإيمان ثم يسمو ، فلا يرضى الإبن المؤمن الصادق من الأب بالاعتذار وإنكار ما قال ، بل يقف لأبيه ، وهم آيئون عند مدخل المدينة ، ويده سيفه قائلا له : قف ، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله فى ذلك ، فلما أذن له تركه يدخل وقد أشاح عنه بوجهه .

« آمار هذه الياسة النبوية الحكيمة ، وقد كان لتسامح الرسول مع

رأس المنافقين أبعد الآثار فيما بعد ، فقد كان ابن أبى كلما أحدث حدثا ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويعنفونه ، ويعرضون قتله على النبي ، والرسول يأبى ويصفح ، فأراد رسول الله أن يكشف لسيف الحق عن آمار سياسته الحكيمة فقال : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلتك يوم قلت لى لأرعدت له آف لو أمرتك اليوم بقتله لقتلته » !! فقال عمر : قد وافقه - عادت لأمر رسول الله صلى الله عليه أعظم بركة من أمرى ! !

« احتيال وغدر » وقدم من مكة مقيس بن صبابه ، فقال : يا رسول الله جئتكم مسالماً ، وجئتكم أطلب دية أخى الذى قتل خطأ ، فأمر له الرسول بدية أخيه هشام ، فأقام بالمدينة غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ، ولهذا كان مقيس من الذين أهدر النبي دماءهم يوم الفتح ، وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة .

### (حادثة الافك)

وهى حادثة أخرى تمخضت عنها هذه النزوة ، وهى أشد شناعة وفضاعة من الأولى لأنها تناولت بيت النبوة فى أحب نساءه إليه وهى الصديقة بنت الصديق وإليك هذه القصة كما رواها الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما بالسند عن عائشة رضى الله عنها - واللفظ للبخارى - قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج - يعنى إلى سفر - أقرع بين أزواجه فأيتن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحمل فى هودجى وانزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل ، فقامت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى إذا جاوزت الجيش - يعنى لقضاء حاجتها - فلما قضيت شأنى اقبلت إلى رحلى فإذا عقد لى من جزع ظفار<sup>(١)</sup> قد انقطع فالتصمت عقدى ، وحسبى ابتغاؤه ، واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبت ، وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يتقلهن اللحم ، إنما يأكلن العلقه<sup>(٢)</sup> من الطعام ... وكنت جاريه حديثه السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ،

(١) جزع بفتح الجيم وسكون الزاى خرز معروف فى سواده يياض كالمروق وظفار بفتح

الظاء وكسر الراء الأخيره للبناء مدينة باليمن (٢) العلقه : الفليل من الطعام

فجئت منازلهم وليس بهاداع ولا حبيب ، فأمت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت ، وكان صفوان بن المعطل الساسي من وراء الجيش ، فادليج (١) فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد انسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رأني ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه (٢) حين عرفني ، فخرمت - غطيت - وجهي بجلبابي ، والله ما كلخني كلمه ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى اتاخ راحلته فركبتها ، فانطلق يقود به الراحلة ، حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين (٣) في حر الظهيره ، فهلك من هلك ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول ، فقدمنا المدينة ، فاشتكيت حين قدمت شهرآ والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا اشعر بشيء من ذلك ، وهو يريني في وجهي اني لا أعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطاف الذي كنت ارى منه حين اشتكى ، إنما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ثم يقول : كيف تبيكم ؟ (٤) ثم ينصرف ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نهت (٥) ، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع (٦) وهو متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل . . . ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطاب بن عبد مناف ، وأما بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أئامة (٧) فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا فخرت أم مسطح في مرطها فقالت . تعس مسطح ، فقلت لها : بأس ما قلت ، أتسبين رجلا شهد بدرآ ؟ قالت : أي هنتاه (٨) أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضأ على مرضى ، فلما رجعت إلى

(١) أدلج بتعديده الدال - مار من آخر الليل

(٢) قوله : « إنا لله وإنا إليه راجعون » لأعضاماً وألباناً لما حدث من تأخرها بغير قصد

(٣) نازلب للاستراحة في وقت شدة الحر (٤) لاسم لإشارة المؤنثة

(٥) نقه : بفتح الالف الذي برأ من مرضه ولم يتكلم صحته (٦) مكان خارج المدينة

(٧) مسح بكسر الميم وسكون السين ، ائامة بضم الهمزة (٨) يعني ياهدو

يأتي ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال : كيف تيممكم ؟ فقلت  
 أتأذن لي أن آتي أبواي ؟ وأنا حينئذ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي  
 رسول الله صلى الله عليه فجمعت أبواي فقلت لأمي : يا أمتاه . ما يتحدث الناس ؟  
 فقلت : يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها  
 ولها ضرائر إلا أكرن عليها فقلت : سبحان الله ، أو قد يحدث الناس بهذا ؟  
 قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى  
 أصبحت أبكي ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب وأسامة  
 بن زيد رضي الله عنهما حين استلبت الوحي يستأمرهما في فراق أهله ، فاما أسامة  
 بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ،  
 وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود ، فقال : يا رسول الله أهدك وما نعم إلا خيراً ،  
 وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها  
 كثير وإن تسأل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ،  
 فقال : « أي بريرة ، هل رأيت من شيء يريك ؟ » قالت بريرة : لا والذي  
 بعثك بالحق ، إن رأيت عليها امرأاً أغمصه (١) عليها أكثر من أنها جارية حديثة  
 السن تنام عن عجبين أهلها فتأتي الداجن (٢) فتأكله . فقال رسول الله وهو على  
 المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرني (٣) من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟  
 فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً « لقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ،  
 وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا  
 أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج  
 أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقام سعد بن عبيدة — وهو سيد الخزرج — وكان قبل  
 ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته (٤) الحمية ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله  
 لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير (٥) وهو ابن عم سعد بن معاذ

(١) بالغين والصاء أي أعيبه

(٢) بألف البيوت من شاة أو طير

(٣) من ينصرني عليه وينتقم منه

(٤) هو بالتصغير في اسمه واسم أبيه

(٥) أي غلبته العصبية

فقال لسعد بن عباد: كذبت لعمر الله لثقتلته ، فانك منافق تجادل عن المنافقين ، (١) فتشاور الحيان الأوس والحزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكنوا وسكت ، فشككت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح أبوأى عندى ، وقد بقيت ليلتين ويوما . . . ، فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى ، فأستأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ، فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ، ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأننا ، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد : يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسببرك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه ، فلما قضى مقالته قلص دمعى (٢) حتى ما أحس منه قطره فقلت لأبى : أجب رسول الله فيما قال ، قال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأبى : أجبى رسول الله قالت : ما أدرى ما أقول لرسول الله ، قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن — إبنى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم ، وصدقتم به : فلئن قلت لكم : إبنى بريئة — والله يعلم إبنى بريئة — لانصدقونى بذلك ، ولئن أعترفت لكم بأمر — والله يعلم أنى منه بريئة — لتصدقننى ، والله ما أجد لكم ولى مثلاً . لا أقول أبى يوسف : « فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » ثم نحولت فاضطجعت على فراشى ، وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة ، وأن الله مبرئى براءتى ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحياً يتلى ، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤى يبرئنى الله بها ، فوالله مادام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء (٣) . حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان (٤) .

(١) أى صنيعك فى المجادلة عن ابن أبى سنيع المنافقين (٦) جف من هده: الحزن والأسى

(٢) بضم الموحده وفتح الراء وبالمد الحالة التى كانت تعتربه عند الوحى

(٣) بضم الجيم حبات اللؤلؤ أو الفضة

من العرق وهو في يوم شات من نقل الوحي الذي ينزل عليه ، فلما سرى عن رسول الله صلى عليه وسلم سرى عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها : يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك ، فقالت أمي : قومي إليه ، فقلت ، والله لا أقوم إليه ولا أحد إلا الله عز وجل ، وأنزل الله — عز وجل — « إن الذين جاءوا بالآفك عصابة منك . . . » العشر الآيات كلها — يعنى إلى قوله تعالى : « وأن الله رؤوف رحيم »<sup>(١)</sup> — فلما أنزل الله هذا في براءتى قال أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — وكان ينفق على مسطح بن أنانة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة — يعنى عنها — ما قال ، فأنزل الله « ولا يأتل »<sup>(٢)</sup> أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى ، والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » قال أبو بكر : بلى والله إنى أحب أن يغفر الله لى !! فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً ، قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمرى ، فقال : يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمى سمى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً قالت : وهى التى كانت تسامنى<sup>(٣)</sup> من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فىمن هلك من أصحاب الآفك »<sup>(٤)</sup> :

وقد بينت الروايات الأخرى فى الصحيحين وغيرهما ، أن للذين خاضوا فى هذا الحديث الآثم رأس النفاق ابن أبى ، وحمنة بنت جحش ، ومسطح بن أنانة ، وحسان بن ثابت وأن الذى تولى معظم الحديث ، وإلا رجاف به ابن أبى وتليه حمنة فى هذا ، وقد تاب هؤلاء — ما عدا ابن أبى — ولا سيما حسان بن ثابت فقد اعتذر عما كان منه وقال يمدح عائشة بما هى له أهل .

حصان رزان ما اتزن برىبه وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

(١) سورة النور ١١ - ٢٠

(٢) لا يأتل (٣) تناظرنى وتحرس على أن تكون لها حظوتى عند رسول الله

(٤) صحيح البخارى — كتاب التفسير — سورة النور صحيح ، سام — كتاب التوبة باب حديث الآفك

عقيلة حتى من لؤى بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل  
مهذبة قد طيب الله خيمها - وطهرها من كل سوء وباطل (١)  
وزاد الحاكم في روايه له من غير رواية ابن اسحاق .

حليبة خير الخلق ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل  
رأيتك - وليغفر لي الله - حرة من المحصنات غير ذات الغوائل  
وقد تخلقت السيدة عائشة بأخلاق زوجها وأبيها فعتت ، وكان يستأذن عليها  
لما كبر وعمى فتأذن له ، بل كانت تكره - رضى الله عنها - أن يسب عندها  
لنفاقه عن رسول الله وآل بيته وتقول : إنه الذى قال :

فان أبى ووالدتى وعرضى لعرض محمد منكم وقاء  
« إقامة الحد على من قذف عائشة » ولما نزلت الآيات ببراءة عائشة أقام  
النبي صلى الله عليه وسلم الحد على مسطح وحسان وحننة ، رواه أصحاب السنن  
وهذا يرد ما رجحه الماوردى ، من أنهم لم يجدوا اعتماداً على أن الحد لا يثبت إلا  
بإقرار أن بينه ا ولا أدرى أى بينه بعد النص القرآنى الدال على كذبهم ، وهو  
يستلزم ثبوت الحد ، وأما ابن أبى راس النفاق فقبيل إنه لم يجد سياسة وتأليفاً  
لقومه وأتباعه وإلى هذا ذهب ابن القيم فى الهدى ، والذى رجحه الحافظ  
ابن حجر فى النفخ أنه أقيم عليه الحد استناداً إلى ما رواه الحاكم  
فى الإكليل (٢) .

« صفوان بن المعطل السامى » : ويقال له الذكوانى نسبة إلى ذكوان بن  
تعلبه بطن من بنى سليم ، وصحابيا فاضلا ، لا يغمص فى دين ولا فى خلق . أول  
مشاهده المريسيع ، وقيل الحندق ، وبحسبه تركية قول الرسول فيه : ما علمت  
عليه إلا خيراً وقد ثبت فى الصحيحين أنه لما بلغه حديث الإفك قال : سبحان الله

(١) حصان: عنيقة ، رزان عانلة، تزن بضم التاء . ترمى وتتهم جامعة الذرافل : جم غائفة  
أى عن الثور والام ، عقيلة : كريمة . خيمه بكسر الخاء . أسماها .

(٢) فتح البارى ح ٨ ص ٣٨٨ .



والذى نفسى بيده ما كشفت عن كنف أثى قط ، وما زعمه ابن إسحاق أنه كان  
حضوراً لم يثبت ، وفى بعض الروايات الصحيحة أنه تزوج ، وفى الصحيح أنه قتل  
شهيداً فى سبيل الله ، فقيل : استشهد فى غزوة أرمينية فى خلافه عمر سنة تسع  
عشرة ، وقيل بل عاش إلى سنة أربع وخمسين فاستشهد بأرض الروم  
فى خلافه معاوية<sup>(١)</sup>

### وقفات عند قصة الإفك

وما كان لنا أن نمر بهذا الحادث دون أن نقف ووقفات ، نستخلص منها عبراً  
وعظات ، وأخلاقاً ساميات ، منها :

( ١ ) صيانة الله سبحانه أنبياءه أن تقع من زوجاتهم خيانة زوجه وذلك  
لأن زنا الزوج مما يمتد أثره السيء إلى الزوج ، فصان الله زوجاتهم عن ذلك حتى  
لا يكون منفرآ منهم ، ومعوقاً عن الاهتداء بهم ، أما الكفر فيجوز عليهن وذلك  
كما رآى نوح ولوط عليهما السلام ، لأن الكفر لا تعدى معرفته إلى الزوج ، وأما  
ما ذكره الله عنهما فى قوله « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط  
كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً »<sup>(٢)</sup>  
فقد أجمع المفسرون سلفاً وخلفاً على أنه ليس المراد الزنا وإنما الخيانة فى الدين  
روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « ما زنت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها  
أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تخبر أنه يبنون ، وإذا ما آمن به أحد  
أخبرت به قومه الكافرين ، وكانت امرأة لوط تدل قومه على أضيافه إذا  
نزل به ضيف ، »

( ٢ ) إن فى هذه القصة عزاء وسلوى للعفيفات اللاتى يرمين زوراً وكذباً  
بالفاحشه ، فهذه للصديقه بنت الصديق ، وزوج الرسول ، والمبرأة من فوق سبع  
سماوات قد رميت بما هى براء منه ، من المنافقين ومن شايعهم من ضعفاء الإيمان ،

(١) فتح البارى ج ٨ ص ٢٧٦ .

(٢) التحريم ١٠

ومن قبل رعى اليهود صديقة نبي إسرائيل السيدة مريم البتول بالزنا ،  
فأدس ذلك من شرفها ، ولا أزل من كرامتها عند ربها ، بل زادها رفعة  
وشرفا ، ولا تزال هذه القصة تتكرر على مسرح الحياة ، فليكن  
للمحصات المؤمنات الغلافات اللاتي لا يسلمن من قالة السوء فيها  
عزاء وسلوى .

( ٣ ) أدب الصحابة — رضوان الله عليهم — في معاملة النساء المسلمات  
ولاسيا نساء النبي ، والمبالغة في توقي مواطن الريبة والتهمة ، فقد ثبت أن صفوان —  
رضى الله عنه — أكنفى بالاسترجاع حتى استيقظت السيدة عائشة وفي استرجاعه  
ما يدل على استفظاعه وأسفه أن تترك زوجة النبي في العراء ، ولم يكلمها قط غير  
أنه سألها عن شأنها وعرض عليها الركوب ، وحين الركوب أولاها ظهره ولما  
ركبت قاد بها ولم يسر خلفها ، وقديماً فعل نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام  
ذلك مع ابنة شعيب عليه الصلاة والسلام فقد قال لها : سيري خلفي وديني على  
الطريق خشية أن تضرب الريح بثوبها فتكشف أو تصف بعض جسمها .  
وهذا غاية الأدب والعفة ولذلك قالت ابنة شعيب — وقد سمعت ورأت — كما  
قال الله سبحانه : « قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت  
التوى الأمين (١) .

( ٤ ) حسن معاشره النبي ﷺ لأزواجه ورحمته بهم ، وضبط النفس حتى  
في المواقف التي يستبد بالنفس البشرية فيها الغضب ، فخرج عن حد الاعتدال ،  
فعلى الرغم مما قيل في عائشة مما يجرح القلب ، ويؤذى النفس كإن يدخل وهي  
مريضة فيسأل عنها وإن لم تجدهم اللطف الذي كانت تجده منه حينما كانت  
تسكى ، وغايه ما يطمع فيه من بشر كريم في مثل هذا الموقف المؤلم المحير أن

(١) القصص/٢٦ ، أما أمانته فقد حدثناك عنها ، وأما قوته فقد قيل : لأنها شاهده  
وهو ينهى عن البئر ، وما كان يديق ذلك إلا الجماعة من الرجال وقيل : لأنها رأته وقد دفع  
الراء عن البئر على كثرتهم ، ولم يخشهم ، وسقى لها .

يكظم غيظه ، ويكف غضبه ، أما الملاطفة فامر خارج عن طوق البشر ولن تكون إلا بمن فقد غيرته ، وذهبت من نفسه معالم الرجولة والنخوة :

ويبلغ السمو الإنساني بالرسول في معاملة عائشة حينما دخل عليها وهي في بيت أبيها وقال لها « يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيرثك الله ، وإن كنت أمتت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه » ! !

يا لعظمة النفس ، إن العظيم حقا هو الذى يعلم أن كل بنى آدم خطاء ، ويدير للمذنبين طريق التوبة ، والقوى حقا هو الذى يرحم ضعف الناس ! !

كان يمكن للنبي صلوات الله وسلامه عليه أن يطلق عائشة ، وبذلك يستريح من ألم النفس الواصب ، ويقطع قالة السوء ، ولكن كيف يكون هذا ؟ وهو الذى وسع بصدره وخلقه الناس جميعا على اختلاف مشاربهم وقطربهم وطبائعهم ، حتى استحق ثناء الحق جل وعلا حيث يقول : « وإناك لعلى خلق عظيم » .

( ٥ ) كرامة بيت أبي بكر رضى الله عنه على ربه ، فقد شاء الله أن يبرىء عائشة من فوق سبع سماوات وأن ينزل في شأنها قرآنا يتلى إلى يوم الدين ، وهذا بعض ما جوزى به رجل دخل في الإسلام من أول يوم ، وبذل نفسه وأهله وماله لله ولرسوله ، ولم يزد - وقد تلظى بنار هذه الفتنة - على أن قال والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام ، ! ! وما جوزيت بمسيدة قدمت للرسول كل خير ، ووفرت له كل وسائل الراحة النفسية والبيئية حتى تفرغ لأداء رسالة ربه ، ولم تملك حينها نزل بها البلاء ، وجل المصاب ، إلا أن قالت كما قال نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » (١) .

## تفسير آيات الإفك

قال الله تبارك وتعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . »

« الإفك » أشنع الكذب وأفحشه « عصبة منكم » الجماعة من العشرة إلى الأربعين منهم عبد الله بن أبي راس المنافقين ، وزيد بن رفاعه ، وحسان ابن ثابت ، ومسطح بن أثامة ، وحمنة بنت جحش « لا تحسبوه شرا لكم » خطاب للمؤمنين ولا سيما من بلغ منهم الأذى مبلغه ( بل هو خير لكم ) يعنى فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فلائنه زل بسببه تشريع عام خلا يحفظ الحرم ويصون المجتمع ، ولما تمخض عنه من تبرئة عائشة حبيبة رسول الله والشهادة لآل بيت الرسول بالطهر والعفاف ، وتبرئة الرجل الصالح صفوان ، وأما فى الآخرة فلما لهم من رفعة الدرجات وبالصبر على المحنة والبلاء ، « لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم » جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . كبر الشئ معظمه ، وهو ابن أبى فهو الذى كان يجمعه ويذيعه ويشيعه .

ثم أدب الله المؤمنين والمؤمنات بما كان ينبغي أن يسلكوه فى هذه القصة من أدب فقال : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا : هذا إفك مبين » لولا ، هلا « مبين » بين ظاهر يعنى هلا قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم ، وظنوا بأخواتهم خيرا ، ولو أنهم فعلوا لتبين لهم أن أم المؤمنين أولى بالبراءة وأحرى ، ولتعففوا عن النطق بهذا الهجر من القول ، وبمن تأدب بهذا الأدب الالهمى السامى سيدنا أبو أيوب الأنصارى فقد قالت امرأته أم أيوب : أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضى الله عنها ؟ قال : نعم وذلك الكذب ، أ كنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله نال : فعائشة والله خير منك !

ثم قال تعالى : « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك

عند الله هم الكاذبون ، « عند الله » يعنى فى حكمة و شريعته ، لأنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بشهداء ، و حكم القاذف فى الإسلام إن لم يات بهم أن يحد حد القذف ، و قد حد النبى صلى الله عليه وسلم الأربعة الذين صرحوا بالقذف لما تبين كذبهم بشهادة الوحى .

« ولولا فضل الله عليكم و رحمته فى الدنيا و الآخرة لمسكم فيما أفضم فيه عذاب عظيم ، « لولا » حرف امتناع لوجود يعنى لو لا انى فضلت أن أتفضل عليكم بضروب النعم فى الدنيا التى من جملتها الإمهال و قبول توبة التائبين ، و الترحم عليكم فى الآخرة بالعتو و المغفرة ، لعاجلتكم بالعقوبة فى الدنيا و العذاب الدائم فى الآخرة و هذا فىمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة كحسان و مسطح و حنة ، فأما من خاص فيه من المنافقين كابن أبى و أخرا به فليسوا مرادين لأنهم ليس عندهم من الإيمان و العمل للصالح ما يؤهلهم لاستحقاق هذا .

ثم بين سبحانه الأحوال و الملابس التى كانت توجب أن ينزل بهم العذاب فقال : « إذ تلقونه بألسنتكم ، أى يتلقفه بعضكم من بعض من غير تحجر و تثبت ثم يذيعه ، و تقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، يعنى ان قالة السوء التى نطقتم بها ليس لها ما يسندها من علم أو دليل ، و ليست نابعة عن اعتقاد وإنما هى شكوك و أراجيف لا تمدو طرف اللسان ، و تحسبونه هينا ، و هو عند الله عظيم » هذه جريمة من جرائمهم و هى استصغارهم لذلك و هو عظمة من العظام عند الله و لو لم تكن عائشة زوجة نبى لما كان هينا ، فكيف و هى زوجة خاتم الأنبياء ، و سيد ولد آدم على الإطلاق ، و هى بالمنزلة التى لا تخفى عليكم نسبا و شرفاً و ديناً ؟ ثم قال سبحانه « و لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هكذا بهتان عظيم » « سبحانه » كلمة تعجب من الأمر المستفطع « بهتان » كذب فاحش و هذا تأديب آخر للمؤمنين أنه كان الأليق بهم أن يستعظموا هذه المقالة ، و يطهروا السننهم من النطق بها ثم حذرهم سبحانه أن يعودوا لمثل هذه المقالة الفاحشة

التي مجافى الإيمان فقال : ( يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ،  
ويبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم ) .

ثم قال سبحانه : ( إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب  
أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم تعلمون ) هذا تأديب إلهي ثالث لمن سمع  
قالة السوء أو علم بفاحشة أن لا يذيعها ويشيعها لما في إشاعة الفاحشة من إثارة  
بواعث الشر في النفوس ، وإيقاظ الفتنة بين الناس ، وفي ذلك ما فيه من  
الاضرار بالأسر والجماعات . ومن أدب النبوة في هذا قول رسولنا صلى  
الله عليه وسلم : « من ستر مساماً ستره الله في الدنيا والآخرة » رواه مسلم  
وقال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تتبعوا عورات  
المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين فضحه الله تعالى في قعر بيته » رواه أبو  
داود ثم قال سبحانه : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم »  
جواب لولا محذوف أي لعاجلكم بالعقوبة ، وفي هذا تكرير للمنة بترك المعالجة  
وفي حذف الجواب إيجاز معجز لتذهب النفس فيه كل مذهب فله در التنزيل .  
وما أبلغه وما أكثر بركانه .

ومما يتصل بآيات الإفك قوله سبحانه « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات  
المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » « المحصنات العذائف » الغافلات  
يعنى عن الفاحشة وهذا أسمى وصف يدل على العفة ، فإن من العفاف من تخطر  
الفاحشة بياها ثم لا تلبث أن تزول ، ولكن أعف العفة أن تكون المرأة غافلة  
عن التفكير فيها والخطور بنفسها ، ويدخل في هذه الأوصاف أمهات المؤمنين  
دخولا أولياً ولا سيما عائشة التي كانت سبب نزولها ، فالذين يرمون بالزنا  
المحصنات الغافلات المؤمنات ملعونون في الدارين على السنة الخلق والملائكة .  
ومطرودون في الآخرة من رحمة الله ، ولهم عذاب هائل لا يقادر قدره لعظم  
ما ارتكبوه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون  
يومشد يوفهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » ومعنى شهادة  
الجوارح المذكورة انه عز وجل ينطقها بقدرته فتخبر كل جوارحه منها بما صدر

عنها من الذنوب والآثام «دينهم الحق» ، أى يعطيهم جزاءهم المطابق لمقتضى العدل والحكمة وافية تاماً . «الحق المبين» ، الحق الظاهر ألوهيته والظاهر حقيقته .

ثم ساق سبحانه دليلاً على براءة السيدة عائشة على ما هو السنة الجارية الغالبة فيما بين الناس فقال : ( الحبيثات ) أى من النساء ( للحبيثين ) من الرجال ( والحبيثون للحبيثات ) ذكره وإن كان مفهوماً مما سبق مبالغه فى التأكيد ( والطيبات ) من النساء ( للطيبين ) من الرجال ( والطيبون للطيبات ) أى والطيبون من الرجال للطيبات من النساء لا يتجاوزوهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله أطيّب الطيبين ، وخير الأولين والآخرين فقد ثبت كون الصديقة من أطيّب الطيبات ، واتضح بطلان ما قيل فيها من الترهات ( أولئك ) إشارة إلى آل البيت النبوى رجالاً ونساء ، ويدخل فيه السيدة عائشة دخولاً أولاً [ مبرءون مما يقولون ] منزهون عما يقوله أهل الألفك فى حقهم من الأكاذيب [ لهم مغفرة ورزق كريم ] مغفرة لماعسى أن يقع منهم من خلاف الأولى أو مالا يسلم منه إنسان من الذنب ، ورزق دائم لا يزول ولا يحول وهو الجنة .

ورحم الله الإمام الزمخشري حيث قال فى تفسيره [ ولو قلبت القرآن ، وفأشئت ما أوعده به العصاة لم تر الله قد غلظ فى شيء تغليظه فى إفك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البلغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ماركب من ذلك ، واستفطاع ما أقدم عليه — ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفقنة ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث<sup>(١)</sup> لكفى بها حيث جعل القذف ملعونين فى العارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة ، وبأن أسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا ، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله حتى يعلموا عند ذلك ( أن الله هو الحق المبين ) فأوجز فى ذلك وأشبع ، وفصل وأجل ، وأكد وكرر ، وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين

(١) يزيد قول الله تعالى « إن الذين يرمون المحصنات . . . » إلى قوله تعالى

« الحق المبين »

هدية الأوثان إلا بما هو دونه في الفطاعة وما ذلك إلا لأمر ، وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان بالبصرة يوم عرفه ، وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال : من أذنب ذنباً ثم تاب عنه قبلت توبته إلا من خاص في أمر عائشة ، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك ، وقد برأ الله أربعة بأربعة : برأ يوسف بلسان الشاهد ( وشهد شاهد من أهلها ) وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه<sup>(١)</sup> وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها ( إني عبد الله ) وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام ، في كتابه المعجز ، المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك ، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتنبيه على أنافة محل سيد ولد آدم ، وخيرة الأولين والآخرين ، ووحدة الله على العالمين ، ومن أراد أن يتحقق من عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم ، وتقدم قدمه ، وإحرازه لقصبة السابق دون كل سابق — فليتلق ذلك من آيات الإفك ، وليتأمل كيف غضب الله له في حرمة ، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابها<sup>(٢)</sup> .

## « غزوة الخندق والأحزاب »

كانت قريش تود لو أتاحت لها الفرصة للقضاء على النبي والإسلام ولا سيما بعد ما أصابها من نكسة بسبب نكوصها عن الخروج في بدر الآخرة ، وكان الأعراب الذين نال منهم النبي وصحابته موتورين ويتحينون الفرصة

---

(١) هذه الفصة رويت في صحيح البخارى ونجد أشار إليها الله في قوله « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قابوا وكان عند الله وجيهاً » وكانوا رموه بأنه « آذوه » أى متمح الحصى ، وبيننا هود ذات يوم يفتدل في البحر وقد ترك ثيابه على حجر إذ فر الحجر بثوبه ، فصار يجرى وراءه وهو يقول : تربي يا حجر فرأى الناس أن ليست به أدرة .



للاتنقام ، وكان اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير الذين أجلاهم النبي عن المدينة مغنطين محنقين ، ويسعون ما وسعهم الحيلة في القضاء على هؤلاء الذين أجلوهم عن ديارهم ، ونسوا عفو النبي عنهم ، وكان يمكنه أن يبدهم بدل إجلائهم فلا تعجب إذا كانت قوى الشر الثلاث هذه قد تعاونت قصد القضاء على الاسلام والمسلمين فكانت غزوة الأحزاب .

( تأليب اليهود على النبي ) وحمل اليهود وزر التاليب فخرج وفد منهم على رأسهم حبيبي بن أخطب النضري ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ونفر من وائل حتى قدموا على قريش ، فدعوهم إلى حرب النبي وقالوا : إنا - نسكون معكم حتى نسنأصله فرحبت قريش بمقدمهم ، واستجابوا لدعوتهم ، وحرصوه على مواصلة مسعاهم .

( تفضيل اليهود الوثنية على الاسلام ) وانهزت قريش وجود هذا الوفد الخائني المضلل فقالوا لهم : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومجد ، أفديننا خير أم دينه ؟ فقالوا : بل دينكم خير من دينه . وأتم أولى بالحق منه ، وإنما لسقطه من اليهود وهم أهل كتاب أن يفضلوا الوثنية على التوحيد ، وقد سجل الله عليهم هذا الموقف المخزى فقال سبحانه : ( ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك للذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله قلن تجدهن نصيرا<sup>(١)</sup> ) وكفى اليهود خزيا أن يهوديا مثلهم قد آخذهم على هذا الموقف المشين قال الدكتور اسرائيل ولفنسون في كتابه ( تاريخ اليهود في بلاد العرب ) : كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ للفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الاسلامي ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطالبهم .

( استمرار اليهود في تأليب القبائل ) وخرج هؤلاء النقر ، فطافوا على بنى مرة ، وبنى فزارة ، وبنى أشجع وسليم ، وبنى سعد وأسد وكل من له عند المسلمين نار يحرضونهم ويعلمونهم أن قريشا معهم .

( خروج الأحزاب ) وتجمعت الأحزاب لحرب رسول الله والمسلمين فخرجت قريش وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب في أربعة آلاف ، معهم ثلثمائة فارس وألف وخمسمائة بعير ، ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الذي قتل أبوه وهو يحمل اللواء يوم أحد ، وخرجت غطفان يرأسها عيينة بن حصن الأحمق المطاع الذي صالحه رسول الله وأقطعه أرضا يرعى فيها سوائمه . وكان معه ألف فارس ، وخرج بنو مرة في أربعمائة برئاسة الحارث بن عوف المري ، وتجهزت بنو سليم في سبعمائة مقاتل ، وبنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الأسدي . وبنو أشجع ، وهكذا تحزبت الأحزاب حتى صاروا عشرة آلاف قائدهم العام أبو سفيان بن حرب ، وساروا قاصدين المدينة . وكانت الخندق في شوال سنة خمس عند جمهور العلماء من أهل المغازي وغيرهم ، وهو الصحيح (١)

( استشارة الرسول أصحابه ) واتصل نبا هذا للجمع الحاشد بالرسول ، فاستشار أصحابه ، أقيمون في المدينة أم يخرجون للاقاء العدو ؟ ولما كان عند المهاجرين عظيما لا قبل للمسلمين على الوقوف أمامهم في سهل منبسط كسهل بدر دون أن تكون العاقبة عليهم قرأى المسلمين على أن يتحصنوا بالمدينة ولكن أيجدى التحصن أمام هذا الجيش الكبير؟ وهنالك تقدم سيدنا سليمان الفارسي إلى رسول الله يعرض عليه أن يحفر المسلمون خندقا في الجهة الشمالية وهي عورة المدينة لا يستطيع المهاجون نفاذا إلى المدينة إلا منها ، إذ أن بقية مداخل المدينة ضيقة المسالك مشتبكة البيوت والنخيل لا يفكر العدو في النفاذ منها ، لما يخشى أن يحل ، من اسطح المنازل ونحوها ، ثم هي لاتسع إلا لعدد من المهاجرين مما يسهل على المسلمين تصيدهم وأبادتهم ، فاستحسن الرسول الفكرة ، ودعا له بخير .

« حفر الخندق » وشرع المسلمون في حفر الخندق في جو بارد ورسول الله معهم يحفر ويحمل التراب بنفسه ، وقد جعل لكل عشرة منهم أربعين ذراعاً ، واحتق المهاجرون والأنصار في سلمان كل يريد أن يكون من قبيلة ، فحسم الرسول الأمر بقوله : « سلمان منا أهل البيت » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما بهم من التعب والتعب نشطهم بمثل قوله :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة  
فيجيبون قائلين : نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً  
وهكذا تجاوزت المشاعر بالإيمان ، والعزائم بالكفاح والجلاد.

وروى البخارى ومسلم في صحيحهما عن البراء بن عازب قال : لما كان يوم الأحزاب ، وخندق رسول الله ﷺ رأيتني يحمل من تراب الخندق حتى وارى عنه التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لقينا  
إن الأولى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

ثم يمد صوته بآخرها « يعنى بقول : أينا . أينا (١) »

ولا نسل عما كانت تصنعه هذه الكلمات المؤمنة العذاب في نفوسهم من مضاعفة الجهد ، والاستهانة بالنصب والتعب ، وبهذا العمل الدائب أتموا حفر الخندق في ستة أيام ، وقد استعانوا بالأحجار الصلبة فاتخذوا منها متاريس يتحصنون بها .

تخازل المنافقين ، على حـ بين كان المؤمنون المخلصون يجدون في حفر الخندق كان المنافقون يتخاذلون ، ويتسألون إلى أهلهم دون إذن الرسول

(١) في مد الصوت بهذا المقطع من البيت ما فيه من التماثل بين اللفظ والمبنى والاعتناء للمعنى ، فهو أبأب من متصل بمدود لا يعرف الضعف والاستخذاء ولا الاستكانة والاستسلام.

أما المؤمنون فقد كان الواحد منهم إذا عرضت له الحاجة الملحة استأذن الرسول ، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله رغبة في الخير ، وطلباً للأجر ، وقد أنزل الله في هؤلاء وأولئك قوله : ( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ٠٠٠٠ ) إلى قوله ( قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )<sup>(١)</sup>

( نبوءات صادقة ) وفي أثناء الحفر عرضت للمسلمين صخرة بيضاء صلبة شق عليهم كسرها ، فذهب سلمان إلى رسول الله فأخبره عنها فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابلتيها — يعنى المدينة — حتى كأنها مصباح في ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك فسألوا رسول الله عن ذلك ، فقال : لقد أضاء لى من الأولى قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، فأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ومن الثانية القصور الحجر من أرض الروم ، وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ومن الثالثة قصور صنعاء ، وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها فابشروا ، فاستبشر المسلمون وقالوا : موعود صادق<sup>(٢)</sup> وقد صدق الله نبوءة نبيه فكانت معجزة ظاهرة من معجزات النبي ، إذ لم يمض على هذه الحادثة إلا نحو ربع قرن حتى فتحت هذه البلاد كلها ودخلت تحت لواء الإسلام ولذلك كان أبو هريرة — رضى الله عنه — يقول حين فتحت هذه الامصار ؟ افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينه ولا تفتحونها إلى يوم القيامه إلا وقد أعطى الله محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك !!

وكننت أحب من المنكرين لنبوة سيدنا محمد أن يتأملوا في هذه النبوءات التي صدقها الزمن ، مع أنها قبلت في ظروف ، وملابسات ما كانت تشجع

(١) النور ٦٢ . ٦٣ روى هذه القصة ابن ابي حبان وابن جرير الطبري . والطبراني وروى أصلها الأمام البخارى في صحيحه .

عليها ، فإن أشد الناس تفاقؤاً ما كان يجول بمخاطره أن يقول هذا ، أو يفكر فيه اللهم إلا أن يكون نبياً يوحى إليه .

ولا جائز لقائل أن يقول : لعلها رمية من غير رام فأصابت (لأننا نقول : إن تاريخ حياته صلى الله عليه وسلم ، وما عرف عنه من الائتساد ، والتروى في الأمور ، وعدم المجازفة في القول ، والبصر بالعواقب ونحو ذلك ما أقر به الأعداء . والأصدقاء يرد هذا الجواز ، ويُبعده ، فلم يبق إلا أنها نبوءات صادقة من نبوءات الوحي ، فاعتبروا يا أولى الأبصار !!

( جيش المسلمين ) وبعد أن أتم المسلمون الحفر خرج النبي وأصحابه في ثلاثة آلاف من المسلمين بعد أن استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار سعد بن عباد ، وأمر الدراري والنساء فجعلوا فوق الآطام (الحصون) وأسند ظهر الجيش إلى جبل (سليح) وجعل الخندق بينه وبين المشركين .

دهشة المشركين من الخندق وأقبلت قريش بمجموعها وهي ترجوان يكون المسلمون بأحد ، فجاوزته إلى المدينة فإذا بها أمام الخندق فدهشت وعجبت لأن العرب لم يكن لهم عهد بهذا النوع من الدفاع ، واتخذت قريش ومن تابعها مكاناً لها حول الخندق ، وعسكرت غطفان ومن تبعها من أهل نجد بمكان آخر ورأوا أن لا سبيل إلى اجتياز الخندق فاكفوا بالترامي بالنبال عدة أيام ، وأيقنوا أنهم سيقبضون أياماً طويلاً في هذا الشتاء القارص للبرد ، العاصف الرياح ، المنذر بالمطر بين حين وآخر .

نقض بني قريظة العهد وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عهدهم فلما سمع به كعب أغلق بابه دونه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له وقال : يا حيي أنك امرؤ مشعوم واني غاهدت محمدآ عهدآ فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقآ ، وما زال حيي به حتى فتح له فقال : ويحك يا كعب لقد جئتك بعز الدهر قال : وما ذاك ؟ قال : لقد جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على قادتها وسادتها ، وقد عاهدوني على

أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه ، قال كعب : دعني يا حبي فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقًا ! اوتكلم عمرو بن سعد القرظي فذكر وفاء الرسول ومعاهدتهم إياه وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه ولكن حيا ما زال بكعب يقتله في الذروة والغارب (١) حتى غلبت عليه يهوديته فاستجاب له ، ونقض ما بينه وبين الرسول من عهد ، ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العهد إلا بنى سعة : أسد وأسيد وثعلبة فإنهم خرجوا إلى رسول الله ووفوا بالعهد .

(استجلاء الرسول الخبر) فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عباد سيد الخزرج ومعهم ما عبد الله أبي رواحة ، وخوات بن جبير وقال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم ؟ فإن كان حتمًا فالحنوا لي لحنا أعرفه (٢) ولا تفتوا في أعضاء المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوا أن الخبر صحيح ووقعوا في رسول الله ونالوا منه ، فجعل سعد بن معاذ يشاتمهم فأغضبوه ، فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أعظم من المشاتمة ، ثم أقبل السعدان ومن معهما فقالوا : عضل القادة أي غدر كغدرهم باصحاب سرية الرجيع ، فقال رسول الله : (الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين) ثم تقع ثوبه واضطجع ، ومكث طويلًا فعرفوا أنه لم يأت خبر عن بنى قريظة ثم رفع رأسه ، وقال : (أبشروا بفتح الله ونصره) .

(اشتداد البلاء والخوف) وعظم البلاء على المساميين ، واشتد الخوف ، فقد أتاهم العدو من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، وتنوعت الظنون وكثرت الهواجس ، فأما المؤمنون المخلصون فازدادوا إيمانًا ، وأيقنوا أن نصر الله لا بد أن يكون ، وأما المنافقون وضعفاء الإيمان فقد كشفوا عن خبيثة نفوسهم حتى قال بعضهم : كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى العائط !

(١) هذا مثل يضرب في المروضة والخاتمة وأسله في البعير يستصب عليك بتأخذ القرادة من ذروته وغارب من سنامه وتمتل هناك فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك .  
(٢) يعنى أسلوب التمريض والتلويح لا انصريح .

وعزم البعض على الرجوع إلى المدينة ، وتعلل بعضهم بأن بيوتهم مكشوفة غير محصنة ، واستأذنوا النبي ورجعوا ، وهكذا استحكمت البلاء ، ولاح الشر من كل مكان ، ولأن تجدد أدق في تصوير هذه الحالة من قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازا شديدا ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ... » الآيات (١) .

وقد اضطر الرسول وقد نقضت قريظة العهد أن يرسل مسامة بن أسلم في مائتين وزييد بن حارثة في ثلثمائة لحراسة المدينة خوفاً على النساء والزراري من غدر اليهود وهكذا تضاعف عدد الجيش الواقف للدفاع قبالة الخندق بانسحاب بعض المنافقين أولاً ، ثم بهذا العدد الذي وجهه النبي لحراسة المدينة .

(اقتحام بعض المشركين الخندق) وقد شجع نقض قريظة العهد وطول المقام أمام الخندق بلا قتال بعض المشركين على اقتحام الخندق ، فتميموا مكانا من الخندق ضيقا وأكروها خيلهم فاقتحموه منه ، فجالت بهم في أرض سبخة بين الخندق ولسع منهم عمرو بن ود ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار ابن الخطاب بن مرداس ، فأسرع إلى الخروج إليهم سيدنا علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم .

(قتل عمرو بن ود) وكان عمرو بن ود أشجع فارس في العرب وقد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا ، فلما كان يوم الخندق خرج معلما (٢) ليرى مكانه فلما اقتحم الخندق قال : من يبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب فقال له يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى

(١) الاحزاب الآية ٩ وما بعدها

(٢) جعل لنفسه علامة ليعرف بها .

خلتين إلا أخذتها منه قال : أجل قال : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام فقال : لا حاجة لي بذلك ، فقال له فإني أدعوك إلى النزال ، قال له : لم يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك ؟ فقد آل له على ، لكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه ، فخرجت خيل الباقيين منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة .

وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له بعد ما غربت الشمس يريد أن يجتاز الخندق فهوى هو والفرس فصرعا ، وقيل بل نزل إليه على بن أبي طالب فقتله ، وقيل قتله الزبير بن العوام .

فأرسل أبو سفيان بن حرب يعرض دية جثته مائة من الأبل فرفض عليه الصلاة والسلام وقال : « خذوه فإنه خبيث : خبيث الدية ، نحن لا نأكل من الموتى » !!

ورمى سعد بن معاذ يومئذ بسهم فقطع أ كحله<sup>(١)</sup> وكان جرحه سببا في وفاته كما ستعلم ، واستمرت المناوشة والمراماة بالنبال يوماً كاملاً ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخندق حراساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليل ، وكان يحرس بنفسه ثلثة فيه مع شدة البرد .

« محاولة لتفريق الأحزاب » ثم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخذل بين الأحزاب ويفرق جمعهم ، فبعث إلى عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري وها قائدا غطفان وساومهما على أن يأخذا ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما قبلاً ، ولكن الرسول ما كان ليبرم أمراً لم ينزل فيه وحى حتى يستشير أصحابه .

فأرسل إلى سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد فذكر لهما ذلك فقالا : يا رسول

(١) عرق في الذراع



الله أمراً نحبه فنصنعه؟ أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: « بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لائني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحد ، وكالبوكم — اجتمعوا عليكم — من كل جانب ، فاردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمره ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد آمننا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو يبعأ ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا !! »

والله مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانت وذاك » .

ويرى بعض المؤرخين أن عوض الرسول عهد الصلح هذا لم يقصد به العرض حقيقة وإنما كان سبب الغور الأتصار ، وتعرفا لمبلغ استعدادهم للذود عن المدينة ، والتضحية بالنفس في سبيل العقيدة ، وقد ظهر له صلى الله عليه وسلم أن الاخطار والمخاوف ، وتكالب عوامل الشر لم تزدهم إلا إيماناً وصلابة في الدفاع عن دينهم .

« الحرب خدعة » إن الله سبحانه إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب ويسر له الوسائل ، وقد ساقنا الأقدار نعيم بن مسعود الأشجعي وهو من غطفان إلى رسول الله ، وكان صديقاً لقريش واليهود ، فقال : يا رسول الله اني قد أسلمت وقومى لا يعلمون بإسلامي ، فرني بأمرك حتى أساعدك ، وتفتق العقول الكبير عن هذا التوجيه الرائع والايان إلى العمل السياسي البارح ، فقال له : « أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل؟ ولكن خذل عنا ما أستطعت فإن الحرب خدعة (٢) » وكان نعيم عند حسن ظن النبي وأهلاً لتوجيهه فخرج من عند النبي وتوجه الى بني قريظة فقال : يا بني قريظة

(١) خدعة بفتح المعجمة وضمها مع سكون المهملة . وبضم أوله . وفتح ثانية . وهي أشهر لغاتها وأفضحها الأولى حتى قال ثعلب : أنها لغة النبي ومعنى الأولى أن الحرب تنتهي بخدعة واحدة والثانية أن الشأن في الحرب المداع ، والثالثة صيغة مبالغة أي كثيرة الخداع .

تعرفون ودي لكم : وخوفي عليكم ، وإني محذركم حديثا فاكتموه عنى  
قالوا : نعم لست عندنا بمتهم فقال : لقد رأيتم ما وقع بيني قينقاع  
والنضير ، وان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، فهم إذا رأوا فرصة  
اتهزوها وإلا انصرفوا لبلادهم ، وأما أتم فتساكنون الرجل يريد الرسول -  
ولا طاقة لكم بحربه وحدكم ، فأرى أن لا تدخلوا في هذه الحرب حتى  
تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم ، بأن تأخذوا  
منهم رهائن سبعين شريفا منهم يكونون بأيديهم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم  
محمدًا حتى تناجزوه ، فاستحسنوا رأيه وقالوا : قد أشرت بالرأى .

ثم قام من عندهم وتوجه إلى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال : أتم تعرفون  
ودي لكم ومحبتى إياكم ، إني محذركم حديثا فاكتموه عنى ، فقالوا نفعنا ،  
فقال لهم : إن بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد  
أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذك من قريش  
وغطفان جمعا من أشرفهم ، ونعطيكمم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على  
من بقى منهم حتى نستأصلهم ، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان  
إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ، ولا أظنكم تتمموتنى قالوا : صدقت  
ما أنت عندنا بمتهم قال لهم : فاكتموا عنى قالوا : نفعنا ثم أخبرهم بما أخبر  
به قريشا ، وحذرهم مثل ما حذرهم .

نجاح التدبير ، فلما كانت ليلة السبت من شوال أرسل أبو سفيان بن حرب  
ورعوس غطفان وفدا برئاسة عكرمة بن أبى جهل إلى بنى قريظة فقلوا لهم :  
إنا لسنا بدار مقام قد هلك الحف والحافر — الإبل والحيل — فأغدوا لاقتيال  
حتى تناجز محمدًا ، ونفرغ ما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت ،  
ولم يصبنا ما أصابنا إلا من التعدى فيه ، ومع ذلك فلا تقاتل معكم حتى تعطونا  
رهنًا من رجالكم ، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب (١) واشتد عليكم القتال  
أن تذهبوا إلى بلادكم وتركونا ، والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به ، فلما

(١) ضعضعتكم ونالت منكم .

رجعت إليهم الرسل بذلك قالوا : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق !! فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فلما انتهت إليهم الرسل بذلك قالت قريظة : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق !! فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن . وهكذا بلغ هذا التدبير المحكم غايته بالتفرقة بين قريظة والأحزاب .

(دعاء وابتهاال) وفي هذه الغمرة من الشدائد والمخاوف كان النبي ﷺ وأصحابه لا ينفكون عن الدعاء والتوجه إلى رب الأرض والسماء . ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا يوم الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفي رواية ( اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم ) وعن أبي سعيد الخدري قال : قلت يوم الحندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال : ( نعم اللهم استر عوراتنا . وآمن روعاتنا ) رواه أحمد في مسنده .

(هزيمة الأحزاب) واستجاب الله لرسوله والمؤمنين ، ونزل المدد من السماء . وأرسل الله عليهم ريحاً شديدة في ليلة شاتية باردة فهدمت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وأطفأت نيرانهم ، وفعلت فيهم جنود الله المرئية وغيرها الأفاعيل ، فامتلات قلوبهم رعباً وخوفاً ، وساد الهرج والمرج والجلبة والصحاح .

(تعرف أخبار القوم) وكان رسول الله ﷺ متيقظاً لا ينام وقائماً لا ينفك عن الصلاة ، فلما سمع الجلبة قال : ( من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ) فما قام رجل من القوم من شدة الخوف والبرد والجوع ، فلما لم يبق أحد دعا حذيفة بن اليمان قال : فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال : يا حذيفة اذهب فادخل القوم فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحذمهن شيئاً حتى تأتينا قال : فذهبت فدخلت في القوم وجنود الله تفعل بهم ما تفعل فقام أبو سفيان فقال : لينظر كل امرئ من جلسه ؟ فاخذ حذيفة بيد الرجل الذي كان إلى جنبه فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان ، وتنادى الأعراب بالرحيل ، وقام طليحة بن خويلد الأسدي

فقال : إن مجداً قد بدأكم بشر فالنجاء النجاء !! ثم نادى أبوسفیان بالرحيل فقال : يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف<sup>(١)</sup> وأخافتنا قريظة ، ولقينا من شدة الريح ماترون فارتحلوا فإني مرتحل !! ثم قام الى بعيره وركبه ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فأسرعت إلى ديار قومها .

ثم رجع حذيفة ورسول الله صلى وعليه كساء يمني ، فلما فرغ من صلاته أخبره الخبر ، فغطاه رسول الله بطرف كسائه ، حتى ذهب عنه القر فما زال نائماً حتى أصبح .

الأوبة إلى المدينة ، وآب النبي وأصحابه إلى المدينة ، وقد أزال الله الكرب ، وكشف الغمة ، ووعد أصحابه أن لا يغزوهم المشركون بمد هذا بل هم الذين سيغزونهم ، فاقامت للمشركين بعدها قائمة ، وما زال أمر المسلمين في ازدياد حتى توج ذلك بفتح مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وعاد الرسول والمسلمون وهم يكبرون ويقولون : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : آيون تائبون . تابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده .

## ما نزل من الآيات في غزوة الأحزاب

وقد انزل الله سبحانه في هذه الغزوة بضع عشرة آية من سورة الأحزاب وإليك تفسيرها موجزا :

قال عز شأنه « يا أيها الذين آمنوا ، خطاب للمؤمنين الذين هم أهل العبرة والذكرى » اذكروا نعمة الله عليكم « وهي رجوع الأحزاب مدحورين

مذولين . ورجوعكم منصورين آمنين » إذ جاء تسكم جنود « قريش وغطفان وأتباعهما » فأرسلنا عليهم ريحا ، عاصفة في ليلة مطيرة فضرست أجسامهم واقتلعت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم ، وكفأت قدورهم وجنوداً لم تروها » هم الملائكة ألقوا في قلوبهم الرعب والخوف فذهبت عنوياتهم ورجعوا « وكان الله بما تعملون بصيرا ) بقاء الخطاب أى من نصرته نبيكم فيجازيكم أحسن الجزاء وقرىء في السبع بالياء أى من تاليهم على نبيه وتحزبهم عليه فهو وعيد لهم .

ثم صور سبحانه ما نزل بهم من بلاء وشدة لتعظيم النعمة بأبلغ عبارة فقال : ( إذ جاءوكم من فوقكم ) هم قريش وغطفان وأحلافهما ( ومن أسفل منكم ) هم بنو قريظة لما نقضوا العهد وأرادوا أن يطعنوهم من ظهورهم ( <sup>١</sup> ) واذ زانغت الابصار ) فلا تثبت ولا تستقر على حال من شدة الخوف ( وبلغت القلوب الحناجر ) لما كان من شأن الحناجر المذعور أن تنتفخ رثاء فتضغطان على القلب فيرتقع قليلا كنى بذلك عن شدة الخوف ( وتظنون بالله الظنونا ) الحسننة من جانب المؤمنين وهى أن الله ناصر رسوله مهما اشتد البلاء والجهد ، والسيئة من جانب المنافقين وضعفاء الايمان الذين زعموا أن الله خاذل رسوله ودينه .

( هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلا شديداً ) تصوير بالغ في الاعجاز لما اعتراهم من الضيق والانهصار بين عدوين لادين . الاحزاب واليهود .

ثم قص الله سبحانه ما قاله المنافقون وضعفاء الايمان فقال : ( واذ يقول المنافقون ، ولذنين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ) باطلا

(١) وقيل : « من قوتكم » بنو قريظة ، ومن أسفل معكم . قريش وغطفان ، وقيل من فوقكم عينيه بن حصن ومن معه ومن أسفل منكم أبو سفيان ومن معه ، ولاول اولى . ويشهد له ارواه الحاكم عن حذيفة قال : ( لقد رأينا اية الاحزاب وأبو سفيان ومن معه من مكة من فوقنا . وقريظة أسفل منا نخافهم على ذراريها ، و ا أنت علينا ليلة أشد مظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون : لان بيوتنا عورة . فمرى النبي ولم يبق معه الا ثلاثمائة فقال . ( اذهب وأتىنى بغير النوم ) ودعالي فاذهب الله عنى القر والفرع فدخلت عسكرهم ، فاذا الريح فيه لا تجاوزه شيئا . فلما رجعت رأيت فوارس فى طريقي فقالوا اخبر صاحبك — أن الله عز وجل كفاه لليوم ) فتح البارى ج ٧ ص ١

وزخرفا من القول ويمثل هؤلاء من قال : إن محمدا يعدنا ملك  
ملك كسرى وقيصر ولا يقدر الواحد منا أن يذهب الى الغنائم وهناك  
طائفة أخرى وهم عبدالله بن أبي وأصحابه حرضت على الرجوع الى  
المدينة متعملين بالتعلات الباطلة وهم المعنيون بقوله سبحانه ( إذ قالت  
طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ) يثرب هي المدينة وكانت  
تعرف بهذا في الجاهلية وسماها النبي ( طابة ) و ( طيبة ) وهناك طائفة ثالثة  
اعتدزت بالأعداء الواهية وهم المرادون بقوله سبحانه ( ويستأذن فريق  
منهم النبي يقولون : إن بيوتنا عورة ) يعنى مكشوفة للعدو والسراق غير محصنة  
وهم قوم من بنى حارثة ويمثلهم أوس بن قيطي ، وقيل هم قوم من بنى حارثة  
و بنى سلمة : وقد أكدبهم الله في هذا فقال : ( وما هي بعورة إن يريدون  
الإفرازا ) .

ثم بين سبحانه أن القائلين ذلك قوم جبناء لا ينتصرون لدين ولا حق  
ولا فضيلة ولاتهمهم إلا أنفسهم فقال سبحانه : ( ولو دخلت عليهم من أقطارها  
ثم سئلوا الفتنة لآتوها ) بالمد أى لاعطوها وبغيره أى لجاءوا بها والمراد بالفتنة  
الشرك والردة ، أقطارها : جوانبها وهي المدينة ( وما تلبثوا بها إلا قليلا )  
يعنى أنهم لو سئلوا الفتنة لما ترضوا في الإجابة إلا قليلا ثم أعطوها وهذا يدل  
على نفاقهم وضعف اعتقادهم ( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار  
وكان عهد الله مستؤلا ) هم بنو حارثة هـ وا أن ينكصوا يوم أحد مع بنى  
سلمة فنبتهما الله ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لملئها أبدا ، فلما كانت غزوة  
الأحزاب نكصوا وعادوا لما هموا به .

ثم بين سبحانه لهم أن الجبن لا ينجي من القدر ، وأن الموت بسيف ، أو  
بدونه لا بد أن يكون ، وهبوا أنكم فررتم من أسباب الموت فما تتمتعون في  
الحياة إلا قليلا ، فإن الحياة مهما طالته فهي قصيرة ، وعمرتا كله ذرات الدقائق  
والثواني وإن كثر فهو قليل فقال ( قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت  
أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلا ) ثم بين سبحانه أن الموت والحياة ، والخير  
والشر بيد الله ، ولو أراد الله بكم سوءاً نزل بكم ، ما عصمكم منه أحد

منكم ولو أراد بكم خيراً ما منعه أحد عنكم؛ فقال ( قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ) وليا ينفعكم ونصيراً يدفع الضر عنكم .

ثم قال سبحانه ( قد يعلم الله المعوقين منكم ) المنكصين من القتال ونصرة الإسلام ( والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً ) هلم : تعالوا ، البأس : الحرب وهم عبد الله بن أبي ومن رجع معه إلى المدينة فلم يكتفوا بزلتهم بل حاولوا استئلال غيرهم إلى القعود عن نصرة رسول الله ( أشحّة عليكم ) بخلاء بالمعونة والانفاق في سبيل الله ثم صور الله حينهم أبلغ تصوير بقوله : ( فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ) جاء الخوف أى أسبابه لم تستقر أعينهم على حان كالذي غشيتة سكرات الموت ( فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد ) نالوكم بالسنة بذيتة سليطة ( أشحّة على الخير ) يعنى أن شحهم عليكم إنما هو لأن أنفسهم شحيحة بالخير ( أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ) فان من شأن النفاق أن يحبط الله به الأعمال فلا ثواب لها ، ثم بين الله شدة خوفهم وحينهم فقال : ( يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب — يعنى مرة ثانية — يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب ) أى مقيمون فى البادية حتى لا يصيبهم أذى ( يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً ) يعنى أنهم حتى وهم مقيمون بالبادية لا يجرءون أن يتعرفوا أخباركم بأنفسهم ، بل يتعرفونها ممن يأتى من ناحيتكم ومثل هؤلاء لا ترجون قتالهم معكم ونصرتهم لكم ، لأنهم إن قاتلوا فراءاة وسترا لنفاقهم وتضليلاً لغيرهم .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثير » .

الأسوة بضم الهمزة وكسرها : القدوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محل الندوة فى الصبر على الشدائد ، والثبات فى الحروب ، والصدق عند اللقاء ، وفى كل شىء محل الانتساء : وإنما يأتى برسول الله الذين يرجون رحمة الله ونواب ( ١٦٢ — السيرة النبوية ج ٢ )

الآخرة ولا ينفكون عن ذكر الله ، ومثل هؤلاء قلوبهم حاضرة ، وضائرهم حية ، وأعمالهم كلها خير وصلاح .

ثم ذكر الله سبحانه المؤمنين وصدقهم في عقيدتهم ، وتصديقهم بما وعدهم الله ورسوله مهما عظم البلاء ، وأن ذلك لا يزيدهم إلا نباتاً على الإيمان ، وصيراً على البلاء ، وتسليماً للقضاء ، فقال سبحانه : ( ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ) فانظر الفرق بين الصورتين : صورة المؤمنين المشرقة ، وصورة المنافقين المخزية ، ثم بين سبحانه أن من المؤمنين من سبق إلى الشهادة ، ووفى بعهده ، وأن منهم من ينتظرها ويترقبها ، وأن هؤلاء وأولئك صدقوا الله بالإيمان ، ونبتوا على النوء فقال عز شأنه ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ) النجى : النذر اللازم ، وقد أريد به هنا الموت ، وكان المجاهد الذي خرج مخاطراً بنفسه فاستشهدوا قد نذر نفسه لله ، ثم وفى بنذره ومن هؤلاء الذين قضوا ونحبهم من استشهدوا في بدر وأحد وغيرها .

ثم بين سبحانه أن الغاية من البلاء والاختبار بالحن والشدائد أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق فيجازى الأول خيراً والثاني شراً فقال : ( ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم — يعنى إن تابوا — إن الله كان غفوراً رحيماً ) ثم ختم الله القصة بتذكيرهم بنعمة الله عليهم بهزيمة الأحزاب . وارتدادهم صاغرين فقال : ( ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً — نصراً — وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ) ومن كان ملاذه القوى العزيز الذى لا يغالب فقد آوى إلى ركن شديد وحليف عظيم .



## زواجه صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش

هى السيدة زينب بنت جحش الأسدية أخت شهيد أحد المجدع فى الله  
عبدالله بن جحش وأما السيدة أميمة بنت عبد المطلب عمه النبى صلى الله عليه  
وسلم ، فهى من أوسط العرب دارا ونسبا ، تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم  
بعد أن طلقها مولاه زيد بن حادثة وقد حقق الله سبحانه بذلك غرضين شريفيين  
إبطال حرمة زوجه الإبن المتبنى والقضاء على غنجهية الجاهلية بالاعتزاز  
بالأحساب والأنسب ، ذلك أن العرب كان من عادتهم التبنى ، وكانوا يلحقون  
الإبن المتبنى بالإبن العصبى وتجربى عليه حقوقه فى الميراث وحرمة زوجه على  
من تبناه ، وكانت تلك العادة متأصلة فيهم كما كان كبيرا عندهم أن تتزوج بنات  
الأشراف من موال وإن أعتقوا وصاروا أحرارا : فلما جاء الإسلام كان من  
مقاصده أن يزيل الفوارق بين الناس التى تقوم على العصبية وحمية الجاهلية ،  
فالناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب لافضل لعربى على عجمى ، ولالأبيض على  
أسود إلا بالتقوى ، وأن يقضى على بدع الجاهلية ، وقد شاء الله أن يكون أول عتيق  
يتزوج بعربية فى الصميم من العرب هو زيد بن حارثة ، وأن يكون أول سيد  
يطلق هذه العادة الجاهلية هو رسول الله : فإلى بنات الأشراف أن يتزوجن  
بعد من الموالى وهذه زينب بنت جحش قد اقترنت بزید ، وما على سادات  
العرب أن يتزوجوا بازواج أديانهم بعد فراقهم لهم ، وإمام المسلمين ومن يصدع  
بأمر الله قد فتح هذا الباب الموصل ، وتزوج حليمة متبناه بعد فراقها وقد كان  
ما أراه الله فى تشريعه الحكيم ۱۱

فرسول الله يخطب زينب لزيد فتأنف وتأبى ويأبى بعض أهلها ، وينزل  
الوحي من السماء بقوله تعالى ، ( وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله  
ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله  
فقد ضل ضلالاً مبيناً ) ١ فلم يكن بد من الازعان والخضوع لما أراد الله

ورسوله . في تزوجها زيد ، ولكنه وجد منها تعاطفا وترفعاً ، وكان يؤذيه ذلك ، فرغب في فراقها وذهب إلى النبي ﷺ يعرض عليه طلاقها وكان ينصحها بامساكها ، وكان جبريل قد أخبر رسول الله بأن زينب ستكون من أزواجه وسيبطل الله بزواجه منها هذه العادة الجاهلية ، ولكن النبي وجد غضاضة على نفسه أن يأمر زيدا بطلاقها ثم يتزوجها ، فتشيع القالة بين الناس أن مجدا تزوج حليمة ابنة كما كان يدعى في الجاهلية ، ويصير عرضة للقليل والقال ، وإرجاف المرجفين ، وهو في دعوته إلى الله أحوج إلى تأييد المؤيدين ، وقطع طريق التقول عليه من المبغضين ، فهذا القدر من خشية الناس حق أخفى في نفسه ما أظهره الله بعد من تزوجه بها هو ما عاتبه الله عليه ، وقد صدع الوحي بالسبب الباعث على زواج النبي منها فقال عز شأنه « وإذ تقول للذي أنعم الله عليه - يعني بالإسلام وهو زيد - وأنعمت عليه - يعني بالعق - أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتحفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً ، (١) ثم رد الله سبحانه على من عسى أن يقول على النبي بسبب زواج النبي من زينب أو من غيرها من أمهات المؤمنين ، ويفترى عليه فقال : « ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً » (٢) نعم هذه سنة الله في الأنبياء السابقين فقد كان لداود مائة من الزوجات فضلاً عن السراري وكان لسليمان ما يزيد عن المائة فلئن كان لحاتم الأنبياء أكثر من أربع فليس يبدع من الرسل . ثم بين الله بطلان التنبؤ وبطلان ما يترتب عليه من الحقوق

(١) الاحزاب ٣٧

(٢) الاحزاب ٣٨ - ٣٩

والآثار فقال عز شأه « ما كان عهد أبأ أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليا » (١) كما بين الله سبحانه ابطال التنبى فى الإسلام ، وبين أنه لا يستقيم فى منطق العقل أن يكون دعيا وابناً فقال عز شأنه « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم (٢) أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ، أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آبائهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً » (٣)

ومن بعدها صار يدعى مولى النبى « زيد بن حارثة » ولا يقال « زيد بن محمد » وكذلك صنع المسامون فى مواليتهم .

#### « الروايات الصحيحة تؤيد ما ذكرناه »

وهذا الذى ذكرناه فى تفسير الحشية هو ما جاءت به الروايات الصحيحة والحسنة فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن هذه الآية « وتحنى فى نفسك ما الله مبديه ، نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة وفى رواية أخرى عنه قال : جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » قال أنس : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي لكتبتم هذه الآية ) يعنى لما فيها من عتاب ، وهذا من أكبر الأدلة على أنه نبى يوحى إليه قال الحافظ الكبير بن حجر فى فتح البارى (٤) تعليقا على رواية البخارى : « وقد أخرج ابن أبى حاتم هذه القصة من طريق السدى فساقتها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه « بلغنا أن هذه الآية نزلت فى زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبدالمطلب

(١) الأحزاب ٤٠ (٢) جمع دعى وهو التنبى

(٣) الأحزاب ٤٠ ، ٤١ (٤) ج ٨ ص ٤٢٥

عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ثم رضيت بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد أنها من أزواجه فكان يستحى أن يأمر بطلاقها وكان لا يزال بين زيد وزينب ما يكون بين الناس فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقى الله وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدا. وروى ابن أبي حاتم أيضا والطبري عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد يشكوها وقال له « اتق الله وأمسك عليك زوجك » قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

وهذا ما ذهب إليه المحققون من المفسرين وغيرهم في تفسير الحشبة كالزهري، والقاضي بكر بن الملاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي والقاضي إبياض في الشفاء. (١) والحافظ المؤرخ ابن كثير في التفسير والبداية والنهاية.

« روايات واهية مدسوسة » .

ورويت روايات واهية ساقطه في بعض كتب التفسير والقصص التي لا تعنى بالنقد والتمييز بين الروايات مثل ما روى عن قتادة وابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بيت زيد في غيبته فرأى زينب في زينتها، وفي رواية: أن الريح كشفت عن ستر بيتها فرآها في حسنها فوق حبها في قلبه، فرجع وهو يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مقلب القلوب فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله، فذهب إليه وقال: بلغني أنك أتيت منزلي فهلا دخلت يارسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها فقال له رسول الله: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت الآية « وإذ تقول . . . » وقد ذكر هذا المراء في تفسير الجلالين، والزحشمري، والنسفي وابن جرير والثعلبي إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل المكذوب رواية علي بن الحسين الأنفة وهي الصحيحة.

(١) تفسير القرطبي، والالوسي عند تفسير هذه الآية.

وذكر مثل هذه الروايات الباطلة عقلا ونقلا غفلة شديدة وقد تذرع بها أعداء الإسلام في التهجم على النبي ، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم متهم بالكذب والتحديث بالفرائب ورواية الموضوعات ، وقد تنبه لزيها وبطلانها الكثيرون من المحدثين ، والعلماء الراسخين قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١) بعدما ذكر الصحيح في تفسير الحشية « ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ، ونقلها كثير من المفسرين ، لا ينبغي التشاغل بها ، وما أوردته هو المعتمد » وقال الحافظ بن كثير في تفسيره (٢) عند تفسير هذه الآية : « ذكر ابن أبي حاتم ، لابن جرير هنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببتنا أن تضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها » .

### « اباطيل المبشرين والمستشرقين »

وقد نسج المستشرقون والمبشرون المحترفون الذين يتأكلون بالأخلاق على الإسلام ونبيه ، من تلك الروايات الواهية المردودة أنوابا من الكذب والخيال ، وصوروا النبي صلوات الله وسلامه عليه بصورة الرجل الذي لا هم له إلا إشباع رغباته الجنسية ، والجرى وراء النساء يقول الدكتور محمد حسين هيكل — رحمه الله — « ويطلق المبشرون والمستشرقون خيالهم العنان حين يتحدثون من تاريخ محمد في هذا الموضوع حتى ليصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي وهي نصف عارية أو تكاد ، وقد أنسدل ليل شعرها على ناعم جسمها الناطق بما يمكنه من كل معاني الهوى ، وليذكر آخرون أنه حين فتح باب بيت زيد لعب الهواء بأستار غرفة زينب وكانت ممددة على فراشها في ثياب نومها ، فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولوج بالمرأة ومفاتها فكنتم ما في نفسه ، وإن لم يطق للصبر على ذلك طويلا !! وأمثال هذه الصور التي أبرعها الخيال كثيرا تراه في مؤيد ، وفي درمنجم وفي واشنطن أرفنج وفي لامنس وغيرهم من المستشرقين

(١) ج ٨ ص ٤٢٥

(٢) ج ٥ ص ٥٦٠

والمبشرين» (١) وكذلك صوروا النبي بصور الرجل الشهواني الفارق في لذات الجسد ، الذي لم يكتف في الزواج بواحدة ولا بأربع بل أطلق لنفسه العنان في التزوج بالنساء ، ومن هؤلاء القسيس « فندر » في كتاب له حشاه بالجمل والسفه ، والزور والبهتان ، والتجنى الآثم على النبي صلى الله عليه وسلم .

### « تهافت كلامهم »

ما اتفق خصوم الاسلام على شيء كما اتفقوا على تشويه سمعة النبي في موضوع تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم وقد اعتمد هؤلاء في طعنهم على بعض ما أطلعناك عليه من روايات مختلفة مدسوسة عند أئمة النقد وعلماء الرواية ، أغلب الظن أنها من صنع أسلافهم من اليهود والزنادة من الفرس وغيرهم الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الاسلام وقوته ، فلبجأوا إلى الكذب والدرس ، وجاز هذا الزور على بعض الأغرار من المسلمين ، فرووه وذكروه في كتبهم ، ولكنهم ما كان يخفي على العلماء اراسخين فنبهوا على كذبه ، وحذروا من التصديق به ، وهكذا نرى أنهم أقاموا من مزاعمهم قصرا على أساس من خيوط العنكبوت وما أوهنها من أساس .

ونمة حجة دامغة تذهب بالقصة من أساسها ، فالسيدة زينب هي بنت عمه رسول الله ، وقد ربيت على عينه ، وشهداها وهي تحبو ، ثم وهي شابة ، وله بحسبكم صلة القرابة معرفة بها وبمفاتها ، ولا سيما أن النساء كن يبدن من محاسنهن ما حرمه الاسلام فيما بعد ، وهو الذي خطبها لمولاه زيد فتمنعت حتى نزل الوحي أن لا خيرة لأحد بعض قضاء الله ورسوله ، فغير معقول والحال كما ذكرت أن لا يكون شاهدها ، فلو كان يهواها ، أو وقعت من قلبه فأى شيء كان يمنع من زواجها من أول الأمر ، وأشارة منه كانت كافية لأن يقدمها له أهلها وما ملكت ، فثله وهو في الذروة من قریش نسبا ودينا وخلقاً وخلقة وصحة بمن تتناول إليه الأعناق وتفقو القلوب ، فلو كان كما يزعم المتخرسون تمتد عينه إلى كل من يهوى ويستحسن لتزوجها وهي بكر

عذراء لا أن يسكت حتى يجنى جناها ويقطف زهرتها رجل مولى له ،  
ثم بعد ذلك يرعى حيث رعى فلولا أنه يتزوج لتشريع أو لحكمة سامية  
لما رضى بذلك .

وأيضا فحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن حياة حب واستهتار  
ولا عرف عنه أنه كان صريع الغواني وإنما كانت حياة الشرف والكرامة والعفة  
والترفع عن الدنيا قبل نبوته وبعدها ، ما عرفت الدنيا أظهر ذيلا منه ولا أعف  
منه ، ولا لمست يده قط يد امرأة لا تحل له ، ولما بايع النساء على الإيمان والطاعة ،  
وبند المعاصي والفجور بايعهن بدون مصافحة ، مع أن المصافحة كانت من  
ملازمات البيعة والمعاهدة في الجاهلية والاسلام ، وكيف يكون على ذلك الخلق  
الذى لا نرضاه لرجل من سوقة الناس فضلا عن أنبياء الله ورسله — من خاطبه  
مولاه بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

ولو كان رسول الله متيا بالنساء ومغرما بمفاتهن — كما زعموا — لأشبع  
رغبته بالأزواج الكثيرات وهو في ميعة الصبا وشرخ الشباب أيام أن كان  
للغيد الكواعب ، والخيرات الحسان من بنات الأشراف تشرب أعناقهن إلى  
أن يكن حليلات له ، ولاسيما أن التعدد عند العرب في الجاهلية لم يكن له حد  
محدود ، ولكنه قضى زهرة شبابه ، ومعظم حياته الزوجية مع سيدة كانت  
عند اقترانه بها تعدو الأربعين ، ورضيها قانما بها حتى توفاه الله قبيل  
الهجرة ، ومهاقيل في السيدة خديجة ، وما كانت تتمتع به من جمال في  
شبابها فهناك — ولاشك — غيرها من الأبيكار الشابات من يفقنها في الجمال وللأبكار  
ما لمن من جاذبية وروعة وسحر ، ومن قضى بغير ذلك فقد خالف سنة الله  
في الفطرة .

#### « تعدد الزوجات سنة من سنن الأنبياء »

وأحب أن أقول للعشيمين ، والمستشرفين ، وأبوأقهم المتابعين لهم : إن  
تعدد الزوجات سنة من سنن الأنبياء والمرسلين ، وإن التسرى في الحروب ليس  
بدعا في الإسلام ، فقد نصت التوراة التي يعترف بها هؤلاء على إباحة تعدد  
الزوجات والسرارى بدون تحديد ، ففي التوراة : إذا خرجت لمحاربة أعدائك ،

ودفعهم الرب ! آهك إلى يدك، وسبيت منهم سبيا ، ورأيت في السى امرأة جميلة الصورة ، والتصقت بها ، واتخذتها لك زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها ، وتقلم أظفارها ، وتزع ثياب سببها عنها ، وتقع في بيتك ، وتبكي أباه ، وأما شهر من الزمان ، ثم بعد ذلك تدخل عليها وتزوج بها ، فتكون لك زوجة ، وإن لم تسربها فأطلقها لنفسها (١) .

وقد نصت التوراة على أن إبراهيم أبا الأنبياء عددا الزوجات ، وجدعون وهو من الأنبياء عند اليهود تزوج نساء كثيرات جمع بينهن أما داود فقد نصت على أنه تزوج سبعاذكرتهن بأسمائهن ، ثم قالت : إنه تزوج غير ذلك نساء كثيرات ، واتخذ سرارى بدون قيد (٣) وكذلك نصت التوراة على كثرة نساء نبي الله سليمان - عليه السلام - وكثرة سراريه كثرة تفوق الحد .

ففي التوراة : « وكانت له - سليمان - سبع مئتين من النساء السيدات ، وثلاث مئتين من السرارى » (٤) .

فإذا كان تعدد الزوجات ، والسرارى مباحا بنص التوراة التى يقدهسونها لأنبيائهم ، فكيف اعتبروه نقيصة ، ومطعنا لسيد البشر ، وخاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه !! ؟

ومن قبل طعن أسلافهم اليهود فى النبى بسبب هذا فرد عليهم القرآن أبلغ رد ، وذكرهم بأن التعدد سنة من سنن الأنبياء والمرسلين الذين كانوا قبله روى أن اليهود عبرت رسول الله ﷺ ، وقالوا : ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء ، والنكاح ، ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء (٥) ، فأزل الله سبحانه فى الرد عليهم قوله : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، وجعلناهم

(١) سفر التثنية - الإصحاح ٢١ فقرة ١٠ وابعدها

(٢) سفر صموئيل الثانى - الإصحاح ٣ فقر ٣٥ - ٥٠ ، وسفر صموئيل الأول

الإصحاح ١٨ (٣) سفر صموئيل الثانى - الإصحاح ١٥ فقرة ١٣

(٤) سفر الملوك الأول - الإصحاح ١١ فقر ٣ (٥) تفسير الالوسى ح ١٤ ص ١٦٨



أزواجاً ، وذرية ، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، لكل أجل كتاب<sup>(٢)</sup> فقد أقمهم هذا الرد حجراً ، وباءوا بالخزي والبهتان .

وأرى من للناسب هنا أن أبين أن التوراة والقرآن ، وأن إباحا تسرى المسيبات في الحروب والتزوج بهن ، ولكن شتان ما بين أدب التوراة في الاسترقاق والتسرى . وأدب القرآن ، والفرق بينهما فرق ما بين شريعة مؤقتة لزمان خاص ، وبين شريعة عامة خالدة ، وهي شريعة القرآن ، والإسلام لا يبيح حلق الرأس !! ولا تقليع الأظافر !! ولا الأستدلال !! وما الاسترقاق ، والتسرى في الإسلام إلا لون من ألوان الترية ، ، والبر ، والإحسان ، وقد رأيت كيف أكرم النبي جويرية بنت الحارث المصطلقية ، وسترى كيف عامل صفيه بن حي النضرية ، وريحانة اليهودية القرظية ، ومارية القبطية المصرية .

#### « الحكمة في تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام »

ولو أن هؤلاء الطاعنين بحثوا بحثنا مجرداً عن الهوى والتعصب في أسرار تعداده صلوات الله وسلامه عليه لأزواجه لكبروا إهجاباً لنبل المشاعر الإنسانية عند الرسول ، ولكنه الهوى يعمي ويصم ، فلم يكن زواج رسول الله بزوجاته إلا لحكم عالية ومقاصد سامية ، وهناك حكم عامة وحكم خاصة .

#### الحكم العامة :

(١) إن نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو خاتم الأنبياء والرسل ، ودينه خاتم الأديان ، وشريعته عامة لكل البشر في كل زمان ومكان ، وكان حريصاً غاية الحرص على أن تبلغ عقائد هذا الدين ، وشرائعه ، وآدابه . وأخلاقه إلى جميع البشر رجالاً ونساءً . وكباراً وصغاراً ، وقد كانت زوجاته خير معوان له على تحقيق هذا الواجب الذي هو من أهم واجبات الرساله ، وهو التبليغ ، ولا سيما فيما يتعلق بحياة النبي صلى الله عليه وسلم الزوجية والبيئية مما هو

مناط التشريع ، ولا يعتبر من أسرار الحياة الزوجية وطبيعي أنه لا يمكن أن يبلغ ما يتعلق بهذا إلا زوجته صلى الله عليه وسلم ، لأن أصحابه مع حرصهم على تبليغ كل ما يصدر عنه إلا أنهم ما كانوا ليطلعوا على حياته في بيته ومعاشرته أزواجه .

وفدكن رضى الله عنهن مصايح هداية وإرشاد . ووسائل تبليغ في حياة النبى وبعد وفاته ومن يطالع على كتب الاحاديث والسنن يعلم إلى أى حد تحدثن وروين ، وأفتين في مسائل مما يتعلق بالمباشرة الزوجية ، والمضاجعة وآدابها . والإكسال بعد الجماع والاعتسال بعده أو عدم الاعتسال ، والقبلة أثناء الصوم وكيف يتمتع الرجل بامرأته أثناء الحيض والنفاس من غير المباشرة المحرمة إلى غير ذلك مما يجب على كل مسلم ومسلم معرفة وإلا وقع فى الإثم والخرج من حيث لا يدري .

والمرأة بحكم فطرتها وحياتها تركز إلى المرأة وسؤالها فى مثل هذا من غير تخرج أو استحياء ولم يقتصر استفناؤهن وسؤالهن عما يشكل وبخاصة فيما يتعلق بخياها النبى الزوجية على النساء بل كان كبار الصحابة يرجعون إليهن فى ذلك ولا سيما السيدة عائشة رضى الله عنها روى عن مسروق أنه قال « رأيت مشيخة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض »

وروى أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال « ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما » وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : « ما رأيت أحدا أعلم بفقها ولا طب ولا شعر من عائشة » وكذلك كانت زوجات النبى صلى الله عليه وسلم فى العلم والفقها وإن تفاوتن فى ذلك « ولم يبلغن مبلغ السيدة العاقلة العاملة المبرأة من فوق سبع سموات للصديقة بنت الصديق رضى الله عنها - ومنهن من عاشت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ما يقرب من نصف قرن تنشر الهدايه والعلم كالسيدة عائشة رضى الله عنها .

فقد توفت سنة ثمان وخمسين للهجرة والسيدة أم سلمة رضى الله عنها - فقد

توفيت سنة اثنين وستين للهجرة وهكذا نرى أن تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم كان ضرورة دينية لا محيص عنها

(٢) إقامة الحجة على أنه صلى الله عليه وسلم نبى حقاً فقد توفى عن تسع نسوة وقع ذلك فلم يشغله هذا التعدد عن القيام بتبليغ شريعته وشر دينه فى حياته حتى عم الجزيرة العربية كلها وماجاورها من أطراف الممالك الأخرى . وإن الإنسان المنصف ليعجب حقاً من هذا إن الواحد منهما بلغ من العقل وحسن الكياسة تكون عنده الزوجة فضلاً عن الثنتين والثلاث والأربع ومع ذلك يكون فى هم من شأنها وإرضائها ويكون فى حيرة من التوفيق بين القيام بحقوقها وحقوق غيرها والقيام بأمور معاشه ومعاده وما كل إليه من المهام وهذا رسول الله صلى عليه وسلم قد جمع بين تسع فى حياته وهن مختلفات السن والطباع والأمرجه ومع هذا فقد قام بأعباء الرسالة خير قيام وأنها لبطولة حقاً تستحق الإعجاب لا الغمز واللمز الاعتراض .

أيضاً فإن الواحد مناً تكون عنده الزوجتان فيحار كيف يوفق بينهما ويتعذر عليه الاستحواذ على رضاءهما والعدل بينهما وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عنده تسع نسوة فوفق بينهما وأكتسبن رضاه حتى كن يتسابقن فى ذلك وذلك بسبب سعة عقله صلى الله عليه وسلم ورحابة صدره وحسن خلقه وبعد نظره وعجيب سياسته وبكال كياسة ولست أغفل هنا أمرهما أعانه صلى الله عليه وسلم على كل هذا وهو أنهن رضى الله عنهن كن خبار نساء هذه الأمة دنيا وخلقاً، وعاملاً وعملاً ، طلباً لمرضاة الله ورسولة حسبما أشار إليه الحق تبارك وتعالى فى قوله « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وأتين للزكاة وأطمن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، وأذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة الله كان لطيفاً خبيراً (١) .

ولعلك تعجب معى إذا علمت أن هذه الحياة الزوجية الطويلة مع هذا العدد الكثير لم يحص الرواة على كثرة تبعمهم لسيرة النبي عليه الصلاة والسلام واستقصاهم لآخباره ، وأخبار أهل بيته — إلا حادثتين ، أو ثلاث عكرت من صفو هذه الحياة الزوجة المثالية ، وسأعرض لها في آخر الكتاب تحت عنوان «النبي الزوج»

(٢) من الحكم العامة الوقوف على استواء أسرة ، وعلنه صلى الله عليه وسلم ، وأنه في معاملته لأهله كعاملته لصحبه ، وأنه لا يحكم تصرفه في هذا إلا التدين الصادق ، والخلق الكريم ، ومراقبة الله في السر والعلن ، إذ الشأن في النساء أن لا يحفظن سراً كيفما كان ، فلو كان منه صلى الله عليه وسلم في السر ما يخالف العلن لعلمه ، ولو علمه لأذعنه بمقتضى طبائعهم البشرية ، وهذا أمر معهود في النساء ، ولاسيما الضرائر ، ولكن لم يكن شيء من هذا ، فكان ذلك من الأدلة على أنه نبي حقا !!

إن كثيراً من الزعماء ، والسياسة ، ورجال الإصلاح يخالف ظواهرهم بواطنهم ، وعلايتهم سرهم ، مما يسجل عليهم النفاق ، والخداع ويعود عليهم بالنقص والمؤاخذة ، ويبين الفرق الشاسع بين النبي وغير النبي ، وبحسبنا هداً في الحكم العامة .

« الحكم الخاصة » أما السيدة خديجة رضی الله عنها لأنها أول زوجة فهو زواج الفطرة ، وكذلك السيدة سودة بنت ذمعة لايسال عنها أيضاً ومع ذلك فقد كان في زواجه صلى الله عليه وسلم منها تكريم لها ، وللإسلام والعقيدة في شخصها ، وشخص زوجها الذي مات عنها بعد رجوعهما من هجرة الحبشة الثانية ولم يكن له عند زوجها غيرها ، لأن ذلك كان بعد موت السيدة خديجة ، ولم تكن ذات جمال بل كانت ذات عيال ، وقد أبدت للنبي إشفاقها عليه من زواجها بما يسببه له صبيتها من إقلاق راحة فأبدى لها ترجيحاً بأولادها أما زواجه بعائشة وحفصه فجاء توكيداً للعلاقة والإخاء بينه وبين وزيريه أبي بكر وعمر وليس أدل على هذا بالنسبة لحفصة أن أباهما عمر دخل عليها وهى

تبيكى فقال لها : لعل رسول الله طلقك ، لقد طلقك مرة ثم راجعك من أجلى .  
والله لو طلقك مرة ثانية لا أكلمك أبدا ،

وزواجه بالسيدة زينب بنت خزيمة التي كانت تلقب بأُم المساكين لكثرة  
تصدقها عليهم وبرها بهم تكريم لهذا الخلق الكريم فيها ، وتكريم للشهادة في  
شخص زوجها الذي توفي عنها .

وزواجه بالسيدة أم سلمة جبر لكسرها وتعويض لها عن فقد عائلها الذي  
مات عنها بعد أحد بشهور ، وعرفان لتضحياتها وتضحيات زوجها أبي سلمة  
في سبيل الله والإسلام فقد هاجرا إلى الحبشة ، وكانا أول مهاجرين إلى  
المدينة ومهما قيل في أم سلمة ، وأنها كانت ذات جمال في شبابه فقد كان في  
كبر سنها ، وما مرت به من أحداث جسام ، وما أنجبت من أولاد ، وما  
رزئت به من فقد الرجل الذي كانت تقول فيه : ومن خير من أبي سلمة؟ ما يدوى  
هذا الجمل ، إن لم يذهب به .

وزواجه بالسيدة جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق كان لحكمة سامية  
جداً ، فقد كان هذا سببا في أن من الصحابة على من فى أيديهم من سبايا بنى  
المصطلق مما تسبب عنه إسلام أبيها وإسلام قومها فكانت أين امرأة على قومها .

وزواجه بالسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان حفظ لها من الضيعه وهى فى بلاد  
ناحية عن بلاد قومها ، فقد تنصر زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة ومات بها ،  
وثبتت هى على عقيدتها فلم يكن أجل مما فعله رسول الله معها ، وقد عقد عليها  
النبي وهى بالحبشة ، ولم يدخل بها إلا بعد خبير عام سبع فكيف يكون هذان  
رجل صار همه فى النساء وإشباع رغباته الجنسية منهن ؟ !!

وزواجه بالسيدة زينب بنت جحش كان لما ذكرته آنفا من إبطال بعض  
عادات الجاهلية .

وأما زواجه صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيى بن أخطب فقد كانت فى سبى  
خبير فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها اصطفاها لنفسه ضناً بكرامتها .

ومنزلتها في قومها ، فأعتقها وتزوجها بعد ما انقضت عدتها وأحسن إليها غاية الإحسان في عشرتها وكثيراً ما كان ينتصر لها عند ما تبدر من بعض أزواجه بادرة في النيل منها ، وهذه غاية الانسانية والإحسان لامرأة طالما نال النبي والمسلمين من قومها شر كثير ، ولم يألوا جهداً في محاربة دعوته الاسلام .

وأما زواجه من السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية فقد وثق به ما بينه وبين بين قبيلة من أعز قبائل العرب وأشرفها ، وقد زوجها إياه عمه العباس وأصدقها عنه في عمرة القضاء ، ودخل بها بعد أن حل كما كان فيه تكريم لعمه العباس ، وزوجه أم الفضل فقد كانت أختها ، وقد عرضت فيما سبق لزواج النبي بأغلبهن بإفاضة وتوسع : وسأعرض فيما يأتي لمن بقيت منهن .

والعجب من هؤلاء المستشرقين المتعصبين ، والمبشرين المحترفين أنهم إذا وقعوا على ما يرضى أحقادهم ، ويشقى غليلهم من باطل الروايات ومثاقمها هللوا له وطبلوا ، وتجاهلوا البيئة وأحكامها ، والعاتات وسلطانها إلى غير ذلك مما يفتيقهون به باسم العلم وقواعد البحث ، ولم يعيروا نقد السند أو المتن أية أهمية بينما يطيشون كثيراً في الحكم على روايات في غاية الصحة . بأنها موضوعة . ولا حامل لهم في الحالين إلا الهوى والتعصب ، والحق — الموروث ، والتجني الآثم .

«وبعد» فلعلك — أيها القارئ الفطن — قد تيقنت أن ساحة الرسول الكريم بريئة من كل ما زعموا وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال فأبني يؤفكون؟! خطبة النبي لزَيْنِبَ وفضلها» :

روى الإمام أحمد ومسلم بصندها عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد : اذهب فذكرها علي (١) فانطلق حتى أتاها وهي تحمّر عجبها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ، أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت : يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر

(١) أخطبها لي من نفسها

ربى عز وجل ثم قامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بدون إذن ، وقد علم الله سبحانه ما سيكون من أمر هؤلاء الطاعنين فألمهم بنبيه أن يرسل زيدا لخطبتها ليكون فيه قطع لألستهم ورد لفريرتهم ، فهذا الإعظام لزينب لأن رسول الله رغب فيها ، وإبائه على نفسه أن يمتد إليها طرفه لن يكون من رجل ترك زوجته وهو كاره فراقها ، وقد كانت زينب رضى الله عنها تدل على زوجات النبي وتقول : « زوجكن أهلكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات ، وكانت زينب من المهاجرات الأول وكانت كثيرة الخير والصدقة وتصل الرحم ، وبجسبها وصف إحدى ضرائها لها وهى السيدة عائشة رضى الله عنها بالورع والتقوى كما مر فى حديث الإفك ) وكانت أولى زوجات النبي لحوقابه . روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر عكن لحوقابى أطول لكن يدا قالت فكان يتطاوون أينا أطول يدا قالت : فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق<sup>(١)</sup> » وقد توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ودفنت بالبقيع وهى أول امرأة صنع لها القبة فوق النعش ليستر شخصها<sup>(٢)</sup>

## نزول آية الحجاب صبيحة عرسها

ولما دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم ، أولم يولم عليها ما لم يولم على غيرها ، وكان ذلك سببا فى نزول آية الحجاب . روى البخارى ومسلم فى صحيحهما وغيرها . واللفظ للبخارى . عن أنس رضى الله عنه قال : ( بنى على النبي صلى الله عليه وسلم بزينا بنته جحش بمجنز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو فقلت يانى الله ما أجد أحدا أدعوه ، قال : ارفعوا طعامكم وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم

(١) فهمن - رضى الله عنهن - أن المراد بالطول الطول المحسى ثم ظهر لمن أن المراد

الطول الهجازى طول اليد فى الخبر والبر (٢) البداية ونهاية ج ٤ ص ١٤٩

( م ١٧ - السيرة النبوية ج ٢ )

فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله »  
فقال : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك بارك الله لك ، فنقرى  
حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشه ، ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع ،  
النبي ﷺ فإذا ثلاثه من رهط في البيت يتحدثون ، وكان النبي شديد الحياء  
فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا حتى  
إذا وضع رجله في أسكفة<sup>(١)</sup> الباب داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بيني  
وبينه وانزلت آية الحجاب « والمراد بها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا  
بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - نضجه - ولكن إذا  
دعيتهم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، أن ذلكم كان  
يؤذى النبي فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتهم عن متاعا  
فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » ولما نزلت قال  
بعضهم : انتهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب ! لئن مات محمد لأتزوجن  
عائشة فنزلت الآية السابقة « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا  
أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما »<sup>(٢)</sup> وقد كان نزول آية  
الحجاب من موافقات عمر رضى الله عنه . روى البخارى في صحيحه عن أنس  
قال : قال عمر رضى الله عنه : قلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر  
فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب »<sup>(٣)</sup>

## « تشريع الحجاب فى الاسلام »

وبنزول هذه الآية كان تشريع الحجاب فى الإسلام بالنسبة لأزواج النبي  
والمراد عدم إبداء شيء من أجسامهن للأجانب عنهن ، وعدم ملامتهن أو

(١) الأسكفة بضم الهزرة وسكون الين وضم الكاف وفتح الفاء المشددة عتبة الباب السفلى

(٢) الأحزاب ٥٣

(٣) صحيح البخارى - كتاب التفسير سورة الأحزاب - باب لا يأتها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي



طلب شيء منهن إلا من وراء حجاب أى ستر يكون بينهن وبين غيرهن ، ولما نزلت قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ : ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب ؟ فأنزل الله قوله : لأجناح عليهن فى آباءهن ولا أبنائهن ، ولا إخـ وانهن ، ولا أبناء إخوانهن ، ولا أبناء أخواتهن ولا نساكنهن ، ولا ماملكت أيمانهن ، واثقين لله إن الله كان على كل شيء شهيدا» (١)

ونزل أيضاً فى شأن نساء النبى فى أدب الخطاب والإقامة فى البيوت قوله تعالى « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقن الصلاة وآتى الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» (٢)

( فلا تخضعن ) أى لا تلتن أو تتكلمن بكلام مريب موهم ( قرن ) أقن والزمن بيوتكن ( الجاهلية الاولى ) هى ما قبل الإسلام فهى كقولهم : جاهلية جهلاء فقد كان النساء لا يتحاشين كلام الرجال الا جانب ، والتكسفر فى حديثهن وإظهار بعض محاسنهن كالعنق ، والصدر ، والساقين ، والساعدين فجاء الإسلام فابطل ذلك ، ومن العجب المؤلم ان تتجاوز جاهلية القرن العشرين الجاهلية الاولى فى باب التبرج والسفور حتى أضحي عريا !!!

وجهور المفسرين على أن هذه الآية وإن كانت خطابا لأزواج النبى فحكها لجميع نساء الامة وإنما خص نساء النبى لمنزلتهن وعظم فضلهن ، ومكانتهن من النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الامام الألوسى فى تفسيره : ( والمراد أمرهن — رضى الله عنهن — بتلازمة البيوت ، وهو أمر مطلوب من سائر النساء . أخرج الترمذى ، والبزار عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( إن المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان

وأقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في قعر بيتها » وأخرج البزار عن أنس قال: « جئن<sup>(١)</sup> النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى: فهل لنا عمل ندرك به فضل المجاهدين في سبيل الله تعالى؟ فقال عليه الصلاة والسلام: « من قدمت منكن في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى: » وقد يحرم عليهن الخروج بل قد يكون كبيرة كخروجهن لزيارة القبور إذا عظمت مفسدته وخروجهن إلى المسجد وقد استعطرن وتزين إذا تحققت الفتنة، أما إذا ظنت فهي حرام غير كبيرة، وما يجوز من الخروج كالخروج للحج وزيارة الوالدين وعبادة المرضى وتعزية الأموات من الأقارب وتحو ذلك فانما يجوز بشرط مذكورة في محلها<sup>(٢)</sup>

يعنى مع الاستتار وعدم إبداء الزينة وعدم مخالطة الأجانب، وعند أمن الفتنة، وقال الإمام القرطبي في تفسيره « معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء يوتهن؟ والانكفاف عن الخروج منها إلا للضرورة على ما تقدم في غير موضع<sup>(٣)</sup>»

وقد فصل الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ما يتعلق بالنساء المسلمات من غض البصر وحفظ النروج وعدم إبداء مواضع الزينة من عنق وصدر وساق وعضد وساعد، وشعرونها من العورة الظاهرة إلا للمحارم قال سبحانه وتعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن، أو أبناءهن، أو بنى أخواتهن، أو بنى أخواتهن،

(١) أما على لفظه « أكلوني البراغيث » أو النون علامة جمع الإناث والنساء فاعل

(٢) تفسير اللوسفي ج ٦ ص ٦٤ (٣) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١٧٩

أو نسائهن ، أو ما ماكنت أيمنهن ، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ؛ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ؛ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم «تفلحون» (١)

«الخر» بضم الخاء والميم جمع خمار وهو ما تستر به المرأة رأسها وعنقها «والجيبوب» فتحات الثياب من عند العتق كن في الجاهلية يسدلن الخر على ظهورهن فتبدو ونحورهن وصدورهن وما حوا اليها فأمرن بلفها على الإعتناق والصدور كي لا يظهر شيء منها ، وكن يضربن بأرجلهن ليتنبه الناس إلى انهن ذوات خلخال فيتلقتن إليهن فهين عن ذلك ؛ وفي النهى عن الزينة نهى عن إبداء مواضعها بطريق أولى وأبلغ .

أما احتجاب المرأة بالنسبة إلى الاجانب منها فكل بدن المرأة عورة إلا وجهها وكفيها ، ويستأنس لهذا بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضى الله عنها « أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رفاق فاعرض عنها وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا » وأشار إلى وجهه وكفيه وجهور الفقهاء على تقييد إظهار الوجه والكفين بأمن الافتتان بها وإلا فلا يجوز .

وكان النساء في أول الإسلام كما كن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فرق بين الحرة والأمة ، وكان الفتيان وأهل الشطارة (٢) يتعرضون للاماء إذا خرجن بالليل إلى قضاء حوائجهم في الحلاء وربما تعرضوا للحرائر ظنا أنهن إماء فأمرن أن يخالفن بزهن زى الإمام بأئ يدين عليهن من جلايينهن فيغطين الوجه والاعطاف فيعرفن ويهن ، ولا يطسع

فيهن فاسق قال تعالى شأنه : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيماً »<sup>(١)</sup> « يدنين » أى يرخين ولذلك عدى بعمل لأنه ضمن معناه ، « جلابيبهن » جمع جلباب وهو ما تلتف به المرأة فوق درعها وثيابها كالملاء ، والملحفة بحيث يستر جميع البدن ، ولا يصفه ولا يشف ماتحته .

وقد بينت السنة النبوية كل ما يتعلق بالنساء من احتجاب وتصون وتعفف ، وعدم السفور والحلاعة والابتذال بما لا مزيد عليه ، وبحسبنا هذا القدر في هذا المقام وندع التفصيل لمقام آخر .

### (تزوج النبي بأم حبيبة بنت أبي سفيان)

وفي هذه السنة على ما رجحه ابن كثير في بدايته<sup>(٢)</sup> تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة أم حبيبة — رملة وقبل هند والأول أصح — بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً، وكانت قبل النبي تحت زوجها عبيد الله بن جحش ، وكانا أسلماً وهاجرا إلى الحبشة فولدت بها حبيبة وبها كانت تكنى وقيل ولدتها بركة ثم هاجرت بها ، ثم تنصر زوجها وبقيت على إسلامها ، ثم مات ، فلما انقضت عدتها كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي أن يتولى له العقد عليها ، وقيل أرسل له عمرو بن أمية الضمري بذلك ، فولى النجاشي العقد وأمهرها عن رسول الله ﷺ بأربعمائة دينار وتولى نكاح أم حبيبة ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص ، وقد بقيت السيدة أم حبيبة بالحبشة معززة مكرمة حتى قدمت إلى المدينة مع مهاجري الحبشة سنة سبع ،

(١) الأحزاب ٥٩

(٢) وقبل سنهست وقيل سبع ويرجع الأول أن عمرو بن العاص لما ذهب الى الحبشة بهد الخندق وجد عند النجاشي عمرو بن أمية الضمري لأجل خطبتها لرسول الله ﷺ .

ولما بلغ أباها أبا سفيان تزوج النبي بها قال : « هو الفحل لا يقدر أنفه (١) »  
وكان من سرورها بهذا الزواج أن أهدت الجارية التي أرسلها النجاشي لتعرض  
عليها زواج رسول الله بها سوارين من فضة ، وبعض الدنانير ، ولكن الجارية  
ردته بأمر سيدها النجاشي ، وجاءت لها بمود وورس ، وغنبر ، قالت :  
فقدمت به معي على رسول الله ﷺ . (٢)

« الحكمة في تزوج النبي بها » ومما ذكرنا يتبين للمنصف أن النبي لم  
يرد بزواجه منها قضاء شهوة ، أو إشباع رغبة جنسية فالنبي لم يدخل بها إلا بعد  
خبير ، وإنما أراد المواساة بالنفس ، فقد تنصر زرحها ونبئت على إيمانها ، ومات  
فأصبحت أريما ، فكان عملا إنسانيا كريما أن عقد عليها وصارت بذلك في عداد  
أمهات المؤمنين ، وحظيت بهذا الشرف الرفيع كفاء هجرتها ونباتها وتحملها ،  
وناهيك بالاحترام البالغ الذي وجدته فيما بعد في نفوس المسلمين ، والحفاوة البالغة  
التي أحاطها به ملك الحبشة العادل الكريم ألا إنه موقف كريم تفص به حلو  
المتقولين على الرسول العظيم

« وفاتها ، وكانت وفاتها بالمدينة سنة أربع وأربعين فرضى الله عنها وأرضاها .

## ( فرض الحج )

وفي هذا العام على ما ذهب إليه الكثيرون (٣) شرع الله فريضة الحج بقوله  
سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وقيل بقوله وأتوا  
الحج والعمرة لله « والصحيح الأول لأن الإتمام إنما يكون بعد المشروعية وقد  
ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع حتى صار ركنا من أركان الإحلام معلوما

(١) مثل يضرب للكعب الكريم والفحل ذكر الابل ، وكان من مائة الرب إذا كان  
الفحل غير كريم ضربوا أنه ليعود عن الثافة ، وإذا كان كريما تركوه

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦

(٣) وقيل في السنة السادسة ولاية ذهب الشافعي ، وقيل في السنة التاسعة .

من الدين بالضرورة والحج شريعة قديمة من لدن أبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام ، فانه لما فرغ من بناء البيت بمعاونة ابنه اسماعيل أمره الله أن يقف على جبل « أبي قبيس » بمكة وينادى في الناس بالحج فقال : يا ربى وما يبلغ صوتى؟ فقال الله : « أذن يا إبراهيم وعلى البلاغ » فأذن إبراهيم قائلا : « يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا » فاستمع الله سبحانه نداءه من كان فى أصلاب الرجال ، أو أرحام الأمهات ، أو عالم الذر قبل أن يوجدوا !! ومن يومها ومن أراد الله لهم الحج يجيبون قائلين : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

وهو العبادة التى بقى العرب محافظين عليها إلى وقت البعثة المحمدية إلا أنهم كانوا شابوها بالوثنية بما نصبوه على الكعبة ، وعلى الصفا والمروة من أصنام يتسبحون بها ويتبركون ، وكذلك غيروا فى بعض المناسك وبدلوا وابتدعوا ، فلما جا الإسلام قضى على ماشابه من وثنيه وعادات جاهلية ، ورجع به إلى ما كان فى عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام من صفاء ورمز إلى التوحيد والوحدة ، والألفة والمحبة .

وللحج حكمته وفلسفته التى لا يتسع لها المقام هنا ولو لم يكن فيه إلا أنه مؤتمر المسامين الأكبر لكفى ، فما بالك وفيه ما فيه من تزكية النفوس والسمو بالأرواح وغفران الذنوب . والتقوى والمساواة بين الناس جميعا وألوان العبر والعظا .

نعم إنه المؤتمر السنوى الأكبر الذى يتلاقى فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغارها فيتقاسمون السراء والضراء ، ويتجاوبون فى الآلام والآمال ، ويتشاورون فى كل ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم ، ويتعاونون على البر والتقوى ، والتكافل والتناصر ، ألا ما أعظمه من مؤتمر لو اهتبل فرصته المسلمون !!

وليس فى الحج وشميه كما يزعم بعض أعداء الإسلام وليس أدل على ذلك من أن كل شعيرة ونسك من مناسكة لا ينفك عن التهليل والتكبير ، والثناء على الله العلى العظيم ، وإنما الأمر كما قيل .

أمر على الديار : ديار سامي      وقبل ذا الجدار ، وذا الجدارا  
وما حب الديار شغفن قلبي      ولكن حب من سكن الديارا

فالطواف بالكعبة ليس تعظيماً للحجارة ، وإنما هو تعظيم لرب البيت وتقبيل الحجر الأسود ليس حباً للحجر ، وإنما هو حب لرب الحجر ، وهو الله سبحانه وعلى المسلم إذا خفى عليه شيء من حكم تشريعات الله تبارك وتعالى أن يقول : سمعنا وأطعنا ، لا يتهم الشريعة ، بل يتهم عقله القاصر ، ويقول كما قال الفاروق الملمم العبقري « اللهم أنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك » رواه البخارى .

« وفاة سعد بن معاذ » قدمنا فى الخندق أن سعد ارضى الله عنه أصيب فى أكحلته أثناء المراماة بالنبل فلما أصيب قال : « اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تفر عينى من قريظة ، وقد استجاب الله دعوة وليه سعد وأقر عينه فيهم ، فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتى ، فأمر النبى باحضاره من خيمة « رافدة » التى كانت بالمسجد لترى الجرحى فجعل بنى قريظة يتحلقون حوله ويقولون له : أحسن فى مواليك فقال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم !! ثم حكم فيهم بقتل مقاتلتهم وسبى ذرارهم فقال له النبى : « لقد حكمت فيهم يأسعد بحكم الله من فوق سبع سموات » ثم أرجع إلى خيمته بالمسجد ، فلم يرعهم إلا الدم يسيل فى المسجد ، فدخلوا فإذا جرحه قد انفجر ومات شهيداً رضى الله عنه وقد شيعه رسول الله والصحابة حتى واروه فى قبره .

وقد كان - رضى الله عنه - سيد الأوس ، ومن خيار المسلمين ومن ذوى السوابق فى الاسلام ، وقد ورد فى فضله أحاديث كثيرة منها ما روى فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وإنما اهتز فرحاً بروحه وترحيباً بمقدمه ولقائه

ربه ، واما أهديت إلى النبي ﷺ جبة صار الصحابة يعجبون من لينها وحسنها فقال : أتعجبون من هذه ؟ لمناويل سعد بن معاذ في الجنة خير منها أو ألين (حشره الله سبحانه مع النبيين والصديقين والشهداء .

### ( السنة السادسة )

أهلت السنة السادسة للمجرة والمسامون على أحسن حال من القوة والمنعة بالمدينة وما جاورها منتصرين على قريش ومن تحزب إليهم من عرب ويهود فقد ارتد الاعراب مهزومين كما لقي يهود بني قريظة القصاص العادل بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم .

وقد أرسل النبي عدة سرايا في هذا العام لتأديب بعض القبائل المجاورة جزاء على غدرها أو مباغته لها في عقر دارها قبل أن تنفذ ما بيته من مهاجمة المدينة ، كما قام ببعض الغزوات التي أجلها خطرا نزوة الحديبية .

### سرية محمد بن مسلمة قبل نجد

في المحرم من هذه السنة أرسل النبي عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة في ثلاثين راكبا لشن الغارة على بني بكر بن كلاب فسار إليهم يكن النهار ويسير الليل حتى دهمهم على غرة ، وقتلوا منهم عشرة وفر الباقون ، واستاقوا الإبل والشاء ، وقفلوا راجعين إلى المدينة ، فلقبهم تمامة بن أمال الحنفي سيد بني حنيفة فأسروه وهم لا يعرفونه فلما قدموا على النبي عرفه وأحسن معاملته ، وأطلق سراحه بعد ثلاث بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم ، فما كان من تمامة إلا أن عاد وأسلم وصار من خيار المسلمين وقد قدمنا قصته ، ويرى ابن كثير أن هذه السرية كانت بعد خيبر<sup>(١)</sup> فقد روى قصته البخاري وابن اسحاق عن أبي هريرة وأنه شاهد ذلك وأبو هريرة وإنما أسلم عقب خيبر سنة سبع .



## غزوة بني الحنات

بنو الحنات هم الذين غدروا بعاصم بن ثابت وإخوانه أصحاب سرية الرجيع، ولم يزل رسول الله عازماً على الاقتصاص منهم حتى جمادى الأولى من هذه السنة، فخرج في مائتي راكب من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وأتبع طريقة التعمية فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني الحنات، فلما وصل إلى منازلهم هربوا، وتمنعوا في رءوس الجبال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنا هبطنا عسفان<sup>(١)</sup> لرات قريش أنا قد جئنا مكة» فذهبوا إليها ليدخل أهل مكة الرعب، ثم أرسل فارسين حتى جاء «كراع الغميم»<sup>(٢)</sup> ليرى قريشا من نفسه القوة، وفي عسفان استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد، فصلى النبي بأصحابه صلاة الظهر فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا منهم غرتهم ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة<sup>(٣)</sup> هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فترجل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك، وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم، وأمعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً»<sup>(٤)</sup>.

وكانت هذه أول صلاة خوف صلاحها رسول الله<sup>(٥)</sup>، وبذلك شرعت هذه

(١) موضع قرب مكة .

(٢) موضع جنوب عسفان بشامية أميال .

(٣) هي صلاة العصر ،

(٤) النساء ١٠٢

(٥) البداية والنهاية ج ٤ ص ٨١ ، ١٤٩

الصلاة التي تدل على يسر الإسلام وسماحته ، وصلاحيته لكل زمان ومكان ،  
وقيل إن مشروعية صلاة الخوف كانت في غزوة « ذات الرقاع » وكانت على  
ما ذهب إليه ابن اسحاق سنة أربع وذهب الإمام البخاري إلى أنها كانت سنة سبع  
عام خيبر واستدل بأدلة فليرجع إليها من يشاء (١) .

## سرية كرز بن جابر الفهري

وفي شوال من هذا العام قدم على المدينة جماعة من عكل وعرينة (٢) فأظهروا  
الإسلام ، وبايعوا رسول الله وكانوا هزالا مصفرة ألوانهم فلم يوافقهم هواء  
المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يلحقوا بإبل له خارج المدينة فيشربوا  
من ألبانها وأبوالها ففعلوا ، فلما صحوا قابلوا الإحسان بالكفران وقتلوا الراعي ،  
ومثلوا به وسمروا عينيه ، واستاقوا الإبل فلما بلغ الخبر النبي أرسل وراءهم  
كرز بن جابر الفهري في عشرين فارسا فلحقوا بهم وجاءوا بهم إلى المدينة فأمر رسول  
الله أن يقتص منهم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمرت أعينهم (٣) :  
والتقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا (٤) .

وما فعل بهم ليس مثله وإنما هو قصاص وحد : ذاك أنهم سرقوا وقتلوا .  
ومثلوا ، وكفروا ، وحاربوا الله ورسوله فأقيم عليهم حد السرقة ، والبغى ،  
واقصص منهم بالقتل والتمثيل كما فعلوا .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣

(٢) عكل بضم العين قبيلة من تيم الرباب وهريتنا مصفرا حى من بجيلة

(٣) أى فنأت بالمسامير لأنهم فقأوا عيني الراعي بوضع الشوك فيها

(٤) صحيح البخاري — كتاب المغازي — باب قصة عكل وعرينة وكتاب الطهارة —  
باب أبوالإبل .

## ( سرية عمرو بن أمية الضمري )

جلس أبو سفيان بن حرب ذات يوم في نادي قومه فقال : ألا رجل يذهب إلى محمد فيقتله غدرا فنستريح منه فتقدم له رجل من الأعراب وقال له : إني هاد ، بالطرق خريت ومعى خنجر مثل خافية النسر ، فأعطاء راحلة ونفقة وأوصاه أن يخفي أمره ، فخرج الرجل حتى وصل المدينة فسأل على النبي حتى انتهى إليه ، وهو في جماعة من أصحابه ، فلما رآه قال : « إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد ، فوقف فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال النبي : أنا فذهب ينحني على رسول الله كأنه يسر إليه شيئاً فجبذه أسيد بن حضير وقال : تنح عن النبي ، وجذب بداخل إزاره فاذا الخنجر ، فقال يارسول الله هذا غادر ، فأسقط في يده الأعرابي وقال : دمي . دمي ، وأخذ أسيد بن حضير بتلابيبه ، فقال له النبي : « أصدقني ما أنت وما أقدمك ؟ فان صدقتني نفعك الصدق ، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به » فقال الأعرابي فأنا آمن ؟ قال : « وأنت آمن » فأخبر النبي بخبر أبي سفيان وما جعل له ، فجلس عند أسيد بن حضير ، ثم دعا به من الغد فقال : « قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك ؟ » قال وما هو ؟ فقال النبي : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » فاسلم الرجل وقال : يا محمد ما كنت لأفرق من الرجال فإهو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت : ثم أطلعت على ما هممت به ، وما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد ففررت أنك ممنوع ، وأنت على حق ، وأن حزب أبي سفيان حزب للشيطان ! فجعل النبي يبسم ، وأقام الرجل أياماً ، ثم استأذن وخرج ثم أراد النبي أن يجازي أبا سفيان بما صنع فقال لعمرو بن أمية الضمري — وكان شجاعاً فاتكاً في الجاهلية — ولسامة بن أسلم بن حريش : « أخرجنا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب ، فإن أصبنا منه غره ناقلاه ، فخرجنا حتى أتينا مكة ، وطافا بالبيت وصليا ركعتين ، ففطن أهل مكة لعمرو وقالوا : ما جاء عمرو إلا بئس وهموا بقتلها ففرا حتى قدما المدينة ولم يقضيا مما أرادوا وطراً ، وهكذا أراد رسول الله

أمراء ، وأراد الله أمرا ، وكان ما أراد الله فقد نجى أبا سفيان حتى أسلم ليلة الفتح ، وتشرب بهذا الدين الحنيف ، وصار من أنصاره بعد أن كان من أعدى أعدائه .

## ( غزوة الحديبية )<sup>(١)</sup>

ها هي السنة السادسة كانت تنتهى ، وقد أصبح المسلمون مرهوبى الجانب فى الجزيرة ، ولئن لم تكن فيها موقعة فاصلة فقد حفلت بسرايا كثيرة تمخضت عن قوة المسامين ، ورعب المشركين وهزيمتهم ، وهام المسلمون قد اشتاقوا إلى زيارة الكعبة البيت الحرام ، بيت آبائهم وأجدادهم ومتعبدهم وقبلتهم ، فقد مضى نحو ست سنين ولما يتشرفوا بزيارة هذا البيت ، ويقضوا شيئا من حاجات النفس المشوقة إليه ، وأزكى هذا الشوق ، وقوى الأمل فى نفوسهم رؤيا رآها رسول الله ﷺ فقد رأى أنهم يدخلون المسجد الحرام محلقين رءوسهم ومقصرين ، ولكن كيف للمسلمين هذا ، والمشركون حريصون على صدمه عن البيت ، وأهون عليهم أن يموتوا جميعا من ان يدخلها عليهم المسلمون عنوة لذلك رأى النبي ﷺ بثاقب فكرة أن يستنفر العرب ومن حوله من الأعراب ، ليخرجوا معه معتمرين كى تعلم قريش أنه لا يريد حربا ، فاستجاب له بعض الأعراب ، وأبطأ عنه الكثيرون .

### « خروج النبي معتمراً » :

وفى ذى القعدة من هذا العام خرج رسول الله ﷺ فى زهاء ألف

(١) الحديبية — بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء منهم من خففها ومنهم من شدها — قرية بالقرب من مكة على مرحلة منها سميت بئر هناك مسجد العجزة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها .

وخمسة<sup>(١)</sup> من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق بهم من الأعراب واستخلف على المدينة نبيه بن عبد الله الليثي ، وأحزم بالعمرة<sup>(٢)</sup> هو والكثيرون من أصحابه وساق معه الهدى سبعين بغيراً حتى يكون إيذاناً للناس أنه لم يرد حرباً وإنما خرج زائراً للبيت ومعظماً له .

وصول النبأ إلى قريش : وخرج رسول الله حتى إذا كان بمسفان<sup>(٣)</sup> لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطايل ، قد لبسوا جلود الثور ، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قدموا إلى كراع الغميم<sup>(٤)</sup> فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافريرين وإن يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش ؟ ! فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة<sup>(٥)</sup> ثم تفادى رسول الله الاصطدام بحيل المشركين فقال :

(١) ذكر ابن اسحاق في سيرته أنهم كانوا سبعمائة وهو خلاف ما ذكره المحدثون في الصحاح وغيرها وكتب السير من أنهم كانوا بضع عشرة مائة ، وقد استنتج ذلك بما روى أن النبي ساق سبعين بدنه كل بدنه عن عشرة وهذا ليس بلازم فإن بعضهم قد يهدى بغير الإبل كما أن بعضهم لم يكن محرماً كما في فتاوة كما ثبت في الصحيح ( صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب عزوة الحديبية ) .

(٢) هذا هو الصحيح وهو ما ذكره المحدثون وكتاب السير لا ما ذكره الدكتور هيكلم في كتابه « حياة محمد » من أن النبي أذن في الناس بالحج .

(٣) قرية على مرحلتين من مكة أي مسيرة يومين

(٤) واد أمام مسفان بثمانية أميال .

(٥) السالفة صفحة العنق وهو كتابة عن الموت .

« من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها فقال رجل من أسلم : أنا ، فسلك بهم طريقا وعرا صعبا خرجوا منه بعد مشقة وجهد ، فافضوا إلى أرض سهلة منبسطة فقال رسول الله : قولوا ، نستغفر الله وتوب إليه ، فقالوا فقال الله إنها للحطة<sup>(١)</sup> التي عرضت على نبي إسرائيل فلم يقولوها ، ثم -ملكوا طريقا انتهى بهم إلى ثنية المرار قرب الحديبية ، وكان هذا المكان بركت ناقة رسول الله فزجروها فلم تقم » فقالوا : خلأت - حرت - القصواء ، فقال الرسول : « ما خلأت القصواء ، وما هو بخلق لها ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لا تدعوني قريش اليوم إلى حطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : انزلوا ، فقالوا : ما بالوادي من ماء ينزل عليه ، فأخرج سها من كنانته فاعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في بئر ففرزه في جوفه ، فجاش بالماء حتى ضرب الناس بعطن ، فشربوا وسقوا دوابهم .

« رسل قريش » رأت قريش أن لا قبل لها بحرب المسلمين والإدارت عليهم الدائرة ، ونمى إليها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد حربا فأرسلت إليه من يفاوضه ترفا على قوة المسلمين وعزمهم على القتال من جهة ، وطمعا في صد المسلمين عن البيت بالطرق الساعية من جهة أخرى

« بديل بن ورقاء » فأتاه بديل بن ورقاء في رجال بن خزاعة وكانت خزاعة عيبة<sup>(٢)</sup> نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسامها وكافرها لا يخفون عنه شيئا كان بمكة - فسألوه عما جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء

(١) إشارة إلى قوله تعالى :

« وإذا قلنا أدخلوا هذه القرية فذكروا منها حيث شئتم وغداوا داخلوا الباب - جدا ، وتولوا حطة . . . البقرة ٥٨ ، ٥٩ » فيدلوا وغيروا ، وسخروا ، ونهكوا ، ومعنى « وتولوا حطة » أي حط يارب عنا ذنوبنا ، وأغفرها لنا وفي المقارنة دلالة عنصر الصحابة وصاعتهم للرسول ، وخبث اليهود ، وأثم طياعهم ، وعصيانهم لنبي الله موسى

(٢) عيبه مد بفتح الهمزة وسكون التنوينية - ما ترضع فيها الثياب لحفها أي موضع النصح له ، والأمانة على سره كأنه شبه الصدر الذي هو مستودع السر بالعيبه التي هي مستودع الثياب بنو الهون بن خزينة بن مدركة بن عبد مناف بن كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا في ابن تحت جبل يقال له : ابيشى أسفل مكة ، وقيل -وا بذلك لتجمعهم ، والتحبش التجمع ، والحباشة الجماعة (فتح الباري ج ٢ ص ٢٤٤)

زائر للبيت ومعظما له ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا مشر قريش إنكم تعجبون على محمد وأنه لم يأت لقتال وإنما جاء زائرا للبيت فأتهموهم وقالوا : ولما جاء لا يريد قتالا ! ! فو الله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة .

« مكرز بن حفص » ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص فلما رآه رسول الله قال هذا رجل غادر فلما انتهى إلى رسول الله قال له نحو ما قال لبديل فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال

( حليس بن علقمة ) ثم بعثوا بحليس سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله قال : ( إن هذا من قوم يتألمون <sup>(١)</sup> ) فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله إعظاما لما رأى فأخبرهم بما رأى ، فقالوا له : أجلس فأنتما أنت أعرابي لا علم لك ، فغضب الحليس وقال : يا مشر قريش والله ما على هذا حالناكم ، أبصد عن بيت الله من جاءه معظما له : ! والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاءه له أو لأنفرن بالأحابيش <sup>(٢)</sup> نفره رجل واحد ، قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

( عروة بن مسعود الثقفي ) ثم بعثوا إلى رسول الله حكيمًا يطعمشون إليه ، وهو عروة بن مسعود الثقفي ، فخشى أن يناله من التعنيف وسوء المقالة ما ناله من سبقه وهو من يعرفون فقالوا له صدقت ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أو شاب <sup>(٣)</sup> الناس ، ثم جئت بهم إلى يصفك - بلدك لتفضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل <sup>(٤)</sup> قد لبسوا جلود النمرور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا ، فلم يتمالك الصديق نفسه - وقد احفظته هذه

(١) يتعمدون ويعظمون شعائر الله

(٢) الأحابيش جمع أحبوش - بفتح الهمزة والياء - وهم بنو الهون بن خزيمة بن بدرية ، وبنو الحارث بن عهد مناف بن كنانة وبنو المصطلق بن خزعة . كانوا قد تحالفوا تحت جيل ، قال له الهدي أسفل مكة ، وقبل سمر ابذل لك لتجدها والتبش ، والحباشة الجماعة « فتح الباري ج ٥ ص ٢٤٢ »

(٣) أو شاب : اختلاط

(٤) العوذ : جمع عائد وهو من الإبل المديئة النتائج ، والطافيل جمع مطلق التي معها أولادها والمراد أنهم خرجوا ومعهم الذداء والأولاد والكلام على الاستعارة

( م ١٨ - السيرة النبوية ج ٢ )

المقالة الكاذبة - أن رد على عروة ردا جارحا مؤلما ، فقال: من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أبي قحافة ، فقال له : أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأئك بها ولكن هذه بهذه

« مثل أعلى للحب وللإيمان » وكان عروة يتناول حبة رسول الله وهو يكلمه : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله وهو مدجج في السلاح ، فجعل يقرع يد عروة بنعل سيفه ويقول له : أكف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لاتصل إليك ، فاغتاظ عروة وقال : من هذا يا محمد : قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، فقالى : أى غدر وهل غسلت سواتك إلا بالأمس (١) فكلمه رسول الله بنحو ما كام به من سبقه وأنه ما جاء يريد حربا ، وكان عروة يرمق أصحاب رسول الله ويتعرف أحوالهم فرأى أمرا عجبا : رأى رسول الله لا يتنخم تخامه إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ا وإذا أمرهم ابتدروا أمره : أيهم ينفذه أولا ا وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه ا وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحمدون النظر إليه تعظيما له ا فرجع عروة إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه ، ويقصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه وأنى والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه لقد رأيت قوما لا يسمونه لشيء ابدأ ، وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، فإني لكم ناصح ، فقالت قريش : لا تتكلم بهذا ولكن زده عامنا هذا ويرجع من قابل.

« رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وقد رأى رسول الله حرصا على حرمة البيت ، وأثارا للسلام على الحرب أن يرسل رسلا إلى قريش بمكة لاحتمال أن لا يكون عنده رسل قريش من الشجاعة ما يحملهم على المصارحة بالحقيقة فارسل خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش وحمله على بعير له ليبلغ اشرفهم ما جاء الرسول إليه ، لكنهم استنيد بهم

(٣) كان المغيرة قد قتل جماعة في الجاهلية فتعمل دبتهم مع عروة هذا ، فلهذا استنكر معاملته له ، واكتنه الأديان وهو يصاحبه عن الأهل والولد والمال !! وغدر - بضم الميم وفتح الهمال - كثير القدر .



الحق والغضب، فمقروا به البعير، واراوا قتله لولا ان منعتهم الا حايث أحلافهم،  
فخلوا سبيله

« سفارة عثمان بن عفان رضى الله عنه »

ثم دعا رسول الله عمر بن الخطاب ليكون رسولا إلى أهل مكة فقال :  
يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بنى عدى من يمنعني  
وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها  
مضى عثمان بن عفان ، فقبل الرسول منه الإعتذار واستحسن ما عرضه عليه ، فدعا  
عثمان فأسله إلى أبى سفيان وأشرف قريش ليخبرهم بقصد رسول الله ، فخرج  
عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاصى<sup>(١)</sup> ، فحمله بين يديه ثم أجاره  
حتى بلغ رسالة رسول الله ، فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف قال :  
ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

« بيعة الرضوان »

واحتبست قريش عثمان عندها ، وبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل  
فقال رسول الله : « لا نبرح حتى تناجز القوم ، ودعا إلى البيعة تحت شجرة  
عمرة هناك فبايعه بعضهم على الموت ، وبعضهم على أن لا يفرروا ، ولم يتخلف عن  
المبايعة إلا الجند بن قيس فقد لصق بإبط ناقته يستتر من الناس ، وكان أول  
من بايع أبوسفيان وهب بن محسن أخو عكاشة بن محسن ، ولما تمت البيعة  
للحاضرين ضرب رسول الله بأحدى يديه على الأخرى وقال : وهذه لعثمان ،  
فكانت يد رسول الله لعثمان خيرا من يده لنفسه ؛ وهذه البيعة هي بيعة الرضوان  
لقول الله سبحانه وتعالى ( لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة  
فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا )<sup>(٢)</sup> وهو صلح الحديبية.

وبهذه البيعة أصبح المسلمون على استعداد لمناجزة قريش ، وجعل كل واحد  
منهم يترقب يوم الظفر ويوم الاستشهاد بنفسه وأضية وقاب مطمئن ، وأنهم لفي

(١) هو ابن عم عثمان قبل أسلم قديما، وهاجر مع زوجته فاطمة بنت صفوان اهاذكره ابن  
-عقاب والأحترون على أنه أسلم أيام خيبر وشهداها مع النبي صلى الله عليه وسلم

استعداد للمناجزة إذ ترامي إليهم أن عثمان لم يقتل ، ثم لم يلبث أن جاء إليهم سالماً ،  
وبذلك كفى الله المؤمنين القتال ، وحقق رغبتهم في السلام .

« مناوشات قريش ، وأرسات قريش نحو ما من خمسين رجلاً منهم عليهم  
مكرز بن حفص لبطياف ، وبعسكر المسلمين عبي أن ينالوا منهم غرة ، فأسروهم  
حارس الجيش محمد بن مسلمة ، وهرب رئيسهم ، وأتى بهم إلى رسول الله فمفا  
عنهم تشبثاً منه صلى الله عليه وسلم بمخطة السلم ، واحتراما للشهر الحرام ان  
يسفك فيه دم ، وقد مد يهنت قريش حين عرفوا ذلك ، وسقطت كل حجة  
لهم في أن النبي يريد حرباً ، وأيقنوا أن أي اعتداء من جانبهم على المسلمين لن  
تنظر إليه العرب إلا على أنه غدر لثيم ، للمسلمين الحق كل الحق في أن يدفعوه .  
وما أقدرهم . بكل ما أوتوا من قوة وفي هذا نزل قول الله : « وهو الذي كف  
أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » وكان الله بما  
تعملون بصيراً (١) .

(بشار الصلح) لم يكن بد لقريش وقد جرى ما جرى من أن تفكر في  
الصلح جدياً ، وأن تنتهي هذه الحالة التي قد تدور بسببها الدائرة عليهم فأرسلوا  
سهيل بن عمرو إلى النبي ﷺ وقالوا له : أنت مجداً وصالحاً ، ولا يمكن في صلحه  
إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا نتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً ،  
فلما انتهى سهيل إلى رسول الله وراه تفاعل به وقال : « لقد سهل لكم من أمركم ،  
وتكلم سهيل فأطال الكلام ، وتراجع هو والنبي ﷺ حتى انتهى إلى صيغة  
الصلح ، وتم الاتفاق ولم يبق إلا الكتاب .

## شروط صلح الحديبية

وكانت شروط الصلح على ما يأتي :

(١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين<sup>(١)</sup> يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، وأن بينهم عيبة مكفوفة فلا إسلال — سرقة — ولا إغلال — خيانة —

(٢) من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من مع محمداً لم يردوه عليه .

(٣) من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل ، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ودخلت بنو بكر في عقد قريش .

(٤) أن يرجع النبي وأصحابه من غير عمرة هذا العام ، فإذا كان العام القابل خرج عنها المشركون فيدخلها المسلمون ويقيمون بها ثلاثاً ليس معهم من السلاح إلا السيوف في قريها — اغمادها — وقبل النبي هذه الشروط على ما في بعضها بادىء الرأي من إجحاف بالمسلمين ، لأنه يصدع بأمر الله وإمامه ولن يضيعه الله أبداً ، ولحرصه على أن يسود السلام ويحفظ للبيت حرمة .

« رأى المسلمين في الشروط ، أما المسلمون فرأى بعضهم كالصديق ما رأى الرسول في الشروط وسلموا بها ورأى بعضهم ولا سيما في الشرط الثاني إجحافاً بحق المسلمين ، وقالوا : سبحان الله ! كيف نرد إليهم من جاء مسلماً ، ولا يردون إلينا من جاء مرتداً ؟ فاجابهم الرسول بهذا الجواب الحكيم ، أنه من ذهب منا إليهم فابعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً .

ومن هذا الفريق عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — وكما هو معروف عنه من الصلابة في الحق وحب المراجعة فيما لم يستين له فيه وجه الحق والصواب أبى إلا أن يعلن عما فى نفسه فذهب إلى الصديق — رضى الله عنه — فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى

---

(١) ذكر النفور له الشيخ محمد الحضرى في كتابه « نور اليقين » ص ١٩٠ أن مدة الصلح كانت أربع سنين وقد تابعه بعض الكتاب المعاصرين ، والذي في السير وكتب الحديث أن المدة عشر سنين وأما رواية الأربع فضيفة منكرفة

قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقالوا أبو بكر : يا عمر الزم غرزهم (١) — طريقته — فاني أشهد أنه رسول الله ، فقال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله وكأن الفاروق لما يزل في نفسه بعض الحرج في قبول هذا الشرط ، فرأى أن يستبين من الرسول وجه الحق وأن يسمع منه فأتى رسول الله وقال له : الست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال الرسول : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعني (٢) فلم يكن بد من أن يذعن الفاروق وينتظر ما تجيء به الأيام ، ولم تلبث الأحداث أن أظهرت بعد نظر الرسول كما ستعلم عن كتب .

وقد استشعر الفاروق وقد هدأت ثورته النفسية أنه ربما يكون قد جانبه الصواب في التردد في السؤال ، أو احتمال أن يظن بالشك فكان يقول : مازلت أصوم وأتصدق ، وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ خافه كلامي الذي تكلمت يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً ، وفي صحيح البخاري : قال عمر : فعملت لذلك أهملأى الأعمال الصالحة المذكورة .

رؤيا رسول الله ، وكذلك كانت هناك مسألة أخرى تتردد في نفس بعض المسلمين وهي الرؤيا التي رآها رسول الله في دخولهم المسجد الحرام فقد ظنوا أنها هذا العام ، فلما لم تتحقق وانتهى الصلح بالتأجيل وجدوا لذلك أسى وحزنا في نفوسهم حتى بين لهم الرسول أن الرؤيا ليس بلازم أن تتحقق هذا العام ، فقد سأل الفاروق عمر رسول الله عن هذا ، فقال : أفأخبرت أنك تأتبه هذا العام ؟ ، قال : لا ، قال فانك آتبه ومطوف به ، وكذلك سأل الفاروق الصديق عن الرؤيا ، فاجابه بما أجاب به الرسول (٣) .

(١) الغرز لبعير كالسرج لفرس ، والمراد الزم أمره وطريقته وإياك والمخافة .

(٢) هذا ما ورد في السيرة لابن اسحاق ، وفي الصحيح أنه أتى النبي أولاً فسأله ، ثم أتى أبا بكر بعد ذلك فسأله وقد رجعت ما في السيرة على ما في الصحيح لأن بقاء شيء من الشك بعد سؤال الفاروق للصديق حتى سأل النبي فآزال ما بقي عنده . أقرب من بقاء شيء من الشك بعد سؤال عمر لقتبي حتى سأل الصديق فاجابه وأزال ما بقي عنده والله أعلم

(٣) صحيح البخاري — كتاب الشروط — باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب . . . ، وصحيح مسلم — كتاب الجهاد والسير أسباب صلح الحديبية .

## كتابة كتاب الصلح

ودعا رسول الله على بن أبي طالب ليكتب الكتاب ، فقال له : « اكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل أما الرحمن فلا أدري ما هو ؟ ولكن اكتب باسمك اللهم فأبى المسلمون فقال النبي : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : « هذا ما صلح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : والله لو تعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب ، اسمك واسم أبيك فقال رسول الله : ( والله إني لرسول الله حقا وإن كذبتموني ) ثم أمره عليا بمحو ما كتب وكتابة محمد بن عبد الله ، فامتنع علي تأدبا فأخذ رسول الله الصحيفة فحشاها وكتب محمد بن عبد الله وهو لا يحسن أن يكتب<sup>(١)</sup> وبعد أن فرغ سيدنا علي من كتابة الشروط . اشهد الرسول على الكتاب رجالا من المسلمين وهم أبو بكر ، ومهر بن الخطاب ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسامة ، وشهد من المشركين حويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص ، وكتب من شروط الصلح نسختان : نسخة للنبي ونسخة لقريش .

« وقفة عند هذا الصلح ، وإن لنا هنا لوقفة ترينا مبلغ صبر الرسول واحتماله ، وتنازله عن بعض حقوقه في سبيل إتمام الصلح ، ولو أن النبي استجاب لرغبات بعض المسلمين أو لهوى في نفسه لما تم الصلح ، وهذا يدل على أنه نبي يوحى إليه كما يدل على سمو نفسه سموا يعلو على الجاه وعن هوى النفس ، وعن الألقاب ، وكل ذلك كان حرصا على الوفاء بما وعد به حينما قال : « والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها ، وإن ما حدث في صلح الحديبية ليعتبر مثلا يحتذى في المساهلة في الشروط طلبا للأمن والسلام ، فهل يكون فيما صنعه رسول الله قدوة للقواد والزعماء والرؤساء في عالمنا المضطرب الحائث

(١) صحيح البخارى - كتب المغازى - باب عمرة القضاء وباب المدينة وكتاب الشروط - باب الصلح في الجهاد .

الذي يشاهد كل يوم مؤتمرات واجتماعات في سبيل السلام والحد من التسابق  
المجنون في سبيل التسليح ثم تنتهي إلى لا شيء ؟ !!

« أبو جندل بن سهيل بن عمرو » .

وبينا على يكتب الكتاب جاء أبو جندل بن سهيل يوسف في قيود الحديد  
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه أبوه فضرب وجهه  
وأخذ بتلابيبه وقال : يا محمد هذا أول من أقاضيك عليه أن ترده ، فقال النبي :  
إنا لم نقض الكتاب بعد ، فقال سهيل فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا فقال  
النبي : فأجزه لي فأبى فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين  
وقد جئت مسلما الأترون ما قد لقيت ؟ فازداد الناس غما فقال له الرسول :  
يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جماع لك ولمن معك من المستضعفين  
فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك  
وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم ،

( نحر النبي هديه ) ولما فرغ النبي من كتابة العهد قال لأصحابه :  
قوموا فانحروا ثم احلقوا ( ثلاث مرات ) فما قام منهم أحد فقد أذهلهم ما هم  
فيه من النغم الحزن عن أمر الرسول ، فدخل رسول الله على زوجته أم سلمة  
وكانت خرجت القرعة عليها في سفر رسول الله هذا ، فذكر لها ما وجد من  
الناس ، فقالت - وكانت عاقلة حازمة - : يا نبي الله اخرج ثم لا تكلم أحدا  
منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحدا  
منهم حتى فعل ذلك ، فلما رأوا ما فعل الرسول قاموا فنحروا ، وحلق بعضهم  
وقصر آخرون ، فقال الرسول : ( يرحم الله المحلقين ) قالوا : والمقصرين  
يارسول الله ، قلل : يرحم الله المحلقين قالوا : والمقصرين قال : يرحم الله  
المحلقين قالوا : والمقصرين قال : والمقصرين قالوا : يارسول الله لم ظهرت -  
كررت - الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لأنهم لم يشكوا .

( الأوبة إلى المدينة ونزول سورة الفتح )

ثم آت رسول الله ﷺ وهو مغتبط بما آتم من صلح وفي الطريق أنزلت عليه سورة الفتح روى البخارى في صحيحه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ( ثلاثاً ) قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في القرآن فما نشيت أن سمعت صارخاً يصرخ بى ، فقالت : لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، فجيئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال : لقد أنزلت على الليلة سورة لى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ : ( إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) ورواه أيضاً الامام أحمد والترمذى والنسائى والطبرانى ، وقد بينت رواية الطبرانى ورواية أخرى لأحد ان نزولها كان مرجعه من الحديدية ، وهو المراد بالسفر المذكور ، وقد اختلف فى مكان نزولها فقيل : بالجحفه ، وقيل : بكراع الغميم ، وقيل بضجنان والأما كن الثلاثة متقاربة (١) وهذا يدل على أن هذه السورة نزلت بعد صلح الحديدية لا بعد فتح مكة ، كما يزعم بعض الناس .

( صلح الحديدية فتح مبين )

وقد بنيت هذه الرواية الصحيحة وغيرها أن المراد بالفتح فى مفتتح السورة هو صلح الحديدية وما جرى فيها من البيعة ، وقد ورد ذلك مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، روى أحمد وابوداود والحاكم من حديث مجمع بن حارثة قال : ( وشهدنا الحديدية فلما انصرفتنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس يقرأ عليهم ) ( إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) فقال رجل : يا رسول الله أو فتح هو قال : ( أى والذى نفسى بيده إنه لفتح ، كما ورد ذلك صريحاً عن بعض الصحابة ، روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه ( إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) قال : الحديدية

(١) تفسير ابن كثير والبغوى ج٧ ص١٥٨ ، وفتح البارى ج ٨ ص ١٧٣

وروى بسنده عن البراء بن عازب قال : تعدون أنتم الفتح لفتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ( يعنى الفتح فى قوله ( إنا فتحنا . . . ) (١) وما أحسن ما ورد عن الصديق رضى الله عنه فى هذا قال : ما كان فتح فى الاسلام أعظم من فتح الحديبية ، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل لعجلة اليباد حتى تبلغ الأمور ما أراد ، وقال الامام الزهرى : ( ما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كالم بعضهم بعضاً ، والتفقا وتفقاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد فى الاسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تينك السنين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ) وليس أدل على هذا من أن المسلمين كانوا فى الحديبية حوالى ألف وخمسمائة وكانوا فى فتح مكة عشرة آلاف (٢) .

ولكى تزداد يقينا بأن صلح الحديبية فتح مبين نسوق لك ما أفاده المسلمون من هذا الصلح .

## مكاسب المسلمين من صلح الحديبية

( ١ ) اعترفت قريش بالمسلمين اعتراف الند بالند ، وفى ذلك دعاية للإسلام لا يدتهان بها إن لم تكن ذات بال عند قريش فسوف يسمع بها العرب ، وفى ذلك تمهيدٌ لاتساع نفوذ الاسلام وسطوته .

( ٢ ) إن هذه الهدنة ضمننت للمسلمين الانصراف إلى تبليغ دعوة الاسلام فى كافة أنحاء الجزيرة وما يتاخها من الدول والامارات ، وهذا ما كان فقد كاتب النبى الملوك والأمراء وبذلك انتشر الاسلام أضعاف انتشاره من قبل .

(١) صحيح البخارى - كتاب التفسير - سورة الفتح

(٢) -سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢٢



(٣) اعتراف المشركين بمجىء المسلمين معتمرين من العام القابل أو كسب المسلمين الحق في زيارة البيت من غير مناجزه ولا حرب وهذا ما كان يديره المسلمون

(٤) كان أشد ما أحفظ بعض المسلمين من الصلح : أن من أتى المسلمين من قريش رد ، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يرد ، وقد أثبت الواقع أنه لم يرتد مسلم وبذلك أصبح هذا البنود من الشرط غير ذي خطر ، كما كان النبي يعلم بثاقب فكره ، واستنشاء قلبه بنور الوحي وفيوضاته أن الفقرة الأولى من هذا الشرط ستجبر على قريش متاعب كثيرة قد تضطرها إلى التنازل عنه بل والإلحاح في ذلك ، وهذا ما صدقته الحوادث بأسرع مما كان يظن .

( سمى قريش في التنازل عن هذه الفقرة من الشرط )

فقد جاء أبو بصير عروة بن أسيد الثقفي من قريش إلى المسلمين بالمدينة ، فأرسلت قريش في طلبه رجلين فسلمه لهما النبي وقال له : « يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً ولا يصح في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ، ومخرجاً ، فانطلق إلى قومك » فقال أبو بصير : يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ ! فكرروا عليه النبي قوله ، فخرج مع الرجلين حتى إذا كان بذى الحليفة تحاييل على أحد الرجلين فأخذ منه سيفه فضربه به حتى برد ، وفر الآخر يعدو حتى دخل مسجد المدينة ، فلما رآه رسول الله قال : ( قدرأى هذا ذعراً ) وأخبر رسول الله بما جرى فامنه ، ولم يلبث أبو بصير أن جاء . وقال : يا رسول الله قد — والله — أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم فقال النبي : ( ويل أمه مسمر حرب لو كان له أحد )<sup>(١)</sup> ففطن الرجل لمقالة الرسول ، وخرج حتى نزل ( العيمس ) على ساحل البحر في طريق قريش إلى الشام ، ولم يلبث أن انفلت أبو جندل وخلق به ، وهكذا صنع كل من ضيق عليه واحتجز بمكة

(١) ويل أمه كلمة ذم والمراد بها هنا المدح مسمر حرب : شيرها ومحرما ومسمر بالنصب على التمييز وهو وصف له بالأقدام .

حتى تكون منهم نحو السبعين رجلاً فقطعوا على قريش تجارتها ، فإذا كان من أمر قريش ؟ لقد أرسلت إلى رسول الله تتأشده الله والرحم أن يرسل إليهم ويؤويهم ، وأن من أتاه مهاجراً من المسلمين فهو آمن ولا يرد .

وهكذا صدق الله فراسة نبيه ، وعلم المسلمون الذين امتعضوا من هذا الشرط أن أمر رسول الله أعظم بركة من أمرهم ، وأن رأيه لهم أولى من رأيهم لأنفسهم ، وازدادوا إيماناً بأن الله ناصر نبيه ، وناشر دينه ، ورضى الله عن الصحابي الجليل سهل بن حنيف فقد كان يقول : ( اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله أمره لرددت والله ورسوله أعلم ) رواه البخاري ، وأخرج البزار عن عمر قال : « اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى وما ألوت عن الحق » وفيه قال : « فرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيت حتى قال لي : « يا عمر تراني رضيت وتأبى » ؟ !!

### تفسير سورة الفتح

قال الله تعالى : ( بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) هو صلح الحديبية كما سبق أن دللنا عليه ( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ) قد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطاعة والبر والاستقامة قبل البعثة وبعدها فالمراد بالذنوب الأمور التي خالف فيها الأولى وذلك مثل ما حدث في أسارى بدر ، وترجيحه رأى القائلين بأخذ الفداء ، ومثل إدنه للمعتذرين عن تبرك ، وهذه ليست ذنوباً لكنها اعتبرت كذلك بالنسبة لجلالة قدره وعظم منزلته عند ربه فهو من قبيل ما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين ( ويتم نعمته عليك ) بهذا النصر على المشركين . ( ويهديك صراطاً مستقيماً ) ، بما يشرعه لك ولائمتك من الشرائع العادلة والدين القيم ( وينصرك الله نصراً عزيزاً ) فيما تستقبل من أمرك حتى يظهر دينك من الأديان كلها ( هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ) السكينة : الطمأنينة والوقار والآية تدل على زيادة الإيمان ( والله

جنود السموات والأرض وكان الله عليهما حكيمًا ) لله جنود كثيرة لا يعلمها إلا هو ولو أراد أن يسلم عليهم ملكا واحدا لا يبايهم ولكنه تعالى شرع لكم الجهاد لما في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة .

ولما بين الله ما يتعلق بنبيه ذكر ما أعده لعباده المؤمنين المجاهدين فقال (ليدخل المؤمنون والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار . . . ) الآية ثم ذكر ما يتعلق بالمنافقين والمشركين في قوله ( ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ) وهو أن الله إن ينصر نبيه والمؤمنين وسيهلكون (عليهم دائرة السوء . . . ) أى ما يظنون به بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم فهم مخذولون وهالكون في الدنيا ولهم العذاب الأليم في الآخرة ثم أكد سبحانه قدرته على الانتقام من أعداء فقال : ( ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيمًا ) قويا لا يغاب ، منتقما بحكمة .

ثم قال تعالى : ( إنا أرسلناك شاهداً ) على أمتك وعلى الأنبياء أنهم بلغوا ( ومبشراً ) للمؤمنين ( ونذيراً ) للكافرين ( لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه ) أى تصروه ( وتوقروه ) وتعظموه وتكرموه ( وتسبحوه بكرة وأصيلاً ) الضمير لله عز شأنه أى تنزهوه وتقدهسوه فى أول النهار وآخره والمراد فى جميع الأوقات ثم قال سبحانه وتعالى تشريعاً لنبيه وتكريماً : ( إن الذين يبايعونك ) يعنى فى الحديبية وغيرها ( إنما يبايعون الله ) لأنك إنما تباع بأمر الله وشرعه وطاعته ( يد الله فوق أيديهم ) أى هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكائهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فالله هو المبايع فى الحقيقة بواسطة رسوله ثم بين عقوبة النكث والوفاء ( فمن نكث ) نقض العهد ( فانما ينكث على نفسه ) لأن وبال ذلك وضرره عليه ( ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ) النصر فى الدنيا والنعيم المقيم فى الآخرة .

( سيقول لك المخالفون من الأعراب ) كان النبى استنفر الأعراب قبلى

الخروج إلى مكة معتمراً عام الحديبية فنشاكل الكثيرون منهم وتعللوا بتعلات باطلة كقوهم ( شغلنا أموالنا وأهلونا ) نساؤنا وأبناؤنا ( فاستغفر لنا ) قالوه تقية ومصانعة لأعتقاداً بدليل قوله : ( يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ) وكان قعودهم ظناً منهم أنه يدفع عنهم الضر ويحصل لهم النفع فرد عليهم بقوله سبحانه : ( قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً ) استفهام إنكارى بمعنى النفي أى لا أحد ( بل كان الله بما تعملون خبيراً ) فيجازيكم بسر أركم .

ثم بين سبحانه أن تخلفهم ليس لعذر وإنما هو تخلف نفاق فقال : ( بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً ) طمعاً أن يستأصلهم العدو ( وزين ذلك في قلوبكم ) زينه لكم الشيطان والهوى ( وظننتم ظن السوء ) وهو أنهم لن يرجعوا ( وكنتم قوما بوراً ) هلكى .

« ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً ) ناراً مسعرة وهو تسجيل عليهم بالكفر ثم بين سبحانه أنه المنصرف في الكون كله على حسب مشيئته فقال : ( والله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ) فن تاب منكم وندم فباب المغفرة مفتوح له .

ثم بين سبحانه أن هؤلاء المخلفين لا هم لهم إلا المنعم ولا يعينهم نصرة الإسلام فقال ( سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم ) هى مغانم خير ( يريدون أن يبدلوا كلام الله ) هو ما وعد الله أصحاب بيعة الرضوان أن مغانم خير لهم وحدهم لا يشاركم فيها غيرهم من الأعراب المخلفين « قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ) أى من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خير لمن شهد الحديبية ( فسيقولون : بل نحسدوننا ) أن نشرككم فى الغنائم فرد الله عليهم زعمهم فقال : ( بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ) الفقه : الفهم والعلم .

ثم بين سبحانه أن لهم فرصة لتدارك ما فاتهم والتكفير عن سيئاتهم فقال : ( قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد ) هو بنو حنيفة

وأضرابهم من المرتدين وقيل : أهل فارس والروم ( تقاتلونهم أو يسلمون )  
أى ينقادون إليكم بلا قتال ويدخلون في سلطانكم ( فان تطيعوا يؤتكم الله  
أجراً حسناً ) النصر في الدنيا والثواب في الآخرة ( وإن تتولوا كما توليتم من قبل )  
في الحديدية ( يعذبكم عذاباً أليماً ) بالدلة في الدنيا والعذاب في الآخرة ، ثم بين  
سبحانه أصحاب الأعداء في القمود عن الجهاد فنها لازم كالمعى والمرج ، ومنها  
عارض كالمرض فقال ، ( ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا  
على المريض حرج ) الآية .

ثم بين سبحانه رضوانه على أهل بيعة الحديدية فقال : ( لقد رضى الله عن  
المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ) هى شجرة سمرة كانت هناك وقد بنى عندها  
مسجد ، وقد كان الناس يأتون الشجرة ويصلون عندها حتى كان زمان خلافة  
الفاروق عمر فقطعها خشية أفتتان البعض بها ( فعلم ما فى قلوبهم ) من الإيمان وأزل  
السكينة عليهم ، وأنابهم فتحاً قريباً ( هو صلح الحديدية ) ومغانم كثيرة يأخذونها  
هى مغانم خيبر ( وكان الله قوياً عزيزاً ) لا يغالبه غالب ( وعدمكم الله مغانم كثيرة  
تأخذونها ) هى جميع المغانم التى غنموها فيما بعد من العرب وغيرهم ( فمبجل لكم  
هذه ) مغانم خيبر ( وكف أيدى الناس عنكم ) لم ينلكنم سوء مما كان أعداؤكم  
أضرموه لكم من المحاربة وكذلك كف أيدى اليهود وغيرهم عن خلفتموهم  
وراء ظهوركم بالمدينة من عيالكم ونساءكم ( ولتكون آية للمؤمنين ) عبرة لهم  
أن الله ناصرهم وأن الحيرة فيها أختاره الله لهم وإن كرهوه فى الظاهرة ( ويهدىكم  
صراطاً مستقيماً ) بانقيادكم لأمره وطاعتكم لرسوله ( وأخرى لم تقدرُوا عليها قد  
أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديراً ) الأخرى : قيل فتح مكة ، وقيل :  
فتوح فارس والروم ، ثم بين سبحانه أنه لم يختر لهم القتال لحكم تجلت للضعفهم  
ولو أنهم قاتلوكم لأنصرتهم عليهم فقال ( ولو قاتلناكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم  
لا يجدون ولياً ولا نصيراً ، من دون الله أما أنتم فאלله وليكم وناصركم ) سنة الله  
التي قد خلت من قبل ولن تبدل سنة الله تبديلاً ، أى سنة الله وعادته فى الأمم أن ينصر  
أهل الإيمان على أهل الكفر والحق على الباطل وأن العاقبة والنصر فى النهاية لإتقائهم  
للمتقين المخلصين .

ثم قال تعالى : وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيراً ، امتنان من الله على عباده المؤمنين حيث كف أيدي المشركين عنهم فلم ينلهم منهم سوء وكف أيدي المسلمين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام وصد كلا من الفريقين عن الآخر لحكم بالغة يعلمها وأوجد بينهم صلحافية خيرة للمؤمنين ، وعافية لهم وكان المشركون قد أرسلوا عيوناً على المسلمين نحواً من سبعين فأسرهم المسلمون وجاءوا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله منهم .

ثم قال تعالى : هم الذين كفروا وصدوك عن المسجد الحرام أن تعتمرا به ، والهدى مكوفاً أن يبلغ محله « يعنى وصدوا الهدى الذى سقتوه وبقى عبوساً بالحديبية عن أن يبلغ محل نحره وهو الحرم ثم بين سبحانه الحكمة فى أنه لم يأذن له فى القتال مع قدرتهم عليه بقوله : ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات هم المستضعفون والمستضعفات ممن أسلموا وأقاموا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة ( لم تعلموهم أن تطؤوهم أى تقتلوهم بغير علم ) فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ) أى ينالكم بقتلهم سبباً وإثم ويقول المشركون : قتلوا إخوانهم فى الدين وجواب لولا محذوف تقديره لسلطناكم عليهم فقاتلتموهم وأبدتموهم ( ليدخل الله فى رحمته من يشاء ) متعلق بمحذوف أى كفناكم عنهم ليكون لهم فدية فى حقهم بعضهم إلى الإسلام ، وهذا ما كان فقد أسلم منهم بين الحديبية والفتح أبطال مغاوير كخالد بن الوليد وعمرو ابن العاص ، وعثمان بن طلحة بن عبد الدار ( لو تزيلوا العذبة الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ) تزيلوا : تميزوا يعنى لو تميز المؤمنون عن الكافرين لسلطناكم عليهم فقتلتموهم قتلاً ذريعاً .

( إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية : حمية الجاهلية ) هى الغضب والافتة فأبوا أن تدخلوا مكة معتمرين ، وأبو أن يكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم ، وأبو أن يكتبوا : محمد رسول الله ( فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ) فلم تأخذهم الحمية فيعصوا الله فى قتالهم ، ولكنهم كظموا غيظهم ، وأذعنوا لنبيهم

( وأزهمهم كلمة التقوى ) هي كلمة الإيمان : لا إله إلا الله محمد رسول الله فعملوا بتوجيهها ووقفوا عند ما أمر الله ورسوله ( وكانوا أحق بها وأهلها ) أحق بكلمة التقوى وأهلا للعمل بها واحترامها ( وكان الله بكل شيء عليما ) فقد وسع علمه كل شيء ، أما علمكم فناصر ومن كان هذا شأنه فليتهم عقله ، وليلتزم ما أمر به الله ونيبه ، ولينته عما نهاها عنه وكن على ذكر على كلمة الصحابي الجليل سهل بن حنيف الأنفة .

ثم بين سبحانه أن رؤيا رسول الله صادقة ولا بد أن تتحقق فقال : ( لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ) تعليم للخلق أن يلتزموها في كل شيء وإن كان المتكلم بالقرآن سبحانه عالما بكل شيء وصدق الله ( ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ) ( آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ) ذلك أن رسول الله كان قد رأى في المنام قبل الخروج إلى الحديبية أنه دخل مكة وطاف بالبيت فاخبر أصحابه بذلك فلما ساروا إلى الحديبية لم يشكوا أن هذه الرؤيا سيكون تأويلها هذا العام فلما حدث ما حدث من قضية الصلح ورجوعهم وقع في نفس بعض الصحابة من ذلك شيء حتى سأل عمر رسول الله عن ذلك فأخبره أنه لم يقل هذا العام ، وأنه سيأتيه ويطوف به وهذا ما كان فقد وقع تأويل الرؤيا في العام القادم ( فعمل ما لم تعلموا ) وهو أن الصلاح والخير كان في الصلح وتأخير الدخول للحكم التي ذكرها الله آتفا « فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » وهو صلح الحديبية وقيل : فتح خيبر ثم بين سبحانه أن الله ناصر نبيه وناصر دينه وسيعلو على الأديان كلها فقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » أنك المبعوث رحمة للعالمين ثم ختم سبحانه السورة ببيان صفة النبي وصحابته وأنهم جلالتهم ضرب الله لهم الأمثال في التوراة والإنجيل ، وأشاد بذكرهم في القرآن فقال : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، لا تأخذهم في المشركين شفقة ولكنهم متوادون مترحمون بينهم فهو كقوله سبحانه : « أذله على المؤمنين أعزة على الكافرين » « تراحم ركعاً ( ١٢٠ — البقرة نبره ج ٢ )

سجدا ، كناية عن كثرة صلاتهم ومواظبتهم عليها « يبتغون فضلا من الله ورضوانا »  
أى يطلبون بأعمالهم الصالحهم ثواب الله ورضوانه وهو أعظم من الثواب  
« ورضوان من الله أكبر » « سيأهمهم في وجوههم من أثر السجود » عليهم سببا  
للصلاح من الخشوع والتواضع وحسن السمات وإشراق الوجه ذلك مثلهم في  
التوراة « ومحسبهم فضلا أن ينوه الله سبحانه بهم في توراته التي أنزلها على موسى  
عليه السلام « ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه » فرخه وهو أول ما يدومنه  
« فأزره » فواه وشده : فاستغلظ « ترعرع وطال » فاستوى على سوقه ، غلظ  
وقوى ، يعجب الزراع ليغيبهم الكفار « وكذلك أصحاب رسول الله كانوا  
قلة فكثروا ، وضعفاء فقووا ، وآزروه ونصروه حتى بلغ رسالة ربه ، وعم دينه  
المشارق والمغارب » وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم « من لبيان  
الجنس أى هم « مغفرة » لذنوبهم « وأجرا عظيما » ثوابا جزيلا ورزقا كريما  
لا يعلم قدره إلا الله ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل ، وكل من اقتنى  
أثر الصحابة ، ونهج نهجهم فهو في ركبهم ، وإن كان لهم الفضل ، والسبق والكمال  
الذى لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمم رضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات  
الفرديوس مأواهم .

## المهاجرات المؤمنات

كان من شروط الصلح كما أسلفنا أن من جاء قريش إلى النبي مسلما ردا ، فما  
إن استقر المقام للنبي بالمدينة حتى جاءت نسوة مؤمنات من قريش منهن أم كلثوم  
بنت عتبة بن أبي معيط فجاء أخوها همارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلوات الله  
وسلامه  
فكلماهم فيها أن يردها إليهما فأبى وروى أنه قال : ( كان ذلك في الرجال لا في  
النساء ) فأنزل الله سبحانه قوله : ( يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المهاجرات  
مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى



الكفار . . . ) الآية (١) ، وهكذا صدق الله نبيه فيما قال وأن النساء لا يدخلن في العهد الذين مضى وأنهن يختبرن فإن ظهر إيمانهن لا يرجعن إليهم أبداً .

### تفسير الآيتين الواردتين في هذه الحادثة

( فامتحنوهن ) وكانت صيغته الإمتحان كما روى ابن جرير عن ابن عباس : أن تقسم بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، ولا عشقا لرجل ، وبالله ما خرجت لإحبا لله ولرسوله ، فإذا قالت ذلك اكتفى به في إيمانها وحرم إرجاعها إلى المشركين وذلك لأى المرأة لا يؤمن عليها الفتنة أما الرجل فله في أرض الله الواسعة ملبجا كما صنع أبو جندل وأبو بصير وغيرهما ( الله أعلم بإيمانهن ) يعنى يكفيكم هذا في اختبارهن فلكم الظاهر والله يتولى السرائر .

( فإن علموهن مؤمات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا من حل لهم ولا هم يحلون لهن ) وهذه الآية هى التى حرمت النساء المسلمات على أزواجهن المشركين فإن أسلم زوجها فهو أحق بها ما لم تنزوجه غيره وقد رد رسول الله ﷺ ابنته زينب لأبى العاص بن الربيع لما أسلم ، بعد نزول هذه الآية قيل بالعقد الأول وقيل بعقد ومهر جديدين ( وآتوهم ما أنفقوا ) أى أعطوا أزواج المهاجرات المسلمات من المشركين ما أنفقوا من مهور ( ولا جناح عليكم ) أيها المسلمون ( أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن ) أى مهورهن بشرط انقضاء عدتهن ( ولا تمسكوا بعصم الكافر ) جمع كافرة والمراد الشركات لا الكتائيات ، نهى المسلمون عن الاستمرار مع زوجاتهم الشركات بهذه الآية كما نهوا عن زواجهن ابتداء بقوله سبحانه ( ولا تنكحوا الشركات حتى يؤمن ) ولما نزلت آية الممتحنة طلق المسلمون أزواجهن الشركات فقد كان لسيدنا عمر زوجتان بمكة فطلقهما ، فنزوح أحدهما معاوية بن أبى سفيان ونزوح الأخرى أبو جهم بن حذافة وهما على شركهما قبل أن يسلموا .

( وأسألوا ما أنفقتم ) يعنى إذا لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فأسألوا ما أنفقتم من المهر بمن تزوجها منهم قيل لم ترد امرأة مسلمة قط، وقيل ارتدت واحدة ثم عادت فأسلمت فيما بعد ( وليسألوا ما أنفقوا ) يعنى للمشركين الذى لحقت زوجاتهم المؤمنات بكم أن يسألوا ما أنفقوا من المهر بمن تزوجها منكم وهذا غاية العدل فى التشريع ولذا قال ( ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ) أى عليم بما يصلح العباد حكيم فى تشريعه .

ولما نزلت قال المسلمون : رضينا بما حكم الله وكتبوا إلى المشركين فامتنعوا من أداء مهور من ارتدوا أو ثبتن على كفرهن فانزل الله ( وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا ) يعنى لو ذهبت إليهم امرأة مرتدة ولم يعطوا زوجها ما أنفق من مهر فأعطوه بما بأيديكم من مهور النساء اللاتى جئن مهاجرات ، ولا تعطوا مهورهن لازواجهن المشركين وذلك على سبيل المعاقبة والمقابلة بالمثل .

وقيل معنى ( عاقبتهم ) غنمتم أى من ذهبت زوجته مرتدة إلى المشركين ولم يعطوه ما أنفق من مهر فأعطوها بما غنمتم ( واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ) أى اتقوا الله واحذروا أن تتعدوا ما شرعه الله لكم ، ولا تستحيوا الأهوائكم فى معاملة أعدائكم لأن الشأن فى المؤمن أن يتقى على كل حال .

## أحداث وتشريعات فى هذا العام

(١) فى هذا العام كان تشريع صلاة الخوف وهى تدل على يسر الشريعة الإسلامية وملاءمتها لكل زمان ومكان ولجميع الأحوال وقد اختلفت الفقهاء فى كيفية بناء على اختلاف الأحاديث والآثار الواردة فيها ، وليس هنا مكان تفصيل ذلك ، وإنما يطلب ذلك من كتب التفسير والحديث والفقه .

(٢) وفى هذا العام كان تحريم النساء المسلمات على أزواجهن المشركين بعد الحديبية، وتحريم النساء المشركات على أزواجهن المسلمين ، قبل للإسلام وقيل لاختلاف الدار .

## تحريم الخمر

وقد اختلف العلماء وأصحاب السير في وقت تحريمها قيل سنة أربع، وهو الذي يدل عليه كلام ابن إسحاق، فقد ذكر أنه كان في واقعة بنى النضير، وقيل سنة ست وهو الذي جزم به الديمياطي في سيرته، واستظهر الحافظ في الفتح أنه كان سنة ثمان<sup>(١)</sup> والذي ترجح عندي أنه كانت ست.

ومهما يكن من شيء فقد كانت الخمر ممتزجة بلحوم العرب ودماهم حتى بلغ من بعضهم وهو أبو عجمن الثقفي أن قال في الجاهلية.

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة      تروى عظامي بعد موتي عروقها  
ولا تدفني بالفسالة فإنتى      أخاف إذا ماتت أن لا أذوقها

لذلك كان من حكمة الشارع الحكيم أن حرمها بالتدريج فإن النفوس البشرية يشق عليها ترك ما تعودته دفعة واحدة (وشديد عادة منتزعة) فقد نزل فيها أول ما نزل قوله سبحانه: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما<sup>(٢)</sup>) والآية وإن لم تقطع بالتحريم إلا أن فيها ترجيح جانب الحرمة على الحلال، فمن ثم تركها قوم واستمر على شربها آخرون.

ثم إن بعض المسلمين وهو عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً لأصحابه فأكلوا وشربوا ثم قام أحدهم يصلي بهم وهو لا يمي فقرأ (قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون) فترك حرف النبي في الآية وهو (لا) فأنزل الله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون<sup>(٣)</sup>) فقالوا: ما لنا ولشيء يمنعنا عن صلاتنا، فكانوا يركونها عند الصلوات، وفي الأوقات

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٢٤، وح ١٠ ص ٢٤

(٢) البقرة ٢١٩ .

(٣) النساء ٤٣ .

القرية منها حتى إذا ما صلوا العشاء شربوا وناموا فيصحوون وقد زال أثر السكر وبذلك صار من السهل تحريمها تحريماً باتاً ، وهذا ما كان .

فقد صنع بعض المسلمين طعاماً ، فأكلوا وشربوا حتى لعبت الخمر برءوسهم ، فنتهاجوا بالأشعار فتشاجروا حتى شج أحدهم رأس الآخر بعظم فقال الفاروق عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فانزل الله سبحانه ( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون )<sup>(١)</sup> فقال عمر : انتهينا انتهينا وبذلك حرمت الخمر تحريماً باتاً قاطعاً روى هذا الإمام أحمد ، وأصحاب السنن ، ولما حرمت نادي منادى رسول الله : ألا إن الخمر قد حرمت ، فقام الناس إلى ما عندهم منها فأهرقوه حتى سالت بها طرق المدينة ، وبذلك نجح الإسلام أيما نجاح في تحريمها على تأصلها فيهم ، وقد حاولت بعض الدول - الولايات المتحدة - في العصر الحديث تحريمها بسطوة القانون ففشلت ، وأين قانون الإنسان من شريعة الرحمن ؟ فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وروى أنه لما نزلت آية التحريم البات قال ناس : يا رسول الله فكيف بمن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فراشهم وكانوا يشربونها فانزل الله سبحانه قوله : ( ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين )<sup>(٢)</sup> رواه البخاري فالآية إغذار لمن كان يشربها قبل التحريم ومات على ذلك ، وليس فيها إباحة شربها لأن شربها لا يجامع التقوى بأى حال من الأحوال .

( ما هي الخمر ؟ ) والخمر هي كل ما أزال العقل أو غير منه روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال : قام عمر على المنبر فقال : ( أما بعد فإنه نزل

(١) المائدة ٩٠، ٩١ .

(٢) المائدة ٩٣ .

تحريم الخمر وهي من خمسة : العنب والتمر ، والعسل والخنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل ) وقد خطب عمر بهذا وهو بمحضر من كبار الصحابة فلم ينكر عليه أحد ، وإلى هذا ذهب جماهير العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد وري مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : ( كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ) وفي رواية ( كل مسكر خمر وكل خمر حرام ) والخمر بجميع أنواعها حرام قليلها وكثيرها سواء ، ويحد شاربها وإن لم يسكر ، وروي أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال : ( ما أسكر الفرق منه ثلث الكف منه حرام ) وكل ما أسكر فهو خمر سواء أكان من العنب ، أو التمر ، أو الزبيب ، أو البصل ، أو الشعير ، أو الذرة ، والعبرة ليست بالأسماء ، وإنما العبوة بالإسكار ، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن هؤلاء الذين يتحايلون على الشرع ويسمون الخمر بغير اسمها فقال ( ليشرهن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ) رواد أحمد والبخارى في التاريخ .

( حكمة تحريم الخمر ) والخمر مضرّة بالصحة<sup>(١)</sup> مذهب للأموال ، مفسدة لما بين الناس من أواصر المحبة والأخوة ، مغسوة للشيطان ، صارفة عن ذكر الله وعن الصلاة ، سالبة للعقل الذي هو أشرف ما وهب الله للإنسان معرضة شاربها للعبدة والتعدى على الدماء والأعراض ، فهي أم الحبائث فلا تعجب إذا كان الإسلام حرمها فيما حرم على المسلمين ليكون المجتمع الإسلامي على خير ما يكون ديناً وخلقاً ، وأمناً وسلاماً .

وقد يقول قائل : إن القرآن الكريم قرر في آية البقرة أنها لم تخل من منافع فكيف جعلتها سبباً لكل هذه المآثم ؟ وأقول لمن يزعم ذلك : إن المراد بالمنافع في الآية الدنيوية وهي ما يتخيله شاربها بعد شربها من النشوة وإدخال الذرح والسرور على نفسه ونسيان الهموم ، وما ينتفع به بعض الناس من صنعها

(١) انظر ما كتبه الطبيب الانطاسي الدكتور عبد العزيز اسماعيل في كتابه « الامام والطب الحديث » .

أو يبيعها أو الاتجار فيها ، وهي ضافع لا توازي في معيار الحق والفضيلة شيئاً مما فيها من مفسد ومبازل ومآثم ، على أن هذه الآية كانت قبل التحريم فكان من الحكمة بحاراتهم فيما يزعمونه منافع حتى لا ينفروا ، ثم لما تهايأوا للتحريم حرمتها وجردها من أية منفعة أو مصلحة .

## تبلغ الإسلام في العالم

### « مكاتبة الملوك والأمراء »

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية وقد أمن شر قريش ومناواتها لدعوة الإسلام ، ووجد الرسول الفرصة سانحة لتبليغ رسالة الإسلام للناس جميعاً عربهم وعجمهم إذ قد أرسل للبشر كلهم قال تعالى « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً »<sup>(١)</sup> وقال « وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين »<sup>(٢)</sup> وقال « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »<sup>(٣)</sup> :

وقد كان هذا كسباً كبيراً للدعوة ، فقد شهدت آفاقاً واسعة ، ووجدت أرضاً خصبة ، ونفوساً مستعدة لتقبل الدين الجديد بعد أن عاشت البشيرية في ليل داج مظلم ، ولم يكن ليخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعانيه العالم ولا سيما الدولتان اللتان كانتا تقدمتان النفوذ في العالم حينئذ : فارس والروم من انحراف ديني وفساد خلقي ، واضطراب اجتماعي ، وما وقع بينهما من حروب وغارات . أنهكت قواهما مما جعل هذه الشعوب على استعداد لقبول الإسلام ، الذي ينعمون فيه بالآيمان والأمان ، والحرية ، والاخاء ، والعدل والمساواة ، ولذلك

(١) الاعراب ٥٨

(٢) الأنبياء ١٠٧

(٣) سبأ ٢٨

لم تكذب تنهى ثلاثون عاما من دعوتهم إلى الاسلام ، حتى كانت هذه البلاد قد دخلت في الاسلام ، واستظلت بلوائه ، وقد كان بدء إرسال الكتب بعد الحديبية في أواخر سنة ست أو أوائل سنة سبع ولذلك آثرت ذكر هذه الكتب في هذا الموضوع .

ولما عزم رسول الله على مكتبة الملوك والأمراء خرج على أصحابه ذات يوم فقال : « أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثة مبعثاً قريباً فرضى وسلم ، وأما من بعثة مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتناقل » ثم ذكر أنه مرسل إلى هرقل وكسرى والقوقس والنجاشي وغيرهم ، يدعوهم إلى الاسلام ، فأجابه أصحابه إلى ما أراد ، ثم صنع له خاتم ، من فضة نقش عليه ( محمد رسول الله ) ليختتم به هذه الكتب .

## كتاب رسول الله إلى القيسر ( هرقل )

وجه رسول الله دحية بن خليفة الكلابي بكتاب إلى قيصر وأمره أن يدفعه إلى حاكم ( بصرى ) ليوصله إلى هرقل ونص الكتاب : ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك إثم الاريسين ) ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا : إشهدوا بأنا مسلمون )

( موقف هرقل من الكتاب ) ولما وصل الكتاب إلى هرقل وكان الرجل عاقلاً قال : اثتوني برجل من قومه أساله عنه ، فالتسوه فصارفوا أبا سفيان في

ركب من قومه ذاهبين بتجارتهن إلى الشام بعد صلح الحديبية فجاءوا بهم إليه فسألهم بوساطة ترجمانة أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان أنا، فقال له: ادن مني، فاجلسه أمامه، ثم اجلس بقية قومه خلفه حتى لا ينجلوا من رد كذبه عليه إذا كذب، ثم سألهم عن نسبه، وهل ادعى ذلك أحد قبله، وعن مبلغ صدقه؟ وهل كان من آباءه من ملك؟ وأتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم. وأيزيدون أم ينقصون؟ وهل يرتد أحد من أتباعه سخطة لدينه؟ وهل يغدر إذا عاهد؟ وكيف حربكم وحربه؟ وبم يأمركم؟ كل ذلك وأبو سفيان يجيب بما هو الحق ثم استخلص هرقل الحق من كلام أبي سفيان فقال له: اني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب. وكذلك الرسل تبعث في نسب من قومها! وسألتك هل قال أحد منكم هذا للقول قبله، فزعمت أن لا. فلو كان احد قال هذا للقول قبله لقلت: رجل يأتيه بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمون بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا، فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله! وسألتك هل كان من آباءه ملك فقلت: لا فلو كان من آباءه ملك لقلت: رجل يطلب ملك ابيه! وسألتك اشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم، وهم اتباع الرسل! وسألتك ايزيدون ام ينقصون فقلت. بل يزيدون، وكذلك أمر الايمان حتى، يتم وسألتك يرتد أحد منهم سخطة لدينه، بعد ان يدخل فيه، فذكرت ان لا....!

وكذلك الايمان حين تخالط. بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر! وسألتك هل فانتلموه؟ فقلت: نعم. وان الحرب بيننا وبينه سجال، وكذلك الرسل تبئلي ثم تكون لهم العاقبة! وسألتك بماذا يأمر فزعمت انه يأمركم ان تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئا، وبينها كم عما كان يعبد أبائكم. ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، والوفاء بالعهد واداء الامانة، ثم قال وهذه صفة نبي كنت أعلم أنه نبي ولكن لم أعلم انه منكم، وان بك ما قلت حقا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه! ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقريء



على الحاضرين فعلت أصوات من حوله من عظماء الروم وكثر لغتهم وأمر بأبي سفيان وأصحابه فأخرجوا فقال أبو سفيان : لقد عظم أمر ابن أبي كبشة (١) ، هذا ملك بنى الأصفر (٢) يخافه ، فإزلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

ولما سار قيصر إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ، ثم أمر بأبوابها فأغلق ثم قال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم وغضبهم قال : ردوهم على ثم قال لهم : إننا قلت مقاتلي آتفا اختبر بها شدتكم على دينكم ، فسجدوا له ورضوا عنه (٣) ، وهكذا غلبه حب ملكه على الإسلام ، فذهب بأئمة وإئمة رعيته كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنه مع هذا كرم دحية ورده رداً جميلاً .

## كتاب كسرى

ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب إلى كسرى (٤) ملك الفرس وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه إلى هذا كسرى ونصه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى . وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فيأني أما رسول

(١) قيل هر كية أبيه من الرضاة واسمه الحارث بن عبد العزى كانوا يذبونه لآله الصنهاة .

(٢) هم الروم .

(٣) صحيح البخارى — باب بدء الوحي وكتاب الجهاد — باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام .

(٤) كسرى لقب ملك الفرس وهو كسرى بن بروزين هر مز بن أنوشروان .

الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فان تسلّم  
تسلّم ، وان آييت فان اثم الجوس عليك » فلما قرىء الكتاب عليه مزقه فلما بلغ  
رسول الله ذلك دعى عليه قائلاً : اللهم مزق ملكة وقد استجاب الله لنييه فقتله  
ابنه شيرويه، ولم تقف حماقة كسرى عند تمزيق الكتاب بل أرسل الى « باذان »  
عامله على اليمن . ابث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذى بالحجاز ، ففعل  
باذان . فلما قدما على النبي قال : أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه فى هذه الليلة ،  
وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة سبع من الهجرة فخرجا  
من عند النبي حتى قدما على باذان فأخبراه بمقتل كسرى ، وقال له يقول لك :  
ان أسامت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء ، ثم لم ينشب  
باذان ان جاءه كتاب شيرويه يخبره بقتل أبيه واوصاه أن لا يهيج النبي حتى ياتيه  
أمره فيه فقال : ان هذا الرجل لرسول ، فاسلم واسلم الأبناء من فارس الذين  
كانوا باليمن .

### كتاب المقوقس عظيم مصر

وأوفد عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس عظيم مصر وأميرها  
من قبل الروم بكتاب ونصه . « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك  
بدعاية الاسلام أسلم تسلّم يؤتلك الله أجره أربعين ، وان توليت فأنا عليك إثم  
القبط ، ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله،  
ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فأن تولوا فقولوا  
اشهدوا بأننا مسلمون<sup>(١)</sup> فو قد حاطب على المقوقس وكان بمدينة الاسكندرية  
فأولاه الكتاب ، فقبله واكرم حاطباً وأحسن نزله .

تم بحث إلى . وقد جمع بطارقتة ، وقال : إني سألتك عن كلام ، فأحب أن

(١) انظر صورة هذا الخطاب في كتاب « الوسيط في الادب العربي وتاريخه » ص ١٢٢

تقهم عنى ، قال : قلت هلم ، قال : أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت بلى ، هو رسول الله ، قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ ! قال : فقلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى ، قلت فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ !

سر منه وقال له : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم<sup>(١)</sup> ثم قال إنى نظرت فى أمر هذا النبى فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكذاب ، وسأناظر ، ثم كتب رد الخطاب ، فقال فيه : « لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وكنت أظنه بالثام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بحاريتين لهما مكان عظيم فى القبط ، وبثياب وأهديت إليك بفسلة تركبها والسلام » وإحدى الجاريتين مارية التى تسراها رسول الله وولدت له إبراهيم والأخرى أعطها حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان وقيل أربع جوار ، ومما أهدى غلام خصى اسمه « مابور » وحمار أسمى عفيرا أو يعفوراً وقد أسمى النبى البغلة دلدا وكانت فريدة بياضها بين البغال التى عرفتها بلاد العرب .

وخطاب المقوقس هذا يدل على ! كباره لرسول الله كما يدل على أنه لم يسلم ، ولم يهد ، والذي يبدو أن الرجل خاف على ملكه ولولا هذا لآمن ونال حظله من الإسلام .

## كتاب النجاشى

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى النجاشى ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضميرى ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى

النجاشي عظيم الحبشة سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » فان آيت فعليك ائمة النصرارى من قومك « (١) .

ولما وصله الكتاب احقرمه وكرم حامله وقال له : انى أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن أعوانى بالحبشة قليل فانظرنى حتى أكثر الأعوان وألين القلوب وفى بعض الروايات انه أسلم والصحيح خلافه فى صحيح مسلم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم الى الله تعالى وليس بالنجاشي الذى صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم بعث اليه رسول الله بكتاب آخر مع عمرو ايضا بشأن مساعدة مهاجرى الحبشة على الخروج إلى المدينة ، فآدهم سفينتين حملتاها لهما فوصلوا عقب فتح خيبر كما سيأتى إن شاء الله

## بقية الكتب

« كتاب المنذر بن ساوى »

ووجه عليه الصلاة العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعو وقومه إلى الإسلام فأسلم فأقره النبى على إمارته وأوصاه بالنصح والطاعة والإصلاح ، وأن لا يكره أحداً على الإسلام ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية .

« كتاب أمير بصرى »

وأرسل عليه الصلاة والسلام الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى

فلما بلغ مؤتة - قرية بمشارف الشام - تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني قال له : أين تريد ؟ قال : الشام قال : لعلك من رسل محمد ؟ قال نعم فأمر به فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله رسول غيره

### « كتاب أمير دمشق »

ووجه عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني أمير دمشق من قبل هرقل يدعو إلى الاسلام ، ويعدده ملكه إن أسلم فلما وصله الكتاب رمى به ، وقال : من يترزع مني ملكي ؟ واستمد ليرسل جيشا لحرب النبي وقال لشجاع : أخبر صاحبك بما ترى ، ثم أرسل إلى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف ذلك مجيء دحية بكتاب رسول الله إلى هرقل فكتب إليه يثنيه عن عزمه ، فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرخ شجاعا بالحنى ووصله بنفقة وكسوة .

### « كتاب ملك اليمامة »

ووجه النبي سليط بن عمر العامري بكتاب إلى هوزة بن علي ملك اليمامة يدعو إلى الاسلام ووعده أن يجعل له ما تحت يديه إن أسلم فكتب في رد الكتاب ما أحسن ماتدعوا إليه وأجله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك ، فلما بلغ كتابه الرسول قال . « لو سألت قطعة من الأرض ما فعلت ، باد وباد ما في يديه » فلم يلبث أن مات منصرف الرسول من فتح مكة

### « كتب أخرى »

وكذلك أرسل النبي إلى جبلة بن الايهم الغساني ، وإلى الحارث بن عبد كلاله الحميري ملك اليمن وإلى جيفر وعبد أبي الجلودى ملكي عمان وإلى غيرهم من الملوك والامراء ففهم من أجاب وأسلم ومنهم من رد ردا سيئا

ويلاحظ على هذه الكتب الخبرة الدقيقة بنفوس من أرسل إليهم ، وحسن تخيير الالفاظ المناسبة لكل ، والمثيرة للعواطف والمشاعر ، كما يلاحظ أن بعض

من لم يسلم كان رده رداً جميلاً رقيقاً مما يدل على قوة الإسلام وسطوته ، وسماحة دعوته فلا تعقيد فيها ولا غموض ، وأن الصحابة الذين حملوا الكتاب ، كانوا عند حسن ظن الرسول بهم ، ووفوا بما عاهدوه عليه من الاقدام ، وأن لا يتكصوا . كما تكص بعض رسل عيسى عليه الصلاة والسلام ، كما كان عجيباً أن لم يقتل من الرسل على كثرتهم إلا واحد ، وهذا يدل على أن العالم حينئذ كان يستشرف إلى دين جديد سمح ينقذه من الحضيض الذي هوى إليه فكان هذا الدين هو الاسلام .

( لسنه السابع )

### غزوة ذي قرد<sup>(١)</sup>

لم يختلف أصحاب السير أنها كانت سنة ست قبل الحديبية وإن اختلفوا في شهرها ، وجزم الإمام البخارى بأنها كانت قبل خيبر بثلاث ليال على ما ثبت عنده من أحاديث صحيحة ، وقد رجح الحافظان ابن كثير وابن حجر ما ذهب إليه البخارى<sup>(٢)</sup> ولذلك آثرت ذكرها هنا تبعاً لما في الصحيح .

أغار عبد الرحمن بن عينة بن حصن الفزاري في جماعة من قومه غطفان على لقاح<sup>(٣)</sup> النبي ﷺ بالغابة وعلى اللقاح رجل من غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واستاقوا اللقاح وأخذوا معهم المرأة ، وكان أول من سمع بهم سلمة بن عمرو بن الأكوخ ، فقد لقيه غلام لعبد الرحمن بن عوف فأخبره فتوشح سيفه ، وتقب قوسه ، وأخذ نبله وصعد على جبل فرآهم فصاح واصباحاء<sup>(٤)</sup> (ثلاثاً) وخرج يشند في آثار القوم ، وكان عادياً لا يسبقه أحد حتى لحق بهم فجعل يرميهم بالنبل ويقول :

(١) بفتح القاف والراء وحكى الضم فهما وهو ما على نحو يريد من بلاد غطفان .

(٢) فتح الباري - ج ٧ ص ٣٧ .

(٣) جمع لقحة بكسر اللام وتحتها الابل ذوات اللبن .

(٤) كلمة فقال عند استنفار الغافل -

خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع (١)

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ، وكان رسول الله ﷺ قد سمع صباح ابن الأكوع فنادى في المدينة « الفزع . الفزع » فترامت الخيول إلى رسول الله ، فأمر عليهم سعدا وقال : اخرج في طلب القوم حتى الحلق . منهم المقداد بن الأسود ، وعباد بن بشر ، وجعد بن زيد ، وعكاشة بن محسن ، وأبو قتادة ، وما زال سلامة يكر ويفر ، حتى استنقذ منهم اللقاح واستلب منهم أكثر من ثلاثين بردة ، وثلاثين رحماً ألقوها متخفين منها ، وهم يظنون أنه ما فعل ذلك إلا ومعه كمين أو وراه مدد ، ولما أدركهم الفرسان المسلمون حمل أبو قتادة على عبد الرحمن بن عيينة فقتله ، وقتل عكاشة رجلا وابنه ، وقتل من المسلمين محرز بن فضلة ، وأخذ المشركون في السير هرباً ، ولم يلبث رسول الله أن جاء في خمسمائة من أصحابه وأقام على ذي فرد يوماً وليلة ، فقال سلامة : يا رسول الله لو سرحني ومائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم فقال العفو الكريم : « يا سلامة ملكت فأسبح (٢) » ، إنهم الآن ليغبقون في غطفان (٣) » أي فاتوا ووصلوا إلى بلادهم .

وقسم النبي الغنيمة عليهم وأعطى سلامة سهمين : سهم الراجل وسهم الفارس ، تقديرآ له ، وأردفه على ناقته المضاء ، وهم عائدون إلى المدينة ، وقال : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلامة » وعاد المسلمون بعد أن لفتوا غطفان درسا لنيسوه .

« لا نذر في معصية » وكانت امرأة الغفاري قد غافلت المشركين ، وركبت ناقة من إبل النبي حتى قدمت عليها المدينة ، وكانت نذرت إن نجاها الله عليها لتحرنها ، فلما أخبرت الرسول تبسم وقال : « بشما جزيتيها أن

(١) جمع راضع وهو الأثيم أي يوم هلاك الأثام .

(٢) أي إذا قدرت فاعف .

(٣) ايغبقون : يشربون لبن العشي ، والغبوق - بفتح العين - ما يشربه بالساء .

هلك الله عليها ونجاك بها ، ثم تنحربنها ، إنه لانذر في معصية ، ولا فيها لآئمة كبير  
وإنما هي ناقة من إبل»

« الوفاء حتى للحيوان » وإن هذه القصة لترينا حسن العهد ، وغاية الوفاء  
الذين كان يتخلق بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا الوفاء الذي شمل نبي  
الإنسان والحيوان ، وقد كان هذا ردسا علمه رسول الله هذه المرأة ليكون عبرة  
للأحيال ، إن صاحب الخلق العظيم يعلمنا أن نقابل الإحسان بالإحسان والجليل  
بالجليل ، والنعم بالشكر ، لا بالجحود والكفران ، وأن الوفاء لازم حتى للحيوان  
وبعد أن بين لها الرسول الكريم أن هذا وإن كان لا يلبق خلقا ومروءة فهو  
لا يجوز شرعا ، إذ لانذر في معصية ولا فيها لا يملكه الإنسان .

### ( غزوة خيبر )

وفي هذه السنة كانت غزوة خيبر ، وبالانتصار فيها ثم القضاء على شوكة اليهود  
في جزيرة العرب وسر جيء السلام عليها إلى بحث موقف الإسلام من اليهود بعد  
الفراغ من حوادث هذا العام .

### ( غزوة ذات الرقاع<sup>(١)</sup> )

خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع من أصحابه قيل : أربعمائة  
وقيل : سبعمائة قبل نجد يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان لما بلغه أنهم  
بمجموع الجوع له ، واستخلف على المدينة أباذر ، وقيل عثمان بن عفان ، فساروا  
حتى وصلوا « نخلا » فلقى بها جما من غطفان فتقارب للناس ولم يكن  
بينهم حرب ، وخاف المسلمون أن يأخذهم المشركون على غرة فصلى النبي  
بأصحابه صلاة الخوف ، وذلك أن طائفة منهم صفت مع النبي صلى الله عليه

(١) اختلف في تسميتها « ذات الرقاع » فقيل : لأنهم كانوا يافون على أرجلهم المحرق  
لما حثت أقدامهم ، وقيل : لأنهم رقعوا راياتهم فيها .



وسلم ووقفت طائفة تجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً، وأنمولاً أنفسهم ثم انصرفوا فصفوا تجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالساً وأنمولاً أنفسهم. ثم سلم بهم. وقد ورد عن النبي في صفة صلاة الخوف كيفيات أخرى حملها بعض العلماء على التوسع والتخيير، وأن أية طريقة منها جائزة، وحملها البعض الآخر على اختلاف الأحوال فإذا اشتد الخوف أخذ بأيسرها مؤونه، وأقلها عملاً، وهذا يدل على يسر الإسلام وسماحته، وصلاحيته لكل زمان ومكان. وقد اختلف في تحديد وقتها فالإمام البخاري يرى أنها كانت سنة سبع بعد خيبر وساق أدلته على ذلك، أما أصحاب السير فذهبوا إلى أنها قبل خيبر، وإن اختلفوا في تحديد زمانها فقيل سنة أربع، وقيل سنة خمس، وقيل في أوائل سنة ست

### ( قدوم مهاجري الحبشة )

وفي هذا العام وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة من بقي من مهاجري الحبشة وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، ومعه بضعة وخمسون رجلاً من أهل اليمن وهم الأشعريون، منهم أبو موسى الأشعري، وأخوه أبو بردة، وأبورهم، ففي صحيح البخاري عن أبي موسى أنه بلغهم مخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين إليه وركبوا سفينة ولكن الرياح عاكستها، وألقت بها إلى الحبشة، فوافوا جعفر وأصحابه هناك، فأقاموا معهم حتى بعث النبي عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي أن يجهز إليه جعفر ومن معه، فجهزهم وحملهم في سفينتين وعادوا مسكرمين إلى المدينة، وكان قدومهم بعد فتح خيبر، وقد سر النبي بمقدم جعفر وأصحابه، وقال: « ما أدري بأيها أنا أسر بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟ » وكان فيمن قدم مع جعفر زوجته أسماء بن عميس والسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج الرسول وخالد بن سعيد بن العاص، وزوجته، وولده، وعمرو بن سعيد بن العاص والأشعريون

ولما قدمت أسماء و آها الفاروق عمر قال لها : سيقناكم بالمجرة فنحن أحق  
 برسول الله ﷺ منكم ، ففضبت ، وقالت : كلا والله كيفتم مع رسول الله يطم  
 لجانكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار البعداء البغضاء ، وذلك في الله ، وفي  
 رسول الله ثم أخبرت النبي بمقالة سيدنا عمر فقال لها : « ليس بأحق بي منكم ،  
 له ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أتم أهل السفينة هجرتان » أي هجرتهم  
 إلى الحبشة ، ثم هجرتهم إلى المدينة ، فما فرح أصحاب السفينة بشيء أعظم من  
 فرحهم بمقالة الرسول .

ولما لهم من منزلة ، ولما تحملوه في سبيل الإسلام قسم لهم جميعاً من غنائم  
 خيبر ، ولم يقسم لأحد لم يشهدا غيرهم إلا ما كان من أمر أبي هريرة فقد  
 قدم على النبي مساماً ، وهو بخيبر بعد فتحها ، فكلم النبي أصحابه في شأنه  
 فاشركوه في غنيمتهم .

( قسبطار بجله و عمة )

سرية بشير بن سعد

بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد الأنصاري لقتال بني مرة بناحية فدك ،  
 فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحداً ، فاستاق نعيمهم ، وكان القوم بالوادئ  
 فجاءهم الصريخ (١) ، فأدركوه ليلاً وهو راجع ، فزأموا بالنبل ، ولما أصبح  
 الصباح أقتل الفريقان قتالاً مريراً حتى قتل عامسة من كان مع بشير وصمد هو  
 يومئذ صمود الأبطال ، وما زال يقاتل حتى أحنثه الجراح ، وظنوا أنه مات ،  
 ثم لم يلبث وقد انصرف عنه العدو أن تحامل على نفسه حتى جاء إلى رسول  
 الله وأخبره الخبر .

« سرية غالب بن عبد الله »

وفي رمضان سنة سبع بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ،

(١) الصغيت ٣٦٧ نه في لسان جله (٢)

(١) الصغيت ٣٦٧ نه في لسان جله (٢)

إلى الميعة<sup>(١)</sup> من أرض بنى مرة في جماعة من الصحابة منهم أبو مسعود البدرى، وكعب بن عجرة، وأسامة بن زيد، فأدرك أسامة بن زيد ورجل من الأنصار «مرداس بن نهيك»<sup>(٢)</sup> فلما شهرا عليه السيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى وقتله أسامة، وقد لامه الصحابة على هذا حتى سقط في يده، فلما قدموا على رسول الله أخبروه فقال: «يا أسامة كيف لك بلا إله إلا الله؟» فقال: يا رسول الله إنما قالما متعوذا من القتل، فقال النبي: «فهلما شققت عن قلبه فنظرت إليه؟» وما زال النبي يردد قوله: «فكيف لك بلا إله إلا الله، حتى تمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم وقال: إني أعطى الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله ابداً» فقال النبي: «بعدي يا أسامة»، قال: بعدك وهذا يدل على عظم حرمة كلمة التوحيد، وأن الرجل مادام أظهر كلمة الإسلام فهو معصوم الدم.

وقد حدث مثل ذلك من المقداد وغيره من الصحابة متأولين<sup>(٣)</sup> فأنزله الله هذا التأديب الإلهي في قوله: «يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعلمون خبيراً» النساء الآية ٩٤

### عمرة القضاء والقضية والقصاص<sup>(٤)</sup>

ها هو العام قد استدار، وحل ميعاد عمرة القضاء، فإين وافى ذو القعدة من عام سبع، حتى أذن مؤذن رسول الله أن يتجهزوا للعمرة، وخرج مع

(١) بكسر الميم وسكون الياء وفتح الفاء على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد

(٢) «مرداس» بكسر الميم و«نهيك» بفتح النون وكسر الهاء .

(٣) فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٨، وتفسير القرطبي ج ٥ ص ٣٣٦، ٣٣٧

(٤) سميت عمرة القضاء لأنها كانت قضاء عن العمرة الأولى وأنكر أهل ذلك .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من كان معه بالحديبية إلا من مات أو استشهد ، وخرج معه آخرون حتى بلغت عدتهم ألفين ، واستخلف على المدينة عوف بن الأضبط الديلي وقيل أبارهم ، وسار رسول الله يلبى والمسلمون يلبون بعد أن أحرموا بالعمرة ، وساقوا أمامهم الهدى ، وشهدت الصحراء هذا المشهد الرائع الذي لم تشهده من قبل ، وعجت الصحراء بالتهليل والتكبير والتلبية ، والمسلمون يغذون السير يحدوهم الشوق إلى بيت الله الحرام ، ويستخفهم الفرح بالعودة إلى البلد الطيب الذي فيه ولدوا ، وعلى زابه ترعرعوا ، وفي مغايبه كانت ذكريات الطفولة ومآرب الشباب .

وكان رسول الله — رعاية للحبيطة ، وأخذاً للحذر — قد ساق أمامه الحيل وعليها يهد بن مسلمة ، والسلاح مع بشير بن سعد حتى إذا غدر أهل مكة بهم أو أهاجمهم هائج كان السلاح قريباً منهم ، وفي مر الظهران التقى نفر من قريش بمحمد بن مسلمة في خيل المسلمين ، ورأوا السلاح مع بشير بن سعد ، فرجعوا سراعا فأخبروا قريشاً ، ففزعت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنما على كتابنا وهدتنا فقيم يغزونا يهد في أصحابه ؟ ولما بلغ رسول الله بطن يأجج حيث ينظر أنصاب الحرم<sup>(١)</sup> ترك الحيل والسلاح وبعث قريش مكرز بن حفص في نفر منهم فالتقوا بالنبي يبطن يأجج ، فقالوا يا محمد ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، وقد شرطت أن لا تدخل مكة إلا بالسيوف في القرب فقال له النبي : « إني لا أدخل عليهم السلاح » فقال مكرز : هذا الذي تعرف به : البر والوفاء .

ثم رجع إلى قريش فأخبرهم ، فخرجوا إلى رؤس الجبال ، وأخلوا مكة

---

وقد سميت بالنساء لأنها كانت بسبب التماضي والصلح بين المسلمين والمكركين في المدينة ، وتسمى عمرة القضية أيضاً لما ذكرنا ، وتسمى عمرة القصاص لأنها كانت قصاصاً عن عمرة الحديبية وقيل أقول الله تعالى : « والحرمات قصاص » لأنهم لما منعوا المسلمين من الاعتار في شهر حرام كان خزاؤهم أن يدخلوا عابهم مكة في شهر حرام من العام القابل .

للمسلمين ، واكتفوا بالنظر إليهم عن عل ، واستبد الحق والنصب ببعضهم فذهبوا إلى الخندمة ، كراهة أو ينظروا إلى النبي ، وإلى أصحابه ، ونهياً المسلمون لدخول البلد الحرام ، وركب رسول الله على ناقته القصواء ، وهؤلاء الفر الميامين ، والأبطال الأشاوس يحيطون به ، وهم متوشحون سيوفهم والسكل يقول : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » والبطل المقدم عبد الله بن رواحة آخذ بزمام الناقة وهو يرتجل ويقول .

خلوا بنى الكفار عن سيده      خلوا فكل الخير في رسوله  
يا رب إني مؤمن بقبيله      أعرف حق الله في قبوله  
نحن قتلناكم على تأويله      كما قتلناكم على تنزيهه  
ضرباً يزيل الهام عن مقيله      ويذهل الخليل عن خليله

وأنكر ابن هشام أن البيتين الأخيرين من كلام ابن رواحة وأنها لعمار ابن ياسر يوم صفين ، وقال : إنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل وفيما قاله نظر ، فإن موسى بن عقبة والحافظ البيهقي رويا هذا ، والمسلمون قد قاتلوا المشركين على تأويله ، كما قاتلوه على ما أوجبه التنزيل (١).

ودخل المسلمون المسجد الحرام ليطوفوا بالبيت ، وكان المشركون قد أرحفوا وقالوا : إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يترب وتطمعوا من رءوس الجبال ليروا الذين أضعفتهم الحمى والغربة ، فلما علم النبي بهذه المقالة اضطجع بردائه وصار يهرو (٢) وأمر المسلمين أن يضطجعوا ويهروا وقال : رحم الله

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٢٨ ، فتح الباري ج ٧ ص ٤٠٢ .

(٢) الأسطباع أن يضم منتصف إزاره تحت لباطه اليمى ثم يطرح طرفه على كتفه اليسرى ، والهرولة فوق المشى العادى ، ودون الجرى مع تقارب الخطا وهز الكتفين ، ومع مشية تنم عن القوة والتوه وهذا أصل هذه السنة ثم أبقاها الشارع لما فيها من التذكير بنعمة الله على المسلمين حيث أعزهم بعد ذلته ، وقوامهم بعد ضعفهم ونصرهم في الأرض بعد ضيعة ، وقد ذكر المرحوم الشيخ الحضرمي في سيرته : أن النبي طاف بالبيت وهو على

أمراً أراهم اليوم من نفسه قوة ، فكان إذا استلم الحجر الأسود هرولاً وهرولاً حتى إذا استلم الركن اليماني وواراه البيت منهم مشى ومشوا حتى يستلم الركن عند الحجر الأسود وهكذا فعل الأشواط الثلاثة الأولى ومشى في الأربعة الباقية ، ولولا الرحمة بهم ، والاشفاق عليهم لهروول بهم الأشواط كلها ، وبعد الطواف وصلاة ركعتين عند مقام إبراهيم سعوا بين الصفاء والمروة ، ثم حلقوا وذبحوا هديهم وبذلك تمت عمرتهم ورأى المشركون هذا المشهد المؤثر المعبر ، فخاب ظنهم ولم يكتموا ما بأنفسهم فقالوا : ما يرضون بالمشى ، أما إنهم لينفرون نفر الغناباء ، وازدادوا كدماً إلى كد .

« إقامة النبي بمكة » ومكث النبي ، والمسلمون بمكة ثلاثة أيام ، يطوفون بالبيت ويصلون ، ويعبون من ماء زمزم ، وقد قضوا بعد حاجات النفس المشوقة إلى بيت الله الحرام ، وفي صبح اليوم الرابع جاء سهيل بن عمرو وحويطب ابن عبد العزى إلى رسول الله وهو يتحدث مع سعد بن عباد ، فصاح حويطب نناشدك الله والعهد لما خرجت عن أرضنا فقد مضت الثلاث فقال سعد : كذبت ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج ، ولكن رسول الله حسم المخاصمة وقال لهما : « إني قد تكلمت فيكم امرأة - ميمونة - فإي يضركم أن أمكحت حتى أدخل بها ، ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا » وذلك تطييباً لنفوسهم ، وتأليفاً لقلوبهم ، ولكنهما أيها فامر رسول الله أبا رافع فأذن بالرحيل ، فارتحل الرسول وأصحابه حتى نزلوا بسرف - قرية قرب مكة - وأقاموا هناك وفيها بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزوجه ميمونة ، ثم ارتحلوا إلى المدينة وأسلمتهم تلميحاً بالشكر والثناء على الله ، أن صدق وعده ، ونصر عبده ، وهم يرددون قول الله سبحانه « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » .

---

- نائنه ، واستلم الركن بمحج - في يده وهذا ليس بصحيح وإنما كان ذلك في حجة لوداع وهذا الذي ذكرناه هو عاذكره ابن اسحاق وثبت في الأحاديث الصحاغ

« حادثة وقضية » ولما خرج النبي من مكة تبعته فاطمة ابنة حمزة شهيد أحد وكان جارية صغيرة ، وقالت : يا عم يا عم ، فتناولها على وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك فحملتها فلما رجعوا الى المدينة اختصم فيها على ، وزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب فقال على : أنا اخذتها وهي ابنة عمي ، وعندى ابنة رسول الله وهي أحق بها ، وقال جعفر ابنة عمي وخالها تحتي (١) ، وقال زيد ابنة أخي (٢) ففضى النبي بها لخالها وقال : « الخالة بمنزلة الام » ثم طيب خاطر كل واحد من هؤلاء الثلاثة فقال لعلى . « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر : « أشبهت خلقتي وخلقى (٣) » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا ، ولما كبرت قال على للنبي : ألا تزوج ابنة حمزة فقال : « إنها ابنة أخي من الرضاة » .

وإن لنا هنا لواقفة عند هذه القضية الشائكة ، فكل من الثلاثة أدلى بحججه ، وعلى وجعفر تربطهما بالنبي صلة القرابة الوثيقة ، وهما بالنسبة للبنات ابنا عمومة ، وزيد تربطه بالنبي علاقة تربية ومحبه بهما آثر النبي على أهله حتى تبناه النبي ثم أبطل ذلك الإسلام فيما أبطل ، قضية محيرة حقا ، ولكن ذا القلب الكبير والعقل الواسع قضى فيها خير ما يكون القضاء ، فزيد مهمل نال من شرف الاخوة وحقها حمزة فهو دون على وجعفر في استحقاق ابنة حمزة ، وقد يرى بعض بنى هاشم في تربيتها في بيت مولى لهم ما يخل بمنزلتهم في قريش ، أو ترى البنت الهاشمية في ذلك غضاضة عليها فبقي التفاضل بين على وجعفر ، كلاهما من بنى هاشم ؛ وكلاهما ابن عم لها ، وكلاهما من السابقين الأولين من المهاجرين ومنزلتهما في الإسلام معروفة ، فليكن التفاضل بما وراء ذلك فمن ثم قضى بها لجعفر ، لأن خالتها عنده والخاله كما قال الصادق

(١) لأن أم البنت هي سلمى بنت عميس اخت أسماء بنت عميس

(٢) لأن النبي كان أخي بن حمزة وزيد حين عقد المؤاخاه بين المسلمين

(٣) الأولى بفتح الميم وسكون اللام والثانية بضم الغاء واللام .

الصدوق بمنزلة الام ، وقد يبدو بادىء الرأى أن عليا كان أولى بها ، لأنه ابن عم ، وزوجه بنت عم لها ، ولكن كيف ؟ وابنة العم مهما بلغت من الكرم والتسامح والرعاية لن تكون كالحالة ، وربما ترى في وجود ابنة العم معها - وهى من تحل لزوجها - منافسا لها ، فلا تعجب إذا كان صاحب القلب المضىء ، والنظر الرحيب قد قضى بهذا القضاء العادل الحكيم فقضى بها لجعفر ، أو إن شئت الدقة فقل لحالتها التى عنده أسماء بنت عميس ، وهى من هى ديننا وخلقنا وتضحية فى سبيل الله ورسوله ولا يخفى على العارف بالنفوس البشرية ، وما يدب فيها من الخواطر والهواجس ما عسى أن يداخل نفوسهم من ألم أو خواطر لفوات ما كانت تحب وتهوى ، أو هوان وضعف منزلها ، فيطيب خاطر الثلاثة بهذه الاوصاف المشرفة الموزونة بميزان عادل دقيق لا يمكن أن يكون إلا من أوتى جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصارا ، وبهذا جمع النبى صلوات الله وسلامه عليه بين جلال الحق العادل وجمال تطيب الخاطر .

### ( تشريعات وحوادث هذا العام )

« تحريم لحوم الحمر الأهلية وغيرها » وفى غزوة خيبر حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الأهلية - الإنسية - وحرم لحوم كل ذى ناب من السباع ، و كل ذى مخلب من الطير ، روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر » ورويا بسندهما عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم جاءه جاء فقال : أكلت الحمر ، ثم جاءه جاء فقال : أكلت الحمر ، ثم جاءه جاء فقال : أفنيت الحمر فأمر مناديا ينادى فى الناس إن رسول الله إنما كرم عن لحوم الحمر الأهلية فانها رجس فأكفئت القدور وإنما لتفور باللحم »

وروى مسلم عن ابن عباس قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم



عن كل ذى ناب من السباع و كل ذى مخلب من الطير » و بينت رواية الترمذى أن ذلك كان في خير<sup>(١)</sup>

### (تحريم نكاح المتعة)

وفي خير أيضا حرم النبي نكاح المتعة ، وهو النكاح لأجل ، ولم يكن يستلزم طلاقا ولا عدة ، ولا يستوجب ميراثا ، وقد كان هذا النكاح معروفا في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام أباحها في بعض الغزوات للضرورة القصوى ففي حديث ابن مسعود « أنهم كانوا اذا غزوا اشتدت عليهم العزبة فأذن لهم في الاستمتاع » وقد ورد في حل المتعة ثم تحريمها أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما، ففي الصحيحين عن علي رضى الله تعالى عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة ، عام خير ، ولحوم الحرم الاهلية » وفي صحيح البخارى عن علي أيضا التصريح بأن نكاح المتعة نسخ ، وتحريم المقال ، في هذا المقام ، الذى كثر فيه للقليل والقال ، أن تحريم المتعة بعد اباحتها وقع مرتين : الأولى يوم خير ، والثانية يوم فتح مكة أبيضت ثلاثة أيام ثم حرمت بعد ذلك تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة ، ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء إلا الشيعة ، وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول باباحتها ، وروى عنه أنه رجع عنه ، بل قد ورد عنه كان يبيحها للضرورة ، فقد روى الخطابي والفاكهي عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس لقد سارت بفتياك الركبان ، وقال فيها الشعراء ، فقال : والله ما هذا أفيت وماهى إلا كالميتة لا تحل إلا للمضطر ، فإذا ثبت ذلك وأنه رجع عن مقاله فقد تأكد الإجماع على حرمتها بعد الفتح إلى يوم القيامة ، وأجمع العلماء على أنه متى وقع نكاح المتعة الآن حكمه بطلانه سواء كان قبل الدخول ، أو بعده ، إلا ماورد عن زفر من الحنفية فى انه يتأيد نكاحه ، وكأنه يرى التوقيت من باب الشروط الفاسدة فى النكاح ، فإنها تلغى ويصح النكاح

(١) فتح للبارى ج ٩ ص ٥٤٠ ، صحيح مسلم بشرح الدرود ج ١٣ ص ٩١ ، ٨٢

ولا أدري كيف يستحل الشيعة نكاح المتعة ، ويقولون ببقائه بعد ما ثبت في الصحيحين عن الإمام علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها وانها منسوخة (١) والحق أحق ان يتبع

### ( زواج النبي بصفية بنت حيي النضيرية )

هي السيدة صفية بنت حيي بن أخطب من ذرية هرون بن عمران ، ومن سبط لاوي بن يعقوب ، ولما أجلى النبي يهود بني النضير من المدينة ، ذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم أبوها حيي سيد بني النضير وبنو أبي الحقيق ، وكانت صفية حينئذ دون البلوغ فلما بلغت تزوجها سلام بن مشكم ثم خلفه عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكان عنده كنز بن النضير فجيء به إلى الرسول بعد هزيمة يهود خيبر ، فسأله عن الكنز فجمعه ، فقال له النبي : « رأيت إن وجدناه ، عندك أأنتك » ؟ قال : نعم فأتى رسول الله رجل من اليهود فقال : يا رسول الله إني رأيت كنانة يطيف بهذه الحربة كل غداة ، فأمر الرسول بالحربة فحفرت ، فأخرج منها بعض الكنز ، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه ، فدفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة الذي قتل اليهود في خيبر ، ولما فتح المسلمون القموص ، حصن بنو أبي الحقيق كانت صفية في السبي ، فأعطاهم درجة السكابي ، فجاء رجل إلى النبي فقال : يا رسول الله أعطيت درجة صفية بنت حيي سيدة قومها ، وهي ما تصلح إلا لك ، فاستحسن النبي ما أشار به الرجل ، وقال لدرجة : « خذ جارية من السبي غيرها » ثم أخذها رسول الله وأعتقها وجعل عتقها صداقها وهكذا رد النبي إليها بصنيعة هذا اعتبارها ، وحفظ لها شرفها وسيادتها وذكر ابن سعد عن الواقدي قال : لم يخرج النبي من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها فحملها وراءه ، فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها فأبى عليه فوجد في نفسه ، فلما كان بالصهباء نزل بها

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ١٢٩ - ١٨١ فتح الباري بشرح صحيح

هناك فشطتها أم سليم ، وعطرتها ، وزفتها إلى النبي وبنى بها ، فسألها « وما حملك على الامتناع من التزول أولاً ؟ » فقالت خشيت عليك من قرب اليهود فمظمت في نفسه ، ومكث رسول الله بالصبياء ثلاثة أيام ، وأولم عليها ودها المسلمين ، وما كان فيها من لحم وإنما النمر والأقط والسمن ، فقال المسلمون : احدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه : فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد عليها الحجاب ، فأيقنوا أنها إحدى أمهات المؤمنين ، وقد بلغ من اكرام النبي لها أنه كان يجلس عند بعيه فيضع ركبته لتضع صفة رجلها على ركبته حتى تركب ، وقد بلغ من أدها أنها كانت تأتي أن تضع رجلها على ركبته ، فكانت تضع ركبته على ركبته وتركب .

ولما كانت ليست بعريه ولا قرشية كان بعض نساء النبي يدلن عليها ويحاولن النيل منها ، ولكن العادل المنصف ، وناصر الضعفاء كان ينتصر لها وينافح عنها ويلقنها كيف ترد عليهن ، فقد بلغ النبي أن عائشة وحفصة نالتا منها فقال لها : « الاقلت : وكيف تكونان خيرا مني ! وزوجي محمد

موسى ، رواء الترمذى ، بل بلغ من انتصار النبي لها أن هجر زينب جحش مدة لنيلها منها ، ووصفها لها باليهودية ، رواء ابن سعد فلا عجب أن كانت تحب رسول الله جبا جبا ، وشديدة الوفاء والاخلاص له ، ففي مرض موته اجتمع نسائه حوله ، فقالت صفيه : يا نبي الله لوددت أن الذى بك بى فغمزني يبصرهن ، فقال « مضمضن » فقلن : من أى شيء ؟ فقال « من تغامزكن بها والله أنها لصادقة ، وقدرت عن النبي الأحاديث ، وروى عنها ، وكانت صفة عاقلة حليلة صادقة ، يروى أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه فقالت : إن صفة تحب السبت ، وتصل اليهود ، فبعث إليها فسألها عن ذلك ، فقالت : أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلتني الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لى فيهم رحماً ، فإنا أصلها فقبل منها ، ثم قالت للجارية : ما حملك على هذا ؟ قالت : الشيطان ، فقالت لها : اذهبي فأنت حرة وكانت وفاتها في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية وقيل سنة اثنتين وخمسين رضى الله عنها وارضاهها<sup>(١)</sup> .

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٦ ، الإصابة والاستيعاب ج ٤ ص ٣٤٧ .

« حكمة زواجه بها ، وما ذكرنا يتبين لنا أن النبي لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة ، أو إشباعاً للغريزة الجنسية كما يزعم الأفاكون ، وإنما أراد اعزازها وتكريمها وصيانتها من أن تفتش لرجل لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها ، هذا إلى ما فيه من العزاء لها فقد قتل أبوها من قبل زوجها وكثير من قومها ، ولم يكن هناك أجل مما صنعه الرسول معها ، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من عداوتهم للإسلام ، والانضواء تحت لوائه والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد ، وقد ضرب النبي بزواجه بها بعد أن أعتقها في باب التسامح والعفو المثل الأعلى فطالما نال النبي والمسلمين قومها الشر الكثير ، ولا سيما أبوها الذي جمع الجموع في الأحزاب وكان دائم التآلب على النبي ، وكان للنبي أن يدعها مملوكة له يستحقها بملك اليمين ، أو يتركها سبية عند رجل ربما لا يعرف لها قدرها ، ولكنه النبي الإنسان الذي أدبه ربه فاحسن تأديبه وأوفى في مكارم الأخلاق على الغاية .

« حراسة أبي أيوب للنبي » ولما أعرس الرسول بصفية في قبة له ، بات السيد الجليل أبو أيوب الأنصاري يحرس رسول الله ويطيّف بالقبة من بعد ، فلما أصبح الصباح ورأى النبي مكانه قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة ، وقد قتل أبوها ، وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فسر الرسول بعمله الذي ينبيء عن غاية الحب والإيمان وقال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحرسني .

### ( زواج النبي بميمونة بنت الحارث )

وفي ذي القعدة من هذا العام تزوج النبي ﷺ السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية ، أخت أم الفضل ليا بة الكبرى ، زوج سمة العباس وكانت قبل النبي عند أبي رهم بن عبد العزى وقيل عند حويطب بن عبد العزى<sup>(١)</sup> وكانت جعلت أمرها

(١) ذكر المرحوم الشيخ الخضري في « نور البين » ص ٢١٧ أنها كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ولم أر هذا لغيره .

إلى أختها أم الفضل ، فجمعت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فعرضها  
العباس — وقد تأيئت — على رسول الله فقبل<sup>(١)</sup> ، وأصدقها العباس عن الرسول  
أربعمائة درهم ولما بلغت خطبة النبي وهي راكبة على بعير قالت : اجمل وما عليه  
لرسول الله ، وقد أراد النبي أن يدخل بها وهو بمكة ، فأبى المشركون ذلك كما  
ذكرنا ، فخرج وبني بها وهو بسرف ، وكانت آخر امرأة تزوجها رسول الله  
من دخل بهن كما قال أبو سعد وقد اختلفت الروايات في الصحيحين وغيرهما  
أتزوجها النبي وهو محرم أم وهو حلال ؟ فمن ابن عباس تزوجها وهو محرم  
وروى غيره أنه تزوجها وهو حلال ، فمن جمع العلماء بين الروايات بأنه عقد  
عليها وهو محرم ودخل بها وهو حلال بعد قضاء عمرته ، وقد شاء الله أن تكون  
وفاتها بسرف حيث بنى بها النبي ، ودفنت هناك وكانت وفاتها سنة إحدى وخمسين  
وقيل سنة إحدى وستين فرضى الله عنها وأرضاها<sup>(٢)</sup> .

(الحكمة في زواجها) قد سمعت أن العباس عرضها على الرسول فكان من  
أدب النبي مع عمه — والعم صنو الأب — أن لا يرد له رغبة شريفة ، ولا سيما  
أن في تحقيق هذه الرغبة توثيق الصلة بعمه العباس ، وتأليفه إلى الدخول في  
الإسلام ، ويزوج عمه أم الفضل وهي من السابقات إلى الإسلام ، وبابن عمه جعفر  
فقد كانت زوجته أسماء بنت عميس أختا ميمونة من أمها ، كما كانت سلمى  
بنت عميس زوجة سيد الشهداء حمزة أختاً لها من أمها ولعل النبي أراد ما هو  
أهم من هذا وهو استئالة البطل المغوار خالد بن الوليد فقد كانت ميمونة أختاً  
لأمه أم لبانة الصغرى ، هذا إلى ما في زواج الرسول بها من توثيق صلته بقبيلة  
من أشرف القبائل العربية ، وهم بنو هلال وبغيرها من قبائل العرب ؛ فقد  
ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب<sup>(٣)</sup> أن ميمونة بنت الحارث كان لها ثلاث أخوات .

(١) وإيل . أن النبي أرسر جاز بن أمير طالب فضطها عليه ، فلعلها لما بلغت خطبة .  
وكانت من يتولى العقد .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٤١١ .

(٣) ج ٤ ص ٤٠٤ .

شقيقات ، وأربع اخوات من أمها . وكلهن كن متزوجات في أشرف القبائل  
وبعضهن كن من المنجيات ، ولأولادهن منازل عالية في الإسلام ، وكان النبي  
يسمى أم لبابة الكبرى ، وميمومة وأسما وسلمى (الأخوات المؤمنات )  
وبحسبهم ذلك شرفاً .

### ( موقف النبي من اليهود وموقفهم منه )

ذكرنا فيما سبق أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وادع اليهود وكتب بينه وبينهم  
كتاباً شرط لهم فيه وشرط عليهم وأقرهم على دينهم بشرط أن لا ينفـدروا ،  
ولا يمالئوا عليه عدوا ، ولكن اليهود قوم في طبيعتهم الغدر والدس والحيانة  
فقابلوا هذا الإحسان بالإساءة وحاربوا الدعوة الإسلامية بأساليبهم الماكرة  
حرباً لا هوادة فيها ، فقد هموا بقتل النبي وهل بدارهم لولا أن عصمه الله منهم ،  
وطالما سعوا في افسادها ما بين المسلمين ولا سيما الأوس والخزرج من أخوة  
وحبة كانت بفضل اعتناقهم الإسلام ، وكثيراً ما قصوا العهود وحاولوا طعن  
المسلمين من ظهورهم ، وكثيراً ما ألبوا عليه المشركين والقبائل كما حدث في  
عزوة الأحزاب ، وهكذا كانت حياتهم في المدينة وما جاورها سلسلة من  
المخازي ، والمؤمرات الدنيئة ، فلم يكن بد من أن يقف النبي منهم موقفاً حازماً  
فاجتلاهم عن المدينة واستراح من شرورهم ، وقتل من يستحق منهم القتل ،  
ولم تأت السنة السابعة حتى تقوض سلطانهم في شبه الجزيرة ولم يعد لهم شأن  
يذكر ، وأذعنوا السلطان الإسلام وسطوته وهذا إيجاز يحتاج إلى  
تفصيل وإليك البيان .

### ( محاولتهم الواقعة بين الأوس والخزرج )

مر شاس بن قيس وكان شيخاً كبيراً عظيماً الكفر ، شديد الطعن على  
المسلمين على نفر من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون ففاظه ما رأى  
من ألتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان يدهم في الجاهلية من

العداوات والإحن فقال : قد اجتمع ملائكة بنى قيلة — الأوس والخزرج — بهذه البلاد لا والله ما لنا إذا اجتمعوا بها من قرار ، فأمر شابا من اليهود كان معه فذكرهم بيوم بعثت (١) وما كان فيه ، وما تقاولوا فيه من الأشعار ففعل فتكلم القوم وتفاخروا ، وتواثبوا حتى قال أحدهم للآخر : إن شئتُم رددتها — أى الحرب — الآن جذعة ، وغضب الفريقان ، وتنادوا : السلاح السلاح موعدكم الحرة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فذهب إليهم في جماعة من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين أبدو عوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ؛ وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ، الله الله » فأفاق القوم من غضبهم ، وعلموا أنها زعة شيطانية وكيد من عدوهم فألقوا السلاح ، وبكوا وعانق بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين وفي هذا نزل قول الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ) إلى قوله ( كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ) (٢) ولولا حكمة النبي لكان من وراء هذه الفتنة شر كثير .

### « الجدل بين اليهود والمسلمين »

( من مخازى بنى إسرائيل وأكاذيبهم )

وئارت بين المسلمين واليهود حرب كلامية ، تذرع فيها اليهود بالأباطيل والاختلاق على الله وعلى الرسل ، ونسبوا إليهم ما لا يليق بهم ، وروى ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر رضى الله عنه بيت المدراس (٣)

(١) بضم الياء ، وفتح العين : يوم جرت فيه حرب بين الأوس والخزرج وكان

الغالب الأوس

(٢) آل عمران ١٠٠ — ١٠٣ (٣) المدراس المكتبة التي يدرسون فيها كتبهم

(م ٢١ — السيرة النبوية ج ٢)

فوجد من اليهود ناسا كثيرين قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له : فنحاص<sup>(١)</sup> بن عاز وراء من علمائهم وأجبارهم ، فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن هذا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم في التوراه والإنجيل ، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة ، وإنا إيلنا لفقير وإنا عنه لأغنياء ، لو كان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم<sup>(٢)</sup> ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا !! فغضب الصديق وضرب وجهه ضربة شديدة — على ما كان يتصف به الصديق من الحلم والرزانه والوقار — وقال : والذي نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنحاص شاكيا إلى رسول الله ، فقال الرسول لأبى بكر ما حملك على ما صنعت فأخبره بمقالة فنحاص وتجرئه على الله ، فبجهد فنحاص فانزل الله سبحانه وتعالى : ( لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ... ) الآيتين<sup>(٣)</sup>

وزعموا أيضا أن الله أخذ عليهم العهد أن لا يؤمنوا برسول حتى يقدم قربانا ، فتأتى نار من السماء فتأكله ، وأنهم لن يؤمنوا برسول الله حتى يكون كذلك ، وقد أكذبهم الله ورد عليهم ردا مفتحها فقال : ( الذين قالوا : إن الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل : قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم ، فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين<sup>(٤)</sup> )

وقد يستبد ببعضهم للغضب والحق ، فينكر بعض الحقائق الثابتة التى يقر بها ، جاء مالك بن الصيف ليخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى :

(١) فنامى : بكسر الفاء وسكون النون

(٢) يريد قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة »

(٣) و (٤) آل عمران ١٨١ - ١٨٣



« أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجدد في التوراة أن الله يغيض الحبر السمين » - وكان حبراً سمياً - فغضب وقال : « ما أنزل الله على بشر من شيء » فلما لاهه أصحابه على مقالته قال : أغضبني محمد فقلت ذلك ، وقد ذكر الله مقالتهم ، والرد عليها في قوله : « وما قدروا الله حق قدره ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس بيدونها ، وتخفون كثيراً ، وعلتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ، قل الله ، ثم ذرهم ، في خوضهم يلعبون ، (١) إلى غير ذلك مما أثاروه من جدل حول تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة . وأى المسجدين أفضل الكعبة أم بيت المقدس ؛ (٢) وأى النبيين هو الذبيح إسماعيل أم اسحاق ؛ (٣) وحكم الزاني المحصن في التوراة أهو الرجم أم الجلد ؟ وتحريفهم للتوراة ، ولا سيما فيما يتعلق بالبيشارة بالنبي ، وقد كانوا قبل البعثة المحمدية يقولون للأوس والخزرج : إنه قرب زمان نبي يبعث في آخر الزمان سنتبعه وسنقتلكم معه قتل عاد وإرم » فلما جاءهم النبي العربي المؤيد بالوحي والمعجزات الباهرة كفروا وعاندوا وصدق الله في قوله : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » (٤) وهكذا ثارت حرب كلامية في هذا المسائل وغيرها وكان للمسلمين فيها الغلب والحجة . واليهود البهت والعجز .

### « اليهود بالجزيرة العربية »

كان يساكن المسلمون بالمدينة يهود بنى قينقاع ، ويهود بنى النضير ، ويهود بنى قريظة ، كما كانت تسكن منهم جالية كبيرة بنجيب و ما جاورها . وإليك

(١) الأنعام ٩١ (٢) قد أوضحت أفضلية الكعبة في الجزء الأول

(٣) قد حقت ذلك في الجزء الأول (٤) البقرة ٨٩ ، ١٠١

ماحا كوه من دسائس ، وما هموا به من شر ، وما قاموا به من مناهضة للدعوة  
لترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على حق فيما صنع معهم وأن أجلاءهم كان  
لابد منه لتأمين الدعوة .

### « يهود بنى قينقاع »

لما اتصر المسلمون بيد حرك هذا الأحقاد في نفوس الأعداء ولاسيما  
اليهود ، وصاروا يرجفون بالمدينة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
يعظم بالحسنى ويدعوهم إلى ترك المعاندة والدخول في الاسلام ، فذهب  
رسول الله إلى يهود بنى قينقاع ، وجمعهم في سوق لهم ، ثم قال : يا معشر يهود  
احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النعمة ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم  
أنى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم ، فقالوا : يا محمد لا يفرنك  
أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحروب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك  
لتعلمن أنا نحن الناس » وتمادوا في غيهم فأنزل الله في شأنهم محذراً قوله تعالى :  
« قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم  
آية في فتنين التمتنا : فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة... ( الآية (١) يريد  
سبحانه فتى المؤمنين والكافرين في بدر فلم يرعوا .

( تماديمهم في الشر ) ، وتمادوا في الشر ولم يعبأوا بالقيم الخلقية ، والتقاليد  
الكريمة العربية ، ذلك أن امرأة من العرب قدمت بحليب لها فباعته بسوق  
بنى قينقاع ، ثم جلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف  
وجهاها فأبت ، فعمد الصائغ إلى عمل مشين ، فقد عقد طرف ثوبها إلى ظهرها  
وهى لا تشعر ، فلما قامت انكشفت سواتها ، فضحكوا منها ، فصاحت  
واستغاثت نوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله فنجع اليهود  
على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين فغضب المسلمون ووقع  
الشر بينهم وبين اليهود ولاتنس ما لهذا العمل الدنيء من أنارة النفوس  
العربية التي حبلت على حمايه الاعراض ، وصيانة النساء من مثل هذا البعث ،

والاستهانة بكل شيء في سبيل الشرف والكرامة .

« غزوة بني قينقاع » لذلك لم يجد النبي بداً من شزومهم وقد نقضوا العهد بهذه الفعلة النكراء ، واخبرهم بنقض العهد الذي كان بينه وبينهم تأدباً بادب القرآن في هذا حيث يقول : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » (١) ثم حاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم الله ورسوله ، فاستشار الرسول كبار أصحابه فأشاروا بقتلهم وكان لهم حليفان: عبد الله بن أبي المنافق ، وعبادة بن الصامت ، فأما عبادة فقد تبرأ إلى الله ورسوله منهم وقال : يا رسول الله أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم (٢) وأما ابن أبي فقال : يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه الرسول ، ثم كرر مقاتله والرسول يعرض عنه ، وما زال يلح على الرسول ويقول : إني أخشى الدوائر حتى قبل شفاعته فيهم على أن يخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الأموال ، ووكل رسول الله عبادة بن الصامت باجلأئهم وأمهاتهم ثلاث ليال فذهبوا إلى أزرعات على حدود الشام وبذلك أزال الله سبحانه عن المسلمين شر شوكة من الشوكات الثلاث التي كانت في ظهورهم آنذاك وكان ذلك في أوائل سنة ثلاث وقيل في شوال سنة ثنتين للهجرة وفي شأن ابن أبي وموالاته لهم ، وعبادة بن الصامت ، وبراءة منهم أنزل الله آيات كريمة ، لتكون درساً للمسلمين يعلمهم من يوالون ، ومن لا يوالون فقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض - نفاق - يسارعون فيهم يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين ، والمراد عبد الله بن أبي وأصحابه إلى قوله تعالى ( إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا

(١) الأنفال ٥٨ (٢) هذا هو الصحيح لا ما ذكره الدكتور هيكل في كتابه « حياة

محمد » ص ٢٧٤ من أنه حدث النبي بحديث ابن أبي وشتم فيهم .

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهمرا كعون» (١) يعنى عبادة بن الصامت  
ومن على شاكلته من المؤمنين .

### « قتل كعب بن الأشرف »

كان كعب بن الأشرف (٢) شديد العداوة للإسلام ورسوله، ولما هزم المشركون  
يئدر قال ، لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ، ثم  
خرج إلى مكة يندب من مات ، ويحرض على رسول الله والمسلمين ولما عاد إلى  
المدينة صار يشبب (٣) بنساء المسلمين ، ويقذع في هجاء النبي وأصحابه ، فقال رسول  
الله : من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله ؟ فقال محمد بن مسلمة  
الأنصاري الاوسى : أنا : وقال : إئذن لى أن أقول شيئا فيك ، فقال له النبي  
« قل » وانضم إليه نفر من قومه منهم أبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاع ،  
وعباد بن بشر بن نهيك ، والحارث بن أوس فاجتمعوا فيما بينهم كى يحكموا  
الخطبة لاغتتيال عدو الله كعب ، فخرج حتى أتى كعبا فوقع في الرسول حتى ركن  
إليه كعب ، واستسلمه وسقا أو وسقين فقال : نعم ولكن ارهنونى قال: أى  
شئ تريد ؟ قال نساءكم قالوا : وكيف وأنت أجمل العرب ؟ قال فارهنونى  
أبناءكم قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فتكون مسبة وعارا علينا ، ولكن نرهنك  
السلح وذلك حتى لا يتسكر منهم بجيئهم بالسلح ، فواعده أن يأتيه ليلا بالسلح  
فخرج محمد بن مسلمة ومعه أبو نائلة وصحبه وكلهم من الأوس حتى أتوه فناداه  
محمد بن مسلمة وأبو نائلة فأراد أن ينزل فقالت له امرأته أين تخرج الساعة ؟ إنى أسمع

(١) لمائة ٥١ - ٥٥

(٢) قال ابن اسحاق وغيره : كان عربيا من بنى نبهان وهم بطن من طي . وكان أبوه  
أصاب دماق الجاهلية فأتى المدينة خالف بنى النضير ، فمصرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبي المبيع  
فولدت له كعبا ، وكان طويلًا جسيما فى البطن وهامة .

(٣) التشبيب ، ذكر محاسن النساء والتعرض لهن

صوتاً يقطر منه الدم : فقال لها : إنما هو أخى محمد بن مسامة ورضيعى أبو نائلة<sup>(١)</sup> ، إن الكريم لو دعى إلى طعنة لبلى لأجاب ، ثم قال محمد إذا جاء فسأخذ بشعره فأشبهه فإذا رأيتونى استمكنت منه فاضر بوه فنزل كعب اليهم متوشحاً سيفه وهو ينفع منه وريح المسك فقال له محمد : ما رأيت كاليوم ريحاً أطيب أنأذن لى أن أتم رأسك ؟ قال نعم فشبهه — وكذلك فعل أبو نائلة<sup>(٢)</sup> — فلما استمكن منه قال : دونكم فاقتلوه ففعلوا ثم أتوا النبي فأخبروه<sup>(٣)</sup> ، وبذلك أراحوا المسلمين من هذا الشر المستطير وهكذا كان الرسول إذ رأى من أحد من اليهود غدرآ وتآلبياً عليه ومخاربة للدعوة أرسل إليه من يريحهم من شره ، وكان قتله فى ربيع الأول من السنة الثالثة كما ذكره ابن سعد فى طبقاته .

### ( غزوة بنى النضير )

وكان يهود بنى النضير ممن عاهدهم النبي ووادهم على أن يأمن كل فريق الآخر لكنهم لم يفوا بالعهد وهموا بقتل الرسول ذلك أن عمرو بن أمية الضمري الذى نجا من سرية القراء لقى أثناء رجوعه إلى المدينة رجلين من بنى عامر ، فقتلتهما . وهو يظن أنه أصاب بذلك بعض الثأر من بنى عامر الذين غدروا بهم ، ولم يشعر بعهدهما الذى لهما من رسول الله فقال له الرسول : « لقد قتلت رجلين لأدينيهما<sup>(٤)</sup> » وكان بين بنى عامر وبنى النضير عهد وحلف ، فخرج رسول الله إلى بنى النضير يستعينهم فى دية الرجلين فى جماعة من صحابته منهم أبو بكر وعمر

(١) اسمه سلسكان بن سلامة بن ونش وقيل اسمه سعد ، واقبه سلكان وكان أخا كعب من الرضاع كما كان نديمه فى الجاهلية وبرك إليه وذكر الواقدي أن محمد بن سلامة كان أخاه من الرضاع أيضاً

(٢) فى السيرة لابن هشام : « أن أبا نائلة ، هو الذى وقم فى الرسول ، وأنه هو الذى أخذ برأسه - حتى قتله » ولعل الاثنين اشتراكاً فى النيل من الرسول ، والأخذ برأسه وقد أقرت ذكر ما فى صحيح البخارى ،

(٣) صحيح البخارى - كتاب المغارى - باب قتل كعب بن الأشرف .

(٤) لأذنين الدية إلى أهلها .

وعلى ، فلما جاءهم أظهروا له حسن الاستعداد لإجابته ، ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة ، وكان رسول الله ﷺ جالساً إلى جنب جدار من بينهم ، فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك الشقي عمرو بن جحاش فقال أنا لذلك ، فصعد ليلقي للصخرة ، فأبى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبي أصحابه قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه بالمدينة ، فاخبرهم بما كانت اليهود اعترفته من الغدر بهم ، فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسleme إليهم يخبرهم الخروج من جواره بالمدينة وأمهلمهم عشرة أيام وإلا حاق بهم الهلاك فأيقنوا أن الله أطلعه على ما أرادوا وصاروا متحيرين لا يدرون ما يفعلون وبينها هم في حيرتهم وترددهم جاءهم رسل أهل النفاق ابن أبي وأتباعه أن اتبنوا وتمنعوا ، فأنان نسلكم : إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حيي بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله أنهم لا يخرجون ، ونابدوه بنقض العهد وفي ذلك نزل قول الله تعالى « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لتخرجن معكم ولا نطبع فيكم أحداً أبداً ، ولئن قوتلتم لتنصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأعداء ، ثم لا ينصرون ، لا تتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » (١) .

« حصار بني النضير » وأمر رسول الله بالنهب والحرب وقتالهم ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وسار إليهم في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة حتى نزل بدارهم فحاصروهم ست ليال ، وقيل : خمس عشرة ليلة وقتلواهم ، ثم أمر رسول الله بقطع نخيلهم وتحريقها ليكون ذلك أدعى إلى تسليمهم فقطعت ، ففزعوا وجزهوا ونادوا : يا محمد كنت تنهى عن الفساد وتبئيه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ، ولم يكن هذا إفساداً إنما هو وسيلة لنشر السلام

والأمان والتقليل من إراقة الدماء ، وكان أمر الله وإذنه ، وعبثاً انتظر اليهود نصر ابن أبي وجاعة . وخذلهم كما خذل بنى قينقاع من قبل وكان مثله ومثامهم كما قال الله . كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهمما أنهما في النار خالد بن فيها وذلك جراء الظالمين (١) وملاً الرعب قلوبهم ، واشتد الحصار عليهم ، وأيقنوا ان حصونهم لا تمنعهم من سوء المصير فسألوا رسول الله أن يجعلهم ويؤمنهم على دماهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الملقاة أى السلاح ، فصالحهم رسول الله على الجلاء وعلى أن لكل ثلاثة منهم بعيراً يحملون عليه ماشاءوا من أموال ، فصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم ليحملوا منها ما استطاعوا مما يحرسون عليه ، ولكيلا ينتفع بها المسلمون ، فتمهم من خرج إلى خير كهمى بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع ، ومنهم من ذهب إلى أذرعات بالشام ، وتركوا وراءهم للمسلمين مغنم كثيرة من غلال وسلاح وعقار ودور ، ولما كان المسلمون قد أخذوها صلحا بدون حرب ولا قتال ، فكانت فيثا من حق رسول الله يتصرف فيها كيف شاء ، وقد قسمها على المهاجرين دون الأنصار بعد أن استبقى منها قسما خصصت غلته لذوى القربى والفقراء والمساكين ، وبذلك أغنى الله المهاجرين وأزال فاقتهم ، ولم يأخذ من الثمن من الأنصار إلا أبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، والحارث بن الصمة فقد شكوا فقرا ، ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان فاحرزا أموالهما ، وبإجلاء بنى النضير أراح الله المسلمين من شوكة ثانية كانت تقض مضاجعهم ، ولو أن هؤلاء الأشرار نجحوا في مكيدتهم لقضوا على الإسلام في مهده ، وأية خسارة كان سبغى بها العالم لو لم يستضىء بنور الإسلام وتعاليمه ؟ ، ولكن الله بالغ أمره لإعماله ، وقد أنزل الله سورة الحشر في هذه الغزوة وإليك موجز تفسيرها

### ( ما نزل في غزوة بنى النضير )

( سورة الحشر ) ( بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى

الأرض) أى نزعه وقدهه ( وهو العزيز الحكيم ) القوى الذى لا يتصرف إلا عن حكمة ( هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ) هم يهود بنى النضير والحشر: الجلاء . والحشر الأول من المدينة إلى خيبر والثانى من خيبر والجزيرة إلى الشام ( ما ظننتم أن يخرجوا ) لشدة بأسهم ، وحصانة حصونهم . وكثرة عددهم وعددهم ( وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله ) بأسه وعذابه ( فاتأامهم الله من حيث لم يحتسبوا ) يظنون فسلط عليهم المؤمنين ذوى البأس الشديد فلم تغن عنهم حصونهم شيئاً ( وقذف فى قلوبهم الرعب ) الذى نصر به النبى من مسيرة شهر ( يخرجون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين ) فكان اليهود يخرجون ليحملوا معهم ما أمكن والمسلمون يخرجون نكايه فيهم ( فاعتبروا يا أولى الأبصار ) العقول والبصائر واحذروا أن تقعوا فيما وقعوا فيه من الاغترار بالقوة والمال وترك جانب الله . ومحاربة الله ورسوله .

( ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ) الخروج من المدينة ( لعذبهم فى الدنيا ) بالأسر والقتل ( ولهم فى الآخرة عذاب النار ) ولكنهم باستسلامهم وقوا أنفسهم من القتل والأسر ، ولكن بقى لهم عذاب الآخرة ( ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ) بسبب مخالفة الله ورسوله ( ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ) وعبد لسكل من يخالف أمر الله ويحارب رسوله .

ثم بين سبحانه أن قطع النخل ليس إفساداً كما زعموا لأنه بأمر الله وشرعه فقال ( ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ) اللينة : النخلة أو نوع منها ( فبأذن الله وليخزي الفاسقين ) يعنى اليهود ، ثم بين سبحانه معنى النية ووصفه فقال ( وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء ) أوجف أسرع وتكلف ، ركاب : إبل . يعنى أن النية ما أخذ بدون حرب ولا قتال ولا تعب وهو ما أخذ صلحاً و ( ما ) فى ( فما أوجفتم ) نافية ، أما الغنيمة : فهى



ما أخذت بحرب و قتال ( والله على كل شيء قدير ) ومنه تمكينهم من مال بنى النضير ثم ذكر الله مصارف الفيء وبين أنه لرسول الله يرضه حيث شاء في ذوى القربى والمساكين . . . . . وليس للمجاهدين فيه نصيب فقال ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ) أى إنما جعل الله مصرفه لهؤلاء ، حتى لا يكون المال متداولاً بين الأغنياء دون الفقراء فالآية تبين أن البر ومواساة الفقراء تلحقهم بالأغنياء وتزيل من فقرهم وحاجتهم ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) أصل عام فى طاعة رسول الله فى كل ما يأمر به من قرآن أو سنة والانتها عما ينهى عنه ( واتقوا الله ) أن تخالفوا أوامر رسوله ونواهيه لأنها من أمر الله ونهيه ( إن الله شديد العقاب ) لكل من خالف رسوله .

ثم بين سبحانه من هم أحق بهذا الفيء فقال : ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينتفون فضلاً من الله ورضواناً ) الجنة ونعيمها ورضوان من الله أكبر ( وينصرون الله ورسوله ) بالتضحية بالنفس والجهاد فى سبيل الله ( أولئك هم الصادقون ) المخلصون فى إيمانهم وقد خصهم الرسول بالفيء فى هذه الغزوة إثناء لهم وتعويضا عما تركوه راضين من دور وعقار ومال ، ثم أثنى على الأنصار بما هم أحق به وأهل له فقال : ( والذين تبوءوا الدار ) المدينة ( والإيمان من قبلهم ) أى أخلصوا الإيمان وصدقوا الله فيه « من قبلهم » راجع لتبوء الدار فقد كانت موطنهم قبل هجرة المهاجرين إليها ( يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ) أى إنما أعطى المهاجرون من هذا الفيء . وغيره ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) شدة فقر وحاجة ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) الفائزون ولعلك على ذكر مما ذكرناه فى مآثر الأنصار ورضوان الله عليهم .

ثم بين الله عز شأنه ما يجب أن يتخلق به التابعون ومن جاء بعدهم إلى

يوم القيامة وهو موقفهم من المهاجرين والأنصار خيار هذه الأمة الذين زكاهم الله ورسوله فقال : ( والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ) فليتنق الله الذين يتناولون الصحابة رضوان الله عليهم بالنقد الجريء والتجريح ، وليتادبوا بادب القرآن في هذا ، ثم ذكر الله المنافقين وكيف أغروا بنى النضير على المعاندة حتى يأسوا منهم ، ونزلوا على حكم الرسول فقال : ( ألم تر إلى الذين ناقفوا... ) إلى قوله ( ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ) وقد ذكرتها أثناء الغزوة ثم بين الله أن اليهود لا يجردون على قتالكم إلا وهم متحصنون فقال تعالى ( لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد ) أى هم يدعون القوة والبأس فيما بينهم فإذا لقوكم انهارت قواهم ، وأمعات شجاعتهم والمراد بالحصون الحسية والمعنوية ، فتشمل الحصون المثبتة ، والتأريخ ، والحنادق ونحوها كما كان أولاً وتشمل أيضاً الدبابات والطائرات ، والقواعد التى يوجهون منها الصواريخ كما هو اليوم ، ولو لم يكن إلا عنايتهم ببناء المسالح ، والقرى المحصنة اليوم — المستعمرات — لكفى فى بيان أسرار الإعجاز فى الآية فاعتبروا يا أولى الأبصار ( تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ) تحسب اليهود والمنافقين متفقين فى ظاهرهم ولسكنهم مختلفون فى بواطنهم ، فهاؤهم متشعبة وقلوبهم متفرقة ( كمثل الذين من قبلهم إقرباً ذاقوا وبال أمرهم ) هم بنو قينقاع الذين سبقوا بالفرد والندالة ( ولهم عذاب أليم ) فقد أجلوا فى الدنيا ولهم العذاب فى الآخرة .

ثم بين سبحانه أن مثل المنافقين فى إغرائهم اليهود وتخليهم عنهم ( كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر .... ) الآيتين وإلى هنا انتهى ما يتعلق بينى والنضير .

ثم بعد ذلك نادى الله المؤمنين وأوصاهم بتقوى الله وأن يقدموا ما ينفعهم فى آخرهم ، ولا يكونوا كاليهود الذين نسوا الله ، فأنساهم أنفسهم ، ثم

خلص من ذلك إلى أن السبب في العصيان والمخالفة ، واتباع هوى النفس إنما هو لعدم الفقه والتأمل في القرآن هذا الكتاب الذي لو نزل على الجمادات لحشعت وتصدعت ، فكيف لا تخشع له قلوبكم وتلين جلودكم ؟ ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ) .

ثم ختم السورة بتقديس الله في ذكر الكثير من اسمائه فقال ( هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، إلى قوله « يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » ، وبذلك ختم السورة بما بدت به فسبحانه سبحانه فى البدء والنهاية ، وتقديساً له ثم تقديساً فيها مضى ، وفى الحال . وفيها يستقبل ، وعلى كل حال .

### ( غزوة بنى قريظة )

قدمنا فى غزوة الاحزاب أن حبي بن أخطب فى جماعة من بنى النضير أبوا العرب على محاربة الرسول بالمدينة حتى كانت غزوة الخندق ، وأنهم سعوا إلى بنى قريظة - والمشركون يحاضرون المدينة - أن ينقضوا ما بينهم وبين النبي وأنهم نجحوا فى ذلك حتى اشتد الكرب على المسلمين وأصبحوا بين نارين : نار المشركين ونار اليهود حتى اضطر النبي إلى أن يرسل بعض المسلمين لحراسة الذرارى والنساء من غدر اليهود ، بعد أن نقضوا العهد ، ولما عاد النبي من الخندق ووضع سلاحه جاءه جبريل فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، فقال جبريل : ما وضعنا السلاح ، وأن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة فإني حامد إليهم فزلزل بهم ، فأمر رسول الله متادياً ينادى فى الناس : « الإيصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة ، فأخذ بعضهم بظاهر الامر ، فلم يصلوا العصر حتى جاءوا بنى قريظة وقد غربت الشمس ، وقال بعضهم فيما أراد الإسراع ، وصلوا فى الطريق ، فلما علم النبي لم يعنف واحداً منهم ،<sup>(١)</sup> وخرج رسول الله ﷺ

(١) لأن كلا الفريقين عهد ، إن أصاب فله أجران ، وإن أخفا فله أجر

وراءهم فيمن بقي من الصحابة ولواؤه معقود لابن عمه طي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فلما عين بنو قريظة جيش المسلمين امتلأت قلوبهم رعبا ، وتحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى اشتد بهم الحال ، وأيقنوا أن رسول الله غير منصور عنهم حتى يناجزهم ، فقال لهم كعب بن أسد : أرى أن تسلموا فقد استبان لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذى بشر به كتابكم ، فقاموا على دمائكم ونسائكم وأبنائكم وأموالكم ، فأبوا فقال لهم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ونخرج إلى عهد مستمين في القتال حتى يحكمكم الله بيننا وبينه ، فان هلك لم تترك وراءنا شيئا نخشى عليه ، وإن تغلب فلن نعدم النساء والأبناء فأبوا فقال الليلة ليلة السبت ، وعسى أن يكون عهد وأصحابه آمنونا فيها ، فانزلوا علينا نصيب منهم غرة ، فأبوا وتخوفوا أن يعدوا في السبت فيصيبهم ما أصاب من قبلهم ، فأعرض عنهم ورامهم بعدم الحزم .

« استشارتهم أبا لبابة » فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ارسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيرهم في أمرنا ، فأرسله الرسول إليهم . فلما رآه قام إليه الرجال وحشوا إليه النساء وبكى الصبيان فكأنه رقى لهم فقالوا : يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم وأشار بيده إلى حلقة يعنى الذبيح ، فاستشعر أبو لبابة أنه زل ، وندم ندما تصوره هذه العبارة التى قالها : فوالله ما زالت قد ماى من مكانها حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله !!

« توبة أبى لبابة » فاستحيا أبو لبابة أن يقابل رسول الله وقال : والله لا أنظر فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحدث لله توبة نصوحا يعلمها الله من نفسى ، وعاد إلى المدينة فربط نفسه إلى سارية من سواري المسجد النبوى وكانت من جذوع النخل ، وقال : لأبرح مكانى حتى يتوب الله على ما صنعت ، فلما علم الرسول الكريم قال : « لوجاءنى لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فلن أطلقه حتى يقضى الله فيه ما يشاء ، وأقام على هذه الحال ست ليال أو أكثر تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلى ثم يرتبط حتى نزلت توبته من السماء فى قول الله تعالى : ( وآخرون

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا ، وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم  
إن الله غفور رحيم ، (١) فتتابع إليه الناس يشيرونه بتوبة الله عليه وأرادوا  
أن يحلوه فأبى وقال : لا يحلنى إلا رسول الله فلما خرج الرسول إلى صلاة  
الفجر حله من رباطه ، ولم يكتف أبو لبانة بما صنع بنفسه وقال : يا رسول الله  
إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب ، وأن انخاع من  
مالى كله ، فقال النبى : « يجزيك الثلث ، فتصدق به .

وإن لنا هنا لوقفة ترينا مبلغ قوة الإيمان ، وتذكر القلب ويقظة الضمير من  
صحابة رسول الله الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ،  
وسرعان ما يتوبون ، ومبلغ ما وصل إليه المجتمع الإسلامى حينئذ من حياء من  
من المعاصى والرذائل ، وتقدير للقيم الخلقية ، والمعانى الروحية واستهانة بالنفس  
والولد والمال فى سبيل رضاء الله ورسوله ، وأن هذا المجتمع لم يصل إليه أى  
مجتمع متحضر إل وقتنا هذا .

• نزول بنى قريظة على حكم رسول الله ، فلما لم ير بنو قريظة فائدة من  
تحصنهم ، وأنهم لا ناصر لهم من دون الله عرضوا على رسول الله ﷺ أن يعاملهم  
معاملة بنى النضير ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ففعلوا ، فأمر برجالهم فكنفوا  
ثم سعى إلى رسول الله رجال من الأوس راجين أن يعاملهم معاملة بنى قينقاع  
حلفاء إخوانهم الخزرج ، فقال لهم السيد الحكيم : « ألا يرضيكم أن يحكم فيهم  
رجل منكم » ؟ فقالوا : بلى ، فاخاروا سعد بن معاذ وكان فى خيمة فى المسجد  
النبوى معدة لمعالجة الجرحى وتمريضهم بسبب سهم أصيب به فى الخندق فأرسل  
رسول الله فى طلبه ، فجاء راكباً ، فالتف حوله جماعة من الأوس قائلين له :  
أحسن فى مواليك ، ألا ترى ما فعل ابن أبى فى مواليه ؟ فقال لهم : لقد آن لسعد أن  
لأناخذه فى الله لومة لأئم ثم قال : فانى أحكم فيهم أن تقتلوا الرجال وتسبوا

النساء والذرية ، فقال له رسول الله : « لقد حكمت فيهم يأسعد بحكم الله <sup>(١)</sup> من فوق سبع سماوات ، فنفذ فيهم الحكم فإذا كما قيل ثلثائة ، وقيل أربعائة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقتل معهم حبي بن أخطب وهو السبب فيما نزل بهم من قتل وبلاء ، فقد كان دخل معهم حصنهم بعد انصراف قريش وغطفان ، وعاد سعد إلى العزيمة بالمسجد ، فلم يلبث — وقد أقر الله عينه — أن انفجر جرحه فمات شهيداً رضى الله عنه وأرضاه .

وبالقضاء على بنى قريظة تخلص المسلمون بالمدينة من آخر شوكة في ظهورهم ، وأصبحت المدينة كلها — ماعدا المنافقين — على قلب رجل واحد وموئل الإسلام ، وحصنه الحصين .

« دم بنى قريظة في عنق حبي ، وفي الحلق أن دم قريظة معلق في عنق حبي من أخطب النضري ، وإن كان قتل معهم فهو الذي حمل قريظة على نقض العهد وجسم العداوة بين اليهود والمسلمين ، حتى اعتقدوا أن اليهود لا تطيب نفوسهم إلا باستئصال النبي وأصحابه ، وهو الذي دخل معهم حصنهم وأغراهم بعدم التسليم والاستمرار في المقاتلة ، ولو أنهم استسلموا من أول الأمر لما أهدرت دماؤهم ، ولقبل النبي منهم ما قبل من بنى قينقاع وبنى النضير من قبل وعفوه عن الآخرين بعد أن هموا بقتله .

وقبل أن يستعظم أحد حكم سعد عليهم واعتبار ذلك قسوة ، عليه أن يتدبر فيها لو نجح المشركون في عبور الخندق والتقوا بالمسلمين وجها لوجه ، ونفذ بنو قريظة خطتهم التي هموا بها بمهاجمة المسلمين من ظهورهم ، والتعدي على

(١) وهو ما مضى به كتابهم المقدس « العهد القديم » في حق العدو الهزوم في سفر التثنية الاصحاح ١٣ فقرة ١٣ ، ١٤ ، وإذا دفعها الرب الهك الى يدك فاصرب جميع ذكرها بحمد الرب ، وأما النساء ، والأطفال ، واليهائم ، وكل ما في المدينة . كل غنيتها لنفسك . وتأكل غنيمت أعدائك التي أعطاك الرب لك » وهكذا يتبين لنا أن ما مضى به سيدنا سعد لم يخرج مما حكمت به التوراة وأيضاً فهم ليسوا أعداء هزوبين فحسب بل هم خائنون غادرون غير واثق بالهد

نساءهم وذرياتهم - ماذا يكون الحال ؟ وإلى أى مدى ستكون الكارثة ؟  
لاشك أن الكارثة ستكون بالنسبة إلى من اقتصر منهم من بنى قريظة أضعافاً  
مضاعفة من رجال المسلمين ونساءهم وأولادهم .

وفي شان بنى قريظة نزل قول الله تعالى « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل  
الكتاب من صياصيمهم <sup>(١)</sup> وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون  
فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل  
شئ قديراً ، <sup>(٢)</sup> يعنى الذين ظاهروا الأحزاب وهم قريظة .

وقسمه أموال قريظة ، وقسم النبي أموال بنى قريظة بعد ما أخرج الحرس جعل  
للفارس ثلاثة أسهم : سهمين للفارس ، وسهما لراكبه أو للراجل وكانت الخيل  
يومئذ ستاً وثلاثين ، وبعث رسول الله سميد بن زيد بسبايا من بنى قريظة إلى  
نجد فاشترى بها خيلاً وسلاحاً ليزيد في قوة المسلمين الحربية .

ريحانة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى من نساءهم ريحانة  
بنت زيد بن عمرو بن خلف عرض عليها الإسلام فامتعت ، ثم أسلمت بعد ذلك  
فحس رسول الله بإسلامها ، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن  
تستمر على الرق ليكون أسهل عليها وعليه ، وقيل إن رسول الله ﷺ لما  
خيرها اختارت الإسلام ، فاعتقها وتزوجها وضرب عليها الحجاب ، فغارت  
عليه غيرة شديدة فطلقها ، فشق عليها وأكثرت البكاء فراجعها ، ولم تختلف  
الروايات أنها ماتت في حياة النبي قيل لما رجع من حجة الوداع ، وقيل قبلها  
فرضى الله عنها <sup>(٣)</sup>

« من استشهد ، واستشهد من المسلمين يوم بنى قريظة خلاد بن سويد  
طرحته عليه امرأة رضى فجرحته جرحاً بالذات فقات فقال النبي « إن له لأجر

---

(١) جمع صبيبة وهى الحصن . وكل ما يتحصن به يقال له : صبيبة ومنه سمي قرن  
الثور (٢) الأحزاب ٢٠ - ٢٧ (٣) الاصابيح ٤ ص ٣٠٩  
(٤) م - السيرة النبوية ج ٢ )

شهيدين » وقد أمر رسول الله بقتل هذه المرأة . ولم يقتل من بنى قريظة امرأة غيرها . ومات في أثناء الحصار أبو سنان بن عحصن فدفن هناك رضى الله عنها وأرضاها .

### ( قتل سلام بن أبي الحقيق )<sup>(١)</sup>

كان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ، وكان شديد الإيذاء له وللمسلمين . وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز ، وقد اتخذ من ثرائه وسيلة لمحاربة الدعوة الإسلامية ، وكان يماضى الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأوس والخزرج كانا يتسابقان في سبيل إرضاء الرسول وخدمة الإسلام . لاتصنع الأوس شيئاً إلا وقالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذا الفضل فلا ينتهون حتى يفعلوا مثله أو أكثر منه ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك وكان الأوس قد قتلوا كعب بن الأشرف فقال الخزرج والله لا يذهبون بهذا الفضل علينا ، فذاكروا من رجل في عداوة رسول الله كعب الأشرف ؟ فذاكروا ابن أبي الحقيق وكان بقصره بخيبر فاستأذنوا رسول الله في قتله فأذن لهم ، فخرج من الخزرج خمسة نفر وهم : عبد الله ابن عتيك ، ومسعود بن سنان الأسلمى . وعبد الله ابن أنيس الجهنى حليف الانتصار ، وأبو قيادة الأنصارى ، وخزاعى بن أسود وأمر عليهم رسول الله عبد الله بن عتيك . وأوصاهم أن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة ، فلما وصلوا إلى خيبر قال لهم عبد الله : مكانكم ، وانطلق إلى الباب ، وتحايل على البواب حتى دخل ثم توجه إلى بيت أبي رافع وصار يفتح الابواب التي توصل إليه ، وكما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله فلم يتمكن تمييزه ، فنادى يا أبا رافع فقال : من ؟ فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغب شيئاً ،

(١) - سلام : بتعديده الام ، الحقيق : بضم الحاء المهملة ، وفتح قاف مسفراً ، وقيل : اسمه عبد الله ، وقد اقتصر ابن اسحاق على الأول . وذكر البغارى الاسمين ( وكان له اخوان مشهوران من أهل خيبر . أحدهما : كنانة وكان زوج صفية بنت يحيى قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني : الربيع ابن الحقيق وقد قتلا في غزوة (خيبر) ) ؟ - ٧٢ -



فعاد عبد الله يناديه وفي كل مرة بغير صوته حتى استمكن منه وقتله دون أن يؤذى أحداً من ولده وزوجه ، ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفاً فوقع من فوق السلم فأنزلت رجله ، فعضها بمامته ، وصار يتحامل على نفسه حتى وصل إلى أصحابه فأخبرهم فقالوا : النجاة النجاة حتى انتهوا إلى الرسول فلما رآهم قال أفلحت الوجوه ، وحدثوه بما كان ، ثم قال لعبد الله : « أبسط رجلك » فسحها عليه الصلاة والسلام فكأنه لم يشتكها قط (١) وعادت أحسن مما كانت ، فله در هذه النفوس المؤمنة التي استهانت بالموت في سبيل الله ، وكانت اسمى أمانيتها أن تفوز برضاء الله ورسوله .

وكان قتل أبي رافع — كما قال ابن سعد — في رمضان سنة ست ، وقيل في ذى الحجة سنة خمس وقيل غير ذلك

### « غزوة خيبر »

لئن كانت المدينة قد تطهرت من اليهود وغمدرهم فهاهي خيبر (٢) لا تزال حصناً حصيناً لليهود من أهلها ، ومن تزح إليها من يهود بني النضير الذين يحملون الحقد ، والضغن على الإسلام والمسلمين ، وغير بعيد عما قام به زعماء بني النضير الذين اتخذوا خيبر مقاماً لهم ، من تأليب العرب على المسلمين في اليمخدق ، وحملهم بني قريظة على نقض العهد التي كانت بينهم وبين الرسول ، ومن ثم نجد أن خيبر أصبحت مركزاً لتجمعات اليهود يقومون منها بما يريدون من غمدر ومكايد ، ولئن كان المسلمون بعد فتح الحديبية قد أمنوا قريشاً والجنوب ، لكنهم لم يأمنوا ناحية الشمال ، ولاسيما أهل خيبر الذين لا ينسون ما فعل بإخوانهم اليهود ، وليس يبعد أن يستعينوا بهرقل أو كسرى في النيل من المسلمين ، وما كان رسول الله ﷺ — وهو السياسي الحنك — ليخفى عليه شيئاً من هذا ، لذلك لم يكدر يرجع من الحديبية ويستريح بالمدينة شهراً

(١) صحيح البخارى — كتاب المغازى — باب قتل أبي رافع

(٢) قرية و شمال المدينة بينها وبين الشام .

أونحوه حتى أمر بالتهجز للخروج إلى خيبر ، على أن لا يغزو معه إلا من شهد الحديبية كما أمر الله ، وأراد بعض الأعراب الذين تخلفوا عن الحديبية أن يخرجوا معه فقال لهم : ( لا تخرجوا معي إلا رغبة في الجهاد ، أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً ) وقد أراد الرسول بذلك أن يبين لهم أن لا حاجة له بالذين لا هم لهم إلا الغنيمة ، ولا يهجم نصر الإسلام ، وولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وصحب معه من أزواجه السيدة أم سلمة .

( الخروج إلى خيبر ) وخرج رسول الله ﷺ في مطلع عام سبع في جيش تعداده ألف وستمائة ومعهم مائتا فرس وقيل ثلثمائة وكل وائق بنصر الله ، وذاكر قول الله سبحانه في سورة الفتح التي نزلت منصرفه من الحديبية : ( سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لناخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يدلوا كلام الله ، قل لن تتبعوننا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ) وكان من شأن رسول الله أنه إذا غزا قوماً لم يفر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً كف وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فوصل إلى خيبر ليلاً ، فبات حتى أصبح لم يسمع أذاناً فركب وركب معه أصحابه ، فاستقبلهم يهود خيبر بمساحيمهم ومكاتلمهم<sup>(١)</sup> ، فلما رأوا رسول الله والجيش قالوا عهد والجيش معه : فقال رسول الله : ( الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين )

( ضخامة القوتين ) وقد كان يهود خيبر من أشد الطوائف اليهودية بأساً وأكثرها مالا ، وأوفرها سلاحاً وكذلك كان المسلمون كثيراً عددهم وأفرأ سلاحهم مملئة قلوبهم بالإيمان ، وانفة نفوسهم بنصر الله مصممين على استئصال هذا الشر مما كانت التضحية ، فلا عجب إذا كانت قریش والجزيرة كلها وقتت تنتظر ما يسفر عنه التقاء هاتين القوتين ، حتى حدث من البعض

(١) مساحيمهم : جمع مساه وهي المحرفة وهي من حديد ، الكاتل جمع مكنل - بكسر الهم وهو الزنجيل ، وهو شيء يصنع من الخرس يحمل فيه التمر والتراب وغيرها .

التراهن على أى الفريقين سيكون له الغلب ؟ ووقف المسلمون أمام حصون خيبر متأهبين للقتال ، وهم كاملو العدة ، وكانت حصونهم ثلاثة مجاميع وكل مجموعة ثلاثة حصون تمتد من الجنوب إلى الشمال يتخللها النخيل والزروع والمنازل المتفرقة وهذه المجاميع هى : النظاة ، والشق ، والكتيبة ، أما النظاة فكانت ثلاثة حصون : ناعم ، والصعب ، وقلة ، وكانت الشق حصنين : أبى ، والبرى ، وأما الكتيبة فكانت ثلاثة حصون : القموص ، والوطج ، والسلام وتساور اليهود فيما بينهم فأشار عليهم زعيمهم سلام بن مشكم فأدخلوا أموالهم وعبأهم حصنى الوطج والسلام وأدخلوا ذخائرهم حصن ناعم ، ودخلت المقاتلة وأهل الحرب حول حصن النظاة ، والتقى الجمعان حول حصن نظاة واقتتلوا قتالاً شديداً وضيق المسلمون الحصار على حصون خيبر ، واليهود يستميتون فى الدفاع عنها لأنهم يعلمون أن هزيمتهم ماهى إلا القضاء الأخير عليهم فى جزيرة العرب وتتابعت الايام والقتال يشتد ، فالمسلمون يبدون من ضروب الشجاعة والاستبسال والتضحية ما هم أهل له ، واليهود يستميتون فى الدفاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس ليلتهم يتمنى كل منهم أن يعطاها حتى أن عمر قال : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فلما أصبح الصباح قال : « أين على بن أبى طالب » ؟ فقالوا : هو يا رسول الله يشتكى عينيه فدعاه فبصق رسول الله فى عينيه ودعا له فبرأ بإذن الله فاعطاه الراية وقال له : « انفذ إليهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام ، وأخبرهم بما يجب عليه من حق الله تعالى ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » رواه البخارى ومسلم ، ولما ذهب إليهم خرج مرحب اليهود يحنال فى سلاحه ، ويرتجز ويدعوا إلى المبارزة قائلاً :

أنا الذى سمى أُمى مرحب      شاكى السلاح بطل مجرب  
أطعن حيناً وحيناً أضرب      إذا الليث أقبلت تحرب<sup>(١)</sup>

فبرز له سيدنا على وهو يرتجز ويقول :

أنا الذى سمعتنى أمى حيدر<sup>(١)</sup> كليث غابات كبريه المنظوره  
أكيلهم بالصاع كيل السندره<sup>(٢)</sup>

فقتله ، وقيل بل قتله محمد بن مسامة الموتور الثائر الذى قتل اليهود أخاه محمود ابن مسامة بالامس ، وخرج بعد مرحب أخوه ياسر يقول هل من مبارز؟ فبرز له الزبير بن العوام فقتله ، ثم كان أن سقط حصن ناعم ، ثم لم تلبث الحصون أن تهاوت حصناً بعد حصن ، فاستولى اليأس على اليهود فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الصلح على أن يحقن دماءهم ، فقبل الرؤوف الرحيم وصارت أرضهم لله ، ولرسوله وللمسلمين ، فلما أراد النبي إجلاءهم سألوهم أن يقرهم على أن يعملوا فى الأرض ولهم نصف التمر فقال لهم : (نترككم على ذلك ما شئنا) رواه البخارى وقد قتل من اليهود فى هذه الغزوة ثلاثة وتسعون رجلاً ، واستشهد من المسلمين نحو خمسة عشر رجلاً .

(قصة الشاة المسمومة) ومع هذه المساهلة فى الصلح ، والإحسان إليهم بالكف

عن قتلهم وإجابة مطلبهم ، مازالت نفوسهم مملوءة بالحقد والبغضاء وانتهاز الفرص للتبيل من النبي والمسلمين ، وليس أدل على هذا أن النبي بعد أن صالحهم واطمأن ، أهدت إليه زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم — وهو ممن قتل فى الحرب — شاة مشوية ، وسألت أى عضو أحب إلى نبيهم ؟ فقيل لها : الذراع ، فاكرت فيه من السم ، ثم سمت سائر الشاة . وجاءت بها ووضعها بين يدى النبي ، فتناول الذراع ، فلاك منها قطعة ، فلم يسغها<sup>(٣)</sup> ، وكان معه بشر بن البراء بن معرور ، وقد أخذ منها قطعة فأساغها ، وأما رسول الله فلفظها وقال : إن هذا العظم يجبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال لها : ( ما حملك على هذا ؟ ) قالت : بلغت من قومى ما لم

(١) حيدرة من أسماء الأسد .

(٢) مكيل واف .

(٣) لا : مضغها ، فلم يسقا ! لم يبلعها .

يخف عليك ، فقلت : إن كان كذاباً استرحنا منه ، وإن كان نبياً فسيخبر ، فتجاوز عنها ، ومات بشر من أكلته هذه ، ويروى ان النبي قتلها به قصاصاً ، وهكذا نجى الله نبيه من غدر هذه اليهودية . كما نجاه من غدرهم وهمم بقتله فيما قبل ولم يزل أثر هذا السم يعاود النبي صلى الله عليه وسلم كل عام حتى اختاره الله لجواره .

في صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهرى <sup>(١)</sup> .

(تقسيم غنائم خيبر) وبعد الموقعة وحيازة الغنائم خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبقى الخمس لنفسه يصرفه في مصارفه ثم قسم الباقي نصفين : نصفاً قسمه في الغنائم . ونصفاً ارصده لما ينوبه في الحاجات والمصالح ، وقد جعل الفارس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهماً ، ولم يقسم رسول الله إلا لمن شهد الحديبية من حضر منهم خيبر ومن غاب ، ولم يغب عن خيبر من شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله ، فضرب له بسهمه ، وكذلك أسهم النبي لأصحاب السفينة الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب بعد أن استأذن أصحابه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل إلى عبد الله بن رواحة أخذ النصف من غلثهم فشكلوا إلى رسول الله شدة خرصه — تقديره — وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطعموني السحت !! والله لقد جئتمكم من عند أحب الناس إلى ، ولأنتم أبغض من القرود والخنزير ، ولا يحملني بغضى إياكم ، وحبى إياهم على أن لا أعدل ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، فلما استشهد في موته ولي بعده جبار بن صخر <sup>(٢)</sup> .

(مثل أعلى للتسامح) وقد كان من إحسان النبي معاملة يهود خيبر أنه كان

(١) عرق متصل بالقلب اذا قطع مات الانسان وهو ركنية عن الموت

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠١

من بين ما غنم المسلمون منهم عدة صحف من التوراة ، فطلب اليهود ردها . فأمر بتسليمها إليهم ، ولم يصنع صلى الله عليه وسلم ما صنع الرومان حينما فتحوا أورشليم ، وأحرقوا الكتب المقدسة ، وداسوها بأرجلهم ، ولا ما صنع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا كذلك صحف التوراة (١)

### (يهودى فدك وتيماء ووادى القرى)

ثم أرسل النبی صلى الله عليه وسلم إلى يهود فدك (٢) من يطلب إليهم الاقباد والطاعة ، فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم ، ويتركوا أموالهم فكانت فدك فيئا لرسول الله خاصة ينقق منها على نفسه وعلى من يمون ويقول ، ثم عاملهم على العمل في الارض بنصف ما يخرج منها .

ولما بلغ يهود تيماء ما انتهى إليه أمر أهل خيبر ، صالحوا على دفع الجزية وبقوا في بلادهم وأموالهم آمنين .

ثم دعا رسول الله يهودى وادى القرى إلى الاستسلام والطاعة ، فأبوا وقاتلوا فقاتلهم ، ولكن سرعان ما استلموا ، وصالحوا على ما صالح عليه أهل خيبر ، فتركت لهم الأرض يزرعونها بشطر ما يخرج منها .

وبهذا النصر المتتابع دان اليهود كلهم لسلطان الاسلام ، وانتهى ما كان لهم من نفوذ وكيان ، ولم تقم لهم قائمة بعد ، وبهذا أصبحت الدولة الإسلامية بمأمن من ناحية الشمال إلى بلاد الشام .

---

(١) حياة محمد ص ٣٧٧

(٢) فدك . بفتحين بلد بينها وبين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بومان ، وبينها وبين خيبر دون مرحلة .

(٣) تيماء : وزن حراء . موضع قريب من بادية الحجاز يخرج منها إلى القام على طريق البلقاء .

(إجلاء الفاروق عمر لهم عن جزيرة العرب)

ولم يزل يهود خيبر ومن صالح صلحهم ، يعملون في أرضها على نصف ما يخرج منها حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة خلافة الصديق أبي بكر - رضی الله عنه - وصدرأ من خلافة الفاروق عمر - رضی الله عنه - حتى أجلاهم إلى بلاد الشام بعد أن أعطاهم - قيمة ما كان لهم من التمر - مالا وإبلا وعروصاً وذلك لأمر : -

(١) لما قاموا به من الغدر والأفساد فقد كان لابنه عبد الله مال بخير، وكان يختلف إليه بين الحين والحين فعدوا عليه من الليل، وألقوه من فوق السطح وهو نائم ففدعت يدها ورجلاه .

(٢) ولما ثبت عنده من قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يبقى بجزيرة العرب دينان ، فقال : من كان له من أهل الكتابين عهد فليأت به أنفذه له، وإلا فاني تجليكم فاجلاهم ، أخرجه بن أبي شيبة وغيره ولا سيما أن إبقاء رسول الله لهم ، وإقرارهم في بلدهم كان مشروطاً بمشيئة المسلمين في الصحيحين (نقر كما شئنا وفي رواية ابن اسحاق : ( على أنا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم).

(٣) لأن إقرارهم عليها إنما كان لأنهم أقدر على العمل في الأرض. وأمر لها من غيرهم ، ولأن المسلمين كانوا في قلة من الأيدي العاملة : لاشتغالهم بالجهاد ونشر الاسلام ، والعمل في زراعتهم بالمدينة ، فلما كثروا لم تعد حاجة اليهم لاسيما أنهم أصبحوا مصدر قلق ، وافساد ، روى عمرو بن شيبة في اخبار المدينة قال : لما كثرت العيال - أي الخدم - في أيدي المسلمين وقووا على العمل في الأرض أجلاهم عمر ، فهذه الاعتبارات مجتمعة كان الاجلاء (٢) ونعما فعل الملهم المحدث ، فإن الحجاز قطب الاسلام ، وقلبه النابض ، فكان من الحكمة أن

(١) الفدح بفتح الحاء : اعوجاج الرسغ من اليد ، أو الرجل . فينقلب الكف أو القدم إلى الجانب الآخر .

يبقى القطب قويا متماسكا ، والقلب سليما من عـ وامل الضعف  
والفساد ، كى تبقى الاطراف سليمة قوية تؤدى وظائفها المطلوبة مها ،  
فهل يقبض الله لهم من أبطال المسامين والعرب من مجلبهم من الأرض المباركة  
( فلسطين ) كما أجلاوا عن البلد الطيب ( المدينة ) والأرض الطاهرة ( الحجاز ) !؟

### ( السنة الثامنة )

#### ( اسلام خالد ، وعمرو ، وعثمان بن طلحة )

وفي مستهل هذا العام أسلم ثلاثة من خيار ، قريش وسادة بيوتاتها ، وهم عمرو  
ابن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة .

( إسلام عمرو ) وقد كان هاجرا إلى الحبشة بعد غزوة الأحزاب في رواية  
ابن اسحاق لما ضاقت نفسه بانتصارات الإسلام وبعد صلح الحديبية في رواية  
البيهقي فصادف هناك عمرو بن أمية الضمري (١) فأراد أن يوقع به حتى زجره  
النجاشي ، ثم كان أن أسلم وأقام بالحبشة حتى قدم على النبي أوائل هذا العام  
مظهرا إسلامه .

( إسلام خالد ) أما خالد فكان من أشد الناس على النبي والمسلمين ، ولكن  
الله لما أراد له الكرامة . نظر فرأى أنه لا يشهد مشهدا ضد النبي إلا وقد خذل  
فيه ، وهو الفارس المعلم والقائد المحنك ، وفي الحديبية كان على خيل المشركين  
ولقي رسول الله بعسفان ، وترىص بالمسلمين سرا وهم يصلون ، ولكن الله أعلم  
بنيه فصل صلاة الخوف ، فوقع ذلك من نفس خالد وقال : الرجل ممنوع !!

فلما كانت حمرة القضاء تغيب فيمن تغيب من المشركين ، كراهة رؤية المسلمين  
وهم بمكة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه اخاه الوليد بن الوليد وتعجب

---

(٢) قبل كان هناك ابوصل كتاب النبي إلى النجاشي بشأن تزويجه من أم حبيبه ، وقيل  
بشأن قدوم جعفر وأصحابه وقبل كان يحمل كتاب النبي إلى النجاشي داعيا له إلى الإسلام .



كيف يغيب الإسلام عن مثل خالد فكذب له أخوه هذا الكتاب : ( بسم الله الرحمن الرحيم فأنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟! وقد سألت رسول الله عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة » فلما وصل خالد الكتاب وقع سؤال النبي عنه من نفسه ، واستشعر ما فيه من معان وتقدير كريم ، فازداد رغبة في الإسلام . وقوى هذه الرغبة في نفسه رؤيا رآها : رأى أنه كان في بلاد ضيقة مجذبة . فخرج منها إلى بلاد خضراء واسعة فقال : إن هذه لرؤيا !! فكانت البلاد الضيقة — كما غيرها له الصديق فيما بعد — هي دنيا الشرك الذاهبة الفاحلة . وكانت البلاد الخضراء الواسعة هي دنيا الإسلام الفسيحة الخصبية . وأدركته لحظة من لحظات التجلي الإلهي ، فعزم على الخروج إلى رسول وعرض هذه الفكرة على صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل فأبيا . ثم عرضها على عثمان بن طلحة فأسرع الاجابة . وخرج خالد وعثمان حتى كانا بالطريق بين مكة والمدينة النخيلة بعمر بن العاص . فقال له أين يا أبا سليمان — يعني خالدا — ؟ قال : والله لقد استقام المنسم — أى تبين الطريق ووضع — وإن الرجل لنبي أذهب والله فاسلم فحتى متى ؟! وصار الركب الميمون المبارك حتى دخلوا المدينة . فأصلحوا من شأنهم ولبسوا صالح ثيابهم . ثم قصدوا إلى النبي . وكان البشير قد جاء بالبشرى إلى رسول الله فسر بمقدمهم . ولقيهم أخوه الوليد فقال لخالد : أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بمقدمك وهو ينتظركم ، فأسرعوا حتى وقفوا على الرسول وهو يتسم ، فسلم عليه خالد بالنبوة فرد السلام بوجه طلق ، ثم شهد شهادة الحق فقال النبي له : ( تعالى ، الحمد لله الذى قد هداك كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك إلا إلى خير ) فقال خالد : يا رسول الله إني قد شهدت تلك المواطن عليك معاندا للحق فادع الله أن يغفرها لي ، فقال الرسول الكريم « الإسلام يجب ما كان قبله » .

وتقدم عثمان بن طلحة فبايع ، وتقدم عمرو بن العاص فبايع ، قال عمرو : فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فاستحييت أن أرفع طرفي حياء منه فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي فقال : « إن الإسلام يجب ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها » فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ ، وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزبه منذ أسلنا ، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بهذه المنزلة ، وكان عمر على خالد كالعائب ، وكان قدومهم وإسلامهم في أول صفر سنة ثمان من الهجرة (١) وبإسلام خالد وعمرو اكتسب الإسلام اثنين من أبطال الإسلام وقواده . الذين كانت لهم يد طولى في غزوات الإسلام وفتوحاته .

### ( غزوة مؤتة ) (٢)

في جمادى الأولى من عام ثمان الموافق سنة ٦٢٩ م جهز رسول الله ﷺ جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله إلى أمير بصرى داعياً له إلى الإسلام ، وقيل : إن النبي كان أرسل سرية إلى ذات الطلح على حدود الشام يدعون إلى الإسلام ، فكان جزاؤهم القتل ، ولم ينج منهم إلا رئيسهم بعد أن ظنوا أنه مات ، وأمر على الجيش زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة » وسار الجيش وعدته ثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار بعد أن ودعهم المسلمون قائلين : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم إلينا سالمين وخرج رسول الله يشيهم ويوصيهم قائلاً : ( اغزوا باسم الله ، قاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين ، فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ، ولا شيخاً فانياً ولا تقطفوا شجراً ، ولا تهدموا بناء ... ) ثم

(١) ذكر الفيح الخضرى - رحمه الله - في نور اليقين إسلام خالد وصاحبه في سنة

سبعم والتهنق ما ذكرته ( البداية والنهاية ج ٤ س ٢٣٦ ) .

(٢) مؤتة - مهموزة الواو ، وحكى غير الهمزة قرية من أرض البلقاء بطرف الشام .

مصوا في سبيل الله حتى وصلوا (معانا) من أرض الشام فبلغهم أن هرقل قد نزل (مآب) في أرض الشام في مائة ألف من الروم ، وانضم اليهم مائة ألف أخرى من منتصرة العرب من لحم ، وجذام والقيين وبهراء ، وويلي . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على (معان) ليلتين وقالوا : نكتب إلى رسول الله نخبه بعدد عدونا فيما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يامرنا بامرء فنضى له فقال عبد الله بن رواحة : يا قوم والله إن التي تكروهون لتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين : إما ظهور وإما شهادة ، فتشجع الناس وقالوا : صدق ابن رواحة ، وسار الجيش الإسلامي تحذوه الرغبة في إعزاز دين الله . وحب الشهادة حتى التقوا بمجموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء (مشارف) فأنحاز المسلمون إلى مؤتة وتحصنوا بها .

(التقاء الجيوش) والتقى الجمعان غير المتكافئين عدداً وعدة ، وقاتل المسلمون قتال الأبطال وصمدوا أمام هذا الجيش المرمرم ، وقاتل زيد بن حارثة حامل اللواء حتى استشهد ، فولى القيادة جعفر بن أبي طالب وحمل اللواء ، وكان على فرس له شقراء ، فزل عنها وعقرها ، وتقدم يقاتل وهو يحمل اللواء ويقول .

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

على إن لاقيتها ضرابها

وكان جعفر يحمل اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى ضربه رجل من الروم ضربة فقطته نصفين ، فاستشهد وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بعد أن خط في كتاب البطولة الإسلامية سطوراً مشرقة ، وكان جزاؤه من ربه أن أبدله الله يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ، ولما التمس في القتلى وجد به بضع وتسعون جرحاً . وكان ابن عمر إذا حيى ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن ذى الجناحين . فأخذ الراية عبد الله بن رواحة ، ثم تقدم بها في جوع الروم وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد وهو يقول :

أقسمت يا نفسى لتنزله      لتنزلن أو ليكرهنه  
إن أجلب النار وشدوا الرنة      مالى أراك تكرهين الجنة  
قد طال ما قد كنت مطمئنة      هل أنت إلا نطفة فى سنة (١)  
ويقول: يا نفسى إن لا تقتلى نموتى      هذا حمام الموت قد صليت  
وما تمنيت فقد أعطيت      إن تفعلى فعلهما هديت

وما زال يتقدم باللواء ويقاقل حتى قتل شهيداً

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا: أنت، فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد المخزومى، فلما أخذ الراية قاتل أبطال حتى اندقت فى يده تسعة أسياف وما صبرت معه إلا سيف يمانية، واستعمل دهاءه وحسبته الحرية حتى انحاز بالجيش، وأنقذه من هزيمة منكرة كادت تقع، وكان الليل قد أقبل، فانهز خالد هذه الفرصة وغير نظام الجيش، فجعل المقدمة ساقية، والساقية مقدمة، والميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، وصف صفا طويلاً وراء الجيش، فلما أصبح الصباح أنكرت الروم ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، وسمعوا من الجلبة، ووقععة السلاح، ما قد ظنوا معه أنهم جاءهم عدد فرعبوا وانكشفوا، وما زال خالد يحاورهم، ويداورهم، والمسلمون يقاتلونهم فى أثناء انسحابهم بضعة أيام حتى خاف الروم أن يكون هذا استدراجاً لهم إلى الصحراء، فمحاجز الفريقان وانقطع القتال.

« بلاء للمسلمين » وقد أبلى البطل خالد وأصحابه الأبطال بلاء حسناً فى هذا اليوم، وبفضل ثباتهم وشجاعتهم تبدلت هزيمتهم نصراً، وأى نصر يرجى أكثر من صمود جيش تعداده ثلاثة آلاف أمام جيش تعداده مائتا ألف وانشحابهم وهم موانرو العدد محفوظو الكرامة، وإياه لشيء نادر فى تاريخ الحروب أن يقف

(١) أجلبوا: صاحوا. الرنه صوت ترجيع شبه البكاء، والنطفة: الماء القليل الصاق، السنة: الدماء البالى، فيوشك أن تهراق أو ينغرق الصنء ضرب ذلك مثلاً لنفسه فى جسده

جندى واحد أمام سبعين من الجنود المدججين بالسلاح، ولكنه الإيمان ! الذى يصير من الجبناء شجعانا، ومن الشجعان أبطالا، ولعل مما يشير العجب أن جميع من استشهد من المسلمين فى مؤتة ثمانية ، وقيل اثنا عشر .

« نعى رسول الله الأمراء » وأطلع الله سبحانه رسوله على ما جرى فقام على المنبر فقال : « أخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذر فان ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » رواه البخارى ومن يومها وقد عرف خالد بسيف الله المسلول ، وفى رواية ابن اسحاق : « ولقد رفعوا إلى فى الجنة فيما يرى النائم على سرير من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله ازورار عن سريرى صاحبيه ، فقلت عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى » وبألها من عبره ! فاذا كان بعض التردد من الشجاع المغوار ابن رواحة قد جعله فى منزلة دون صاحبيه فما بالك بمن ينكص على عقبه مؤثرا الحياة على الشهادة طمعا فى جاه أو مال ، أو عرض من أعراض الحياة ؟ ! إن مثله لا يقام له عند الله وزن وإن عرض عند سواد الناس جاهه ، وبذمال قارون ماله .

« لقاء الجيش » وخرج الرسول والمسلمون للقاء الجيش ؟ فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون لهم يا فرار فررتم فى سبيل الله ، ولكن الرسول العليم ببواطن الأمور ، والمقدر لموقف الجيش قال لهم : « ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله ،

« مثل أعلى للاستحياء » ومع منافحة الرسول عن أصحاب مؤتة قد اعتزل بعض المسلمين فى بيته خشية سماع هذه الكلمة الثقيلة على أسماع المؤمنين الشجعان « يا فرار » روى ابن اسحاق عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أنها قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : ما لى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ؟ فقالت : ما يستطيع أن يخرج ، كما خرج صاح به الناس : يا فرار فررتم فى سبيل الله حتى قعد فى بيته ما يخرج ، وهذا يدل على مبلغ ما وصل

إليه الخلق الإسلامي آتخذ من حب البطولة وإيثار الشهادة في سبيل الله على الفرار ، والاستحياء من المثالب والمساوىء ، وتقدير للقيم الخلقية ، والمعاني الأدبية

« إكرام النبي لآل جعفر » لما أصيب جعفر دخل رسول الله على أسماء بنت عميس فقال : « اتنى بنى جعفر » فأنت بهم فشمهم وقبلهم وزرقت عيناه فقالت أسماء : أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم أصيبوا هذا اليوم » فجعلت تصيح وتولول فقال النبي : « لاتفولوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » وهذا هو الأصل في صنع الطعام لأهل الميت لا ما يصنعه بعض الناس اليوم بقصد التفاخر والمقابلة بالمثل ، وقد لا يصيب أهل الميت منه شيء

ولما قارب الجيش المدينة تلقاهم الصبيان يشدون ورسول الله مقبل مع الجيش على دابة له فقال : خذوا الصبيان فاحلوم واعطوني ابن جعفر فأنى بعبد الله فحمله بين يديه ، وبعد ثلاث دخل على أسماء وقال لها : « لا تبكوا على أخى بعد اليوم أدعوا لى بنى أخى » فجىء بهم كأنهم أفرخ ، فدعا بالخلق فحلق لهم رؤوسهم ثم قال : « أما عهد فشبهه بمنأبى طالب ، وأما عبد الله فشبهه خلقي وخلقى » ثم أخذ يمين عبد الله وقال : « اللهم اخلف جعفرأ فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » (ثلاثاً) ولما ذكرت له أهمهم يتمهم وضعفهم قال لها : « العيلة تحافين عليهم ، وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة » رواه الإمام أحمد .

وهذا غاية ما ينتظر من تكريم أبناء الشهداء ، وبذلك وضع الرسول الكريم الأساس الصالح لهذا التقليد الشريف :

« نهى آل جعفر عن النياحة » روى البخارى فى صحيحه عن عائشه رضى الله عنها قالت : « لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله ابن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف فى وجهه الحزن فأتاه رجل فقال :

أى رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن فأمره أن ينههن فذهب الرجل ثم أتى فقال والله لقد غلبتنا ، فقال رسول الله : « فاحث في أفواههن من التراب » .

« رثاء أسماء بنت عميس زوجها » ورثت أسماء زوجها فقالت

فآليت لا تنفك نفسى حزينة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً  
فله عيناً من رأى مثله فنى أكر وأحمى فى المباح وأصبراً

فلما انقضت عدتها خطبها الصديق رضى الله عنه فتزوجها فأولم عليها ، وكان فى الناس على بن أبى طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على أبى بكر فى أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفضه ريح طيبها فقال لها — متباسطاً معها — .

من القائلة : فآليت لا تنفك نفسى حزينة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً

فقالت : دعنا منك يا أبى الحسن فانك امرؤ فيك دعاية ، فولدت للصديق ابنه محمداً ثم لما توفى الصديق تزوجها بعده على بن أبى طالب فولدت له أولاداً رضى الله عنهم أجمعين .

### غزوة ذات السلاسل<sup>(١)</sup>

وفى جمادى الآخرة بلغه صلى الله عليه وسلم أن جمعا من قضاة يتجمعون فى ديارهم وراء وادى القرى ، ليغيروا على المدينة ، فأرسل لهم عمرو بن العاص

---

(١) ضبطها ابن الأثير فى النهاية ، بضم السين الأولى ، وكسر الثانية ، وضبطها صاحب القاموس بفتح السين الأولى . سميت باسم ماء بأرض جذام يقال له السلسل . وقيل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يقرؤا . وذكر ابن سعد أنها وراء وادى القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام . ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة لإلأبن اسحاق فقال : لأنها كانت قبلها

في ثلثمائة من خيار المسلمين ، لأن أم عمرو كانت من بلي ، ولعل في هذا تأليفاً لهم فلما صار إلى هناك خاف كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله يستعده فندب لذلك المهاجرين والأولين ، فاندب أبو بكر وعمر في مائتين من سراة المهاجرين ، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وقال له : « إذا أنت قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا » فلما قدم على عمرو قال له : إنما جئت مدداً لي فقال له أبو عبيدة : لا ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه فأبى عمرو ، فنذكر أبو عبيدة وصاة رسول الله وكان رجلاً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا فقال له يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : « لا تختلفا » وإنك إن عصيتني أطعتك . وبذلك حسم الخلاف . وسار عمرو بمن معه حتى وصل إلى بلاد بلي ، فكان كلما انتهى إلى موضع به جمع تفرقوا حتى انتهى إلى آخر بلاد بلي وعذره ، فلتى جمعاً ليس بالكثير ، فاقتتلوا ساعة وتراموا بالنبل ، وحمل عليهم المسلمون فهزموا وتفرقوا ، وأوغلوا هرباً في البلاد ، ثم عاد المسلمون منتصرين بعد أن أروهم سلطان الإسلام وسطوته ، وفي الطريق أصيب عمرو بن العاص بجناية من أثر احتلام ، فتييم وصلى بأصحابه ، فلما قدموا على رسول الله سأله عن أحوالهم في غزوتهم كما هي عادته ، فاخبروه بما كان من أمر عمرو واحتلامه وتيممه وصلاته من غير اغتسال فقال رسول الله : « يا عمر وصلت بأصحابك وأنت جنب » فقال : يا رسول الله احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتييمت تم صليت بأصحابي الصبح ، وإني سمعت الله يقول : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » فضحك النبي ولم يقل شيئاً ، وكان سكوت النبي تقريراً له على هذا ، وتقديره أحد وجوه السنن المعروفة وقد نجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام ، وإرجاع أحلاف المسلمين لصدقاتهم الأولى ، ودخول قبائل أخرى في حلف مع المسلمين ، وإسلام الكثيرين من بني تميم ، وبني مرة ، وبني ذبيان ، وكذلك دخلت فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين ، وتبعها بنو سليم ،



وعلى رأسهم العباس بن مرداس ، وبنو أشجع ، ومعظم من لم يكن قد حالف المسلمين من القبائل المجاورة للمدينة ، وأصبح المسلمون أقوى عنصر سياسى فى شمال بلاد العرب ، وإن لم يكن فى بلاد العرب جميعها (١) .

### « فتح الفتوح فى الاسلام »

« فتح مكة » لما أبرم صلح الحديبية كان من شروط الصلح أن من أحب أن يدخل فى عهد النبي فليدخل ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش فليفعل ، فدخلت خزاعة فى عهد رسول الله ، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش وقد مضى على الصلح قرابة عامين ولم يحدث من المسلمين ما يخل بالعهد ، وقد حدث بعد مؤتة أن خيل إلى قريش أن المسلمين قد ضعفوا وزالت هيبتهم ، وخيل إلى بنى بكر أن ينالوا من خزاعة احلاف الرسول ، وقد كان بين بنى بكر وخزاعة ثارات فى الجاهلية ودماء ، فبیت بنو بكر خزاعة وهم على ماء يسمى ( الوتر ) وأصابوا منهم ، واعانتهم قريش بالرجال والسلاح تحت جنح الليل ، وما زالوا يقاتلونهم حتى الجاؤهم إلى الحرم ، ولجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء ، ومولى لهم يسمى : أبا رافع فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله بالمدينة يخبره بغدر قريش وإخلافهم للعهد ولما وقف على النبي أنشد أبياتاً منها :

يارب إني ناشد محمداً	حلف أياه وأيينا الأتلدا
فانصر رسول الله نصرأ أبداً	وادع عباد الله يأتوا مدد
فى فلبق كالبحر يجرى مزيدا	إذ قريشاً أخلفوك الموعدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	فهم أذل وأقل عددا
هم يتنونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركماً وسجدا

فقال له رسول الله : « نصرت يا عمرو بن سالم » .

ثم خرج أيضاً بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول

(١) محاضرات فى السيرة وتاريخ الخلفاء للدكتور محمد مصطفى زباده .

الله فاخبروه بما جرى ، ثم انصرفوا آيين إلى مكة وفي الطريق لقيهم أبو سفيان وهو ذاهب إلى المدينة فقال له : لعلك ذهبت إلى محمد بالمدينة ، فأنكر يديل وتعلل بتعللات أخرى ، ولكن أبا سفيان جاء إلى مبرك ناقته ، فرأى في بعرها نوى يثرب ، فأيقن أنه جاء النبي مستصراً .

« سفارة أبي سفيان بن حرب » وأدركت قريش مغبة غدرها ونقضها للعهد ، فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة يؤكد العهد ويمد في المدة ، فلما وصلها قصد إلى بيت ابنته أم حبيبة زوج الرسول فلما هم بالجلوس على فراش رسول الله طوته فمجب وقال : يا بنية أرغبت بي عن الفراش أم رغبت به عنى ؟ فقالت هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه !! وكانت صدمة له لم يفق منها حتى قال : يا بنية والله لقد أصابك بعمى شر ، وخرج مغضبا ، ثم كلم رسول الله في العهد وإطالة المدة فلم يحظ منه بطائل ، فخرج قاصدا أبا بكر فكلمه أن يكلم رسول الله فقال ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال له : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ أفوالله لو لم أجد لكم إلا الذر لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله والحسن غلام يدب بين يديه فقال : يا على إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم منى قرابة ، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لى إلى رسول الله ، فقال له : ويحك يا أبا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : هل لك أن تأمرى بفيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ، فقالت : والله ما يبلغ بنى ذلك أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحد على النبي ﷺ (١) فقال يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى فقال على : والله ما أعلم شيئا وينى عنك شيئا ولكنك

(١) لا مضافة بين هذا وقوله عليه السلام : (ويجبر على المسلمين أديانهم) لأن المراد بالثانى من يجبر واحداً ونفراً يبرأ ، وأما قول السيدة فاطمة فالمراد به الاجازة العامة أى لا يمت أحد الامام من غزوة قوما .

سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك فقال : أو ترى ذلك مغنيا  
عنى شيئا ؟ فقال لا والله ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فقال : إني  
قد أجزت بين الناس ، ثم ركب بعيره وعاد من حيث أتى ، فلما قدم على قريش  
أخبرهم بما كان وإجارته بين الناس فقالوا له : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا :  
ويحك ما زاد الرجل على أن لعب بك فما يعنى عنا ما قلت .

« تجهز النبي للخروج » ولم يلبث رسول الله أن أخذ التجهز للخروج إلى مكة ،  
وأذن في الناس بالتجهيز ، وأخفى مقصده إلا عن بعض خاصته كالصديق ، وكان  
عرض رسول الله أن يبعث قريشا في عقر دارها من غير أن تأخذ أهبتها حرصا  
أن لا تراق الدماء في بلد الله الحرام ، فلما تجهمت الجموع وتهايت للمسير أخبرهم  
بمقصده وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » .  
« كتاب حاطب إلى قريش » ولما أجمع صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب بن  
أبي بلعته كتابا يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ، ثم أعطاه مولاة لبعض بنى  
عبدالمطلب تسمى سارة ، وجعل لها جملا على أن تبلغه قرشا ، فجعلته في عقاص شعرها ،  
ثم خرجت به فإذا الوحي ينزل على رسول الله بما صنع حاطب ، فبعث عليا ،  
والزبير ، والمقداد وقال . انطلقوا حتى تأتوا ( روضة خاخ ) فان به ظعينة معها  
كتاب فخذوه منها ، فانطلقوا تتعادي بهم خيلهم حتى أدركوها فقالوا لها أخرجي  
الكتاب فقالت : ليس معي كتاب فقالوا لها : لتخرجن الكتاب ، أو لنكشفن  
الثياب فخافت وأخرجته من عقاصها فأتوا به إلى النبي فإذا فيه : يا معشر قريش  
فان رسول الله جاءكم بحبيش كالليل ، يسير كالسيل . فوالله لو جاءكم وحده  
لنصره الله ، وانجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم والسلام » (١)

فقال النبي : « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال يا رسول الله لانهجلى على إني كنت  
أمرا ماسقا في قريش - يعنى حليفا ولم يكن من أنفسها - وكان من معك من  
المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم ، وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك  
من النسب فيهم أن أئخذ عندهم يدا يحمون قرابتي بها ، ولم أفعله ارتدادا عن ديني

ولارضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال الرسول العظيم : « أما إنه قد صادقكم »  
فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال الرسول : « إنه  
قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد أطلع على من شهد بدراً فقال : « اعملوا  
ما شئتم فقد غفرت لكم ، فبكى عمرو وقال : الله ورسوله أعلم !! فأنزله الله هذا  
التأديب الإلهي وهو صدر سورة الممتحنة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم  
أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون  
الرسول وإياكم ، إلى قوله سبحانه « فقد ضل سواء السبل » (١)

« العظيم من يرحم الضعفاء » وإنما لنا هنا لوقفه فا كان حاطب منافقا ،  
ولاضعيف الإيمان ، بتركية الرسول له . ولكن في النفس الانسانية جوانب ضعف  
تطفئ عليها في بعض الأحيان ، وتهوى بها إلى ما لا ترضاه لنفسها وكل بني آدم خطاء  
وما كان هذا الضعف الإنساني ليخفى على صاحب القلب الكبير ، والقوى الأمين  
صاحب الخلق العظيم ، فلا تعجب إذا كان الرسول صدته فيما قال ، ورحم ضعفه ،  
ونافع عنه ، والقوى حقا هو الذي يرحم الضعفاء ، والعظيم حقا هو الذي يلتمس  
المعاذير لمن يستزلم الشيطان في غفوة من صدق الإيمان ووازع الضمير !!

مسيرة الجيش إلى مكة ، ثم مضى رسول الله لغزوته واستخلف على المدينة  
أبا رهم كثوم بن حصين الغفاري وكان خروجه لعشر مضي من رمضان من السنة  
الثامنة ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد - موضع بين مكة والمدينة -  
أفطر حتى قدم مكة وانسلخ الشهر ، وخرج معه المهاجرون والأنصار لم  
يتخلف منهم أحد ، وانضم إليهم آلاف من سليم ومزينة وغطفان وغيرهما ، وما  
إن وصل مر الظهران حتى صار تعداد الجيش عشرة آلاف وقيل إثنا عشر ألفا ،  
وشهدت الصحراء العربية ، الجيش العرمرم الذي لم تشهد له مثيلا من قبل ، في  
عقيدته وإيمانه ، وإثاره الموت على الحياة والآخرة على الدنيا .

« إسلام العباس وبعض القرشيين » وكان العباس بن عبد المطلب عم  
الرسول قد خرج من مكة مهاجرا إلى الله ، واحتمل معه أهله وولده ، فلقى

الرسول بالجحفة<sup>(١)</sup> فأسلم وقد سر الرسول بإسلامه غاية السرور ، إذ قد كان ناصرآ له ومؤيدآ ، وفي هم شاغل به وبدعوته مع بقاءه على دين قريش ، وإقامته بمكة على سقاية الحاج ، وخرج من قريش أيضاً أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ، فلقيا رسول الله « بنيق العقاب » والتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيها وقالت يا رسول الله ابن عمك ، وابن عمتك ، وصهرك يلتمسان الدخول عليك فقال : « لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فبالغ في إساءتي ، وأما ابن عمتي فهو الذي قال بمكة ما قل » فلما بلغهما ذلك كان مع أبي سفيان بنى له فقال : « والله ليأذن لي أو لأخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشآ وجوعآ ، فلما بلغ النبي ذلك رق لهما ، فدخلا عليه وأسلما .

« تخوف العباس على قريش » ورأى العباس علو نجم ابن أخيه وقوته ، وأحس منزلة النبي في قلوب هذه الآلاف المؤمنة التي لا يقدر على أن يصدرها عن غايتها صاد ، والتي لا قبل لمكة ولا لغيرها بهم ، فقال : واصباح قريش والله لئن دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ، فركب بغلة رسول الله البيضاء وذهب ناحية الأراك عى أن يجد حطابا ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة ذاهبآ إلى مكة فيخبره بمكان رسول الله حتى يخرجوا إليه فيستأمنوه ، فكان أن التقى بابي سفيان وصحبه .

---

(١) وقيل براين والقربتان متجاورتان ، وقد درست الجحفة وبقيت راين ، ويرى بعض المؤرخين أن العباس كان قد أسلم من قبل وإسكنه أخى إسلامه لمصلحة الدعوة فقد كان بمثابة العين لرسول الله على قريش ، ثم أعلن إسلامه قبل الفتح ، ومنهم من يرى . أنه ذهب إلى المدينة قبل الفتح وأسلم وسار مع جيش الفتح . ويشكك بعض المؤرخين في هذا وذاك والصحيح ما ذكرناه أولا

« أبو سفيان يستطلع الأخبار لقريش » ها هو رسول الله والجهنم قد وصل إلى مر الظهران،<sup>(١)</sup> وقد عميت الأخبار عن قريش لا يأتهم خبر عنه، ولا يدرون ما هو فاعل بهم، وبيناهم في حيرة من أمرهم خرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء يستطلعون الأمر لقريش، وكان رسول الله قد أمر أصحابه أن يوقدوا ناراً فأوقدوا عشرة آلاف نار، حتى كانوا قريباً من مر الظهران رأوا نيراناً كثيرة الجحيج في عرفة فقال أبو سفيان ما رأيت كليلية نيراناً قط ولا عسكرياً فقال بديل: هذه والله خزاعة، فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، وبيناهما يتحاوران عرف العباس صوت أبي سفيان، فقال: أباحنظلة! وأجاب أبو سفيان: أبا الفضل! فقال العباس ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الجحيش، فقال أبو سفيان: فما الحلية؟ فذاك أبي وأمي، فقال العباس فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله فاستأمنه لك، فركب وسار الآخرا ن وراءها، فسكلمها مروا بنار قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله وأنا عليها قالوا: عم رسول الله على بغلة رسول الله، حتى مروا بنار عمر بن الخطاب وعرف أبو سفيان فوجأه في عنقه، وهم بقتله حتى أجاره العباس، واركض العباس البغلة، وعمر يشتد في إثرها حتى دخل العباس ومعه أبو سفيان على رسول الله، ثم دخل عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد فدهني فلا أضرب عنقه، فقال العباس: أنا أجزته، ثم جلس إلى رسول الله يناجيه فلما أكثر عمر في شأن أبي سفيان قال العباس: مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا، ولكنتك عرفت أنه من بني عبد مناف! فقال عمر: مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا إني قد عرفت أن

(١) قرية بالقرب من مكة بوادي الظهران

سلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب! وحسم رسول الله الخلاف بينهما فقال: (إذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأنتى به) أما حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فقد أسلما.

«إسلام أبي سفيان، وبات أبو سفيان ليأته ورأى فيها ماملأ نفسه إعجابا!! رأى المسلمين لما سمعوا الأذان انتشروا فتوضأوا، ثم اقتدوا بالرسول يركعون يركوعه ويسجدون بسجوده فقال: يا عباس ما يأمرهم بتيء إلا فعلوه؟ قال نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه! ورأى أعجب من ذلك، ذلك أنه لما توضأ رسول الله ﷺ جعلوا يتندرون وضوءه فقال: يا عباس ما رأيت كالكليبة ولا ملك كسرى وقيصر!! وفي الصباح غدا به العباس إلى رسول الله فقال له: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد طنت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد، قال الرسول: ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟ فقال: أما هذه فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا، فقال له العباس: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق وأسلم، فقال العباس: أن أبا سفيان رجل يحب للفخر فاجعل له شيئا فرأى رسول الله بنور قلبه، وواسع عقله أن يكون هذا الشيء مما يتعلق بحقق الدماء، ونشر الأمان، وأن لا يقتصر على أبي سفيان حتى يأمن أكثر عدد من الناس فقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل الكعبة فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»

«حبس أبي سفيان بمضيق الوادى» ورأى الرسول الحكيم أن يوقف أبو سفيان حيث تمر عليه كتائب جيش المسلمين ليرى قوة المسلمين فيكون نذيراً لقريش بالتسليم والجنوح إلى السلام إبقاء على نفسها فقال: «يا عباس أحبسه بمضيق الوادى عند خطم<sup>(١)</sup> الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها»

(١) هو المكان الناقى منه في الطريق ليتمكن من رؤية الجيش كله

فخرج بأبي سفيان - وقيل كان معه حكيم و بديل - فحبسه حيث أمره رسول الله ، ومرت القبائل على راياتها ، فمرت قبيلة فقال يا عباس من هذه ؟ قال : غفار فيقول : مالي ولغفار ، وهكذا كلما مرت قبيلة قال مثل ذلك ، حتى اقبلت كنيبة لم ير مثلها فقال : يا عباس من هذه ؟ فقال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار - أي يوم الحرمة ورعاية العهد -

« الكنيبة الخضراء » ثم مر رسول الله ﷺ في كنيسته الخضراء يحيط به المهاجرون لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد<sup>(١)</sup> يحمل الراية الزبير بن العوام فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين ، فقال أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً !! فقال العباس : يا أبا سفيان أنها النبوة !! قال : نعم إذا ، وبلغ أبو سفيان الرسول مقالة سعد بن عبادة فقال : « كذب - أي أخطأ - سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة<sup>(٢)</sup> وأمر بالراية أن تؤخذ من سعد وتعطى لابنه قيس ، وقيل أعطها لعلي بن أبي طالب ، وقيل للزبير والذي يرجحه الأول وهو ما يتفق وما عرف عن الرسول من حكمة وبعد نظر ، إذ لم يرد أن يغضب أبا سفيان وصحبه ببقاء الراية مع سعد ، وقد يظنى سيفه فيسرف في القتل ، فأخذها من سعد تأديباً له وزجراً عما قال ، وفي الوقت نفسه لم يغضب سعداً لأنه أخذها منه ، وأعطها لابنه وأى إنسان لا يود لابنه من الفخار والمنزلة ما يود لنفسه بل واكثر .

(١) عدة الحروب من ترس ، وفقر ، وسلاح ، والعرب تهر عن الاسوداد بالاخضرار والمكس ومنه قوله تعالى « مداهمنا » أي خضراوان شديدتا المطرة حتى كأنها سوداوان

(٢) هذا ما ذكر في صحيح البخاري وذكر ابن اسحاق أن ذلك عند الدخول والتي يرجحها ما في الصحيح



(رجوع أبي سفيان إلى مكة) ثم رجع أبو سفيان مسرعا حتى إذا وصلها نادى بأعلا صوته : يا معشر قريش هذا عهد قد جاءكم فيها لا قبل لكم به . فن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقالوا وما تغني دارك فقال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتنفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد إلا من غلبت عليه الحمية ، وصمم على القتال .

« دخول مكة » وسار الجيش الإسلامي حتى وصل ( ذاطوى ) وفي هذا المكان رأى الرسول الحكيم ، والقائد المحنك أن يفرق الجيش فرقا أوصاهم أن يكفوا أيديهم ، ولا يقتلوا إلا من قاتلهم ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفلها من كدى ، وأمر الزبير بن العوام أن يدخل في فرقته من شمالها ، وقيس ابن سعد بن عباد بن الأنصاري من جانبها الغربي ، ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم من أعلاها من كداء بين يديه أبو هبيدة بن الجراح في فرقة من الجيش ، دخلها وهو راكب ناقته ومطاطيء رأسه حتى أن شعر لحيته لم يمس واسطة رحله تواضعا لله وشكرا ، ومعظما له ومكبرا ، حين رأى ما أكرمه الله من الفتح ، وقد اردف وراءه أسامة بن زيد فلما بلغ الحجون<sup>(١)</sup> أمران تركز رايته هناك ، وأن تضرب له قبة فضربت فاستراح بها هو وزوجناه ميمونة وأم سلمة ، فقال له أسامة بن زيد أين تنزل غدا يا رسول الله ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيل من ربيع أودور ؟ وفي رواية أخرى : ( منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر )<sup>(٢)</sup> رواها البيهاري .

ودخلت الجيوش مكة ولم يلق منها مقاومة تذكر إلا جيش خالد بن الوليد

(١) مكان بأعلى مكة بالقرب من مقبرتهاو ( كداء ) بفتح الكاف كهجاب جبل بأعلى مكة ، و ( كدى ) بالضم والقصر جبل بأسفل مكة

(٢) يعني لما تحافت قريش أن لا يبايعوا بنى هاشم ولا يناكحوهم ولا يؤثروهم وحسروهم والشعب وقد اختار النبي ذلك المكان لينذروا ما أصابهم من بلاء ، فيشكروا الله على ما أنعم عليهم من المنح العظيم ومبالغة في الصفع عن الدين أساوا ، ومقابلتهم بالعبو والإحساس ، وقد كان الخفيف وجاه الشعب

فقد كان يقيم في أسفل مكة أشد قريش عدواة للرسول ، ومن اشتركوا مع نبي بكر في نقض عهد الحديبية ، هؤلاء لم يرضهم أن يستسلموا من غير إراقة دماء ولم يعتدوا بما منحوا من أمان فأعدوا عدتهم للقتال ، ومن هؤلاء صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، وحماس بن قيس ، فلما دخل جيش خالد أمطروه بنبـالهم ولكن خالدآ لم يلبث أن فرقهـم ، ولم يقتل من رجاله إلا اثنان ضالا طريقهما ، أما قريش ففقدت ثلاثة عشر رجلا في رواية ، وأربعة وعشرين في رواية أخرى ، ولم يلبث صفوان وعكرمة وسهيل أن ولوا الأدياء منهزمين .

وكان حماس بن قيس يعد سلاحا قبل مقدم جيش المسلمين فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى ؟ فقال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، فلما شهد الموقعة مع صحبه وهزموا جاء حماس لاهنا وهو يقول : أغلقت على بابي ، فقالت : فأين ما كنت تقول ؟! فقال لها :

إنك لو شهدت يوم الخندق إذ فر صفوان وفر عكرمة  
وأبو يزيد فائم كالمؤتممة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة  
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا غمغمة  
لهم نهيت خلفنا وهمهمه لم تنطق في اللوم أدنى كلمة (١)

ولما قيل لرسول الله : هذا خالد بن الوليد يقتل ، فقال قم يا فلان فأت  
خالدا فقل له يرفع يديه من القتل وكان هذا الفتح المبين في صبيحة العشرين

---

(١) الخندق المكان الذى كانت به الموقعة ، أبو يزيد : سهيل بن عمرو : المؤتممة : الاسطوانة أو المرآة مات عنها زوجها الغمغمة : أصوات غير مفهومة ، نهيت : صوت الصدر ، همهمة : كلام خفى أو صوت يتردد في الصدر عند الحرب والاطعن .

من رمضان سنة ثمان فلا عجب أن كان المسلمون يحتفلون في هذا اليوم بالذكرى  
الحالدة : ذكرى الفتح المبين .

### « اجارة أم هانئ عرجاين »

وكانت السيدة أم هانئ بنت أبي طالب زوج هبيرة بن أبي وهب المخزومي  
فر إليها يوم الفتح رجلا من أحمائها<sup>(١)</sup> ، وها الحارث بن هشام ، وزهير  
بن أبي أمية المخزوميان فدخل عليهما أخوها علي بن أبي طالب يريد قتلها  
فمنعته أم هانئ ، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ وهو في أعلى مكة ، فلما رآها قال :  
« مرحبا بك وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك ؟ » فقالت يا نبي الله كنت أمنت  
رجلين من أحمائي فأراد علي قتلها ، فقال رسول الله ﷺ : « قد أجرنا من  
أجرت يا أم هانئ »<sup>(٢)</sup> وقد أسلم الحارث وزهير ، وأما هبيرة زوجها فلم يسلم  
وأقام بمكة حتى مات كافرا .

إلى الكعبة ، ثم قصد رسول الله الكعبة فطاف بها سبعا ، يستلم الركن  
بموجب في يده ، وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنما مشدودة إليها برصاص ،  
فصار يطعمها بعود في يده وهو يقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان  
زهوقا » ( جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد ) فجعلت الأصنام تنهوى  
وتسقط إلى غير رجعة ، ورجعت الكعبة كما كانت على عهد الخليل إبراهيم رمز  
التوحيد ، وعبادة الله وحده .

( في جوف الكعبة ) ثم دعا النبي عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار  
حاحب الكعبة فأخذ منه المفتاح ففتحت له الكعبة ، فدخلها وكبر في جوانبها  
وصلى فيها ركعتين ، ورأى على جدرانها صور الملائكة وغيرهم ، وصورة  
إبراهيم وإسماعيل بيدهما الأوزام يستقيمان بها فقال : فاتلهم الله لقد علموا  
ما استسماها قط ، وأمر بالصور فازيلت ، وبالأصنام فاخرجت .

(١) جهم حم أقارب زوج المرأة كالأب والأخ والعم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(آذان بلال على الكعبة) وبعد أن طهرت الكعبة من الأصنام أمر النبي عليه الصلاة والسلام بلالاً ، فأذن فوقها بما اهاج غيظ الذين لم يكونوا قد تخلصوا من عنجهية الجاهلية حتى لقد قال بعضهم : الحمد لله الذي توفي فلاناً قبل أن يرى هذا العبد الأسود على ظهر الكعبة ١١ ومن يومها ومن منذ أربعة عشر قرناً إلى يومنا وإلى ما شاء الله وبلال وخلفاؤه ينادون إلى الله كل يوم خمس مرات « إن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله ، وإن الله أكبر من كل كبير ، وداعين الناس إلى الفلاح ، وإلى خير العمل وهي الصلاة .

(اليوم يوم بر ووفاء) ولما خرج رسول الله ﷺ قام إليه علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ومفتاح الكعبة بيده فقال : يا رسول الله أجمع لب الحجابة مع السقاية فقال النبي ﷺ (أين عثمان بن طلحة) ؟ ادعى له فقال : (هذا مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء) وقال : (خذوها يا بنى شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم<sup>(١)</sup>) ولا يزال مفتاح الكعبة فيهم إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله ويقال للحجبة : الشيبون نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان هذا لا ولده ، وله أيضاً صحبة للنبي ورواية ، فقد انتقلت من عثمان بن طلحة إلى ابن عمه شيبة وما زالت في نسبه إلى اليوم وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » الآية<sup>(٢)</sup> .

« خضبة يوم الفتح » ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة ، وقد تكاثرت الناس في المسجد ، وأوجس المشركون خيفة ، وكادت تغص حلوقهم بقلوبهم من شدة الخوف ، وصارت أبصارهم مشدودة إلى الرسول ، ولكن المظلوم المنتصر أبى إلا أن يضرب مثلاً نادراً في العفو ، فقام خطيباً وكان مما قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده إلا إن كل ماثره كانت في الجاهلية ، أو دم ، أو مال يدعى ،

(١) فتح الباري ج ٨ ص ١٥ .

(٢) النساء ٥٨ .

فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج فانها أمضيتها لأهلها على ما كانت ، ألا وإن قتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل : أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب « ثم تلا هذه الآية « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ثم قال يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم ، ؟ قالوا خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : إذهبوا فانتم الطلقاء ، ١١

« العفو عند المقدرة » ألا ما أجل العفو عند المقدرة ، وما أعظم النفوس التي تسمو على الأحقاد وعلى الانتقام ، بل تسمو على أن تقابل السيئة بالسيئة ، ولكن تعفو وتصفح ، والعفو عن من ؟ عن قوم طالما عذبوه وأصحابه وهموا بقتله مراراً ، وأخرجوه وأتباعه من ديارهم وأهلهم وأموالهم ولم ينفكوا عن محاربتهم والكيد له بعد الهجرة ١١

إن غاية ما يرحى من نفس بشرية كانت مظلومة فاتصرت أن تقتص من غير إسراف في إراقة الدماء ، ولكنه النبي ! والنبوة من خصائصها كبح النفس ومغالبة الهوى ، والعفو والتسامح ، أليس من صفاته التي بشرت بها التوراة أنه ليس بفظ ولا غيظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يقابل السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ؟ لقد ضرب النبي صلوات الله وسلامه عليه بعفوه عن أهل مكة للدنيا كلها ، وللأجيال المتعاقبة مثلاً في البر والرحمة والعدل والوفاء وسمو النفس لم تعرفه الدنيا ، ولن تعرفه في تاريخها الطويل .

ارجع يبصر كقليل إلى ما فعله الغالبون بالمغلوبين في الحريين العالميتين في قرنتنا هذا : قرن الحضارة كما يقولون ، لتعلم علم اليقين فرق ما بين النبوة وغير النبوة ، والإسلام ، وغير الإسلام .

« إسلام أبي قحافة » وبعد الفتح جاء أبو بكر الصديق بأبيه أبي قحافة

يقوده وقد كف بصره ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية » ؟ فقال أبو بكر : هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه ! فأجلسه رسول الله بين يديه ثم مسح صدره وقال : « أسلم » فأسلم ، وهنأ رسول الله أبا بكر بإسلام أبيه ، وكان رأس أبي قحافة قد اشتغل شيئا ، فقال للرسول : « غيروا من شعره ، ولا تقربوه سوادا ، .

( إسلام الحارث وعتاب ) وكان الحارث بن هشام ، وعتاب بن أسيد وأبوسفیان بن حرب جلوسا بفناء الكعبة ، وبلال يؤذن فوق ظهر الكعبة فقال فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يغيظه فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لأتبعته ، فقال أبوسفیان : لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا ، فطلع عليهم رسول الله فقال : ( قدم علمتم الذى قلتم ) ثم ذكره لهم ! فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك !

( إسلام فضالة بن عير ) وكانت نفسه قد حدثته أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال له الرسول : ( أفضالة ) ؟ قال نعم فضالة يا رسول الله ، قال : ( ماذا كنت تحدث به نفسك ) ؟ قال لاشيء كنت أذكر الله فضحك النبي ثم قال : ( استغفر الله ) ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب لى منه قال فضالة : فرجعت إلى أهلى شررت بامرأة كنت أحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث تعنى حديث الهوى والغرام . فقال : لا وأنبعث يقول :

يا بى عليك الله والإسلام	قالت هلم إلى الحديث فقلت : لا
بالفتح يوم تكسر الأصنام	لو ما رأيت مجدا وقبيله
والشرك يفشى وجهه الإظلام	لرأيت دين الله أضحى بيانا

تعم إن الإسلام يغير من سلوك من يعتقه ، ويرشده إلى القيم الخلقية الكريمة ،  
ويغير من نظراته إلى الحياة حتى يصير منه إنسانا آخر في عقيدته ، وسلوكه ،  
وأخلاقه ١١

### « أهدار النبي بعض الدماء »

لقد كان النبي صلوات الله وسلامه عليه حريصا غاية الحرص على أن تبقى لمكة  
حرمتها ، وأن يتم الفتح من غير إراقة دماء ، وقد أوصى أمراء الجيوش أن  
لا يقتلوا إلا المكركهين ، وتوج هذا بالعفو عن أهل مكة عفوا شاملا يهد  
استثنى بضعة عشر رجلا أمر بقتلهم وإن وجدوا متعلقين باستار الكعبة ، لأنهم  
عظمت جراتهم في حق الله وسوله ، وحق الإسلام ولما كان يخشاه منهم من إثارة  
الفتنة بين الناس بعد الفتح . قال الحافظ ابن حجر في الفتح . وقد جمعت أسماءهم  
من متفرقات الأخبار وهم : عبد العزى بن خطل ، وعبد الله بن سعد بن أبي  
سرح ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحويرث بن قعيد - مصغرا - ومقيس بن صبابه ،  
وهبار بن الأسود ، وقينتان كاتتا لابن خطل : فرتى ، وقرينة ، وسارة يمولاة  
بنى عبد المطلب ، وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن طلائل الخزاعى ،  
وذكر الحسكهم أن فيمن أهدر دمه كعب بن زهير ، ووحشى بن حرب وهند  
بنت عتبة (١)

ومن هؤلاء من قتل ، ومنهم من جاء مسلما تائبا فعفا عنه الرسول ، وحسن  
إسلامه ، إليك بعضا منهم .

(عبد الله بن خطل وقينناه) كان اسمه عبد العزى فلما أسلم سمي : عبد الله  
وقد بعثه رسول الله مصدقا ، (٢) وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى

---

(١) فتح البارى ج ٧ ص ٩ (٢) المصدق بتخفيف الصاد وتعدد الدال - هو  
الذى يأخذ صدقات النعم ، وأما المصدق - بتعدد الصاد - فهو الذى يعطى الناس ،  
ويتصدق عليهم

له فغضب عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا ، وكانت قينته تغنيان بهجاء رسول الله والمسلمين فلماذا أهدر النبي دمه ودم قينته ، وقد اشترك في قتله أبو برزة الأسلمي ، وسعيد بن حريث المخزومي ، وقتلت إحدى قينته ، واستؤم من الأخرى .

( عبد الله بن أبي سرح ) كان ممن يكتب الوحي لرسول الله ، ثم ارتد وزعم أنه كان يزيف الوحي على الرسول ، ولما أهدر الرسول دمه ذهب مع أخيه من الرضاع عثمان بن عفان كى يطالب له الأمان فاعرض عنه الرسول طويلا ثم قال : نعم فلما انصرف مع عثمان قال الرسول : ( أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي قد صمت فيقتله ) ؟ فقالوا : يا رسول الله هلا أو مات إلينا ، فقال : ، أنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين « وقد حسن إسلامه فيما بعد ، وولاه الفاروق عمر بعض أعماله ، وكذلك فعل عثمان .

( الحويرث بن قنيد ) ولما تحمل العباس بن عبد المطلب بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله محس بهما الحويرث الجمل الذي هما عليه فسقطتا على الأرض ، وهى نذالة وعمل تار عن المروءة وقد قتله سيدنا على بن أبى طالب .

( مقيس بن صبابه ) كان قتل أخ له مسلم خطأ ، فأخذ دينه ورضى ثم اتهم من القاتل غرة فقتله وارتد مشركا فقتله رجل من قومه بميلة بن عبد الله .

( هبار بن الأسود ) كان أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت الرسول أسرفى بدر فأطلقه المسلمون ، فأخذ عليه رسول الله أن يرسل إليه ابنته ، فوفى بما وعد ، وأرسل بصحبتها أخاه كنانة بن الربيع<sup>(١)</sup> فلما تلعت قريش بنحروجها

---

(١) هذا ما ذكره ابن اسحاق وذكر الحافظ في الإصابة أنه كنانة بن عدى بن ربيعة بن عبد العزى فهو ابن عم أبى العاص لا أخوه . وقال ابن عبد البر أنه ابن أخيه ( الإصابة ج ٣ ص ٣٠٧ ) ولعل للاختلاف فى نسبة أمه أبو العاص بن الربيع بن ربيعة بن عبد العزى أم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى كما ذكر الحافظ فى الفتح



علاية سعو إليها كى يردوها فكان أول من أدركها هبار بن الأسود فروعها بالسيف  
وهى فى هودجها فسقطت وكانت حاملاً فأجهضت، ولم يزل يعاودها المرض بسبب  
هذا حتى توفاه الله ، فلما أهدر النبي دمه هرب حتى إذا كان رسول الله ﷺ  
بالجمرة بعد الفتح لقيه فأسلم وقال : يارسول الله هربت منك وأردت للحاق  
بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وصلتك و صفحك من جهل تملك، وكنا يارسول  
الله أهل شرك فهدانا الله بك، و اتقنا من الملكة فاصفح الصنح الجميل فقال العفو  
الكريم : ( قد عفوت عنك ، وقد أحسن الله إليك حيث هدك إلى الإسلام ،  
والإسلام يجب ما قبله )

( عكرمة بن أبى جهل ) لما أهدر النبي دمه هرب قاصداً اليمن ، وكانت  
أمرأته أم حكيم بنت الحارث قد أسلمت قبل الفتح فأخذت له أماناً من  
رسول الله ﷺ فلحقته، وقد هم بركوب البحر فقالت : جئتك من عند أبر الناس ،  
وخيرهم ، لآتهلك نفسك ، وأنى قد استأمنته لك ، فرجع معها، فلما رآه رسول الله  
وثب قائماً فرحابه، وقال مرحباً بمن جاءنا مسلماً مهاجراً، ثم التمس من النبي أن يستغفر  
له كل عداوة عاداه إياها فاستغفر له ، وكان - رضى الله عنه - بعد ذلك من خيرة  
المسلمين ، وأغيرهم على الإسلام ومن أبطال الفتوحات الإسلامية .

( هند بنت عتبة بن ربيعة ) زوج أبى سفيان وهى التى أغرت وحشياً بقتل حمزة ،  
والتي مثلت بقتلى المسلمين فى أحد ، وكانت أختفت ثم جاءت إلى النبي مسلمة فعفا  
عنها فقالت : والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى أن  
يدلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء ، أحب إلى أن يعزوا من  
أهل خبائك !!

وأما وحشى بن حرب قاتل سيد الشهداء، حمزة فقد مضت قصة إسلامه فى غزوة  
أحد ، وأما كعب بن زهير فتأتى قصته بعد .

## « خطبة النبي غداة الفتح مؤكدا حرمة مكة »

وفي غداة الفتح بلغ النبي ﷺ أن خزاعة حلفاء عدت على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك برجل قتل في الجاهلية فغضب وقام بين الناس خطيباً فقال :  
 ( يا أيها الناس أن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمأ ، ولا يعضد - يقطع - فيها شجرا ، لم تحل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم أن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا : أن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم ، يا معشر خزاعة : ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع . لقد قتلتم قتيلاً لأدينه فن قتل بعد مقامي هذا ، فأهله بخير النظرين : إن شاءوا قدم قاتله ، وإن شاءوا فقهه ) (١)  
 ثم ودى رسول الله الزجل الذي قتلته خزاعة فأى احترام لحرمة الدماء حتى ولو كانت غير مسامة فوق هذا؟ وهل يشك أحد في حرمة البسلة الأيمن بعد هذه الخطبة البليغة المؤثرة ، واستمرارها إلى يوم القيامة ؟

« إسلام قريش رجالاً ونساء » لقد كان من أثر عفو النبي الشامل عن أهل مكة ، وللعفو عن بعض من أهدر دماءهم أن دخل أهل مكة رجالاً ونساء وأحراراً وموالى في دين الله طواعية واختياراً وبانطواء مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجا ، وتمت النعمة ، ووجب الشكر ، وصدق الله حيث يقول ، « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا » فالمراد بالفتح في هذه السورة فتح مكة ولما نزلت قال النبي : « نعت إلى نفسي » فقد فهم منها قرب انتهاء أجله (٢) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق ابن إسحاق صاحب البيرة . ورواه أيضا من غير طريقه ، وأصل الحديث في الصحيحين والمقل : البيرة

(٢) كان نزولها في أواسط أيام التشريق في حجة الوداع كما سيأتي ، وإنما ذكرتها هنا =

« بيعة الرجال ، وبايع رسول الله ﷺ الناس جميعا الرجال والنساء ، والكبار والصغار ، وبدأ ببايعة الرجال فقد جلس لهم على الصفا ، فأخذ عليهم البيعة على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، وجاء بجاشع بن مسعود بأخيه بجالد بعد يوم الفتح فقال يا رسول الله جئتك بأخى لتبايعة على الهجرة فقال عليه الصلاة والسلام : ذهب أهل الهجرة بما فيها . فقال : على أى شيء تبايعه ؟ قال : « أبايعة على الإسلام والإيمان والجهاد » رواء البخارى ، وقد روى فى الصحيحين وغيرها أن رسول الله قال يوم الفتح : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية . وإذا استنفرتم فانفروا » والمراد أن الهجرة التى كانت وحية من مكة قد انتهت بفتح مكة فقد عز الإسلام ، وبميت أركانها ودعائمه ، ودخل الناس فيه أفواجا ، أما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أو من بلد لا يقدر أن يقيم فيه دينه ويظهر شعائره إلى بلد يتسكن فيه من ذلك فهى باقية إلى يوم القيامة ، ولكن هذه دون تلك ، فقد تكون واجبة ، وقد تكون غير واجبة ؛ كما أن الجهاد والإنفاق فى سبيل الله مشروع وباق إلى يوم القيامة ولكنه ليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل فتح مكة قال عز شأنه : ( لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير )<sup>(١)</sup>

« بيعة النساء » ولما فرغ رسول الله من بيعة الرجال بايع النساء ، وفين هند بنت عتبة منتقبة متسكرة على أن لا يشركن بالله شيئا ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين فى معروف ، ولما قال النبي : ولا يسرقن قالت هند : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى ويكفى بى فهل على من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال لها : . خذى من ماله ما يكفيك وبنيك بالمرء ، ولما قال : ولا يزنين قالت هند : وهل تزنى الحررة ؟ ولما عرفها رسول الله قال لها : ( وإنك لهند بنت عتبة ؟ ) قالت : نعم ، فاعف عما سلف عفا الله عنك

استشهد أهل انتشار الإسلام بعد الفتح حتى عم الجزيرة ، ولبيان أن المراد بالفتح فى الآية فتح مكة .

وقد بايمن رسول الله من غير مصافحة، فقد كان لا يصافح النساء ولا يس يد امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه، وفي الصحيحين عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت: (لا والله مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط) وفي رواية: ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول: (إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة) (١)

### « أكان فتح مكة عنوة (٢) أم صلحاً ؟ »

وقد اختلف العلماء في ذلك ، فقال مالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد ، وجاهير العلماء ، وأهل السير : إن مكة فتحت عنوة  
وقال الشافعى - ورواية عن أحمد - إنها فتحت صلحاً.  
وقد احتج الجمهور بأدلة منها :-

(١) حديث أبى هريرة الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه وفيه : أن رسول الله ﷺ ناداه ، فقال أبو هريرة : لبيك يا رسول الله ، قال : « اهتفلى بالأنصار ) فلبوا سراعاً ، قال : فأطافوا به ، ووبشت قريش أو باشأ لها (٣) وأتباعاً ، فقالوا : نقدم هؤلاء فإن كان لهم شىء - يعنى من النصر - كنا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذى سئلتنا ، فقال رسول الله ﷺ : « ترون إلى أو باش قريش ، وأتباعهم » ثم قال (٤) بيديه أحداها على الأخرى (٥) ثم قال : حتى توافونى بالصفاء » قال : فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله ، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئاً ، فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ، أبيضت خضراء قريش (٦) لا قريش بعد اليوم !! ثم قال : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .. (٧) »

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٩

(٢) قال فى المصباح النير : « دعنا يعنو عنوة إذا أخذ الشىء قهراً . . . وفتحت مكة عنوة أى قهراً »

(٣) جئت جموعاً من قبائل حتى لماربة جيش المسلمين (٤) أشار

(٥) يزيد الإهارة إلى القتل

(٦) يبنى جماعاتهم ، ويعبر عن الجماعة المجتمعة بالسواد ، والمخضرة ومنه السواد الأهم

(٧) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب غزوة الفتح

(٢) وقوع القتال من خالد بن الوليد وجيشه ، وهذا أمر ثابت في الصحاح وكتب السير .

(٣) قوله ﷺ - كما في الصحيحين - : ( أحلت لي ساعة من نهار ) ونهيه عن التأسي به في ذلك .

(٤) أذنه ﷺ أن ينادى في الناس بقوله : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أتى سلاحه فهو آمن .. » ، فلو كان دخولهم مكة صلحاً لم يحتج إلى هذا

(٥) حديث أم هانئ - وهو في الصحيحين - حين أجارت رجلين من أحماتها أراد علي أخوها قتلها ، فأخبرت النبي بذلك ، فقال : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ، فكيف يكون دخولها صلحاً ويخفى علي مثل علي ؟ »

واحتج الإمام الشافعي بأمور منها :

(١) ما قاله الإمام النووي من أنه احتج بالأحاديث المشهورة من أن النبي ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة .

(٢) لأنها لم تقسم بين الغانمين ، ولم يملكوا دورها ، بل بقيت على ملك أهلها وقد رد الجمهور بما يأتي : -

(١) أي أحاديث مشهورة رويت في هذا ؟ وما ذكره الإمام النووي رحمه الله تعالى - إن أراد به ما وقع من قوله ﷺ : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .. » فإن ذلك لا يسمى صلحاً إلا إذا التزم من أشير إليه بذلك السكف عن القتال والذي ورد في الأحاديث الصحيحة والسير ، أن قريباً لم يلتزموا ذلك ، بل استعدوا للقتال ، وجمعوا أوشاب القبائل كما في حديث مسلم ، وإن كان المراد بالصلح وقوع عقد بين النبي وبينهم فهذا لم ينقل قط .

(٢) وأما عدم القسمة بين الغانمين .. فإنها لا تستلزم عدم العنوة ، فقد فتحت البلد عنوة ، ويمن الإمام علي أهلها ، ويترك لهم دورهم ، لأن قسمة الأرض المنزومة بين الغانمين ليس متفقاً عليها بل الخلاف ثابت بين الصحابة فمن بعدهم ،

وقد فتحت أكثر البلاد عنوة ، فلم تقسم ، وذلك في زمن عمر وعثمان ، مع وجود أكثر الصحابة ، وقد زادت مكة على ذلك بأمر يمكن أن تكون مختصة به دون بقية البلاد ، وهي أنها دار النسكين — الحج والعمرة — وتمعبد الخلق وقد جعلها الله تعالى حرماً آمناً سواء العاكف فيه ، والباد

وجنحت طائفة منهم الإمام الماوردي إلى أن بعضها فتح عنوة ، لما وقع بينهم وبين خالد وحيشه من قتال وإن كانت دارت عليهم الدائرة وبعضها وقع صلحا . وقد قرر ذلك الإمام الحاكم في الإكليل ،

والحق أن الرجوع والصحيح أن فتحها كان عنوة ، وبقوة السلاح ، ولو أمكنهم أن يقاتلوا أيضا الجيش الذي كان فيه للنبي صلى الله عليه وسلم لفعلوا ، وقد ناوشوا جيش خالد ، ولكنهم لم يلبثوا أن هزموا ، واستلموا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم للاهتبارات التي ذكرناها ، وتأليفا لقلوب من لم يدخل منهم في الاسلام يوم الفتح عامهم معاملة من فتحت بلدهم بأمان و صلح<sup>(١)</sup> وبحسبنا هذا القدر في هذا المقام

( مخاوف الأنصار وتبديدها ) لما رأى الأنصار سرور رسول الله بالفتح ، وحفاوته بالكعبة والمسجد الحرام ، وذهابه إلى الصفا داعيا وشاكرآ لله على عظم نعمائه — تخوفوا أن يقيم رسول الله في بلده ، ولا يرجع إليهم فيحرموا منه ، فقال بعضهم لبعض فيم بينهم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ، أترون رسول الله إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فأوحى الله إليه بما جرى ، فذهب إليهم فأخبرهم بما قالوا فأقروا فطمأنهم قائلا : « كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم ، فالجبا حياكم ، والممات ممانكم ) فأقبلوا إليه يسكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله ، فقال رسول الله : ( إن الله ورسوله بصدقانكم ويعذرانكم )

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ١٣٠ ، ١٣١ ، فتح الباري شرح صحيح

(مدة إقامة النبي بمكة) وأقام رسول الله ﷺ بمكة بضعة عشر يوماً قيل: خمسة عشر يوماً، وقيل سبعة عشر يوماً وقيل تسعة عشر وهي أرجح الروايات، لأن أكثر الروايات الصحيحة على هذا،<sup>(١)</sup> وكان النبي يقصر الصلاة في هذه المدة ويفطر، لأنه كان على سفر ولم يرد الإقامة، وكان إذا صلى قال: (يا أهل البلد صلوا أربعمائة سفر) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن.

وفي هذه المدة أرسله النبي بعد الصحابة للدعوة إلى الإسلام، وهدم الأصنام والأوثان، والأنصاب.

### (بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فقام رجل منهم يسمى: جعدرا فقال: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه، فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكنفوا، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا، أسلمنا فجمعوا يقولون: صبا نأ صبا نأ، وخالد يأخذ فيهم أسراً وقتلاً فأنكر عليه بعض أصحابه ذلك، ثم دفع الأسرى إلى من كان معه، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل واحد أسيرة فامتلأ البعض، وأمتنع عبدالله بن عمر وأمتنع معه آخرون من قتل أسراهم، فلما قدموا على رسول الله أخبروه فغضب ورفع يديه إلى السماء قائلاً: اللهم إن أيراً إليك مما صنع خالد، مرتين.

وقد أنكر على خالد الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف وقال له :  
عملت بأمر الجاهلية في الاسلام ، وكانت بينهما ملاحاة قال له فيها عبد الرحمن :  
إنك تارت لعنك الفاكه بن المغيرة ، وكان بعض بني جذيمة قتلوه في الجاهلية (١)  
وكذلك أنكر على خالد بعض كتاب السير والتاريخ ، ورموه بما رماه به  
ابن عوف .

والظن بمنزل خالد أنه إنما أراد نصرة الاسلام وأنه اجتهد في أمر وتناول  
فأخطأ ، ففهم من كلامهم صباً ، لأنهم يتبرأون من الاسلام ، لأنهم يريدون  
الاسلام ، ولعل هذا هو السبب في أن النبي صلى الله عليه وسلم عذره ، ولم  
يعزله وإن كان تبرأ من فعله إلى الله ، وما كان رسول الله يداهن ، أو يخاف  
في الحق لومة لائم .

وبعض من يعذر خالداً ، وينتصر له يزعم إن خالداً قال : ما قاتلت حتى  
أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم عن الاسلام وليس من شك في إن خالد  
من المواقف المشهودة ، والنضحية بالنفس ، ما يغفر له مثل هذه المنافع ،  
والله يغفر لهم جميعاً .

( تعويض النبي بنى جذيمة عن الدماء والأموال ) ثم دعا رسول الله  
ﷺ على بن أبي طالب وقال له : « يا على أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في  
أمرهم ، وإجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد  
بعث به رسول الله معه ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من مال حتى مبلغة  
الكلب (٢) ، وبقيت معه بقية من المال ، فقال لهم : هل بقي لكم دم أو مال لم  
يؤد لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإني أعطيتكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله مما  
لا يعلم ولا تعلمون ثم رجع إلى رسول الله فآخبره بما صنع فقال له : ( أصبت  
وأحسن ) .

(١) السيرة لابن هشام ح ٢ ص ٤٣١

(٢) إنا من خشب كان يعد لعرب الكلب



وبهذا التصرف النبوي الحكيم واسبى النبي بنى جذيمة ، وأزال ما فى  
تفوسهم من أسى وحزن .

### ( هدم العزى )

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى ثلاثين فارساً لهدم العزى ، وهى  
هيكل بنخلة تعظمه قريش ، وكنانة ومضر ؛ وكان ذلك لخمس بقين من رمضان ،  
فذهب إليها وهدمها .

وهو يقول :

بأعز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

### ( هدم سواع )

وأرسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم صنم  
لهذيل على ثلاثة أميال من مكة ؛ فذهب إليه وهدمه .

### ( هدم مناة )

وبعث سعد بن زيد الاشهلى فى عشرين فارساً لهدم مناة وهى صنم لكعب  
وخداعة ، وهيكلا بالمثل ، وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه إلى قديد  
فتوجهوا إليها وهدموها ، وبهذا الفتح المبين وسقوط دولة الأصنام وأهياكل  
أصبح توحيد الله على كل لسان ، وأضحت الكعبة منارة التوحيد فى الأرض  
وعادت كما كانت على عهد الحليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

### (١) « غزوة حنين »

لما فتح الله مكة على رسوله والمؤمنين ، ودانت له قريش فزعت هوزان  
وتخيف وقالوا : قد فرغ عهد لقتالنا ، فلنغزاه قبل أن ينزونا ، وأجمعوا أمرهم

---

(١) حنين مصراً واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشرين ميلاً من جهة هرات

على هذا ، وولوا عليهم مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع اليه هوازن ، ومقيف ، ونصرأ ، وجشم ، وسعد بن بكر قوم السيدة حليلة السعدية ، وناس من بنى هلال ، ولم يحضر هامن هوازن كعب وكلاب ، وكان معهم دريد بن الصمة ، وكان معروفاً بشدة البأس في الحرب وأصالة الرأي ، إلا أنه كان كبيراً فلم يكن له إلا الرأي والمشورة ، وكان رأى مالك بن عوف أن يخرج جواراً ووراءهم النساء والذراري والأموال حتى لا يفروا ، فلما علم بذلك دريد سأله : لم ذلك ؟ فقال : لئلا تودت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فقال دريد : راعى ضأن والله وهل يرد المهزوم شيء ؟ لأنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلك بسيفه ورعاه ! وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ! ولكنه لم يستمع لمشورته

( خروج رسول الله ) فلما علم رسول الله ﷺ بما أجمعوا عليه خرج إليهم خمس خلون من شوال من هذا العام وقيل لست ، ليغزوهم قبل أن يغزوه في أنى ألفاً منهم العشرة الآلاف الذين كانوا في فتح مكة ، وألفان من الأعراب والطلقاء ، والمؤلفة قلوبهم والنساء ، يرجون الغنائم وخرج في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، واستخلف النبي على مكة عتاب بن أسيد <sup>(١)</sup> الأموي العبشمي ، وكان عمره عشرين عاماً

( استعارة دروع صفوان ) وكان ذكر لرسول الله أن عند صفوان بن أمية دروعاً وسلاحاً فلما عزم الأمر أرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أمية اعرنا سلاحك نلق به عدونا غداً فقال : أغصبا يا محمد ؟ فقال : « بل عارية مضمونه ، فأعاره مائة درع بما يكتبها من السلاح ، وسأله رسول الله أن يكفيم حملها ففعل ، فلما تمت الموقعة جمعت دروع صفوان فوجدوا أن بعضها فقد ، فعرض عليه رسول الله أن يضمها له ، فأبى وقال أنا اليوم في الإسلام أرغب .

(١) قال في المصباح المنيرة وأسد أسيد مثل كزير أي متأد جريء . وبه سمى ، ومنه : عتاب بن أسيد « وعتاب بتشديد التاء صيغة مبالغة ثم سمى به ، وعبشمي : نسبة إلى عبد شمس

( مسيرة الجيش ) وسار رسول الله حتى كان قريبا من معسكر العدو صف

الغزاة، وعقد الأولوية فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب، ولواء الخزرج  
لحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأبيد بن حضير، وكذلك فعل مع القبائل  
الأخرى وركب النبي بغلته ولبس درعين والبيضة والمنفر، واغتر بعض المسلمين  
بهذه الكثرة الكاثرة حتى قال: لن نهزم لليوم من قلة، وفي الطريق إلى حنين  
مروا بذات أنواط<sup>(١)</sup> فقال بعض حديثي العهد بالإيمان: يا رسول الله اجعل لنا  
ذات أنواط كما لهم ذات أنواط!! قال رسول الله ﷺ: ( الله أكبر !! قلت  
والذي نفسى بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة قال: إنكم  
قوم تجهلون إنها السنن لتركن سنن من كان قبلكم ) .

( التقاء الجيشين ) وكان مالك بن عوف قد سبق رسول الله ﷺ إلى حنين،

فأعدوا أنفسهم، وكنوا في مضائق الوادي وأحائه، وأقبل رسول الله ﷺ في  
أصحابه حتى نزلوا بالوادي في عمية الصبح، وإنهم لذلك إذ شدت عليهم  
قبائل هوازن وثقيف شدة رجل واحد، وخرج من كان مستترا في شعاب الوادي  
ومضايقة، وأمطروهم بالسهم، فاختلط أمر المسلمين وأذهلتهم المفاجأة، فلووا  
أعنة خيلهم، وأزمة إبلهم متقهقرين لا يلوون على أحد حتى وصلت فلول  
المنهزمين إلى مكة .

( ثبات الرسول ) ورأى رسول الله الجيش على كثرته قد أختل نظامه

واضطرب أمره، وولى الكثيرون الأدبار فإذا يصنع؟ إنه يعلم أنه رسول الله  
وأنه ناصره، وإنه للبطل الذي لم يعرف عنه الفرار قط، فعزم على الثبات ولو  
أن يكون وحده، وثبت رسول الله، وصار يركض بغلته البيضاء ركضا في نحر  
العدو<sup>(٢)</sup>، والعباس عم الرسول آخذ بلجامها يكفها به إرادة أن لا تسرع

(١) شجرة عظيمة كانت لكفار قرش ومن سواهم من العرب، يأتونها كل سنة  
فيملكون عليها أسلحتهم . ويذبحون عندها ويكفون عليها يوما .

(٢) قال الحافظ في الفتح: وما ينه عليه هنا أن البقرة البيضاء التي كان عليها في حنين  
غير البقرة البيضاء التي أهداها له ملك « أبة » لأن ذلك كان في تبوك، وغزوه حين كانت

وأبو سفيان بن الحارث بن عم الرسول آخذ بركابه ينافح عنه ، ورسول الله ينادى : أنا النبي لا كذب : أنا ابن عم المطالب<sup>(١)</sup> وكان من دعائه في هذا اليوم :  
( اللهم أنزل نصرك ، اللهم إنك أن تشأ لا تعبد في الأرض بعد اليوم )

( من ثبت مع الرسول ) وثبت مع رسول الله عداهذين رهط من المهاجرين ، وآل البيت ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعلي بن أبي طالب ، وريعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل ، وقثم ولدا العباس ، وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن ، ولاكن ماذا تفعل هذه الثلاثة في هذا البحر اللجج من جيش الأعداء ؟ قفتق عقل النبي عن هذا الأمر الحكيم ، فقد أمره العباس - وكان رجلا جسيما صديقا - أن ينادى :: يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة ، فنادى بها .

( استجابة المسلمين ) وحركت هذه الكلمات ذات الذكريات ، مكامن الإيمان والشجاعة في النفوس ، وأزالت ما غشى النفوس من دلمع وفزع ، فثاب انفارون إلى رشدهم ، وأجابوه : لبيك . لبيك ، وجعل الرجل منهم إذا لم يستطع أن يلوى عنق بغيره ينزل عنه ، ويأخذ سيفه ورعه ويؤم الصوت حتى تجمع حول الرسول عدد كبير .

( الآن حمى الوطيس ) واشتد القتال ، وأشرف رسول الله على المعركة فقال :  
« الآن حمى الوطيس »<sup>(٢)</sup> وأمد الله المؤمنين بجند من عنده ، وأشدت مطاردة المسلمين للفلول المنهزمة من هوازن وثقيف ، وما هي إلا ساعة حتى انهزم

قبلها . وقد وقع في مسلم من حديث العباس أن البغلة التي كانت تحتمه في حين أهداها له فروة بن نفاثة - بضم النون بعدها ناء خفيفة . ثم مثلثة - وهذا هو الصحيح . وذكر أبو الحسين بن عياد أن البغلة التي ركبها يوم حنين « دليل » وكانت شهباء أهداها له للموقس . وأن التي أهداها له « فروة » يقال لها « نضة » ذكر ذلك ابن سعد . وذكر عكسه . والصحيح ما في مسلم ( فتح الباري ح ٦ ص ٥٧ ) وفروة كان عاملا للروم على بلاد «معان» وما جاورها من بلاد الشام

(١) انتسب إلى جده لأنه كان أشهر وأذكر عند العرب . أما أبوه فقد مات وهو شاب

(٢) أي اشتدت رحى الحرب وهي من الكلم التي لم يسبق انسى لابلها .

المشركون ، وحيء بالأسارى وهم مكتفون ، وأفاء الله على رسوله والمؤمنين أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، وقتل من المشركين عدد غير قليل منهم دريد بن الصمة .

ومن قاتل في هذا اليوم قتال الأبطال السادة على بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد فقد جرح جراحات بالغة ، وأبو قتادة حتى سماه الصديق أسدا من أسد الله ، وهكذا بفضل نبات النبى كان النصر بعد الهزيمة ، ولولا نبات الرسول لما تجمع الأبطال حول سيدهم ، ولما تاب المسلمون إلى نبهم وقد كان لهذا النصر أثره فى نفوس كثير من بقى من أهل مكة على شركهم فأسلموا لما عاينوا نصر الله لنبيه ، وإعزازة لدينه ، وفى غزوة حنين أنزل الله سبحانه قوله « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرا فلم تغن عنكم شيئا ، وضائق عابكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، ونذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم » (١)

( تشفى بعض الأعراب وضعفاء الايمان ) ولما انهزم المسلمون تكلم بعض جفاة الأعراب ، ومن كانوا حديثى عهد بالاسلام بكلام ينم عن التشفى والشتمات ، فقال كادة بن الحنبل — وهو أخ لصفوان بن أمية لأمه : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان ، وكان لا يزال مشركا فى المدة التى جعل له فيها الرسول الحيار : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربى — يملكنى — رجل من قريش أحب إلى من أن يربى رجل من هوازن !! ومر رجل قرشى بصفوان بن أمية فقال له : أبشر بهزيمة مجد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا ، فزجره أمية وقال . تبشرنى بظهور الأعراب !! وقال عكرمة بن أبى جهل لهذا الرجل : الأمر ليس بيدك ، الأمر بيد الله ليس إلى مجد منه شيء ان أدبيل عليه اليوم فإن العاقبة له غدا ! فقال سهيل بن عمرو : والله إن عهدك بخلافه لمديت فقال عكرمة : يا أبا يزيد إنا كنا على غير شيء ، وعقولنا ذاهبة نعبد حجباً رأيا يضر ولا ينفع ! وقال

أبو سفيان بن حرب : لانتهمى هزيمتهم دون البحر ، وقد أكذب الله كل هذه الاماني ، وكانت العاقبة لرسول والمؤمنين

( موقف انساني للرسول ) ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرأة مقتولة قتلها خالد بن الوليد ، والناس واقفون عليها ينظرون ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فقال : ( ما كانت هذه لتقاتل ) وقال لأحدهم : ( الحق خالداً فقل له : لا يقتلن وليداً ولا امرأة ولا عسيفاً ) أى أجيبراً

( حنين درس في التريية النفسية ) وقد كانت حنين درساً أفاد منه المسلمون فقد كان في الجيش اخلاط كثيرون من المشركين والأعراب ، والمؤلفة قلوبهم ، وهؤلاء لا يقاتلون عن عقيدة واخلاص ، وإنما يقاتلون لمغتم أو عصبية ، كما كانت درساً في التريية النفسية علم المسلمين أن النصر ليس بكثرة العدد والعدة ، وأن الاغترار بذلك ليس من أخلاق الإسلام ، فهاهم لما اغتموا بكثرتهم كانت الهزيمة ، وذلك ليكون المسلمون على صلة قوية بالله ، فلا يلهمهم العدد والعدة عن تذكر الله ، والتوكل عليه ، فليتوكلوا على الله ، ثم ليأخذوا ما استطاعوا في إعداد في إعداد العدة للأعداء حسبما أمر الله به في قوله ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن وباط الخيل ... ) وقد أشار الله إلى هذا المعنى بقوله : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » (١) « وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » (٢)

( غنائم حنين ) وأمر رسول الله بجمع السبي من النساء والذراري والغنائم من الإبل والغنم والمال ، وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، وأمر أن تساق إلى الجعرانة فتحبس هناك ريثما تقسم ، وجعل على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري

(١) آل عمران ١٢٦

(٢) الاقمال ١٠

(من استشهد من المسلمين) وعن استشهد في حنين أيمن بن هبدا بن أم أيمن  
مولاة رسول الله وحاضنة، وزيد بن زمعة بن الأسود جرح به فرسه فمات،  
وسراقة بن مالك الأنصاري

### ( سرية أوطاس )

لما انهزمت هوازن وثقيف ذهبت فرقة منهم فيها رئيسهم مالك بن عوف  
فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها، وسارت فرقة أخرى فمكروا بمكان يسمى  
( أوطاس )<sup>(١)</sup> وتوجهت فرقة ثالثة نحو نخلة<sup>(٢)</sup>، وهم بنو غيرة من ثقيف  
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس سرية  
وأمر عليهم أبا عامر الأشعري، فلما التقوا تناوشوا القتال، وقد أبلى أبو  
عامر بلاء حسناً حتى قيل: إنه قتل تسعة منهم، ثم رماه أحدكم بسهم فأبنته  
في ركبته فعجز عن القتال، فاستخلف على السرية ابن أخيه: (٣) أبا موسى  
الأشعري، فقتل قاتل همه، ولم يلبث أبو عامر أن مات من جرحه به. ثم أن  
أوصى أبا موسى أن يقرى رسول الله منه السلام، وأن يستغفر له، وقاتل أبو  
موسى القوم حتى هزمهم، فلما رجع بعد الموقعة أخبر الرسول بخبر همه لدماله  
ولأبى موسى رضى الله عنها.

( سبايا أوطاس ) وفي يوم أوطاس أصاب المسلمون سبايا لهن أزواج من  
أهل الشرك فقتلهم أناس من أصحاب رسول الله من غشيانهم وكفوا فانزل الله  
هذه الآية: (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم)<sup>(٤)</sup>  
فاستحلوا فروجهن، رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن

(٢) مكان بين مكة والطائف

(٣) وم ابن اسحاق فقال له: أنه ابن عمه والذي في صحيح البخاري أن أبا عامر عم

أبي موسى، وهو الصحيح

(٤) النساء الآية ٢٤

وقد استدلت جماعة من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذه الآية ،  
وخالفهم الجمهور فقالوا : هذه قصة عين فلملهن أسلمن أو كن كسنايات .

### ( غزوة الطائف )<sup>(١)</sup>

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ للمسير إلى الطائف حيث ذهب إليها  
مالك بن عوف رئيس المشركين في حنين في فلول من الجيش المنهزم ، وكانت الطائف  
مدينة محصنة لها أبواب تغلق عليها كما كثر مدن العرب في ذلك العهد ، وكان  
أهلها ذوى دراية بحرب الحصار ، وذوى ثروة طائلة جعلت حصونهم من أمتع الحصون ،  
فصار إليهم رسول الله في جيش كثيف في شوال سنة ثمان حتى نزل قريباً من  
حصونها ، فضرب به عسكره فصار أهل الطائف يرمون بالنبل من فوق حصونهم ،  
فأصابوا عدداً من المسلمين فتأخر إلى الوضع الذى يوجد فيه مسجد الطائف الذى بنته  
تقيف لما أسلمت بعد ، وكان مع رسول الله من نساء أم سلمة وزينب بنت جحش ،  
فضرب لهما لبتين ، فكان يصل بينهما بأصحابه ، ومكث المسلمون حول الحصون  
ضماً وعشرين ليلة وقيل سبع عشرة ليلة يترامون هم وأهل الطائف  
بالنبال والسهم .

(إسلام بعض العبيد) وأمر رسول الله من يؤذن في تقيف : أن من خرج  
إلينا من العبيد فهو حر ، فخرج إليهم جماعة بعد أن تسوروا الحصن منهم أبو بكر<sup>(٢)</sup> ؟  
تقيف بن مسروح الحبشى ، وكان عبداً للحارث بن كلدة فتنبأه فنم ذكره في  
نسبه أنه تقيف بن الحارث . والمنبعت ويحنس ، ووردان في رهط من رقيقهم  
يلغ ثلاثاً وعشرين رجلاً فأسلموا فأعتقهم رسول الله . ودفن كل واحد منهم إلى  
رجل من المسلمين يعوله ويحمه . فلما قدم أهل الطائف بعد مسلمين قالوا يا رسول  
الله رد علينا رقيقنا فقال : ( لا ، أولئك عتقاء الله )<sup>(٣)</sup> .

(١) ...  
(٢) ...

(١) الطائف بلد كثير الأعتاب والثقل على ثلاث مراحل من مكة .

(٢) كان عبداً لأن يسار بن مالك من تقيف وقال الواقدي : كان مولى يسار نفسه .

(٣) الباية والنهاية ج ٤ ص ٣٤٨ .



( الرمي بالمنجنيق واستعمال الدبابات ) ثم أمر رسول الله برميهم بالمنجنيقات (١) وذكر ابن هشام أن رسول الله أول من رمى به ، وكان أول استعمالهم له في حصار الطائف ، ويقال إن سلمان الفارسي هو الذي أشار به وعمه يده ، ورأى المسلمون أن يستعملوا الدبابات (٢) ليتوصلوا بها إلى نقب الحصن وتقويض أساسه ، فيسهل عليهم الدخول والتلاقي مع الأعداء وجها لوجه ، فدخل نفر من الصحابة تحت دبابه ثم زحفوا إلى جدار الحصن ليتقبوه ، ولكن أهل الطائف كانوا من المهارة والدربة في الحرب ما أكره المسلمين على الفرار من تحتها ، وعدم الاستفادة منها ، ذلك أنهم أحوا قطعاً من الحديد بالنار حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات فأحرقتها ، وفر الجنود المسلمون من تحتها خيفة أن يحترقوا ، فرمهم ثقيف بالنبال فقتلت بعضهم ، وهكذا نفذ هذه المحاولة الجادة المبسكرة في نقب الحصون ، والدخول منها وهذا يدل على لون من ألوان إعداد العدة للأعداء ، وعلى مبلغ تقبل النبي والصحابة واستعمالهم لكل سلاح مستطاع في الحروب .

( تقطيع الأغصان والزروع ) وكانت الطائف مشهورة بزروعها وكرومها وكانت تمثل ثروة عظيمة لأهلها ، فأمر رسول الله أصحابه بتقطيعها عسى أن يكون هذا حاملاً لهم على الاستسلام ، وشرع المسلمون يقطعون الكروم ويحرقونها ، فلما رأى المشركون أن المسلمين جادون أرسلوا إلى الرسول مع أبي سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبه أنه إن شاء فليأخذ نفسه ، أو ليدعه لله وللرحم ، وكان رسول الله عطوفاً رحباً فتركه لهم .

« مشورة نوفل بن معاوية الدثلي » ولما طال حصار الطائف استشار رسول الله نوفل بن معاوية الدثلي فقال « ما رأيك في المقام عليهم ، ؟ فقال : يا رسول الله ، نملب في جحر ، إن أقت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك ، وكان

(١) المنجنيق آلة يرمى بها الحجارة وكانت تقوم مقام المدفع اليوم .

(٢) الدبابه مشددة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينبثقونوه في جوفها (قاموس) وقد كانت حينذاك تسكى بالجلود الغليظة فلذلك أحرقتها كرات النار .

رسول الله قد رأى رؤيا قصها على صاحبها ، أبى بكر قال : إني رأيت كأنني  
أهديت لي قبعة مملوءة زبداء ، فنقرها ديك فمراق ما فيها ، فقال الصديق ما أظن  
أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد ! فقال رسول الله : « وأنا لا أرى ذلك ،  
ولما نمنا إلى الفارق عمر ما قاله رسول الله أنه يؤذن له في اقتحام ثقيف جاء إلى  
الرسول فقال : « أو ما أذن فيهم ؟ قال : لا ، فقال : أفلا أؤذن بالرحيل ؟  
قال : بلى ، فأذن بالرحيل .

وعاد رسول الله ﷺ من غير أن يفتح الطائف ، ولو أن رسول الله  
أقام على حصارهم لاشتد بهم الجهد ، ولا اضطروا بعد القتال إلى الاستسلام ،  
ولكن الحكمة الالهية اقتضت أن يؤخر الفتح عامئذ ، لئلا يستاصلوا قتلا  
وأسراً ، وقد كان رسول الله — كما هو دأبه — حريصاً على عدم الإسراف  
في القتل وإراقة الدماء ، كما كان حريصاً على هدايتهم ولما قيل له وهم قافلون  
من الطائف : يا رسول الله احرقتنا نبال ثقيف . فادع الله عليهم قال : ( اللهم  
اهد ثقيفياً واكفنا مؤنتهم ) ولو أننا رجعنا القهقري إلى ما قبل الهجرة ، وقد  
خرج إليهم داعياً إلى الله ، وأن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه لرأينا أنهم ردوا عليه  
وكذبوه ، وأغروا به الصبيان والسفهاء حتى رموه بالحجارة فأدموا عقبه ،  
فرجع مغموماً لم يستفق إلا عند قرن الثعالب ، فناداه جبريل فقال : إن الله  
قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك ، وقد بث لك ملك الجبال لتأمره بما  
شئت فيهم ، فناداه هذا الملك وقال له أنا رسول ربك بعثني إليك لتأمرني فيهم  
بما شئت : إن شئت أطبق عليهم الأخشبين ؟ — جبلين — فقال الرؤوف الرحيم  
« أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يبد الله لا يشرك به شيئاً ، رواه البخاري  
ومسلم ، وكذلك استأني بهم رسول الله بعد هذه القصة بنحو عشرين سنين ،  
وفك حصارهم ، واستجاب الله دعاءه ، فقدموا من العام المقبل في  
رمضان مسلمين .

## وفد هوازن واسترداد السبایا

وعاد رسول الله من حصار الطائف إلى الجمرانة<sup>(١)</sup> حيث وجد الغنائم والسبایا ليقسمها فوفاه بها وفد هوازن وقد جاءوا مسلمين فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرته ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فأمنن علينا ، من الله عليك ، وقام إليه خطيبهم زهير بن صره فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر من السبایا خالاتك وحواضنك اللاتي كنا يكفلنك ثم أنشده بعض الشعر ، وكان رسول الله أعرف الناس بالجميل ، وأرحم الناس بكلیم القلب ، وكسير الجناح ، فقال لهم : نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ وقد كنت استأنيت بكم<sup>(٢)</sup> فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ! بله أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، فقال رسول الله : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فأنى سأعطيكم عند ذلك وأأل لكم ، فلما صلى رسول الله الظهر بالناس قاموا فقالوا مثل ما قال لهم ، فقام النبي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : (أما بعد فإن أخوانكم هؤلاء قد جاءوا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيهم إياه من أول مال يفيء الله به علينا فليفعل ثم قال : ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ) فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقال الأنصار مثل ذلك ، وتمنع أناس منهم الاقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، والعباس ابن مرداس ، ومازاهم رسول الله حتى ارضاهم ، وبذلك ردت إلى هوازن

(١) بكسر الهم والعين وتشديد الراء وقد تسكن العين وتحذف الراء موضع بين الطائف ومكة وهو إليها أقرب .

(٢) كان رسول الله انظرهم بضعة عشرة ليلة حيث نفل من الطائف وأخر لامة النبي عسى أن يحضروا مسلمين فيشفع لهم لإسلامهم .

نساؤها وذرياتها بفضل النبي وبره ورحمته ، وحسن كيانته وسيادته ، فهو  
عليه السلام يعلم أن العربي بضحي بكل مال ، ولا بضحي بامرأته ، وذريته ، ويموت  
راضياً في سبيل صيانة عرضه

وأكمل رسول الله بره وصلته ، فسأل وفد هوازن عن رئيسهم عوف بن  
مالك ، فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال : « أخبروه أنه إن أتاني مسلماً  
رددت إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل » فلما بلغ ذلك مالكا انسل  
من ثقيف خفية ، وركب فرسه حتى أتى رسول الله بالجمرة ، أو بمكة ، فأسلم  
فرد عليه رسول الله أهله وماله وأعطاه المائة مما جعل لسانه ينطق بمدح النبي ،  
واستمعه النبي على من أسلم من قومه ، وقد أسرت هذه المعاملة للكرامة  
مالك ، فكان يقاتل بن أسلم من قومه ثقيفاً لا يخرج لهم صرح إلا أغار  
عليه حتى ضيق عليهم .

( الشيء بنت الحارث ) وكان في السبايا الشيء بنت الحارث بن عبد العزيز

أخت رسول الله من الرضاع وكان بعض المسلمين قد عنف عليها فقالت : والله إنني  
لأخت صاحبكم من الرضاة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ،  
فتعرف عليها ، وبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، وقال لها : « إن أحببت  
فصندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتك وترجمي إلى قومك فعلت » ؟  
فقال هل تمنعني وتردني إلى قومي فستعها وأعطها وردها إلى قومها  
ويقال : إنه أعطها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجتهما ، فلم يزل فيهم من  
نسلهما بقية .

( قسمة الغنائم )

لما زد رسول السبايا على هـوزان ، وأعطى بعضهم ما أعطى من الإبل  
تخوف بعض الناس ولاسيما الأعراب أن يرد إليهم أموالهم أيضاً فألحوا على الرسول

في قسمة الغنائم حتى أجزؤه إلى شجرة هناك ، وخطفوا رداه فقال  
 « ردوا على رداي أيها الناس ، فالذي نفس يده لو كان لي عدد هذه الغنائة  
 نعماً لقسمته فيكم ، ثم لآجبدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً ، ثم أخذ وبرة من منام  
 بعير ثم رفعها بين أصبعيه وقال : « أيها الناس والله مالي من فيثكم  
 ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الحياط والمخييط  
 فإن الغلول (١) عار وشنار على أهله يوم القيامة ، فجعل كل من أخذ شيئاً من الغنيمة  
 يرده ولو كان زهيداً . رواه البخارى ، ثم خمس رسول الله ﷺ  
 الغنيمة فأخذ الخمس لنفسه وأعطى منه ما أسلموا يتألفهم بذلك ، وأنا سلم  
 يسلموا ليحببهم في الإسلام ، فأعطى مائة من الإبل لكل من أبي سفيان ،  
 وابنيه : معاوية ويزيد ، والحارث بن هشام ، وحكيم بن حزام  
 وكان كلما أعطاه الرسول مائة استزاده حتى قال له : « يا حكيم إن هذا المال  
 خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه . ومن أخذه بإشراف نفس  
 لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى ،  
 رواه البخارى . وقد أثرت هذه الموعظة في نفس حكيمم فأخذ المائة وترك  
 ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا أرزأ (٢) أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ،  
 فكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يعرضان عليه العطاء فلا يأخذه ، وأعطى  
 عيينه بن حصن والأقرع بن حابس مائة ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن كادة  
 وغيرهم وأعطى غير هؤلاء دون المائة كالعباس بن مرداس فأنشأ يقول

أنجمل نهبى ونهب العبيد (٣) بين عيينه والأقرع

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع  
 وما كنت دون أمرىء منها ومن تضع اليوم لا يرفع

(١) في القاموس : « والضياط للكتاب ، كقبر ما يحاط به الثوب ، والوبرة »  
 والغلول : الضياعة في الغنيمة يعنى أدوا الضبط والإبرة .

(٢) لا أرفض يعنى لن أخذ من أحد شيئاً .

(٣) النهب : الصيب ، والغنيمة ، يضم العين على صيغة المصدر فرسه .

فقال النبي « اقطعوا عنى لسانه » فأكلوا له المائة ، وأعطى صفوان ابن أمية - وكان لا يزال مشركاً - عطاءً كثيراً حتى قال : ما طابت بهذا نفسى أحد ، وكان يقول مازال رسول الله يعطيني من غنائم حنين وهو أبتض الخلق إلى ، حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلى منه ، وكان من البواعث على إسلامه .

وكان رسول الله ﷺ يعلم أن بعض النفوس عبيد الاحسان فتألفهم بذلك ، وهو ضرب من ضروب السياسة الشرعية الحكيمة ، ولهذا جعل الشارع الحكيم للؤلؤة قلوبهم سهماً في الزكاة ، ونعماً فعل الرسول ، فإن كثيرين ممن لم يسلموا قد أسلوا ، وكثيرين ممن أسلوا ولم تنثر قلوبهم حب الايمان قد صاروا بعد من أجلاء المسلمين ، وأعظمهم نفعاً للإسلام .

ثم قسم رسول الله الغنائم بين سائر المجاهدين فأصاب الراجل أربعة من الابل وأربعون شاة ، وأصاب الفارس ثلاثة أمثال ذلك .

« اعتراض بعض المنافقين » ولما قسم النبي غنائم حنين وأعطى للؤلؤة قلوبهم ما أعطى جاء رجل من المنافقين يقال له : ( ذو الخويصرة ) من بني تميم فقال : يا رسول الله أعدل ، فقال الرسول : ويحك ومن يعدل إن لم أعدل ؟ لقد خبت وخرت إذا لم أعدل » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ائذن لي أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي : « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ويمرقون من الإسلام كما - يمرق السهم من الرمية » وقال معتبين قشير - وكان منافقاً - : ما أريد بهذا القصة وجه الله ، فلما أخبر بذلك رسول الله قال : « رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » ولم يكن رسول الله يفعل هذا الهوى نفسه ، فحاشاه من ذلك ، وإنما الأمر كما قال : « إنني أعطى قوماً أخاف هلمهم وجزعهم ، وأكل قوماً إلى ما جعلني الله في قلوبهم من الخبر والغنى . »

« معيبة الأنصار ، لما أعطى رسول الله ﷺ قريشاً والمؤلفة قلوبهم وغيرهم من سائر العرب ولم يعط الأنصار ، وجد بعض الأحداث منهم في نفسه وقالوا : يفر الله لرسول الله يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم ، فلما نمت المقالة إلى رسول الله أرسل إليهم وجمعهم في قبسة وحدهم ، فلما اجتمعوا قام خطيباً إليهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « ما حديث بلغني عنكم » ؟ فقال فقهاء الأنصار : أمارؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يفر الله لرسول الله ... » ثم قال : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم » ؟ قالوا : بلى ثم قال : « ألا تحييون يا معشر الأنصار » ؟ قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نحبيك ؟ المن لله ورسوله فقال النبي : ( والله لو شئتم لقلتم فصدقم : وصدقم : جئنا طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمناك ) ، وخذولاً فصرناك ، فقالوا : المن لله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : ( أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة - شيء يسير - من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا ، ووكفتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى حالكم ، فوالذي نفى يده لو أن الناس سلكوا شعباً ، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار ، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار <sup>(١)</sup> ) فسكى القوم حتى أخضلوا لحامهم ، وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قسماً ، ثم انصرفوا .

فهل سمعت في باب الاسترضاء أروع من هذه الخطبة البليغة الجامعة بين الحق والصراحة ، والرقعة والاستعطاف ؟ وهل سمعت في تهديئة النفوس العانية ، أو النائرة مثل هذه الكلمات الرقاق التي تضرب على أوتار القلوب ، وتهز المشاعر ، وتستولي على الوجدان ؟ ومن أعجب المعجب أنك لا تجد فيها كلمة مداهنة أو خداعة ،

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي - باب غزوة الطائف ، وصحيح مسلم - كتاب

أو كفة مزولة دعت إليها المجاملة ، أو عفة بالعود للكاذبة ، والأمانى البراقة كما يفعل دهاقين السياسة ، وقواد الحروب ، وزعماء الإصلاح ولا سيما في العصر الحديث ، ولكنها النبوة التي تسموعن كل هذا ، وتأنى إلا الإذعان للحق والإقرار بالفضل لذويه .

(عمرة الجمرانة) واعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد قسمة الغنائم ثم من الجمرانة في أواخر ذى القعدة هذا العام ، ودخل مكة بليل فطاف وسمى ثم نحلل من عمرته ، ثم عاد هو وأصحابه من المهاجرين والأنصار إلى المدينة وقد دانت لهم مكة وما جاورها ومن الله عليهم بهذا النصر المبين .

(عتاب بن أسيد) وقد استعمل على مكة عتاب بن أسيد<sup>(١)</sup> وكان عمره نيفاً وعشرين سنة ، وأخلف منه معاذ بن جبل ليفقه الناس في دينهم . ويعلمهم للقرآن . ولما ولاء رسول الله مكة جعل رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس أجاج الله كبد من جاج على درهم فقد رزقني رسول الله كل يوم درهماً فليست لي حاجة إلى أحد ، وهذا غاية القناعة ، وكان متعففاً عن أموال المسلمين روى عنه أنه قال : ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نوبين معقذين كسوتهما مولاي كيسان ، وقد بقي والياً على مكة مدة الصديق ، ثم في خلافة عمر إلى سنة اثنتين وعشرين فتوفاه الله<sup>(٢)</sup>

(الحج هذا العام) وحج الناس في هذا العام على ما كانت العرب نهج وكان أمير الحج في هذا العام عتاب بن أسيد .

---

(١) عتاب - بتعدد التاء - ابن أسيد - بفتح أوله وكسر السين - ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو محمد ، وأمه زينب بنت عمرو بن أمية وقد أسلم يوم الفتح كما ذكرنا . وقد استعمله النبي على مكة . بعد أن رجم من طوائف ، وقبل لما سار إلى حنين واستمر والياً عليها حتى مات



## « إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى »

كان كعب من أهدر النبي دماءهم لكثرة هجائه لرسول الله والمسلمين فلما  
 أتى النبي إلى المدينة بعد غزوة الطائف كتب بحير بن زهير إلى أخيه كعب  
 أن رسول الله لا يقتل من جاءه تائباً مؤمناً ، فإذا جاءك كتابي هذا فاسلم  
 وأقبل وبعد مطارحة شعرية بينهما خرج كعب قاصداً المدينة ، فزل على  
 رجل كان بينه وبينه مرفة من جهينه ، ففدا به إلى رسول الله في صلاة الصبح ،  
 فلما فرغ من صلاته قال له صاحبه : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ، فقام  
 كعب إلى رسول الله فجلس إليه ، ووضع يده في يده وكان رسول الله لا يعرفه ،  
 فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء يستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل  
 أنت قابل منه إن جئتك به ؟ قال : نعم ، فقال : إذا أنا يا رسول الله كعب  
 فومب إليه رجل من الأنصار مستأذناً رسول الله أن يضرب عنقه ، فقال له :  
 « دعه عنك فإنه جاء تائباً مسلماً » فنم وجحد على الأنصار في نفسه ، ولم  
 يذكرهم بشيء في قصيدته . بل يقال : أنه عرض بهم في بعض شعره ، ثم  
 أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة الطويلة ومطلعها .

بانت سعاد فقلبي متبول	متيم إثرها لم يفد مكبول
وماسعاد غداة البين إذ رحلوا	الأغن قرير العين مكحول
ومنها : إن الرسول لنور يستضاء به	مهند من سيوف الله مسلول
في عصابة من قريش قال قائلهم	يطن مكة لما أسلموا زولوا
شم المرانين أبطال لبوسهم	من نسج داود في الهيجا سرايل

ويقال أنه لما أنشد رسول الله قصيدته أعطاه يردته ، وهي التي صارت إلى  
 الخلفاء ، قال ابن كثير : هذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في  
 شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم ، قال ابن هشام . ويقال  
 أن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده : بانت سعاد « لولا ذكرت الأنصار

بخير فإنهم لذلك أهل ، وكانت هذه إيماة كريمة من رسول بعد أن أحس غضب الأنصار عليه فقال بمدح الأنصار .

من سمه كرم الحياة فلا يزل      في مقنب من صالح الأنصار  
ورثوا المسكارم كابرا عن كابر      إن الخيار هو بنو الاخير  
ومنها: والبائعين نفوسهم لنبيهم      للموت يوم تعاقب وكرار

### تشريعات وأحداث في هذا العام

في هذا العام حرمت المنعة تحريماً باتاً إلى يوم النيامة  
وفي ذى القعدة عنها تزوج رسول الله فاطمة بنت الضحاك الكلاية فاستماذت  
بالله منه فقال لها لقد عدت بعظيم الحقي باهلك ، وقد أدركها الندم فيها بعد  
وكانت تقول : أنا الشقية وقيل إن رسول الله دخل بها ، فلما خير نساءه اختارت  
قومها ففارقها ، ورد هذا ابن عبد البر ، واحتج لذلك بما ثبت في الحديث  
الصحيح عن عائشة أن النبي لما خيرهن بدأ بها فاخترته ، وتناج أزواج رسول  
الله كلهن على ذلك .

• إسلام أبي العاص بن الربيع ، قدمنا أن أبا العاص بن الربيع صهر رسول  
الله كان أسير في بدر فأرسلت السيدة زينب زوجها في فدائه فقلده إياها أمها  
السيدة خديجة فلما رآها رسول الله رفق لها رقة شديدة وقال ( إن شئتم أن تردوا  
عليها فقلدها وتطلقوا لها أسير فافعلوا ) ففعلوا وأخذ عليه لرسول عهداً أن يرسل  
إليه ابنه فوفى بالعهد ، وكان ما كان من ترويع هبار بن الأسود لها وكانت حاملا  
فأجهضت . واستمرت السيدة زينب عند النبي ، وبقى زوجها على كفره بمكة حتى  
إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لفريش ، فلما قفل من الشام لقيته  
سرية ، فأخذوا ما معه وأعجزهم هرباً ، وجاء تحت جناح الليل إلى زوجته زينب  
فاستجار بها فأجارته ، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر

الناس ، صرخت من صفة النساء : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع  
فلما سلم رسول الله أقبل على الناس فقال « أما والذي نفس محمد بيده ما علمت من  
شيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أدانهم » ثم انصرف إلى ابنته  
زينب فقال : « أي بنية أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فانك لا تحلين له »  
ثم حث رسول الله أصحابه على رد ما كان معه ، فردوه بأسره ، فأخذ  
أبو العاص وذهب به إلى مكة فأعطى كل ذي حق حقه ، ثم قال لهم : هل بقي  
لأحد منكم عندي مال يأخذ ، قالوا : لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً  
قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله مامننى من الإسلام  
عنده إلا تخوف أن تغفلوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم فقد أداها الله إليكم ،  
ثم خرج حتى قدم المدينة وقد اختلفت الرواية في رد رسول الله إليه زوجته زينب  
أ كان بالنكاح الأول ، أم بشكاح ومهر جديدين ؟ فالذي رواه ابن اسحاق  
عن ابن عباس أنه ردها بالنكاح الأول ، وهو ما رواه الإمام أحمد وأبو دواد  
والترمذي وابن ماجه وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه أن رسول الله  
رد بنته على أبي العاص بمهر جديد ونكاح جديد ، ولكن قال فيه الإمام أحمد :  
إنه حديث ضعيف والحديث الصحيح الذي روى أن النبي ﷺ أقرها  
على النكاح الأول ، والأول وإن كان صحيحاً إلا أن العمل عند الفقهاء على الثاني ،  
فإن القاعدة عندم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فإن كان قبل الدخول  
تبعملت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فإن أسلم فيها استمر على  
نكاحها ، وإن انقضت ولم يسلم أنفسخ نكاحها ، والسيدة زينب انقضت عدتها  
ولا عالة فقد نزل تحريم المسلمات على المشركين عام ست ، وأبو العاص أسلم سنة  
ثمان ، ويمجبنى في هذا الموضوع قول بعض العلماء : إن في قضية زينب والحالة  
هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتاخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها  
فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره ،  
وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أي وقت كان وهي

امراته ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه  
واقه أعلم (١)

( وفاة السيدة زينب ) وفي هذا العام توفيت السيدة زينب بنت رسول الله  
وزوج أبي العاص بن الزبيح ولدت قبل المبعث بعشر سنين وكانت أكبر  
بناته عليها السلام تليها رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة رضی الله عنهم ، كان  
رسول الله محبا لها أسلمت قديماً ثم هاجرت قبل اسلام زوجها بست سنين ،  
وكانت قد أجهضت في هجرتها كما أسلفنا ثم نزلت ، وصار المرض يعاودها  
حتى توفيت رضی الله عنها ولذا كان رسول الله يقول : ( هي خير بناتي أصيبت  
في ) ولما مات قال رسول الله ( اغسلتها وترا : ثلاثا أو خمسا ، واجعلني في الآخرة  
كافورا ) (٢) وكانت ولدت من أبي العاص عليا ، ثم مات وقد ناهز الاحتلام ،  
وأمامة وهي التي كان يحملها رسول الله وهو يصلي كما في الصحيحين ولما كبرت  
تزوجها سيدنا علي ابن طالب بعد موت خالتها فاطمة ، ثم تزوجت بعد علي المغيرة  
بن نوفل بن الحارث فولدت له يحيى وقبل إنها لم تلد لعلي ولا للمغيرة ولذلك قال  
الزبير : ليس لزينب عقب .

( مولد ابراهيم بن النبي ) وفي ذى الحجة من هذا العام ولد ابراهيم بن النبي من السيدة  
مارية القبطية التي كان أهداها له المقوقس عظيم مصر ففسرها حتى ولد له فصارت  
أم ولد وأنزلها منزلة الأزواج ، وكان رسول الله قد رزىه بفقد أولاده الذكور صغاراً  
كأرزىه بفقد رقية وهو ييدر ، ثم بوفاة زينب سنة ثمان ، لذلك لا تعجب إذا كان  
رسول الله عليه السلام قد فرح بمولد ابراهيم فرحاً شديداً وخرج إلى أصحابه فبشّرهم قائلاً : ولد

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

(٢) نبت طيب الراححة وهو فضلاء عن كونه بطيب الميت يحفف جسمه ويجعله صلباً متماسكاً ويمنع

اصراع النساء إليه

لى الليلة غلام فسميته باسم أبى ابراهيم ولدته مارية بالعالية حيث كانت تقيم فى الموضع الذى يقال له اليوم مشربة ابراهيم ، وكانت قابلة مارية سلمى مولاة النبى امرأة أبى رافع ، فبشربه أبو رافع النبى فوهب له عبدا ، وفى اليوم السابع عتق عنه بكبش ، وحلق رأسه أبو هند ، وتصدق بوزن شعره ورقا (١) على المساكين ثم دفعه رسول الله الى أم سيف امرأة قين بالمدينة يقال له : أبو يوسف لترضعه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينطلق الى بيت مارية كل يوم فيأخذه ويقبله وتنافس نساء الأنصار فى إرضاعه فكان النبى يحاملهن ولا يرد لمن طلبا ، كما كان يندق على من رضعه الكثير من خيره وبره ، وأرصد لذلك قطعة من الغنم واللفاح فتروح كل ليلة على بيت من رضعه فتشرب من لبنها وتسقى رضعها حتى لقد أنار ذلك مكانم الغيرة فى نفوس أزواجه ، ورسول الله بشر وإيمان ، والأولاد ولا سيما البنين الصالحين ذكر باق بعد الموت ، وحياة موصولة لحياة الآباء ، فليس يبدع أن يفوق قلبه الى ابراهيم ، وأن يحل ابراهيم من نفس النبى هذه المنزلة ، وأن يرى فيه الغزاه والسلوى وهو فى سن الستين عن فقد الأحبة قبل البعثة وبعدها وأن يملا ابراهيم جانبنا من جوانب القلب الإنسانى الكبير .

( سرية بنى المصطلق ) وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط لأخذ صدقات بنى المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلا متقلدين السلاح تحية أثناء قدومه ، ومعهم ابل الصدقة فلما رآهم الوليد هابهم وظن أنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من عداوة فى الجاهلية ، فرجع مسرعا الى المدينة وأخبر الرسول بما ظن ، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى سرية لتعرف حقيقة أمرهم فسار إليهم حتى ديارهم ، وكن بالقرب منهم ليلا ، فإذا بمؤذنه يؤذن للصلاة ، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا الطاعة ، فأخذ الصدقات وهاد الى المدينة وأخبر الرسول بخبرهم وفى هذه الواقعة أنزل الله هذا التأديب الإلهى فى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، أن تصيبوا قوما

(١) الورق بكسر الراء والفتحة .

بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (١) وهذه الآية أصل في التثبت في الأخبار واشتراط العدالة في الرواة، والبحث عن أحوالهم حتى كان من ذلك علم (الجرح والتعديل) في الإسلام.

### ( السنة التاسعة )

( سرية طيء ) في ربيع الأول من هذا العام أرسل رسول الله ﷺ على ابن أبي طالب في خمسين فارسا لهدم (الفلس) (٢) صنم لطي فصار إليه وهدمه وأخرفه، ولما حاربته عباده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبي منهم سبايا فيهن « سفانة » (٣) بنت حاتم الطائي المشهور، ولما رجع على المدينة جعلت سفانة في حجرة عند باب المسجد كان السبايا تقيم بها فلما مر بها رسول الله ﷺ قامت إليه فقالت : يا رسول الله هللك الوالد ، وغاب الوافد ، فأنن على من الله عليك ، فقال لها : ومن وافدك ؟ قالت عدى بن حاتم ، قال : الفار من الله ورسوله اثم مضى وتركها ، فكررت هذا من الغد ، وبعد الغد ، فن عليها وقال : لا تمجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك نفاحتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذني « فلما أعلمته بأنها وجدت رفقة نفاة كساها وحملها وأعطها نفقة ، فشكرت النبي على هذا الجليل ، وكان بما قالت ، « شكرتك يد انفقرت بعد غنى ؛ ولا ما سكنتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعرفتك مواضعه ، ولا جعل لك إلى لثيم حاجة ، ولا سلب نعمة كريم إلا وجعلك سبايا لردها عليه » ثم ارتحلت حتى قدمت على أخيها عدى بالشام ، لأنه لما سمع بخيل رسول الله ﷺ احتدل باهله وولده وتركها وفر إلى الشام ، فلما وصلت إليه وبخنته على صنيعه ، فلم يجد ما يعتذر به ، ثم أخبرته بما لقيت من رسول الله ﷺ من كرم وحنن معاملة ، وقالت له : أرى أن تلاحق به سريرا فإن يكن نبيا فللسابق

( ١ ) المجرات / ٦

( ٢ ) في القاموس : الفلس بالكسر صنم طيء »

( ٣ ) سفانة بفتح السين وتهديد الفاء كما في القاموس

إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فأنت أنت ، فما كان منه إلا أن أخذ بمشورتها ، وقدم على النبي ، ثم أسلم كما سنذكره إن شاء الله أثناء الوفود :

### ( غزوة تبوك )<sup>(١)</sup>

وكانت في رجب في العام التاسع ، وكان سيدها ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جهت له الجموع تريد غزوة في بلاده ، وكان من سياسة رسول الله الحكيمة أنه إذا علم أن قوما هموا بغزوه أن يبادئهم قبل أن يغزوه وكان قلما يخرج لغزوة إلا وري بغيرها ؛ ليعمى الأئخبار على الإعداد إلا في هذه الغزوة فإنه أخبر بمقصده ، لبعده الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو حتى يأخذ الناس لذلك عدتهم ؛ وقد اتفق أن كانت هذه الغزوة في زمان عسرة من الناس وجذب في البلاد ، وشدة الحر ، كما كانت حين طابت الثمار ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، لذلك أمر الرسول بالتجهز واستنفر لذلك أهل المدينة وما حولها ، وأهل مكة وماجاورها ، واستنفر أيضاً الأعراب الضاريين في الجزيرة العربية ممن أسلموا ، كمن يتكون من ذلك أكبر جيش يمكن اعداده لمقاتلة الروم ، ذوى العدد والعدة ، والدرية في الحروب .

« الحث على تجهيز الجيش » وحث رسول الله على البذل والإنفاق في سبيل الله فقال : « من جهز جيش العسرة فله الجنة » وتسابق الحيرون في هذا المضمار فتبرع عثمان بن عفان رضي الله عنه بثمانمائة بعير باحلاسها وأفتابها<sup>(٢)</sup> ، وبألف دينار<sup>(٣)</sup> جاء بها فصبتها في حجر النبي ﷺ فجعل يقبلها ويقول :

(١) تبوك : موضع معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق .

(٢) جمع حملس وهو كاه يوضع على ظهر البعير تحت الرحل . والأفتاب جمع قتب

وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب .

(٣) وأما رواية عسرة آلاف دينار فسندها واه كما قال الحفاظ وإلها كانت بمسرة

آلاف درهم فتوافق الروايتان .

« اللهم أرش عن عثمان فأبى عنه راض » ويقول « ما على عثمان ما عمل بعد اليوم »  
رواه أحمد والترمذي ، وجاء أبو بكر الصديق بكل ماله وهو أربعة آلاف  
درهم فقال له الرسول : « هل أبقيت لأهلك شيئاً » ؟ فقال : أبقيت لهم الله  
ورسوله ، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف  
بمائة أوقية من ذهب ، وجاء العباس وطامحة بمال كثير ، وجاء عاصم بن عدى  
بمائة وسق من تمر وجاء أحد الأنصار بصاع من تمر<sup>(١)</sup> وأرسلت النساء ما استطعن  
من حلى وهكذا ضرب المسلمون أروع ألوان التضحية والبذل. وتكاثر الراغبون  
في الجهاد على رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعون الظاهر والنفقة حتى لم  
يبق لديه شيء .

« البكاءون » وجاء جماعة إلى رسول الله وكانوا سبعة يسألونه ما يحملهم  
عليه فلم يجحدوا ، فرجموا وهم يكون أسفاً وحزناً على ما فاتهم من شرف الجهاد  
مع رسول الله ، والمساهمة في النفقة فيه ، وقد عذرهم الله حيث قال : « ليس على  
الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا  
الله ورسوله . ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا  
ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع  
حزناً ؛ أن لا يجحدوا ما ينفقون »<sup>(١)</sup> وقد روى أن يامين بن عمرو جهز اثنين  
وجهز عثمان ثلاثة . والعباس اثنين<sup>(٢)</sup> .

وإن لنا هنا لوقفه تريباً كيف بلغ حب الجهاد والبذل في سبيل الله في نفوس  
الصحابية . وأنهم كانوا يؤثرون رضاء الله ورسوله على كل محبوب لديهم وبهذه  
المعاني والخصائص النفسية فتحوا العالم وسادوا الدنيا .

(١) تفسير ابن كثير والبقوى ج ٤ ص ٢١٢

(٢) - التوبة / ٩١ ، ٩٢

(٣) نور اليعقوبين ص ٢٤٦



« خروج الجيش » ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخميس في جيش كثيف يزيد عن الثلاثين ألفاً يتقدمهم عشرة آلاف فارس في مشهد منير يستولى على المشاعر، ويستهوى القلوب، ويشير العزائم حتى وصل إلى نية الوداع حيث عسكر هناك، وضرب عبدالله بن أبي عسكره أسفل من عسكر النبي، وقد استخلف النبي على المدينة محمد بن مسامة الأنصاري وقيل: سباع بن عرفطة الغفاري، واستخلف على أهله علي بن أبي طالب، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استنقالا له حتى قال علي لرسول الله: أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال له: « ألترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » رواه البخاري ومسلم.

( تخلف المنافقين وتخذيهم عن الرسول ) ثم لم يلبث ابن أبي أن تخلف وتخلف معه كثير من المنافقين، وقال بعضهم: يغزو محمد بن الأصفر الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد! أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه للعب والله لكانى أنظر إلى أصحابه مقرنين في الجبال! وتعلل بعضهم بالتعلات الباطلة من بعد الشقة وشدة الحر وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ( وقالوا: لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون<sup>(١)</sup> ) وقوله: ( لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا نبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة .. )<sup>(٢)</sup> الآية ومن هؤلاء الجدد بن قيس. فقد قال له الرسول ( يا جد هل لك العام في جلاذ بني الأصفر؟ ) فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي؟ ولا تفنني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء منى وإني خشيت إن رأيت بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه الرسول.

« محرق بيت سويلم » وبلغ رسول الله أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يبتطلون الناس عن رسول الله في غزوة تبوك، فبعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة عبيد بن جراح ليعاقبهم.

إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يجرق عليهم بيت سويلم  
ففعل طلحة ، فاقتحم بعضهم من ظهر البيت فانكسر رجله ، وألقت الآخرون .

« المعتذرون » وجاء قوم من المنافقين يعتذرون إلى رسول الله ﷺ  
ليس لهم عذر ، وإنما هو النفاق والشك وكرهية الجهاد ، فأذن لهم بناء على  
ظاهر حالهم ولكن الله عاتبه على الإذن لهم فقال : « عفا الله عنك لم أذنت لهم  
حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » إلى قوله « فهم في ربهم يرددون » (١)  
وقى شأن المنافقين المتخلفين عن تبوك أنزل الله آيات كثيرة في سورة التوبة ،  
وسنعرض لهم فيما بعد .

« المتخلفون من غير نفاق » وتخلف جماعة من المسلمين لا يهتمون في  
إيمانهم ، ولكن عن كسل ، وميل إلى الراحة ، منهم الجماعة الذين ربطوا أنفسهم  
في سواري المسجد ، ومنهم الثلاثة الذين خلفوا ، وسنعرض لهم فيما يأتي ومن  
المتخلفين من تدارك أمره ، فلحق بالرسول في الطريق أو هي تبوك .

« مسيرة الجيش إلى تبوك » ثم سار الرسول قاصداً تبوك وأعطى اللواء  
الأعظم الصديق أبا بكر - رضی الله عنه - ولا يخفى على القارئ الفطن ما في  
إعطائه صلى الله عليه وسلم اللواء في آخر غزوة غزاها الصديق وتخليفه  
عليها في أهل بيته من إشارة لطيفة إلى أن الصديق أحق الصحابة بالخلافة  
ووزع الرسول الرايات ، فأعطى الزبير بن العوام راية المهاجرين ، وأسند  
ابن حضير راية الأوس ، والحباب بن المنذر راية الخزرج ، وسار الجيش  
في جهد شديد من قلة الظهر حتى كان الرجلان والثلاثة يمتقبون على بعير  
واحد ، ومن قلة المؤنة حتى كان الرجلان ، والثلاثة يمتسمون التمرة فيما  
بينهم ، حتى استأذنوا رسول الله أن ينحروا رواحلهم فيما كلون منها ، فأذن لهم  
فجاء الفاروق عمر فقال يا رسول الله إن فعلنا قل الظهر ولكن ادعهم بفضل  
أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة ، فقال الرسول : « نعم » ودعا بنطع  
فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم حتى اجتمع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول  
الله بالبركة ثم قال : ( خذوا في أوغيتكم ) فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر

وعاء إلا ملاءها ، وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أشهد أن لا إله إلا الله . وأنى رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة ) رواه مسلم والبيهقي <sup>(١)</sup> وأصيبوا بعسرة في الماء حتى عطشوا عطشاً شديداً كادت تنقطع منه رقايمهم حتى كان الرجل منهم ينحر بعيره فينصر ما في كرشه من ماء فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى أمطرت السماء فشرّبوا وملاؤا ما معهم ثم ذهبوا فنظروا ، فلم يجدوها جاوزت العسكر ، وقد ذكر ابن اسحاق أن هذه القصة كانت وهم بالحجر ، وأنهم قالوا الرجل معهم منافق : ويحك هل بمد هذا من شيء ؟ فقال : سحابة مارة ! وهكذا لم ينفك المنافقون عن شكهم وإرجافهم بل قال بعضهم - يقال إنه زيد بن نصيب <sup>(٢)</sup> - وقد ضاعت ناقة رسول الله : هذا محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة ؟ فقال الرسول : إني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها هي في الوادي ( حبستها شجرة بزمامها ) فانطلقوا فوجدوها كما أخبر الرسول فبجاءوا بها ، وقد دلل النبي بمقالته تلك على أنه نبي حقاً يوحى إليه ، وهكذا الأنبياء لا يعلمون إلا ما علمهم الله سبحانه ، ولا يزعمون لأنفسهم علم الغيب وإنما ذلك شأن المشعوذين والدجالين ، أما زيد بن الاصيب فقيل : إنه تاب ، وقيل : ما زال منافقاً حتى هلك .

(كن أبا خيشمة) وكان أبو خيشمة - رضى الله عنه - ممن تخلف من غير عذر . فرجع بعد ما سار رسول الله إلى أهله في يوم حار . فوجد امرأتين له قى عريشين لهما فى بستان له . وقد رشت كل واحدة منهما عريشها ،

(١) البداية والنهاية ج ٥ س ١٠ .

(٢) فى الإصابة : زيد بن لصيب بلام مهملة ومثناه مصغرا ، وتيل بنون فى أوله وآخره .  
موحدة يعنى با . ثم ذكر عن ابن اسحاق نفسه هذه فى تروك ( الإصابة ج ٤ س ٥٧١ ) .

وبردت فيه ماء ، وهيات فيه طعاماً ، فلما رأى ذلك قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح (١) . والريح . والحر ، وأبو خيشمة في ظل بارد ، وطعام مهياً ، وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ! ما هذا بالنصف والله لا أدخل هريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهبوا زادا ففعلنا . ثم ركب راحلته ولحق برسول الله حين نزل بتبوك ، فلما دنا من الجيش قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل . فقال رسول الله ( كن أبا خيشمة ) فنظروا فإذا هو أبو خيشمة . فسلم على الرسول وأخبره خبره . فدعاه بلخير . وكذلك لحق برسول الله عمير بن وهب الجمحي (٢) .

( كن أبا ذر ) لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل الرجل يتخلف عنه فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان فيقول : «دعوه فإن يك فيه خير فسيأحقه الله بكم . وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . حتى قيل يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره . فقال مقالته تلك . فتلوم — انتظار — أبو ذر بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحملة على ظهره . ثم خرج يتبع رسول الله ماشياً ، ونزل رسول الله في بعض منازلهم ، ونظروا فإذا رجل ماش على الطريق فقال رسول الله ، ( كن أبا ذر ) فتامله القوم فإذا هو أبو ذر فقال رسول الله ﷺ : ( يرحم الله أبا ذر ) يئس وحده ، ويموت وحده ، ويمت وحده ) وقد صدقت نبوءة الرسول في عهد عثمان خرج إلى الزبدة (٣) وأقام بها حتى مات ، فلما حضرته الوفاة أوصى امرأته وغلغله فقال : إذا أنا مت فاغسلاني ، وكفناني ، وضعاني على الطريق ، فأول ركب يمر فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ ، فلما مات فعلوا به كذلك ، فإذا ابن مسعود

(١) الضح بكسر الهمزة والضاد اللامس وضوءها (ناموس) .

(٢) البدايه والنهايه ج ٨ ص ٨٧

(٣) الزبدة : على وزن قصبة مكان على الطريق بين المدينة والمراق على ثلاثة أيام

مار في رهط من الكوفة فقال : ما هذا ؟ فقيل له : جنازة أبي ذر فبكي وقال  
صدق رسول الله ( يرحم الله ابا ذر ... ) ونزل فتولى دفنه بنفسه .

« النزول بالحجر » ولما مر رسول الله بالحجر - ديار ثمود - قال :  
( تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل  
ما أصابهم ) ثم قنع (١) رأسه وأسرع السير حتى أجازوا الوادي رواه البخاري  
ومسلم . وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر قال : ( نزل رسول الله ﷺ  
بالناس عام تبوك الحجر عند يثوث ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت  
تشرب منها ثمود ، فعبثوا ونصبوا القدور باللحم فامرهم رسول الله ﷺ ،  
فأهروا القدور ، وعلفوا العجيين الابل ثم ارتحل ثم حتى نزل البئر التي كانت  
تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال : ( إني أخشى  
أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم ) وذكر ابن اسحاق نحو ذلك  
وكذا البخاري في صحيحه وهكذا لا يجسد النبي فرصة للاعتبار إلا  
ذكرهم وحذرهم .

( انسحاب الروم ) ولما وصل جيش المسلمين تبوك لم يجد أحداً هناك  
لأن الروم لما بلغهم مسير هذا الجيش الذي يؤثر الموت على الحياة آثروا الانسحاب  
إلى بلاد الشام ليتحصنوا بمحصونها . فلم ير النبي داهياً لتبعمهم داخل بلادهم .  
وأقام عند الحدود يناجز من شاء أن يناجزه ويقاومه .

( وفود صاحب أيلة وأهل جرباء وأذرح ) (٢)

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضعة عشر يوماً . ليريم أن  
سلطان الله في الأرض لا يرهب أحداً ، وليؤمن الحدود الشمالية بمعاهدة  
المجاورين له .

(١) غطاها بثوبه

(٢) « أيلة » بفتح الهمزة وسكون الياء قرية بينا حجاز والشام على خليج العقبة ، الجرباء :  
قرية من أعمال عمان بالبلقاء ، من أرض الشام ، أذرح بفتح الهمزة وسكون الذال ، وضم الراء  
آخره حاء مهملة : بلد في أطراف الشام من نواحي ابلقاء مجاورة لأرض الحجاز ، وهي قرية من الجرباء .

وكان يحنه بن رؤبة<sup>(١)</sup> صاحب أيلة أحد الأمراء المقيمين على الحدود فأتى  
إلى رسول الله وصالحه وأعطاه الجزية . فأمنة وكتب له كتابا .  
وأناه أهل جرباء وأذرح وصالحوه أيضا وأعطوه الجزية . فأمنهم وكتب  
لهم كتابا .

وأهدى صاحب أيلة النبي ﷺ بغلة بيضاء . وكساء بردا وكتب له يحرّم  
أى يبلدهم رواه البخارى .

( كتاب رسول الله ليحنة ) ( بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمنة من الله ومحمد  
النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسبارتهم فى البر والبحر . لهم  
ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل  
البحر ، فمن أحدث منهم حدثا ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن  
أخذته من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر  
أو بحر ) وأعطاهم النبي برده مع كتابه زيادة فى الأمان لهم .

( كتاب أهل جرباء وأذرح ) ( بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي  
رسول الله لأهل جرباء ، وأذرح إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد . وإن عليهم  
مائة دينار فى كل رجب . ومائة أوقية طيبة . وأن الله عليهم كفيل بالنصح  
والإحسان إلى المسلمين . ومن لجأ إليهم من المسلمين )

( بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر ) وبهذه العمود أمن النبي هؤلاء ، وأمن  
بجىء الروم من ناحيتهم ولم يبق إلا أكيدر دومة<sup>(٢)</sup> فيعشى انتقاضه أو معاوته  
لجيوش الروم إذا جاءت من ناحيته فأرسل إليه الرسول ﷺ خالد بن الوليد  
فى خمسة فارس وأخبره بأنه سيجده يصطاد البقر ، فذهب إليه خالد فإذا أكيدر

(١) يمنعه - يضم أوله وفتح الباقي ابن رؤبة - بضم الراء وسكون الهزة وفتح الباء فى  
آخر تاء - ملك أيلة كجلى القاموس .

(٢) دومه من المعرفة بدومة الجندل بين المدينة ودمشق ، وأكيدر: على صيغة المصغر  
هو ابن الملك السكندى - ملكها .

وأخوه حسان في نفر من أهل بيته يصطادون بحر الوحش ليلا فلم يجدوا مقاومة تذكر ، فقتلوا أخاه وأسروا أكيدرا ، وكان عليه قضاء من ديباح - حرير - مخصوص بالذهب<sup>(١)</sup> فاستلبه خالد منه وأرسل به إلى رسول الله قبل قدومه عليه فصار الصحابة يمسونه بأيديهم ويتمجبون منه فقال الرسول لهم : ( أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا ) ثم قدم خالد بأكيدر على رسول الله فحقت دمه وأمنه ، وصالحه على الجزية . ثم خلى سبيله وذكر بعض الكتابين في السيرة أنه أسلم<sup>(٢)</sup> ، وقد اختلف الكتابون في تاريخ الصحابة في إسلامه وعدمه ، والراجع أنه لم يسلم<sup>(٣)</sup> وقيل أنه أسلم ثم ارتد .

### « الأوبة إلى المدينة »

وبعد أن أقام النبي ببوك مدة استشار أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال الفاروق عمر أن كنت أمرت بالسير فسر ، فقال عليه الصلاة والسلام . « لو كنت أمرت بالسير ما استشرت » فقال عمر يا رسول الله إن لاروم جوعاً كثيرة ، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام وقد دنونا وقد أفرغهم دنوك ، فلو رجعنا في هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمراً ، فاستجود النبي رأيه . واتبع مشورته بالرجوع إلى المدينة فعادوا حامدين شاكرين .

ونعماً أشار به الفاروق فإنه ربما يكون من المخاطرة الحرب في بلاد الشام مع أن الجزيرة لم تسكن أسلمت أو استسلمت كلها . وقد تم ذلك بعد تبوك . قدمت تقيف مسلمة ومذعنة في هذا العام وما بعده حتى صارت الجزيرة كلها على قلب رجل واحد ، وبذلك حصل التهيؤ للجهاد والفتوحات خارج الجزيرة وتبليغ الإسلام للناس كافة ، وهذا ما قام به الخلفاء الراشدون بعد وفاة الرسول .

(١) مزين بالذهب

(٢) حياة محمد ص ٤٤٤

(٣) الإصابة في تاريخ الصحابة ج ١ ص ١٢٥ ١٢٨

(موت ذى الجهادين) (١) وفي طريق الأوبة مات عبد الله ذو الجهادين ، فحفروا له ونزل رسول الله في حفرته . وأبو بكر وممر يدلانه إليه . وإذا هو يقول : ( أدنيا لي أخا كذا ) فديلاه فلما هبأه لشقه قال : ( اللهم إني قد أسيت راضيا عنه فارض عنه ) .

« مكيدة بعض المنافقين » كان بعض المنافقين في الأوبة تأمروا على رسول الله أن يزحوه في الطريق وهو على رأس عقبة - مكان عال - ولكن الله عصمه منهم روى البيهقي عن خديفة بن الحيمان قال : كنت آخذ بخطام ناقة رسول الله ، وعمار يسوق للناقة ، حتى إذا كنا بالعقبة إذا بانني عشر رجلا قد اعترضوه فيها قال : فانبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرخ فيهم ، فولوا مدبرين ، فقال رسول الله : « هل عرفتم القوم ؟ » قلنا لا يا رسول الله قد كانوا متلثمين ، قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » قلنا : لا قال : « أرادوا أن يزحوا رسول الله في العقبة فيلقوه منها » قلنا : أولا تبعث إلى عشائركم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن يتحدث العرب أن محمدا قاتل بقومه حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » ودها عليهم ، وروى الإمام أحمد في مسنده نحو ذلك وزاد : أن عمارا صار يضرب وجوه رواحلهم ينحيتها عن رسول الله حتى قال : ( قد قد ) يعني كفى ، كفى ، وهم الذين عناهم الله بقوله سبحانه ( وهموا بما لم ينالوا ) (٢) يعني قتل الرسول .

### « هدم مسجد الضرار وتحريقه »

كان أبو عامر الراهب من حمل لواء العداوة لرسول الله من أول يوم قدم فيه المدينة . وقد دعاه رسول الله إلى الإسلام . وقرأ عليه القرآن فأبى

(١) الجهاد بكسر الجاء اليم هو الكساء الغليظ المخطط ، كان يريد الإسلام فنته قومه وضيقوا عليه حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا الجهاد فشقه باثنين ، فأنزله بواحد وارتدى بالآخر وقدم على رسول الله فقوله : ذوالجهادين لذلك



وقد كان يسمى الراهب لتصره وترهبه في الجاهلية فلما أبدى عدوانه لله  
ورسوله قال النبي : « لا تقولوا : الراهب . بل قولوا : الفاسق » . وقد دعا  
عليه النبي أن يموت بعيداً طريداً فأصابته الدهوة ، وهو الذي ألب قريشاً  
على المسلمين في أحد ، وحفر الخفائر في ميدان المعركة كي يقع فيها المسلمون  
ولم يكف عن عمارية الرسول بعد أحد ، فلما رأى أمر الرسول في ارتفاع  
وظهور ، ورأى النصر يتوالى عليه ولا سيما بعد حنين ، وهزيمة هوازن  
فر إلى هرقل ملك الروم يستنصر به ، فوعده ومناه وأقام عنده ، فكتب إلى  
جماعة من المنافقين بالمدينة يهدم ويمسحهم أنه سيقدم عليهم بجيش يقاتل به  
رسول الله ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده  
لتبليغ كتبه ، ويكون مرصداً لهم إذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء  
هذا المسجد وكانوا اثني عشر رجلاً منهم : خذام بن خالد ومن واره أخرج  
مسجد الشقاق . ومعلبة بن حاطب<sup>(١)</sup> ومعتب بن قشير ، ونبيل بن الحارث ،  
وجتمع بن جارية وهو الذي كان يصلي بهم فيه<sup>(٢)</sup> فلما فرغوا من بنائه وأحكوه  
جاءوا إليه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهر لتبوك وسألوه أن يصلي لهم فيه ليحتجوا  
بصلاته فيه على تقديريه وإعتباره ، وذكروا للنبي أنه بنوه لذي العله والحاجة  
والليلة المطيرة ، واليلة الباردة فمصمه الله من الصلاة فيه وقال : « أنا على جناح  
سفر ولكن إذا رجنا — أن شاء الله — أتيناكم فصلينا لكم فيه ، فلما رجع

(١) أو ابن أبي حاطب كان المنافق وهو الذي روى أنه منم الركاة لما اغتنى وترك  
الجمعة والجماعة فنزل فيه قوله تعالى « ومنهم من عاد الله » الايات من - ورة التوبة وهو  
غير معلب بن حاطب الأنصاري من بني أمية بن زيد وهو من أهل بدر وذكر ابن السكيتي  
أنه مات بأحد ، وقد نبه إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة ( ج ١ ص ١٩٨ ) . و - أرى  
أدلة على ذلك ، وقد وهم ابن اسحاق حيث عد الثاني من بني مسجد الضرار وهم ابعد  
البر في الاستنباب حيث نسب إليه القصة السابقة .

النبي من تبوك . ولم يبق بينه وبين المدينة إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل  
بخبير مسجد الضرار ، وما أراد به بانوه من الكفر والفريق بين جماعة المؤمنين  
قد دعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وقيل أخاه عامر ! وقال : «  
انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلها فاهدماه وحرقاته » فذهبا فحرقاته وهدماه  
وفى هذا نزل قول الله تعالى : « والذى اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا  
بين المؤمنين وارصدا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن أن أردنا  
إلا بالحسنى ، والله يشهد أنهم لكاذبون لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى  
فى أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب  
المطهرين » (١)

ولا يزال أعداء الاسلام من المنافقين الملحدين والمبشرين والمستهزئين  
يقيمون أماكن باسم العبادة وماهى لها وإنما المراد بها الطعن فى الإسلام وتشكيك  
المسلمين فى معتقداتهم وآدابهم ، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم  
ليتوصلوا بها إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين ، وصرفهم عن دينهم ، وكذلك  
يقيمون المنتديات باسم نشر الثقافة والغرض منها خاضعة العقيدة السليمة من  
القلوب ، والقيم الخلقية من النفوس ، ومستشفيات باسم المحافظة على الصحة ،  
والخدمة الإنسانية والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء وصرفهم عن دينهم  
وقد اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة ولاسيما فى بلاد افريقيا ذريعة للتوصل  
إلى أغراضهم الدينية التى لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون ، وكل هذه أخطر  
بكثير من مسجد الضرار الذى حاربه الله ورسوله أشد المحاربة .

« الوصول إلى المدينة » ولما وصل النبي والمسلمون إلى المدينة تلقاهم النساء  
والصبيان والولائد من نية الوداع وهن ينشدن الأناشيد ، ويرحبن بالرسول  
الكريم ، وأصحابه الغر الميامين ، والجيش المظفر المنصور .

« طه وائف المتخلفين » كان المتخلفون فى غزوة تبوك أربعة أصناف

- (١) مأمورون مأجورون كمل بن أبي طالب ، ومجد بن مسلمة  
(٢) ومعذورون وهم الضعفاء والمرضى والمفلون الذين لا يجدون ما يتفقون ،  
ولا يجد الرسول ما يحملهم عليه كالكبائين وأمثالهم .  
(٣) وعصاة مذنبون وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأبو لبابة وأصحابه الذين  
ربطوا أنفسهم في سواري المسجد حتى يتوب الله عليهم .  
(٤) وآخرون ملومون مذمومون يظهرون خلاف ما يظنون  
وهم المنافقون<sup>(١)</sup> .

« المنافقون ، أما المنافقون فقد جاءوا إلى رسول الله يعتذرون عن تخلفهم ،  
ويخلفون الأيمان الكاذبة ، وينتحلون المعادير فاعرض عنهم النبي وترك  
حسابهم لله سبحانه وتعالى وفي هؤلاء نزل قول الله تعالى : يعتذرون  
إليكم إذا رجعت إليهم فقل لا تعتذروا لن تؤمن لكم إلى قوله : (والله سميع عليم)<sup>(٢)</sup>  
وقوله : (ومن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على  
النفاق ..) الآية<sup>(٣)</sup> إلى غير ذلك من الآيات المتكررة التي كشفت عن المنافقين  
وأسايلهم في سورة التوبة .

« أبو لبابة وأصحابه » وهم قوم تخلفوا كسلا وميلا إلى الراحة لاشكا  
ولانفاقا وكانوا سبعة وقيل عشرة ، فقد أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد<sup>(٤)</sup> تعبيراً  
عن بالغ ندمهم فربهم رسول الله ﷺ فقال : (من هؤلاء) ؟ قالوا :  
أبو لبابة وأصحابه ، تخلفوا عنك وهاهدوا الله عز وجل أن لا يطلقوا أنفسهم  
حتى تكون أنت تطلقهم وترضى عنهم ، فقال : (وأنا أقسم بالله لا أطلقهم  
ولا أعذرهم حتى يكون الله عز وجل هو الذي يطلقهم رغبوا عني ، وتخلفوا  
عن الغزو مع المسلمين) فلما أن بلغهم ذلك قالوا : ونحن لانطلق أنفسنا حتى

(١) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧

(٢) التوبة ٩٤-٩٨ (٣) التوبة ١٠١ (٤) هي الأعمدة

يكون الله هو الذي يطلقنا ، فأنزل الله سبحانه قوله : ( وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم أن الله غفور رحيم ) فأرسل إليهم رسول الله فاطلقهم وعذرهم فجاهوا بأموالهم ، وقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا ، واستغفر لنا ، وكان هذا شأن الصحابة - رضى الله عنهم - إذا تاب الله عليهم من ذنب قدموا أموالهم شكرًا لله فقال : « ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً » فأنزل الله سبحانه قوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها .. » إلى قوله تعالى : ( فينبئكم بما كنتم تعلمون )<sup>(١)</sup> فاخذ رسول الله ثلث أموالهم وترك لهم الباقي .

« الثلاثة الذين خلفوا ، وهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة ابن الريس لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فلذلك نزلت توبة هؤلاء وتأخرت توبة كعب وصاحبيه خمسين ليلة وهم المرادون بقوله سبحانه : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب الله عليهم والله عليم حكيم »<sup>(٢)</sup> وإليك خلاصة قصة هؤلاء الثلاثة وسأحرص على إيراد لفظها لأنها قطعة من الأدب النفسى والقولى .

روى البخارى ومسلم وغيرهما - واللفظ للبخارى -<sup>(٣)</sup> عن كعب قال : « لم تخلف عن رسول الله فى غزوة غزاها إلا فى غزاة تبوك غير إني كنت تخلفت فى غزاة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد عين قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .. حتى كانت تلك الغزوة التى غزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومفاوز وعداداً كثيراً .. والمسلمون مع رسول الله كثير لا يحصهم كتاب حافظ - يريد الديوان - ... فتجهز إليها رسول الله فطفت أغمدو لى أنجهز

(١) سورة التوبة ١٠٢ - ١٠٥

(٢) التوبة / ١٠٦

(٣) صحيح البخارى - كتاب اللغزى - حديث كعب مالك

معهم فأرجع ولم أقض من جهazy شيئاً . فلم يزل يتهدى بي حتى اشتد بالناس الجذ ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جهazy شيئاً فقلت : أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألقمهم ، ففقدت بعد أن فصلوا — خرجوا — ولم أقض شيئاً . فلم يزل أبي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهمت أن أرتحل فأدرهم — وليتني فعلت — فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنتني أني لا أرى إلا رجلاً مغموساً (١) عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال : « ما فعل كعب » ؟ فقال رجل من بني صلعة . يا رسول الله حبسه برداء ونظرة في عطفه (٢) ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت والله يا رسول الله ما عدنا عليه إلا خيراً ، قال كعب : فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عن الباطل ، وهرفت أني لن أخرج منه أبداً بشئ ، فيه كذب فأجمت صدقة ، فأصبح رسول الله ﷺ قادمًا ، فكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل جاء المخلفون فطفقوا يعتفرون إليه ، ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله عز وجل ، فحجته فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضب ثم قال : « تعال » فحجنت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي : ما خلفك ، ألم تكن قد ابتمت ظهراً ، ؟ فقلت بلى والله لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديثاً تجد على فيه أني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر من حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ « أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك » .. ثم قلت :

(١) مطعوناً عليه (٢) العطف : الجانب والمراد إعجابه بنفحة

هل لتي هذا أحد ؟ قالوا نعم رجلان قالوا مثل ماقلت ، وهيل لهما مثل ما قبل لك ، فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الريع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي . . . ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا لهم - الثلاثة من بين من تخلف فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفس الأرض ، فما هي التي أعرف لبلثنا على ذلك خمسين ليلة ، فاما صاحبنا فقد استكانا وهددا في بيوتهما : وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين . وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد . وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتي ، برد السلام على أم لا ؟ ثم اصلى قريبا منه ، فاسارقه للنظر (١) ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى . وإذا التفت محوه أعرض حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تصورت (٢) جدار حائط - بستان - أبي قنادة - وهو ابن عمي وأحب الناس - فسلمت عليه ، فوالله ما رد السلام ، فقلت يا أبا قنادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى قال : وبينما أنا أمتى بسوق المدينة إذا ببطى من أرباط (٣) أهل الشام بمن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدنى على كعب بن مالك ؟ فطلق الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان ، فإذا فيه ( أما بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يحملك الله بدار هوان ولا مضيمة ، فالحق بنا نواسك ) فقلت : وهذا أيضاً من البلاء فنيمت بها التنور - الفرن - فسجرتة ما فاقنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني فقال : رسول الله يأمرك أن تعتزل أمرئك ، فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقرها ، ولرصد الى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : ألحقى باهلك

( ١ ) أطر إليه خلسة ( ٢ ) علا عليه ودخل

( ٣ ) جيلة من الناس يسكنون صواد العراق

فكفوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ، قال كعب : فجمدت امرأة هلال  
 ابن أمية إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع  
 ليس له خادم فهل تسكره أن أخدمه قال : « لا ، ولكن لا يقربك » فقالت :  
 إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى  
 يومنا .. قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما  
 أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل قد ضاقت على نفسي ، وضاقت على  
 الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أو في على جبل سلع<sup>(١)</sup> يقول بأعلى  
 صوت . يا كعب أبتسر ، انخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج ، وأذن  
 رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ،  
 وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم  
 فأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت  
 صوته يشترني نزعت له ثوبي فكسوته بإياها يبشراه ، والله ما أملك غيرهما  
 يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني  
 الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة يقولون ليتهنك توبة الله عليك حتى دخلت  
 المسجد فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد  
 الله يهرول حتى صانحنى وهنأني والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ،  
 ولا أنساها المطلحة ، فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - وهو يبرق وجهه  
 من السرور - « : أبتسر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قلت : يا رسول  
 الله إن من توبتي أن اخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال : « أمسك  
 عليك بعض مالك فهو خير » قلت : فاني أمسك سهمي الذي بخير ، وقالت :  
 يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي ألا أنحدث إلا صدقاً ما بقيت  
 نحو الله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاء الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك

(١) ينتح العين وسكون اللام

لرسول الله أحسن مما أبلاني ، ماتعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين ، إلى قوله : « وكونوا مع الصادقين » (١) .

« وقفات عند هذه القصة » وإن لنا فى هذه القصة لعبراً وعظات وآيات بينات ، تدل على فضل الصحابة وما وصلوا اليه من سمو فى الدين والأخلاق ، وتقدير المعانى الروحية والقيم الأدبية ، منها .

(١) صدق الإيمان وقوة اليقين وحضور القلب وكيف يسمو الإيمان بصاحبه حتى يرى السعادة الحقة الكاملة فى رضوان الله ورسوله ، والشقاوة كل الشقاوة فى غضبها وإنا لنلس هذا فى قول كعب : حتى تنكرت لى الأرض فأهى بالى أعرف ، وفى بعض الروايات : تنكرت لنا الحيطان وتنكر لنا الناس حتى ما هم الذى نعرف ، وهذا المعنى يجده الحزين والمهوم فى كل شىء حتى قد يجده فى نفسه فيتمكرها ، بل نلس هـذا المعنى بصورة أكبر فى قول الله عنهم : ( وضاعت عليهم أنفسهم ) والإنسان قد تضيق به الأرض من سوء من يجاوره أو لعدم وجوده من يشاكله ، ومع هذا فيكون فى اطمئنان من قلبه ، ورضى من نفسه ، ورحابة من صدره ، ولكن أضيق الضيق أن الضيق بالإنسان نفسه وحينئذ تصير الحياة مهما أحبطت بمظاهر النعم جحيماً لا يطاق ، ويكون الموت خيراً من الحياة ، وهذا يدل على مبلغ ما كان ينمتع به هؤلاء الثلاثة من قلوب متيقظه ونفوس شفاقة وضأر حية .

(٢) إن المقاطعة والهجر كان نوعاً من أنواع التأديب والزجر فى صدر الإسلام ، وقد أنمر هذا اللون من التأديب ثمرته ووصل بهم إلى هذه الخاتمة السعيدة الموافقة ، وإن أضر شىء على أى مجتمع أن يجد فيه أهمل الفسق



والفجور وأهل الظلم والابتداع ، وأهل الاستهتار بالقيم الدينية والحلقية صدوراً رغبة ، ونفوساً ترضى عن فعلهم ، بل وتحضنهم ، ولو أن العصاة والمذنبين والمنحرفين عن الصراط المستقيم وجدوا من المجتمعات التي يعيشون فيها نبذا لهم ومقاطعة وازدراء لكان هذا من أقوى العوامل للدافعة إلى أن يرشد الغاوي ، ويستقيم المعوج ، ويصلح الطالغ .

(٣) إن المتأمل في القصة يعجب كيف أن الصحابة نفذوا ما أمر به الرسول من المقاطعة حتى ولو كانوا في غيبة عن أعين الرقباء ، فهذا كعب ينشد ابن عمه كلمة عسى أن يجد فيها ما يخفف ما به من حزن وأسى ، ولكنه يأبى عليه هذه الكلمة ويكلم ذلك إلى الله ورسوله ، وهذه غاية ما يطمع فيه مجتمع من أمانة ومراقبة لله .

(٤) في أثناء المحنة تعرض كعب لمحنة أخرى كانت أقسى وأشد من الأولى فهذا هو ملك غسان يكتب له كتاباً وهو في أشد أوقات المقاطعة وضيق النفس يفسح له من صدره ، ويفتح له باب الأمانى الحلوة ، والبجاه العريض ، ويستغل ما كالت عليه حالته النفسية فيقول له : قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيقه فالحق بنا نواسك !! لو أن كعب - رضى الله عنه - كان رقيق الإيمان ، ضعيف النفس والحلق لوجد في هذه الفرصة السانحة المغرية ما يرغم به أنوف مقاطعيه وناذييه ، ولكن أدرك بادية ذي بدء أنها محنة أخرى أقسى من الأولى فلا يرضيه أن يجيب الرجل بالسلب ، أو يرمى بالكتاب ويعزفه ، ولكنه رمى به في التنوير ليصير زمادا . ويصير كل ما به دخاناً يتبدد في الهواء ، وخرج الرجل من عنقه وهو أقوى ما يكون إيماناً ، وأصفي ما يكون روحاً وأكرم ما يكون أخلاقاً ، فيالمظمة هذه النفوس المؤمنة الكبيرة !!

(٥) هذه القصة توحى بما كان يتمتع به المجتمع الإسلامى آنئذ من تقدير للقيم الدينية والحلقية ، فغاية ما يطمع فيه الفرد أن يكون على كمال في دينه ومن أجل النعم عندهم نعمة التوبة أنها للجديرة بان يهتأبها المسلم وإنا لنلس هذا

المعنى فى قول الرسول لكعب : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ،  
 وخلق كعب ثويبه الوحيدين لمن بشره بالتوبة وحبىء المسلمين أفواجاً  
 لثمنه كعب وصاحبيه ، وعدم نسيان كعب لطلحه بن عبد الله مصافحته  
 وتهنئه له .

( ٦ ) إن من أدب الصحابة — وهم خير من يمثل الإسلام — أن من شكر  
 الله على نعمائه أن يخرج شيئاً من ماله صدقة على الفقراء والمساكين والمحتاجين  
 براهم ومواساة لهم ، ترى لو أن كل من حصلت له نعمة دينيه أو دنيويه جعل  
 شيئاً من ماله لله فهل كنت تجد بانساً أو محروماً ، أو جائعاً أو عارياً ؟ فلانعجب  
 وقد كون الصحابة هذا المجتمع المثالى فى عقيدته ، وسلوكه ، وأخلاقه أن  
 خاطبهم الله سبحانه هذا الخطاب الشريف : ( كنتم خير أمة أخرجت الناس  
 تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله )<sup>(١)</sup> ( وكذلك  
 جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً )<sup>(٢)</sup>

( تبوك خاتمة الغزوات ) وبغزوة تبوك تمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة  
 العربية كلها ، وأمن للنبي صلى الله عليه وسلم الحدود الشمالية ، وأمن من  
 كل عادية عليها ، وأقبل سائر العرب وفوداً يقدمون الطاعة ، ويعلمون لله  
 الإسلام وقد كانت هذه الغزوة خاتمة غزوات النبي ﷺ وصدق وعد الله  
 تعالى : « ( هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين  
 كله ولو كره المشركون ) »<sup>(٣)</sup>.

### « تفسير منازل من الآيات فى تبوك »

لقد أنزل الله سبحانه فى تبوك آيات كثيرة وإليها تفسيرها موجزاً :  
 قال عز شأنه : « يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل

(٢) البقرة / ١٤٣

(١) آل عمران / ١١٠

(٣) سورة التوبة الآية ٣٣

الله إننا قلتم إلى الأرض « نزلت في الحث على غزوة تبوك ، وكانت في زمان عمرة من الناس ، وشدة من الحرحين طابت الثمار والظلال فكان لا بد من الترغيب في الخروج ، والتنفير من القعود » إننا قلتم « أصلها تناقلتم أدغمت الناء في الناء فصارت ساكنة فأتى بهمزة الوصل أى تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة وطيب الثمار « أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة » أفعلتم هذا رضاء للدنيا بدل الآخرة ، ثم زهد في متاع الدنيا ورغب في الآخرة فقال : « فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل » ثم أوعدهم على ترك الجهاد فقال : « إلا تنفروا » هي إن الشرطية المدعمة في « لا ، النافية » يعذبكم عذاباً أليماً « جواب الشرط يعنى في الآخرة ، أو فيها وفي الدنيا كنع المطر عنهم ( ويستبدل قوماً غيركم ) خيراً منكم وأطوع ( ولا تضروه شيئاً ) بترككم التنفير ( والله على كل شيء قدير ) فهو ينصر نبيه بدونكم .

ثم بين الله أن نصرة نبيه ليست متوقفة عليكم ، وإلا فقد نصره الله على أعدائه لما خرج مهاجراً ليس معه إلا صاحبه الصديق ولا أعوان معه ولا سلاح وقد أيدته بمجنود لم تروها وهم الملائكة ، فأنجاه الله منهم وهم مساحون وهو على قيد أزدع منهم فقال : ( إلا تنصروه فقد نصره الله ) إلى قوله ( والله عزيز حكيم ) وهو من الاستطرادات اللطيفة البديعة .

ثم عاد إلى الحث على غزوة تبوك فقال : ( انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ) قيل إنها أول ما نزل من سورة براءة ، وهو قول سعيد بن قيس وماروى أن صدر السورة نزل قبيل خروج أبي بكر أميراً على الحج سنة تسع أو بعد خروجه بقليل وتبوك قبيل حجة الصديق قطعاً ومعناها : شباباً وشيخاً ، وأغنياء وفقراء ، وأقوياء وضعفاء ، ومشاهير وركباناً ، في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، ثم من العلماء من

يرى أن ذلك كان في أول الأمر بسبب ما لابس تبوك من ظروف ، ثم نسخ  
بآية ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ..... ) وآية ( فلو لا نفر من كل  
فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم  
يحذرون ) ومنهم من يرى أنها محكمة . وكان بعض السلف الصالح على هذا  
ويخرج للجهاد على أى حال (١) منهم أبو أيوب الأنصارى ، وعمرو بن الجوح  
والمقداد بن عمرو من الصحابة ومن التابعين سعيد بن المسيب كما قدمنا .

( ذلكم ) أى الجهاد بالنفس والمال ( خير لكم ) فى الدنيا لما فيه من  
العزة والظهور على الأعداء والآخرة لأن الله ضمن للمجاهدين فى سبيل الله الجنة  
ثم وبخ الله المتخلفين فى تبوك فقال : لو كان عرضاً قريباً ( أى غنيمة  
قريبة المتناول ) وسفراً قاصداً ( قريباً هينا ) لاتبعوك ( لخرجوا معك  
(ولسكن بعدت عليهم الشقة ) المسافة ( وسيحلفون بالله ) لكم إذا رجعتم  
إليهم قائلين ( لو استظننا ) الخروج ( لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم ... ) .  
بالتخلف عن غير عذر والإيمان الكاذبة .

كان جماعة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلفوا عنه فأذن لهم  
وكان الأولى أن لا يأذن لهم لأنهم لا أعذار لهم ، فعاتبه الله على هذا ، وهذا  
من أطف أنواع الملام ، حيث قدم العفو على العتاب ، وهو يدل على غاية  
إكرام الله لحاتم أنبيائه ، وحفاوته به فقال : ( عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى  
يبين لك الذين صدقوا ، وتعلم السكاذبين ) .

ثم بين الله أنه لا يستأذنه المؤمنون المخلصون فى التخلف عن الجهاد  
وإنما ذلك شأن المناققين فقال : ( لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر  
أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين  
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأرتابت قلوبهم ) شككت وناققت ( فهم فى ريبهم  
يترددون ) يتحجرون لا يثبتون على حال .

ثم هون الله الأمر على نبيه فى شأن المتخلفين ، وأنهم لم يكونوا جادين

حتى اعتذارهم ، وأن الخير في عدم خروجهم فقال : ( ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ) من سلاح وكراع (١) ( ولكن كره الله انبعاثهم ) خروجهم معكم مع أمرهم به شرعا ( فنبطهم ) بعد التوفيق ( وقيل اقموا مع القاعدين ) المرضى والزمنى والنساء والصبيان ، أى قال بعضهم لبعضهم ذلك ، ثم بين تعالى وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين فقال : لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خيالا ) أى فسادا وشررا ( ولأوضعوا خلالكم يغونكم الفتنه ) الإيضاح الإسراع أى لأسرعوا بالسعى فيما بينكم بالفتنة والبغضاء والنسيمة ( وفيكم سماعون لهم ) : أى مستجيبون لأحاديثهم ووسوستهم ، ثم بين الله سبحانه أنهم طالما فكروا في كيدك وخذلان دينك ، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كما فعل ابن أبى في أحد ، ولكن الله رد كيدهم في نحرهم ، ونصرك وأظهر دينك فقال ( لقد ابتغوا الفتنة من قبل ، وقلبوا لك الأمور ، حتى جاء الحق ) النصر ( وظهر أمر الله ) دينه على كره منهم قال تعالى : ( ومنهم من يقول ائذن لى ولاقتنى ) نزلت في الجدي قيس كما قدمنا ثم بين الله تأصل عداوة هؤلاء المنافقين فقال ( إن تصبك حسنة ) نصر أو غنيمة ( تسؤم ) تحزنهم ( وإن تصبك مصيبة ) من قتل أو هزيمة ( يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل ) أى حذرنا بالقمود عن الغزو ( ويتولوا وهم فرحون ) بما نالكم من مصيبة ( قل ) لهم يا محمد ( لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ) هو تعز بالفضاء بعد نزول البلاء ولن يخفف عن الإنسان ألم المصيبة إلا الإيمان بالقدر خيره وشره ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ( هو مولانا ) ناصرنا وحافظنا ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل ( قل هل تترصون بنا إلا إحدى الحسينين ) إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة ( ونحن نهبص بكم أن يصيبكم الله بمذاب من عنده ) فيهلككم كما أهلك الأمم الحالية ( أو بأيدينا ) بالقتل أو السبي ( فترصوا ) ما وعدكم به الشيطان ( إنا معكم

مترهبون) ما وعدنا الله به (قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً) أى طائعين أو  
مكرهين قيل نزلت في الجدي بن قيس حين اعتذر وقال : أعينكم بمالى ( لن  
يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين ) عاصين لله ورسوله ، وبعد أن ذكر الله  
سبحانه أصنافاً من المنافقين ومقالاتهم ونيابهم من النبي والمسلمين رجع إلى  
أخبار تبوك فقال ( فرح المخلفون بتقدمه خلاف رسول الله ) أى مخالفيين  
له أو متخلفين بعده ( وقالوا لا تنفروا في الحر ) أى قال بعضهم لبعض ذلك  
( قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً ) في الدنيا  
( وليسكوا كثيراً ) في الآخرة ( جزاء بما كانوا يكسبون ) من النفاق ( فإن  
رجعك الله إلى طائفة منهم ) أى ردك والمراد بالطائفة الذين تخلفوا نفاقاً  
( فأستأذنوك للخروج ) معك في غزوة أخرى ( فقل لن يخرجوا معي أبداً في  
سفر ) ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالعود أول مرة ) يعنى في  
غزوة تبوك ( فاقعدوا مع الخالفين ) الرجال الذين تخلفوا بغير عذر ( ولا  
تصله على أحد منهم مات أبداً . . . ) نزلت بسبب صلاة النبي على ابن أبي  
المنافق كما سيأتى وحكمها عام في كل من عرف نفاقه .

قال تعالى : ( وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم ) المعتذرون :  
قرىء بالشديد من عذر في الأمر إذا قصر فيه وحقيقته أن يوم أن له  
عذراً فيم فعل ولاعذر له ، أو أصله المعتذرون أدغمت التاء في الذال ونقلت  
حركتها إلى العين ، وهم الذين يعتذرون بالباطل وهم جماعة من الأعراب  
جاءوا يعتذرون ولاعذر لهم ، وقرأ يعقوب ومجاهد : المعتذرون بالتخفيف ،  
وهم المبالغون في العذر يقال في المثل « لقد أعذر من أنذر » قال ابن اسحاق  
إنهم نفر من بني غفار ( وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ) يعنى المنافقين  
قال عمرو بن العلاء : كلا الفريقين كان سيئاً ، قوم تكلفوا عذراً بالباطل  
وقوم تخلفوا من غير تكلف عذر فقعدهوا جرأة على الله تعالى فأوعدهم الله  
بقوله ( سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ) ثم بين الله تعالى الأعدار

التي لاجرح على من قعد عن القتال بسببها ، سواء ما كان منها لازماً لا ينفك  
 عن صاحبه ، أو عارضاً فقال : « ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ولا على  
 الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم الله ورسوله ما على المحسنين من  
 سبيل ) طريق بالعقوبة والمواخذة ( والله غفور رحيم ) بهم ( ولا على  
 الذين إذا ما أتوك لتحملهم ) لتوفر لهم الظاهر والنفقة ( قات لأجد ما أحلكم  
 عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون ) وهم  
 البكاءون كما أسلفنا وفي الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله ﷺ  
 قال : وهو راجع من تبوك ( إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً  
 ولا سرتهم مسيراً إلا وهم معكم ) قالوا وهم بالمدينة ؟ قال : ( نعم حبسهم العذر )  
 ( إنما السبيل ) الحجة بالعقوبة ( وعلى الذين يستأذنونك وهم أئنياء رضوا  
 بأن يكون مع الخوالف ) النساء جمع خالفه ( وطبع الله على قلوبهم ) بسوء  
 اختيارهم « فهم لا يعلمون ، النافع من الضار .

ثم أهدى الله نبيه بأنه عند رجوعه إلى المدينة سيأتي المنافقون المتخلفون  
 يعتذرون وأوصاه بأن لا يصدقهم فقال : ( يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم  
 قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم ) لن نصدقكم ( قد نبأنا من أخباركم )  
 فيما سلف ( وسيرى الله عملكم ورسوله ) فيم يستقبل أتوبون من نفاقكم  
 أم تقيمون عليه ( ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون )  
 من خير أو شر ويجازيكم عليهما ( سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم )  
 أخبار بانهم سيشفعون عندناهم بالآيمان الكاذبة ( لتعرضوا عنهم ) لتصفحوا  
 عنهم ولا تؤنبوهم ( فاعرضوا عنهم ) احتقاراً لهم ( إنهم رجس ) نجس  
 بواطنهم واعتقاداتهم ( ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ) يجترحون  
 من السيئات ، ثم بين سبحانه إلحاحهم في الحلف فقال : ( يحلفون لكم لترضوا  
 عنهم ) فلا تركنوا إليهم ( فإن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم

الفاسقين) أى إن فرض أنكم رضيتم عنهم فلن يرضى الله عنهم لأنهم فاسقون خارجون عن طاعة الله ورسوله .

ثم بين الله طوائف الأعراب أى أهل البدو ، وأن منهم كفارا ، ومنافقين ومؤمنين ، وأنهم اعرق في الكفر ، والنفاق من غيرهم فقال : الأعراب أشد كفراً ونفاقاً) من أهل الحضر لفظ قلوبهم ، وبعدهم عن مراكز العلم والاستنارة وهى المدن (وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) أجدر : أحرى لبعدهم عن سماع القرآن ، ومعرفة السنن وهما أصل الدين والفقهاء والعلم ( والله عليم حكيم) عليم بقلوب خلقه حكيم فيما شرعه من شرائع .

ثم ذكر صنفاً آخر من الأعراب فقال ( ومن الأعراب من يتخذ ما يهوى مفرماً) المفرم التزام ما لا يلزم فهم لا يرجعون على الإنفاق ثواباً ولا يخافون على إمساك عقاباً ، إنما ينفقون خوفاً ورياء ( ويتربص بكم الدوائر) الحوادث والشروخ والآفات ( عليهم دائرة السوء) قرىء بفتح السين وضما أى سينزل به البلاء والشروخ ما يترقبونه للمؤمنين ( والله صميع عليم) صميع لدعاء عباده عليم بمن يستحق النصر بمن يستحق الخذلان ثم ذكر الصنف الفاضل المؤمن الخير فقال : ( ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) طاعات قهرهم من الله ( وصلوات الرسول) أى دعائه واستغفاره لهم ( ألا إنها قرية لهم) حقاً وواقماً ( سيدخلهم الله فى رحمته) جنته ( إن الله غفور رحيم) ثم استطرده سبحانه إلى ذكر خيار المؤمنين فقال : ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار... الآية) .

ثم بين الله أن فى الأعراب منافقين ، وفى أهل المدينة منافقين فقال ( ومن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) أى مرونا عليه ( لا تعلمهم) يا محمد يقينا وإنما تعلمهم بعلاماتهم وأماراتهم فهو



لا ينافي قوله سبحانه في سورة ( محمد ) ( ولو نشاء لأرناكمهم فلعرفتهم بسيماهم  
ولتعرفنهم في لحن القول ) (١) أو معناه لا تعلمهم جميعا وهو لا ينافي أنه كان يعلم  
بعضهم ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أسرى إلى حذيفة بأسماء بعضهم  
( نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ) اختلف في تفسير المرتين على أقوال عدة ،  
ف قيل الفضيحة في الدنيا وعذاب القبر ، وقيل المصائب في الأموال والأولاد  
وقيل بافتضاح أمرهم ، وبما كان يداخلهم من والغم والحزن عند ظهور الإسلام  
والذي يترجح عندي أن المراد به التكثير لا التحديد فهو مثل قوله سبحانه  
( فأرجع البصر كرتين ) ويكون المراد ما ينزل بهم في الدنيا من بلاء ومصائب  
وافترض ، وما كان يحز في نفوسهم كلما حصل للمسلمين نصر وظهور  
وللإسلام انتشار ( ثم يردون إلى عذاب عظيم ) عذاب جهنم خالدين فيها أبدا .

قال تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، . » الآية هم أبو لباة  
وأصحابه وقد قدمنا قصتهم ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ) بها من  
ذنب تخلفهم بغير هذر كسلا وتهاونا لا نفاقا ولا شكاً ( وتزكيتهم بها ) من  
شبهة النفاق إلى منازل الخالصين ، والضمير في ( أموالهم ) قيل للمذكورين  
في الآية السابقة فأنهم لما تاب الله عليهم عرضوا على النبي أن يتصدقوا  
بأموالهم ، فأخذ منهم الثلث وترك الباقي وعلى هذا يكون المراد بالصدقة  
صدقة النفل ، كفارة لذنوبهم ومن العلماء من يجعل الآية مستقلة عما قبلها  
وأنها تشريع عام لجميع الناس فقالوا . إن المراد صدقة الفرض وهي الزكاة  
« وصل عليهم » ادع لهم واستغفر لهم « إن صلاتك سكن لهم » طمأنينة  
لهم أن الله قد قبل منهم توبتهم على الأول ، وزكاهم على الثاني وكان من  
أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه رجل بصدقة قوم دعا لهم أو

(١) غزاه ومعناه الذي يفهم منه نفاقهم ، وذلك بما يبدو منهم رهما عنهم ويظهر فلتات  
لسانهم ، وعلى قسما وجرحهم ورضى الله عن ذي النورين عثمان حيث قال : ( ما أسرى أحد  
سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه . وفتلات لسانه ) .

بصدقته دعا له وهل هذا الدعاء واجب ، أو مستحب ، وفي صدقة الغرض  
 أم في صدقة التطوع أم فيها معا ؟ خلاف بين العلماء (١) « ألم يعلموا أن الله يقبل  
 التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات ، هذا تهيج إلى التوبة والصدقة اللتين  
 كل منها يحط الذنوب ويمحو السيئات ( وأن الله هو التواب الرحيم )  
 ومن شأن التواب أنه يقبل توبة من تاب إليه بشروطها ( وقل اعملوا فسرى  
 الله عملكم ورسوله والمؤمنون ) حت للتأبين أن يتداركوا ما فاتهم من الغزو  
 ويعملوا صالحا فيما يستقبلون من أمرهم « وستردون إلى عالم الغيب والشهادة  
 فينبئكم بما كنتم تعملون ، وعد للظالمين ووعيد للمخالفين بأن أعمالهم ستعرض  
 عليه تبارك وتعالى يوم القيامة فيجازهم عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر  
 ( وآخرون موجهون لأمر الله ) هم الثلاثة الذين خلفوا فقد قبل الله توبة  
 أبي لباثة وأصحابه وأرجأ توبة هؤلاء الثلاثة حتى تاب عليهم ( إما يعذبهم  
 وأما يتوب عليهم ) أي هم تحت عفو الله ، إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم  
 ولكن رحمته تسبق غضبه ( والله عليم حكيم ) عليم بمن يستحق العقوبة بمن  
 يستحق العفو ، حكيم في أفعاله وأقواله ، منزه عن العبت والهوى ، ثم أزل  
 الله التوبة عليهم في قوله سبحانه : ( لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار  
 الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قوت فريق منهم ) أي وقت  
 العسرة ولم يرد ساعة بعينها ، ويزيغ ، يميل ولم يرد الميل عن الدين بل أراد  
 الميل إلى التخلف والانصراف عن السير للشدة التي نزلت بهم ( ثم تاب عليهم )  
 توكيد اللأولى ( إنه بهم رؤوف رحيم ، وعل الثلاثة الذين خلفوا ) إلى قوله :  
 ( وكونوا مع الصادقين ) أي وتاب عن الثلاثة . . وقد ذكرنا قصتهم سابقا  
 مستوفاة ومعنى خلفوا أي أرجى قبول توبتهم عن توبة أبي لباثة  
 وأصحابه ، وقيل تخلفوا عن غزوة تبوك ، ومعنى ( ثم تاب عليهم

(١) تفسير ابن كثير ، والبغوي ج ٤ ، ص ٢٣٥

ليتوبوا ) أى ليستقيموا على التوبة ويستمروا عليها .

قال تعالى : ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ) هذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب ومعنى « ما كان » ماصح وما ينبغى ( ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ) أى ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد ما نزل به فيختاروا الراحة والهدوء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومعاناة التعب ، فأنهم حرموا أنفسهم من الأجر ( ذلك بأنهم لا يصيبهم ) فى سفرهم ( ظمأ ) عطش ( ولا نصب ) تعب ( ولا خصمة ) حجة ( فى سبيل الله ولا يظنون موثقا ) أما مصدر أو اسم مكان ( يفيظ الكفار ) وطوهم إياه ، وتزولهم به ( ولا ينالون من عدو نيلا ) قتلا أو أسرا ، أو غنيمة أو هزيمة إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ) أى كتب لهم بهذه الأعمال التى ليست داخلية تحت قدرهم ، وإنما هى ناشئة عن أعمالهم - أعمالا صالحة وثوابا جزيلًا ، فهو سبحانه لا يضيع عنده شيء مما قل ( ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ) قليلة أو كثيرة ( ولا يقطعون واديا ) فى السير إلى الأعداء ( إلا كتب لهم ) ثواب ما قدموه من نفقة أو قطع واد ( ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ) أى أحسن جزاء أعمالهم .

وأما ما يتعلق بمسجد الضرار من الآيات فقد ذكرناه فيما سبق ، وأما ما يتعلق بالمسجد الذى أسس على التقوى فقد ذكرناه فى أول هذا الكتاب أثناء الكلام عن مسجد قباء ، والحمد لله الذى هدانا لهذا .

( قدوم ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم )

وكان قدومهم على النبي صلى الله عليه وسلم فى رمضان بعد رجوعه من تبوك ، وكان من خبرهم بعد أن فك حصارهم ورجع عنهم أن اتبعه أحد

أشرفهم عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم  
 وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام  
 فقال له : ( إنهم قاتلوك ) فقال عروة - وكان فيهم محبباً مطاعاً - : يا رسول  
 الله أنا أحب إليهم من أبنائهم ، فلما عاد من الطائف أشرف على علي بن أبي طالب  
 ودعاهم إلى الإسلام ، فرموا بالنبل من كل وجه ، فاصابه سهم فقتله ، فقيل له  
 - وهو محتضر - : ما ترى في دينك ؟ فقال . كرامة اكرمى الله بها ،  
 وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنوه ، فقال فيه  
 رسول الله : ( إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه ) (١)  
 ثم أقامت تقيف بعد قتل عروة أشهراً ، واثتمروا فيما بينهم ، فرأوا أن لا طاقة  
 لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ، فأجمعوا أمرهم أن  
 يرسلوا رجالاً منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا عبد ياليل ومعه  
 خمسة من أشرفهم منهم عثمان بن أبي العاص ، وكان أصغرهم ، فلما وافوا  
 المدينة وجدوا المخيرة بن شعبة فلما رآهم ذهب يشتد إلى رسول الله يبشره  
 بقدمهم ، فلقبه الصديق فأخبره عنهم وأنهم قدموا يريدون للبيعة والإسلام  
 إن شرط لهم شروطاً ، ويكتبوا لهم كتاباً ، فأقسم عليه للصديق أن لا يسبقه  
 حتى يبشره هو الرسول بمقدمهم ، فقبل ودخل الصديق على رسول الله فيبشره  
 ثم خرج إليهم المخيرة فعلمهم كيف يحبون رسول الله ، فلما قدموا على  
 الرسول حيوه بتحية الجاهلية ، وضربت لهم قبة بالمسجد النبوي ليكون ذلك  
 أدهى إلى دخولهم في الإسلام ، والنائب بأدابه ، وكان خالد بن سعيد بن العاص

(١) قال السهيلي : يحتمل أن يريد به المذكور في سورة ياسين الذي قال لقومه :

انبعوا المرسلين ! فقتله قومه واسمه حبيب بن مري ويحتمل أن يريد صاحب الياس وهو الياسم !  
 فان الياس يقال في اسمه ياسين أيضاً وفيه قال الله تعالى : « سلام على آل ياسين » الروض

هو الذي يسمي بينهم وبين الرسول ، وهو الذي كتب لهم كتابهم  
وكان فيما اشترطوا على رسول الله أن يدع له الطاغية<sup>(١)</sup> ثلاث سنين فأبى ،  
فسألوه سنة فأبى ، فسألوه شهراً بعد مقدمهم ليتألفوا سفهاءهم فأبى عليهم  
أن يدعها شيئاً ما ، وهكذا الأنبياء لا يفرطون في التوحيد قيد شعرة ،  
وسألوه أيضاً أن لا يصلوا ، ولا يكسروا أصنامهم بأيديهم فقال : ( أما كسر  
أصنامكم بأيديكم فسمعتكم من ذلك ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه )  
واشترطوا على رسول الله مع ذلك أن لا يحشروا ، ولا يعشروا ولا يجبووا<sup>(٢)</sup> ،  
ولا يستعمل عليهم غيرهم ، فأعطاهم ذلك رواء أحمد ، ثم قال  
( سيتصدقون ، ويجاهدون إذا أسلموا ) يعني أنهم سيقبلون الجهاد ،  
ويخرجون الزكاة إذا انشرفت صدورهم للإسلام ، وهذا ما كان ، ثم  
سألوه عن الزنا والربا ، واختر فحرم عليهم كل ذلك<sup>(٣)</sup> فلما أسلموا صاموا  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من شهر رمضان وكان رسول الله  
يأتيهم كل ليلة ، فيعظهم ويفقههم وهو قائم فأبطأ عليهم ذات ليلة فسألوه ،  
فقال : « طرأ على حزبي فكرهت أن أجيء حتى آتته » فسألوا الصحابة  
كيف تحزبون القرآن ، فقالوا : ( ثلاث وخمس وسبع وتسع ، وإحدى  
عشرة سورة ، وحزب المفصل وحده ) رواء أبو داود ثم أمر عليهم بمشورة  
الصديق عثمان بن أبي العاص ، لحرصه على القرآن والنفقة في الإسلام ، وكان  
بما أوصاه به أنه قال « من أم قوماً فليخفف ، فإن فيهم الضعيف والكبير ،  
وذا الحاجة فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء » رواء أحمد ومسلم وفي سنن  
ابن ماجه أن النبي بين له أن يقرأ بسورة ( اقرأ باسم ربك ) وأشباهاها من

(١) ضم ثقيب وهي ثلاث

(٢) أن لا يحشروا : لا يندبون إلى المغازي ، ولا تضرب عليهم البوث ، ولا يعشروا ،  
ولا يجبووا أي لا تؤخذ منهم صدقاتهم .

(٣) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٩ - ٣٤

القرآن ، وكانت تلك حكمة بالغة من الرسول ، فإن قوماً رغبوا أن يتحللوا من الصلاة ينبغي أن يخفف عنهم في الصلاة حتى لا يسأموا ، ولعل في هذا بلاغاً للذين ينفرون الناس أو بعضهم بأطالة الصلاة .

فلما رجعوا إلى بلادهم بعث معهم رسول الله أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم ( اللات ) فتولى المغيرة هدمها حتى جاء على أساسها بعد أن أشفق عليه قومه أن يصاب كما هي عقابهم الخرافية ، فأيقنوا — وقد فرغ من هدمها وهو معافي — أنها حجارة لاتضر ولاتنفع ، وهكذا طهر الله أرض ثقيف من الأصنام ، ووقفهم إلى عبادة الله وحده .

وذكر موسى بن عقبة — في مغازية — أن وفد ثقيف لم يجرءوا أن يصارحوا قومهم ، بإسلامهم وما عاهدوا الرسول عليه ، وقالوا : إنه يريد يحرم علينا الربا والزنا والخمر ، فنفروا وقالوا : لانطبع له أبدأ ، وآهبوا للقتال ومكثوا على ذلك يوماً أو يومين ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب فرجعوا وقالوا : ارجعوا إليه فشارطوه على ذلك وصالحوه . فقالوا لهم : فانا قد فعلنا ذلك ووجدناه اتقى الناس ، وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم في سيرنا ، وفيما قاضيناه ، فاقبلوا القضية ، واقبلوا هافية الله ، وقالوا : فلم كتمتمونا ؟ قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا وحسن إسلامهم .

ولما هدم المغيرة الطاغية وأخذ مالها وحليها دفع منها بأمر رسول الله دية عروة بن مسعود ، وأخيه الأسود بن مسعود والذو الصحابي قارب بن الأسود ، وكان الأسود قدمات مشركا ولكن رسول الله رأى ذلك تأليفاً وإكراماً لولده قارب .

(كتاب رسول الله لهم) بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي ورسول الله إلى المؤمنين إن عضاه (وج) وصيده لا يحسد<sup>١</sup> ، من وجد يفعل شيئاً

(١) العضاه ككتاب شجر ذو شوك ، وج : أرض الطائف ، يعضد : قطع قال السهيلي حرم حضاهه وشجره على غير أهله كحريم المدينة ومكة .

من ذلك فإنه يجلد وتزرع ثيابه، وإن تعد ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً ،  
وإن هذا أمر النبي محمد ) وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله  
فلا يتعدده أحد يظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وقد ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال وزاد فيه شهادة علي وابنيه الحسن  
والحسين رضى الله عنهم .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله قال : ( إن صيد وج  
وعضاه حرم محرّم لله ) وكذا رواه أبو داود وذلك قبل نزول الطائف  
وحصاره تقيفاً ، وقد اختلف الأئمة في هذا الحديث فمنهم من وضعه كأحمد  
والبخارى وغيرهما ومنهم من صححه كالشافعى وقال بمقتضاه (١) .

(موت النجاشى ) وفى رجب من هذا العام مات أوصحة بن أبجر  
النجاشى ملك الحبشة ، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يهاجر  
إليه ، وقد أحسن إلى المسلمين الذين هاجروا غاية الإحسان ، ولما مات  
نعاه النبي إلى أصحابه فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى وكبر  
عليه أربع تكبيرات رواه البخارى وغيره ، وهذا هو الأصل فى مشروعيه  
صلاة الجنازة على الغائب .

« موت السيدة أم كلثوم » بنت سيد البشر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وكانت وفاتها فى شعبان من هذا العام وكان سيدنا عثمان تزوجها سنة  
ثلاث بعد موت أختها رقية ، ولم تنجب له أولاداً ، وقد اشتهرت فى تفسيلها  
أم عطية والسيدة صفية بنت عبد المطلب ، وأسماء بنت عميس ، وصلى عليها  
رسول الله والمسلمون ، ولما ذهبوا لدفنها وقف النبي على قبرها وعيناه تذرفان  
بالدموع ، فقال : « هل فىكم أحد لم يقارف الليلة » ؟ فقال أبو طلحة :  
أنا فقال : « إنزل فى قبرها » فنزل ونزل معه على ، والنضل وأسامة بن زيد  
وبموتها لم يبق من بنات النبي إلا السيدة فاطمة رضى الله هنن .

( موت ابن أبي ) وفي شوال من هذا العام مرض عبد الله بن أبي المنافق ومات في ذي القعدة ، وكان النبي يعود في مرضه ، وفي اليوم الذي مات فيه دخل عليه وهو يجود بنفسه فقال له : ( قد نهيته عن حب يهود ) فقال : يارسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ، ولم أرسل إليك لتوبخني ، ثم سأله أن يعطيه قبضه يكفن فيه فأجابته قال الحافظ ابن حجر : وهذا مرسل مع ثقة رجاله ، وكان قد عهد ابن أبي إلى ابنه بذلك (١) فلما توفي جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قبضه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، يارسول الله أتصلي عليه وقد نهاك (٢) ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما خيرني الله فقال : ( استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فإن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين ) قال : إنه منافق فصلى رسول الله عليه فأنزل الله : ( ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ) الآية روى البخاري عن ابن عمر ، وفي رواية أخرى له عن عمر نفسه أن النبي لما قام ليصلي عليه قام عمر فقال : يارسول الله أتصلي عليه وقد قال كذا وكذا يعدد مساوئهم ، فتبسم الرسول وقال آخر عن يامر ، فلما أكثرت عليه قال : ( أنى خيرت فاخترت ، لو أعلم أنى لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ) ثم صلى عليه فلم يلبث إلا قليلا حتى نزلت الآية (٣) .

وإنما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إجراء له على حكم الظاهر وهو الإسلام ، ولما فيه من إكرام ولده عبد الله وكان من خيار

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٢٦٨

(٢) ليس في القرآن نهي عن الصلاة على المنافقين قبل نزول آية ( ولا تصل ) والظاهر أن عمر فهم ذلك من قوله : سبحانه : ( استغفر لهم ) الآية أو من قوله تعالى : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ) الآية

(٣) صحيح البخاري - سورة التوبة - باب ولا تصل الخ



للمصحابة وفضلهم ، وهو الذي عرض على النبي أن يقتل أباه لما قال مقالته يوم غزوة بن المصطلق كما ذكرنا ، ولما فيه من مصلحة شرعية ، وهو استئلاف قومه ومتابعيه ، فقد كان يدين له بالولاء فئة كبيرة من المنافقين فعسى أن يرعوا عن نفاقهم ويعتبروا ويخلصوا لله ولرسوله ، ولو لم يجب صلى الله عليه وسلم ابته وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة وعارا على ابته وقومه ، فالرسول الكريم اتبع أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نهي فأنهى ، وأنه لم يفعل ذلك لاعتقاده أنه يغفر له وليس أدل على ذلك مما رواه أبو الشيخ عن قتادة : أنهم ذكروا القميص بعد نزول الآية فقال عليه الصلاة والسلام : « وما يعنى عنه قميصي ، إنى لارجو أن يسلم به أكثر من ألف من بنى الخزرج » أى يتخلصوا من نفاقهم ، وينقادوا ظاهراً وباطناً لله ولرسوله ، وأما إعطاؤه القميص فلأن الضنن به يخل بالكرم وقد كان من خلق رسول الله أن لا يرد طالب حاجة قط ، على أنه كان مكافأه له على إعطائه العباس عم الرسول قميصه لما جرى به أسيراً يوم بدر<sup>(١)</sup> ، وكان من خلق رسول الله وآل بيته رد الجليل بخير منه .

وقد استشكل بعض العلماء حديث عمر وابنه ، واستبعدوا أن يفهم النبي من الآية التخيير لأن « هر أن » أو « لتسوية في عدم النفع ، وأن يفهم من ذكر السبعين التحديد لأن ظاهر السباق أنها للتكثير ، فقال بعضهم إنه خبر آحاد لا يعول عليه ، وأنكر بعضهم صحته<sup>(٢)</sup> ، وكل هذا وذاك غير سديد فالحديث صحيح رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه وكفى بهم أئمة .

والذى ظهر لى — والله أعلم — بعد النظر والتأمل فى الآية والأحاديث ، وما قاله الأئمة — أن الآية تحتوى التسوية ، وهو الأظهر وأن المراد بالسبعين

(١) تفسير الألوسى ج ١٠ ص ١٥٤

(٢) فتح البارى ج ٨ ص ٢٧٢ - ٢٧٣

التكثير لا التحديد وهو الاظهر أيضاً وفي رواية عمر السابقة ما يدل على أن النبي كان يرى ذلك فقد قال : « لو أعلم أني زدت على السبعين غفر له ، زدت » وتحتل أيضاً التخيير في « أو » وتحتل التحديد في لفظ السبعين وهما مرجوحان قطعاً .

والرسول صلى الله عليه وسلم - وهو أفصح العرب ، وأعرفهم بأساليب البيان ، ما كان يخفى عليه ذلك ولكنه رجح أحد الاحتمالين وإن كان مرجوحاً للحكم السياسية ، والاعراض التي ذكرناها آنفاً ، وقد أطلت النفس في هذا وعرضت لما لم يعرض له المؤرخون غالباً ، لأن مرادنا للسيرة من جوانبها التحليلية من القرآن والسنة وهذا السر في عنايتي بالشريمات وتواريخها ، وحكم التشريع فيها ، وإعطائي للقارئ صورة واضحة لكل تشريع ، وعنايتي بتفسير الآيات القرآنية في كل موضوع ، وهو المهيح الذي سلكه إمام أهل المغازي عهد بن إسحاق ، وابن هشام ، والدراسات على هذا المنهج هي أجدى الدراسات وأنفعها ، والحمد لله الذي هدانا لهذا .

### « حجج الصديق أبي بكر بالناس »

لما رجع للنبي صلى الله عليه وسلم من تبوك تواردت عليه الوفود ، ودخل الناس في دين الله من كل فج ، فلما حل موسم الحج أراد الحج ولكنه قال : « انه يحضر البيت عمارة مشركون يطوفون بالبيت فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك » فأرسل الصديق أميراً على الحج سنة تسع ، وبعث معه بضعا وثلاثين آية من صدر سورة براءة ليقراها على أهل الموسم<sup>(١)</sup> ، فلما خرج دعا النبي صلى الله عليه وسلم دليلاً - رضى الله تعالى عنه - وراوه ، وقال له اخرج بهذه الآيات من صدر سورة براءة فأذن - أعلم - بها في الناس اذا اجتمعوا ، فخرج

(١) هذا ما عايناه الأ كبر وفيما أنها نزلت بعد خروج الصديق وأرسلوا وراوه للحكمة التي

على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « العضاء » حتى أدرك للصديق أبا بكر بنى الخليفة ، فلما رآه الصديق قال له : أمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ثم سارا فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، وكان الحج في هذا العام في ذى الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذى القعدة كما قيل ، وقد خطب الصديق قبل يوم التروية معلماً الناس مناسكهم ثم خطب يوم عرفة ، ويوم النحر ، وكان كلما خطب أمير الحج « الصديق » قام أبو الحسن « على » ، فقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم نادى في الناس بهذه الأمور الأربعة روى الترمذى في جامعه عن زيد بن بئيع قال : سألت علياً بأى شيء بعثت في الحج ؟ قال بعثت بأربع : أن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة (١) أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، قال الترمذى : « حديث حسن صحيح وخرجه النسائي أيضاً وفيه قال على : « فكنت أنادى حتى صحل (٢) صوتى . »

وقد أمر الصديق أبا هريرة في رهط آخرين أن يؤذنوا في الناس يوم النحر بهذه الأمور مساعدين لعلى حتى يصل البلاغ إلى الناس جميعاً ، فلم يكن ثم اقتبات عليه ، وإنما هي معاونة على الخير ، روى البخارى ومسلم في صحيحهما عن أبى هريرة قال : ( بعثنى أبو بكر الصديق فى الحجة التى أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر : لا يحج بعد للعام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ) فكان حميد بن عبد الرحمن بن عوف يقول : يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبى هريرة ويبان ذلك أن هذا الحديث مع الآية القرآنية ( وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج

(١) يعنى من يوم التباين على الصحيح ينتهى فى عشر من ربيع الآخر

(٢) صحل صوته كخرجه فمأسجل وصحل : حج واحتدى بحج

الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ... ) يدلان على أن يوم النحر<sup>(١)</sup> هو يوم الحج الأكبر .

وقد ذكر ابن اسحاق أن قريشاً ابتدعت قبل الفيل أو بعده أن لا يطوف أحد من يقدم عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب أحدهم فان لم يجد طاف عريانياً ، فان خالف وطاف بثيابه ألقاها إذا فرغ ، ثم لم ينتفع بها ، فلما جاء الإسلام هدم ذلك كله فيما هدم من العقائد والخرافات ، وقال العلامة ابن كثير : كانت للعرب ما عدا قريشاً لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها ، وكانت قريش وهم الخمس<sup>(٢)</sup> — يطوفون في ثيابهم ، ومن أعاره أحسى ثوباً طاف فيه ، ومن مع ثوب جديد طاف فيه ثم يلقبه فلا يتملكه ، ومن لم يجد ثوباً جديداً ولا أعاره أحسى ثوباً طاف عريانياً وربما كانت امرأة ، فتطوف عريانة ، فتجعل على فرجها شيئاً ليستره بعض الستر وتقول :

اليوم يسدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وأكثر ما كان الناس يطوفون عراة بالليل وكان هذا ابتدعوه من تلقاء أنفسهم ، واتبعوا فيه أهواءهم ، ويعتقدون أن فعل آباؤهم مسننداً إلى أمر من الله وشرعه ، فانكر الله عليهم ذلك فقال : وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون<sup>(٣)</sup> .

(١) ومن اللف وغيرهم من يرى أن يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة . وسمى الحج الأكبر احترازاً عن العمرة لأنها تسمى . الحج الأصغر

(٢) الخمس : جمع خمس كأنخر سميت قريش بذلك ، لتجسسها أي تشديدتها على أنفسها في عبادتها ودينها ، وقيل : سموا حساً بالكعبة لأنهم أحسوا حجرتها أبيض بضرب

إلى السواد (٣) تفسير ابن كثير والفتاوى ج ٢ ص ٤٦٤

وقد كان المشركون يجتمعون مع المسلمين في الحج ، فأراد الله أن لا يكون ذلك فقد دالت دولة الشرك والأوثان ، وأصبحت كلمة الله هي العليا ، وقد امتثل المشركون فلم يأت مشرك عام حجة الوداع ، وانفرد المسلمون بالبيت لا يشاركونهم فيه أحد قال الله سبحانه وتعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة فصوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليهم حكيم )

والمراد من نجاسة المشركين النجاسة المعنوية ، وهي نجاسة المعتقدات ، أو المراد أنهم لا يتزهدون عن النجاسات غالباً ، ولا يفتسلون من الجنائيات ، وجمهور العلماء على عدم تمكنهم من دخول الحرم كله ، وبعضهم حملها على المسجد الحرام خاصة دون الحرم وبقية المساجد ، وبعضهم قال : المراد عدم تمكينهم من أداء الحج والعمرة استناداً إلى سبب النزول ، والحق ما ذهب إليه الجمهور :

وهنا شبهة نرى لزماً أن نعرض لها ونبين الحق فيها وهي : لم عدل النبي عن تبليغ أبي بكر صدر سورة براءة ووكّل ذلك إلى هلي

والجواب : أن صدر سورة براءة تضمن نقض العمود المطلقة غير المقيدة بوقت ، أو التي مدتها فوق أربعة أشهر فيما زاد عن أربعة أشهر ، وكان العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العمود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه ، فأراد الله سبحانه وتعالى : أن يكون المبلغ عن النبي رجل من أهله حتى يقطع ألسنة العرب بالاحتجاج على أمر هو من تقاليدهم ، ولا سيما أنه ليس فيه منافاة للإسلام ، فإذ ذلك تدارك النبي صلى الله عليه وسلم الأمر ، روى الترمذي - وحسنه - وأحمد من حديث أنس قال : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم براءة مع أبي بكر ، ثم دعا هلياً فأعطاه إياها وقال : « لا ينبغي لأحد أن

يبلغ هذا إلا رجل من أهل بيتي » وفي رواية الطبراني أن جبريل عليه السلام هو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك » فهذا هو السبب لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن علياً أحق بالخلافة من أبي بكر ، ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق له : أمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير ؟ ، وقد كانت هذه الحجة بمثابة النوطة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع .

### « عام الوفود »

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت هوازن ، وعاد من تبوك وقد أظهر هيئة الإسلام ، وجاءت ثقيف إليه مسلمة . تواردت عليه الوفود من كل ناحية ، وفي حديث عمرو بن مسلمة في قصة الفتح عند البخاري قال : « كانت العرب تلوم - تنتظر - بإسلامهم الفتح فيقولون : أتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر - أي قومي - بإسلامهم . . » وانفقوا على أن توارد الوفود كان سنة تسع قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة قال : كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود<sup>(١)</sup> وقد ذكر هذه الوفود ابن إسحاق وابن هشام في السيرة والوافدي في مغازيه ، وكتبه محمد بن سعد في طبقاته<sup>(٢)</sup> ، وهو أوفى ما جمع في ذلك ، والبخاري في صحيحه<sup>(٣)</sup> وتابعهم معظم الكتاتيب في السيرة قال الحافظ في الفتح : وجموع ما ذكروه يزيد على الستين .

ومما ينبغي أن يتنبه إليه أن الذين تعرضوا للذكر الوفود لم يقتصرُوا على

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٦٠

(٢) الطبقات ج ١ من ص ٢٩١ - ٥٩

(٣) فتح الباري ج ٨ من ص ٦٨ - ٨٤

الوفود سنة تسع بل استطردوا إلى ذكر بعض الوفود قبلها وبعدها ، فقد ذكر ابن إسحاق وفد ضام بن ثعلبة مع أنه كان في رجب سنة خمس<sup>(١)</sup> وابن سعد وفد مزينة مع أنه قال إنه كان في رجب سنة خمس ، وذكر البخاري في الوفود ، وفد عبد القيس مع أنه كانت وفادتهم سنة خمس أو قبلها ، ولم يتعرض لوفادتهم الثانية وهي المرادة هنا . وكذلك ذكر ابن سعد وفد محارب مع أنه قال : إن قدمه كان سنة عشر في حجة الوداع ؛ وقد نبه إلى هذا الحافظ المؤرخ ابن كثير في بدايته<sup>(٢)</sup> ، والحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> ، وقد تابع بعض الكتاب المتأخرين في السيرة السابقين فيما ذكروا من غير تبحر وتحقيق .

وقد رأيت أن أذكر أهم هذه الوفود لما في أخبارها من فقه وعلم ، وخلق وأدب وحسن سياسة النبي صلى الله عليه وسلم ، وغاية كياسته في معاملة هذه الوفود ، وإجاباته لهم ومحاوراته معهم .

### « وفد بني يميم »

وكان السبب في قدومهم - كما ذكر الواقدي - أنهم أغاروا على قوم من خزاعة ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري في خمسين رجلا ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري ، فأسر منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وثلاثين صبياً ، فقدم رؤسائهم وأشرفهم بسبب أسراهم في وفد عظيم منهم : عطار بن حاجب بن زرارة ، والأقرع ابن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وهرو بن الأهنم ، وقيس بن عاصم ، فدخلوا المسجد ، وقد أذن بلال الظهر والناس ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كنت قد ذكرت هذا في الطبعة الأولى بناء على ما ذكر ابن كثير قلا عن الواقدي وقد قال ذلك أيضاً غيره . ثم ظهر لي أن قدوم صمام كان سنة تسع وهو الذي صحبه الحافظ ابن حجر [الفتح ج ١ ص ١٤٤] ويكون الحق مع ابن إسحاق في ذكره عام الوفود

ليخرج إليهم ، فتمجّل هؤلاء ، فصاروا ينادون من وراء حجرات نساء النبي ﷺ : أخرج يا محمد فإن مدحنا زين ، وذمنا شين ، وأكثرنا من هذا النداء الجاني العاري عن الأدب في مخاطبة الرسول ، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً وقال : ذاك الله عز وجل ، فأزل الله بسببهم هذا التأديب الإلهي موجباً لهم على ما فعلوا فقال عز شأنه « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم (١) » ولما خرج إليهم قالوا : يا محمد همّاك نفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا ، فقال قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عطاردين حاجب فخطب خطبته ثم جلس ، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس وكان يعرف بخطيب رسول الله ﷺ : « قم فأجب الرجل في خطبته » فقام ثابت فقال أحسن مما قال عطاردين ، ثم قام الزبير بن بدر شاعرهم فقال قصيدته ، فقال رسول الله ﷺ حسان : « قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال ، فقال حسان قصيدة مطلعها :

قد بينوا سنة للناس تتبع	إن الذوائب من فخر وإختوم
تقوى الإله وبالأمير الذي شرعوا	يرضى بها كل من كانت سريره
أوحاولوا النفع في أشياءهم نفعوا	قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
إن الخلاق فاعلم شرها البدع (٢)	سجيصة تلك فيهم غير محدثة

فلما فرغ حسان من قصيدته قال الإقرب بن حابس : وأبي إن هذا لم يؤنى له — أي مؤيد مستهل له — لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهن أعلى من أصواتنا ، فأسلموا وجوزهم (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحسن جوائزهم ، وقال قيس بن عاصم ، وكان يبعث عمرو بن الأهمم : يا رسول الله إنه كان رجلاً منا في رحالنا ، وهو غلام حدث وأزرى به ، ولكن رسول الله أعطاه مثل ما أعطى القوم .

وبما يستطرف ما رواه الأبيهي أنهم لما قدموا سأل رسول الله عمرو بن الأهمم

(١) الحجرات : ٥ . (٢) السيرة جزء ٢ ص ٢

(٣) أي أعطاهم جوائزهم وهي العطايا والمنح .



عن الزبرقان بن بدر فقال : مطاع في أدنيه ، شديد العارضة<sup>(١)</sup> ، مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان : لقد علم مني أكثر مما قال ، وما منعه أن يتكلم الا الحسد ، فقال عمرو أنا أحسدك ؟ فوالله أنك للئيم الخال ، حديث المال ، أحق الوالد ، مضيع في المشيرة ، ولقد صدقت فيما قلت أولاً ، وما كذبت فيما قلت آخراً ، ولكني رجل اذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، واذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ، فقال رسول الله : « إن من البيان لسحراً »<sup>(٢)</sup>

### « وفد بني عبد القيس »

وكانت لهم وفادتان : الأولى قبل الفتح وهي التي قالوا فيها : بيننا وبينك كفار مضر ( قريش ) وكان ذلك قديماً سنة خمس أو قبلها وكانوا ثلاثاً عشر رجلاً وفيهم الأشع<sup>(٣)</sup> الذي قال له النبي : ( إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم<sup>(٤)</sup> والاناة ) وفيها سألوا عن الأيمان والاشربة وعلى هذه اقتصر الإمام البخاري عن ابن عباس قال : أول جمعة جمعت في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجوانى - قرية بالبحرين - وهذا يدل على تقدم اسلامهم .

الثانية : كانت في سنة الوفود وكانوا أربعين رجلاً وهي التي اقتصر عليها ابن اسحاق وهي المراد هنا قال ابن اسحاق : وقام على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو في وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ عرض عليه الإسلام ورغبة فيه فقال : إني كنت على دين ، إني تارك ديني لدينك أفترضن لي ديني ؟ فقال رسول الله « نعم أنا ضامن أن قد هدائك الله إلى ما هو خير منه » فأسلم وأسلم أصحابه

( ١ ) العارضة : الذرة على الكلام .

( ٢ ) يعني كالمسحر في قوة التأثير والاستيلاء على الالباب .

( ٣ ) اسمه المنذر بن عائد . بالذال المعجمة المصرية وقبل غير ذلك ( ٤ ) العقل

فخرج الجارود راجعاً الى قومه ، وكان حسن الإسلام صلماً في دينه ، وقد أدرك الردة فلما رجع من قومه من رجع منهم قام الجارود فتنهده ودعا إلى الإسلام فقال : « أيها الناس انى أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله واكفر من لم يشهد » . وانها لمسكرة له ، ويؤيد تعدد وفادتهم ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم : « ما لى أرى ألو انكم تغيرت » ؟ ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل هذا (١)

### « وفد بنى حنيفة »

وقدم وفد بنى حنيفة وفهم مسيئة الكذاب فنزلوا في دار رملة بنت الحارث وكانت معدة الوفود ، فجعل يقول : « إن جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعته » فاتاهم رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفى يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيئة فى أصحابه ، فقال له : « لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه مارأيت ، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عنى ، ثم انصرف عنه قال ابن عباس : فصالت عن قول رسول الله ﷺ ( إنك أرى الذى أريت فيه ما أريت ) فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ( بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فاوحى إلى فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فذهبا ، فأولتهما كذايين يخرجان ) رواء البخارى والكذابان : أحدهما الأسود العنسى الذى ادعى النبوة بصنماء وقد قتل قبل وفاة النبى بيوم وليلة ، وجاء الخبر بذلك صبيحة دفن النبى ، والآخر مسيئة ادعى النبوة فى بنى حنيفة حتى قتل فى خلافة للصديق وفى رواية أخرى للبخارى أن مسيئة قال للنبى : إن شئت خلىنا بيتك وبين الأمر ، ثم جعلته لنا بعدك ، فاجابه النبى بما أجاب به ، وسباق هذه القصة فى الصحيح يخالف

ما ذكره ابن اسحاق وهو أن مسيلة وفد مع قومه ، وأنهم تركوه في رحالهم يحفظها لهم ، وذكروه لرسول الله ﷺ ، وأخذوا منه جائزته ، وأنه قال لهم (إنه ليس بشركم) وأن مسيلة لما ادعى أنه أشرك في النبوة مع رسول الله احتج بهذه المقالة ؛ وهذا مع شذوذه ضعيف السند ، لانهطاعه ، وأمر مسيلة كان عند قومه أكثر من ذلك فقد كان يقال له : رحمان اليامة لعظم قدره فيهم ، فالمعول عليه ما في صحيح البخاري<sup>(١)</sup>

### « وفد أهل نجران (٢) »

وقد روى أن رسول الله ﷺ كتب لهم كتابا يدعوهم فيه الى عبادة الله وحده ونبت عبادة العباد فإن أبوا فالجزية ، فإن أبوا فالحرب والظاهر أن هذا الكتاب كان سنة تسع<sup>(٣)</sup> بعد نزول قوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فكانهم لما جاءهم كتاب رسول الله ﷺ خرجوا اليه في أربعة عشر من أشهرهم وقيل في ستين راكباً منهم ثلاثة نفر يؤول اليهم أمرهم : العاقب ، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدر عن رآيه ، والسيد وهو صاحب رحلتهم ، وأبو الحارث أسقفهم ، وحبرهم ، وصاحب مدارسهم ، فقدموا على النبي ﷺ ، فدخلوا المسجد عليهم ثياب الخبرة ، وأردية مكفوفة بالحريز ، وفي أيديهم خواتيم لذهب فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق ، فقال رسول الله ﷺ : «دعوهم» ثم أتوا النبي ﷺ ، فأعرض عنهم ولم يكلمهم ، فقال لهم عثمان من أجل زيكم هذا ، فانصرفوا يومهم هذا ، ثم غدوا عليه بزى الرهبان فسلبوا عليه ، فرد

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٧٣ (٢) نجران بفتح النون بلد كبير على سبع مراحل

من مكة الى جهة اليم - حوله قرى كثيرة (٣) فتح الباري ج ٨ ص ٧٦

عليهم ودعاهم إلى الإسلام ، فأبوا وقالوا : كنا مسلمين قبلكم فقال النبي ﷺ  
 يمنعكم من الإسلام ثلاث : ( عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم  
 أن لله ولداً ) وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم ، والنبي يتلو عليهم القرآن  
 ويقرع باطلهم بالحجة وكان مما قالوه لرسول الله . مالك تشتم صاحبنا وتقول  
 إنه عبد الله ، فقال : ( أجل إنه عبد الله ورسوله ، وكتبته ألقاها إلى مريم العذراء  
 البتول ) فغضبوا ، وقالوا : هل رأيت إنسانا قط من غير أب فان كنت صادقا  
 فأرنا مثله فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه ( إن مثل عيسى عند الله كمثل  
 آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من  
 الممترين ) فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه ، فلما لم تجد  
 معهم الجادله بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهاة<sup>(١)</sup> امتثالا لقول الله  
 عز شأنه ( فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندد أبناءنا  
 وأبنائكم ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على  
 الكاذبين ) وخرج النبي ومعه علي ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة وقال .  
 ( وإذا أنا دعوت فأمنوا ) فائتمروا فيما بينهم فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقا  
 وأنه ما باهل قوم نبيا الاهلكوا ، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا : احكم علينا بما  
 أحببت ، فصالحهم على ألفي حلة ، ألف في رجب ، وألف في صفر ، وعلى  
 عارية ثلاثين درهما ، وثلاثين رحما ، وثلاثين بعيرا ، وثلاثين فرسا إن كان باليمن  
 كيد ، واشترط عليهم أن لا يتعاملوا بالربا وأمنهم على أنفسهم ودينهم وأموالهم  
 وكتب لهم كتابا جاء فيه : ولنجران وحاشيتهم جوار الله ، ذمة محمد النبي  
 رسول الله على أنفسهم ، ومائتهم ، وأرضهم ، وأموالهم ، وغائبهم وشاهدهم  
 ويميمهم ، لا يغير أسقف على سقيف . ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقف عن

(١) الدعاء بالامنة ، ثم شاعت في مطلق الدعاء ؛ والمباهاة . مشروعة حيث يتعذر عن طريق  
 الجدال والمناظرة الوصول إلى الحق . وبأبر الضم - كما هنا - الخضوع للحجة والبرهان  
 فلم يبق إلا الاجوء إلى استئزال غضب الله . ولعنته . وهلاكه على اقوم الكاذبين

وقفائنته » وأشهد على ذلك بعض المسلمين ، ثم رجعوا إلى بلادهم فلم يلبث العاقب والسيد إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي فأسلما ، وأزلها دار أبي أيوب الانصاري وأقام أهل نجران على ذلك حتى توفي الله نبيه .

وتولى الصديق الخلافة فاحسن معاملتهم وأوصى بهم عند وفاته ، وفي عهد الفاروق عمر تعاملوا بالربا ، فأخرجهم من أرضهم وكتب لهم : « هذا : ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران من سار منهم انه آمن بآمان الله لا يضرهم أحد من المسلمين ، وفاء لهم بما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، أما بعد فن وقعوا به من أمراء الشام ، وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض فاعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة ، وهقبة لهم بمكان أرضهم لاسبيل عليهم عليهم فيه لأحد ، ولا مغرم أما بعد : فن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فاهم أقوام لهم الذمة ، وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن تقدموا ، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم ) وأشهد على ذلك عثمان بن عفان وآخر فوقع أناس منهم بالعراق فنزلوا النجرانية التي بناحية الكوفة ، وذهب بعضهم إلى الشام (١) وماحدث من النبي وخليفته هو غاية العدل والإحسان والتسامح مع الانصاري ولولا أنهم تعاملوا بالربا ، وأصبحوا يكونون خطراً اجتماعياً واقتصادياً في بلاد اليمن لما أجلاهم الفاروق ، ولكنهم هم الذين أساءوا لأنفسهم بنقض العهد الذي عاهدهم عليه رسول الله ﷺ .

( بعث أبي عبيده معهم ) ولما عزموا على الرجوع إلى بلادهم قالوا للنبي ابعث معنا رجلاً أميناً ليقبض منهم ما للصالح فقال لهم ( لابعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ) فاستدبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قم يا أبا هبيدة بن الجراح » فلما قام قال : « هذا أمين هذه الأمة »

## « وفد طيء وعدي بن حاتم »

قدمنا أن رسول الله ﷺ من على سفانة أخت عدي لما جرى بها في سبايا طيء وأن عدياً كان حرب بأهله وولده لماسم مع بنخيل المسلمين فذهبت أخته إليه بالشام ، وأشارت عليه أن يقدم على رسول الله فيسلم فذهب إلى المدينة حتى جاء المسجد النبوي فسلم عليه فقال : من الرجل فقلت : عدي بن حاتم فقال لي : « يا عدي أسلم تسلم » ثلاثاً فقلت : إني على دين قال : « أأعلم بدينك منك » ألت ركوسياً ، وأنت تأكل رابع قومك (١) ؟ قلت : بلى ، قال : ( هذا لا يحل لك في دينك ) قلت : نعم ، وكان رأى من تواضع النبي مع الناس ومعه ما جعله يعتقد أنه نبي مرسل . يعلم ما يجهل وليس يملك ، ثم قال النبي « لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، وفعلك إنما يمنعك من دخولك فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » فأسلم وحسن إسلامه ، وشارك من فتح بلاد فارس ، ورأى المرأة تخرج من أفاصى البلاد إلى السكبة وهي آمنة ، وكان يقول : وإيم الله ولتكوثن الثالثة .

## « وفد زيد الخيل »

وقدم وفد من طيء على رسول الله وفيهم زيد الخيل (٢) وهو سيدهم فلما اتهموا إليه كلموه ، فعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا وحسن إسلامهم وقد

(١) الركوسية : دين بين النصارى والصابئة كما في النهاية ، والرابع ربع الدين .

(٢) قبل : سمي زيد الخيل خمسة أفراس كانت لهم الأسماء أعلام

أجاز رسول الله كل رجل خمس أواق فضة ، وأجاز زيد اثنتي عشرة أوقية ونشا وقال : ( ما ذكر لي رجل من العرب بنضل ثم جاءني إلا رأيت به دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ الذي فيه ) ثم سماه زيد الخير ، وقطع له قيد<sup>(١)</sup> ، وأرضين وكتب له بذلك كتاباً ، ثم رجع مع قومه ، فلما كان بالطريق مات ، فعمدت امرأته إلى كل ما كان معه من الكتب فحرقتها ومنها كتاب رسول الله بما أقدمه إياه .

### (( وفد بني عامر ))

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر وفيهم عامر بن الطفيل ، وأربد ابن قيس فلما انتهوا إلى رسول الله قال عامر : يا محمد ما تجعل لي إن أسأمت ؟ فقال : « لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم » قال عامر : أتجعل لي الأمر — إن أسأمت — من بعدك ؟ فقال رسول الله : ( ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكنك أعنة الخيل ) قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، أجعل لي الوبر وإك المدر ، فقال رسول الله : « لا » قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، فقال النبي ﷺ : « اللهم أكفني عامر بن الطفيل » وكان هو وأربد قد تواطئا على بغتيال النبي فعصمه الله منهما فلما خرجا راجعين إلى بلادهم نزل عامر في بيت امرأة من بني سلول ، فأصيب بغدة<sup>(٢)</sup> في عنقه فصار يقول : أغدة كغدة الأبل ، وموت في بيت سلولية ، فوثب على فرسه ، وأخذ رمحه ، وصار يعد وبفرسه حتى سقط عنه ميتاً :

وأما أربد فقد وصل إلى أرض بني عامر فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرمره بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد ذلك بيوم أو يومين معه جل له يبيعه ، فأرسل

(١) فتح الباء وسكون الياء اسم قرية

(٢) داء بصيب اليعبر وهو شبيه بالذبححة التي تصيب ابن آدم

الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقها ، وفي شأن عامر وأربد انزل الله سبحانه قوله « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام . . . » إلى قوله تعالى : « وهو شديد المحال » (١).

### ( قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله )

وفي شهر رمضان سنة تسع مرجع رسول الله ﷺ من تبوك وقد عليه مالك بن مرارة الرهاوى رسول ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم ، فأمر بلالا أن ينزله ويكرمه وكتب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى النعمان بن زيد رعين ، ومعافر ، ومحمدان : . . . بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كلال . . . أما بعد ذلك فإني أهد إليك الله الذي لا إله إلا الله فانه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأبانا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعمتم الله ورسوله وأقتم الصلاة ، وآتينم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمس الله وسهم النبي ﷺ وصفيه . . . ثم ذكر زكاة الزرع والإبل والبقر والغنم ، وكذلك أرسل إلى زرعة ذي بزن يوصيه برسله وماله إليهم خيرا (٢)

### ( وفد أهل اليمن )

وقدم على النبي ﷺ في سنة تسع وفد اليمن ، وقد جاؤا فوجدوا وفد بني تميم عند النبي ولسكنهم كانوا أفاقه منهم وأرق ، روى البخارى في صحيحه أنه لما جاء بنو تميم إلى رسول الله ﷺ قال : « أبسروا بني تميم » فقالوا : أما اذ بشرتنا فاعطنا ، فتغير وجه رسول الله ﷺ فجاء ناس من أهل اليمن فقال النبي :

(١) سورة الرعد الآية ٨—١٣

(٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٧٥



« اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو يميم » قالوا : قد قبلنا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر<sup>(١)</sup> ما كان ، قال : ( كان الله ولم يكن شيء قبله - وفي رواية غيره - وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذر كل شيء )<sup>(٢)</sup> وفي شان هذا الوفد روى البخارى في صحيحه أيضاً عن النبي ﷺ قال : ( أناكم أهل اليمن هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان والحكمة يمانية ، والفخر والحيلة في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم ) .

وقد ترجم البخارى في باب الوفود « باب قدوم الاشعريين وأهل اليمن ، وليس معنى هذا أن قدوم الاشعريين كان سنة تسع فالثابت في الصحيح والسير أن قدومهم كان سنة سبع عقب خيبر ، وهذا يشهد لما ذكرته في صدر فصل الوفود من عدم التقيد بالوفود التي وفدت عام تسع .

### ( وفود أخرى )

#### « وفد وائل بن حجر »

وقدم وائل بن حجر بن ربيعة أحد ملوك اليمن ، وفد بشر النبي به أصحابه فقال : « يأتاكم بقية أبناء الملوك ) فلما دخل رحب به وأدناه من نفسه وبسط له رداءه وقال : « اللهم بارك في وائل ، وولده ، وولد وولده ، واستعمله على الأقبال من حضرموت .

#### « وفد الأزد »

وقد وفد الأزد من اليمن فاعجب الرسول ما رأى من زيهم وسمتهم ، ثم سألمهم ما أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون ، فسألهم عن حقيقه قولهم وإيمانهم ، فدكروا خمس

(١) يعنى بدء الخلق

(٢) فتح البارى ج ٨، ص ٩٠، ج ٦، ص ٢٣٠

عشرة خصلة : خمس أمرتنا بها رسلك أن تؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلفنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً ، فقال رسول ﷺ : « ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ، ؟ قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، قال : ( وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها ) ؟ قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله ، وتقيم للصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، فقال : وما الخمس التي تخلفتم بها في الجاهلية قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك المشيمة بالأعداء فقال لهم الرسول : ( حكاء علماء . كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ) (١) .

وقدم الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً من أشراف كندة وكان من ملوكهم ، وقد رجلوا جميعهم (٢) ، وتكحلوا عليهم جيب الحبرة قد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله ﷺ مسجده قال لهم : « ألم تأسموا ؟ » قالوا : بلى قال : « فإبال هذا الحرير في أعناقكم ، فشقوه منها فألقوه ، وأسلموا ، ثم ارتد الأشعث فيمن ارتد من الكنديين بعد وفاة النبي ، ثم أسر وحجى به إلى الصديق ، فقدم ، ورجع إلى الإسلام ، وزوجه الصديق أخته أم فروة ، وقد حسن حاله وشارك في الفتوحات الإسلامية ، وقد اتفق الذين كتبوا في تاريخ الصحابة على عده من الصحابة .

### « وفد الدارين »

وقدم وفد الدارين (٣) على رسول الله منصرفه من تبوك وهم عشرة نفر فيهم تميم الداري وأخوه نعيم ، وكانوا نصارى فأسلموا وأقاموا بالمدينة حتى توفي رسول الله ، وكان النبي أقطع تميماً أرضاً بالشام ، فلما تولى الخلافة للصديق أعطاه ذلك .

(١) البداية ج ٥ ص ٩٤ (٢) الجمه الشعر يتلغ المنسكين ، ورجلوا : شرحوا

(٣) نسبة إلى الدار بطن من لخم .

« وقد تغلب »

وقدم وفد تغلب سنة عشر رجب لالمسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب فزلوا دار رمله بنت الحارث - وكانت معدة للقوقود - فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم النصارى منهم على أن يقرهم على دينهم على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية<sup>(١)</sup> ، وأجاز المسلمين منهم بجوازهم .

وبذلك أظهر الله دينه على الأديان كلها ، ودانت الجزيرة من بلاد الشام إلى بلاد حضرموت لله ورسوله ، إلا بعض بطون من قبائل العرب لم تلبت أن أسلمت وأذعنت سنة عشر .

( السنة العاشرة )

« سرية خالد بن الوليد » في ربيع الآخر أو جاد الأولى من سنة عشر أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام فإن استجابوا فأقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم إليهم ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله ، وسنة نبيه ، ثم أرسل إلى رسول الله كتابا يخبره خبرهم ، فكتب إليه أن يبشرهم وينذرهم وأن يقبل ، ويقبل معه وفدهم ، فأقبل خالد ومعه وقدهم منهم قيس بن الحصين ، فكلمهم وسألمهم : بما كنتم تنلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : إنا كنا نجتبع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : « صدقتم » ثم أمر عليهم قيس بن الحصين . وعادوا إلى قومهم في شوال أو صدر ذي القعدة .

« بعث عمرو بن حزم » ثم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ،

(١) أي أن لا يصبغهم في النصرانية

ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده ، وأمره بأوامره وبين له المنهج الذي يتبعه معهم في الحكم ، والزبية ، والتعليم ، والتأديب ثم ختمه بما يأخذه من المغنم وهو الخمس ، وبين له أنصبه الزكاة في الزروع وفي الإبل والبقر والغنم ، وقد ذكر الكتاب بطولته الامام محمد بن اسحاق <sup>(١)</sup> في سيرته ، والنسائي في سننه ، والبيهقي في السنن .

« سرية علي بن أبي طالب » وفي رمضان أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا في جمع إلى بني مذحج ، وهي قبيلة يمانية ، وعصمه يده ، وقال « سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول : لا إله إلا الله فأن قالوا : نعم فرهم بالصلاة ولا تبغ غير ذلك ، ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس ، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، فلما انتهى إليهم لقي جموعهم فدعاهم إلى الاسلام فأبوا وروموا المسامين بالنبل ، فصف على أصحابه وأمرهم بالقتال ، فقاتلوا حتى هزموا عدوهم ، فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم إلى الاسلام ، فأجابوا وبايعه رؤسأؤهم وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا فخذ منها حق الله ففعل .

« وفد بجيلة » <sup>(٢)</sup> وقدم جرير بن عبد البجلي في رمضان سنة عشر على النبي ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا وكان رسول الله ﷺ قال : « يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك ، فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا وروى أن رسول الله بسط عليه كساء ثم التفت إلى أصحابه وقال : إذا أنا كم كريم قوم فاكرموا ، وفي الصحيحين عن جرير قال : « بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم »

### « وفد أحس »

وقدم قيس بن عزة الأحسي في مائتين وخمسين رجلا من أحس — أخوة

(١) حيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٩٤ (٢) بجيلة على وزن حنيفة قبيبة باليمن

بجيلة - فقال لهم رسول الله ﷺ : من أتم ؟ فقالوا : نحن أحسن الله ، وكان يقال لهم ذلك في الجاهلية فقال لهم : « وأنتم اليوم لله » وقال لبلال : « أعط ركب بجيلة وابدأ بالأحسين » ففعل.

ولما أسلم جبره قال له رسول الله « ألا تريخني من ذي الخلصة ، <sup>(١)</sup> فانطلق في مائة وخمسين من أحسن وكانوا أصحاب خيل فاشتكى إلى رسول الله أنه لا يثبت على الخيل فضرب في صدره ودعا له قائلاً : ( اللهم ثبته وأجعله هادياً مهدياً ) ألم يسقط بعد عن فرس ثم ذهب ومن معه حتى جاء إليها فخر بها وحرقها ، وأرسل إلى رسول الله من يبشر بذلك فبارك رسول الله على خيل أحسن ورجلها (خمس مرات) رواه البخاري ومسلم .

### « بعث العمال والقضاء والأمراء إلى اليمن »

( بعث معاذ بن جبل إلى اليمن ) بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام إلى اليمن قاضياً ومفتقياً ، وأميراً ومصداقاً <sup>(٢)</sup> ، وجعله على أحد خلافتها <sup>(٣)</sup> وهو الأعلى وفي طبقات ابن سعد ( أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن لما بعث معاذاً : (إني بعثت لكم خير أهلي ) ولما خرج معاذ متوجهاً إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يودعه ويوصيه ، ومعاذ راكب ، ورسول الله يمشي تحت راحلته فاوصاه بوصايا كثيرة منها ( اتق الله حينما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ) رواه أحمد والترمذي وقال : له وقد وضع رجليه في ( الغرز ) <sup>(٤)</sup> :

(١) بيت باليمن اغتتم كانوا بنوه يضاھتون به الكعبة وبه نصب تعبد .

(٢) باشديد الدال : أخذ الزكاة (٣) الخلف بكسر الليم بلفه أهل اليمن : الاقليم والكورة والريستان وكانت إمارة معاذ على الخلف الأعلى واليمن خلافتان

(٤) هو للابل كالسرج الفرس وهو ما يركب عليه

( حسن خلقك للناس ) رواه مالك في الموطأ وقال له أيضاً : ( إنك ستأتي قوما أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم لى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن هذا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ) رواه البخارى ومسلم وغيرها ، وما أجمله من منهج يجب أن يسلكه المرءون والمعاملون ، والهداة ، والمصلحون ، وكذلك أراد النبي أن يعرف علمه بالقضاء حين بعثه قال له : ( كيف تصنع أن عرض لك قضاء ) ؟ قال : بما فى كتاب الله ، قال : ( فان لم يكن فى كتاب الله ) ؟ قال : فسنة رسول الله ﷺ ، قال : ( فان لم يكن فى سنة رسول الله ) ؟ قال : أجتهد - وبني لا آلو - أى لا أقصر قال : فضرب رسول الله صدرى ثم قال : ( الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله ) رواه أحمد ، وأبو داود والترمذى ، وابن ماجه وهذا يدل على فقه معاذ ، وعلمه باصول القضاء . فلما فرغ رسول الله من وصاياهم قال له : ( يا معاذ انك عسى أن لاتلقانى بعد عامى هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى ) فبكى معاذ خشعاً لفراق الرسول ، وكذلك وقع الأمر كما أشار الرسول ، فقد أقام معاذ باليمن ، ولم يقدم إلا بعد وفاة الرسول ﷺ .

« بعث أبى موسى الأشعرى ، وكذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى موسى الأشعرى اليمنى لى خلاف اليمن الآخر وهو الاسفل ، قاضيا ومفتحا وأميرا ومصدقا ، وأوصاه ومعاذًا فقال : « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلعا » وقد عملا بوصية النبي ، وانطلق كل واحد منها إلى عمله وصارا يتزاوران ويتحبايان فى الله ، رواه البخارى ، وسأل أبو موسى رسول الله فقال : يا نبي الله إى أرضنا بها شراب من الشعير - المزرة - وشراب من العسل - البنع - فقال : ( كل مسكر حرام ) وقد دل بعث النبي لآبى موسى

على أنه كان عالماً فطناً حازقاً ، ولولا ذلك لم يوله النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة ، والقضاء ، ولو كان فرض الحكم لغيره لم يحنج إلى توصيته بما وصاه به ، ولذلك اعتمد عليه عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين ، قال ابن العربي وغيره والحق أنه لم يصدر منه ما يقتضى وصفه بذلك ، وغاية ما وقع منه أن اجتهاده أدام إلى أن يجعل الأمر شورى بين من بقى من أكابر الصحابة من أهل بدر وتحوهم لما شاهد من الإختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين ، وآل الأمر إلى ما آل إليه (١) .

بعث علي بن أبي طالب ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بن أبي طالب إلى اليمن ليقبض خمس الغنائم التي غنمها خالد بن الوليد ، وهو يجاهد في اليمن وليخلفه في الجهاد ، فذهب واستدنه واصطفى منه جارية لنفسه ، فأثار ذلك نفس أحد الصحابة عليه وهو بريدة الاسلمى وكان في نفسه من علي شيء فلما قدم علي النبي ذكر ذلك له فقال : ( يا بريدة أتقبض عليا ؟ ) قال نعم قال : ( لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك ) رواه البخارى قال بريدة فما كان أحد من الناس أحب إلى من علي ، وفي صحيح البخارى أن عليا بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخمس بذهبية لم تخلص من تبرها من الخمس ، فقسما النبي بين أربعة : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، وعلقمة بن علاثة العامرى ، وكذلك بعثه مصدقا كما رواه البيهقى (٢) .

وقد وكل إليه القضاء أيضا روى أحمد وأبو داود والترمذى عن علي قال بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقلت يا رسول الله تبغثنى إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء ، فوضع يده على صدرى وقال : ( اللهم ثبت لسانه ، واهد قلبه ) وقال : ( يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا

(١) فتح البارى ج٧ ص ٥٠

(٢) البدايه والنهايه ج٥ ص ١٠٥

تفرض بينها حتى تسمع من الآخر ، فانك إن فعلت ذلك تبين لك ، قال على فما  
أشكل على قضاء بعد<sup>(١)</sup> ، ثم رجع على رضى الله عنه إلى رسول الله فوافاه بمكة  
في حجة الوداع .

( أمراء وعمال آخرون ) قال ابن اسحاق : ( وكان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على للصدقات ( الزكاة ) إلى كل ما أوطأ  
الاسلام من البلدان .

فبعث المهاجرين أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه الاسود العنسى  
وهو بها .

وبعث زياد بن ليلى الانصارى إلى حضرموت وعلى صدقاتها .

وبعث عدى بن حاتم على طيبىء وصدقاتها ، وعلى بنى أسد .

وبعث مالك بن نويرة الليثى على صدقات بنى حنظلة .

وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزيرقان بن بدر على ناحية  
منها ، وقيس بن عاصم على ناحية .

وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين ، .

وفى صحيح البخارى أن النبى استعمل ابن اللثبية - وقد سماه ابن سعد  
وغيره عبد الله - على صدقات بنى سليم ، ومن استعملهم النبى يزيد بن أبى  
سفيان على صدقات بنى فراس وكانوا أخواله<sup>(٢)</sup> .

( جملة المغازى ، والسرايا ، والبعوث )

هانحن قد انتهينا - والله الحمد والمثنه - من غزوة تبوك وهى آخر غزوة

(١) فتح البارى ٨٠ ص ٥٣ .

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٦٥٦ .



غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلنذكر جملة المغازي والسرايا  
والبعوث فأقول وبالله التوفيق .

روى الشيخان في صحيحهما بسندهما<sup>(١)</sup> عن أبي إسحاق السبيعي قال :  
كنت إلى جنب زيد بن أرقم ، فقلت له : كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم  
من غزوة .

قال : « تسع عشرة ، فقلت : كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة ، قلت  
فأين كانت أول ؟ قال : العشير ، أو العشيبة<sup>(٢)</sup> فذكرت لقتادة قال :  
العشيبة<sup>(٣)</sup> .

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن بريدة قال ( غزار رسول الله صلى الله  
عليه وسلم تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن ، وعلى هذا يتفق ما رواه  
زيد بن أرقم ، وما رواه بريدة في العدة ويكون مرادهما الغزوات التي خرج  
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل ، وأما قوله  
( قاتل في ثمان منهن ، فلعله لم يعد الفتح - كما قال لإمام النووي - ويكون  
مذهبه أنها فتحت صلحا ، كما قال الشافعي وموافقوه ، أو لعله اعتبر الخندق  
وبنى قريظة غزوة واحدة ، ويقول بريدة - رضى الله عنه - قال موسى بن  
عقبة من أئمة أهل المغازي<sup>(٤)</sup> .

ولا يعكز على هذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن  
عبد الله رضى الله عنه قال : ( غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع

---

(١) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة العشيبة ، وباب « كم غزا النبي » وصحيح  
مسلم - كتاب الجهاد والسير باب عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الأولى بالسين المعجمة بلاها . والثانية بالسين المهملة وبالهاء على صيغة المصغر فيها .

(٣) منى بالسين المعجمة . وبالهاء على صيغة المصغر ، وهي التي اتفق عليها أهل السير وإن كان  
الكل صحيحا .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ١٩٥ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢٢٤ . ٢٢٥

عشرة غزوة ، قال جابر : لم أشهد بديراً ، ولا أحداً منعى أبى— وذلك ليكون مع أخواته البنات - فلما قتل عبد الله يوم أحد لم أنخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قط ، ومقتضى هذا أن عدد غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين .

وذلك لأن زياداً فاته ذكر اثنتين منها وهما الأبوء ، وبواط ، فقد كانتا قبل العشيرة قطعاً ، وكان ذلك خفي عليه لصفوه ، ولعلمها خفيتا أيضاً على بريدة أو نساها على أن ذكر الأقل لا ينفي ذكر الأكثر والعبارة في الروايتين غير حاصرة .

والذى ذكره ابن اسحاق في سيرته أنها سبع وعشرون غزوة ، قال : ( وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها : غزوة ودان ، وهى غزوة الابواء ، ثم غزوة بطواط من ناحية رضوى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى بطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الكدر ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمران الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة . ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ، ثم غزوة بنى طيابق من هزيل . ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالاً ، فصدته المشركون . ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر وأحد والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، والفتح وحنين ، والطائف <sup>(١)</sup> أقول : ولم يذكر ابن إسحاق « غزوة بنى قينقاع » مع أنها أولى بتسميتها غزوة من عمره القضاء وهذا يدل على أن المسألة اعتبارية ، وهى مما تختلف فيها الأنظار ولا أدرى السبب فى عدم ذكر غزوة بنى قينقاع إلا أن يكون سهواً ، والعصمة لله ولرسوله وكذلك خالفت ابن إسحاق فى ترتيبه للغزوات بناء على الدليل والبرهان ، وقد بينت ذلك

ثم قال ابن اسحاق : وكان بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانياً وثلاثين من بين بعث وسرية . ثم شرع - رحمه الله - في تفصيل ذلك .

وقال موسى بن عقبة في مغازيه « قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في ثمان بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم المصطلق ، ثم خيبر ، ثم مكة ، ثم حنين ، ثم الصائف » فأهمل غزوة قريظة لأنه اعتبرها والأحزاب غزوة واحدة . بينما أفردها ابن اسحاق وعلى هذا لا تنافي بين ما ذكره موسى بن عقبة ، وما ذكره ابن اسحاق .

وكذلك عد بن سعد في « الطبقات » المغازي سبعاً وعشرين ، وتبع في ذلك الواقدي وهو موافق لما ذكره ابن اسحاق كما قدمنا قال الحافظ بن حجر في الفتح : « إلا أنه لم يفردها وادى القرى من خيبر أشار إلى ذلك السهيلي ، وكان الستة الزائدة من هذا القبيل ، وعلى هذا يحمل ما أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال : « غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعاً وعشرين غزوة » وأخرجه يعقوب بن سفيان عن سالمه بن شبيب عن عبد الرزاق ؛ فزاد فيه « ان سعيداً أقال أولاً ثمانى عشرة ، ثم قال أربعاً وعشرين » قال الزهري فلا أدري أوهم - غلطة أو كان شيئاً سمعه بهد ، قلت - أى الحافظ - : وحمله على ما ذكرته يدفع الوهم ويجمع الأقوال والله أعلم .

وأما البعوث والسرايا فقد عدها ابن اسحاق ثمانياً وثلاثين ، وعدها الواقدي ثمانياً وأربعين ، وعدها ابن سعد ستاً وخمسين ، وحكى ذلك ابن الجوزى في « التلخيص » ، وعدها المسعودى ستين ، وبلغها إلى الحافظ العراقي على نظم السيرة زيادة على السبعين ووقع عند الحاكم في « الاكلیل » أنها تزيد على مائة ؛ فلعله أراد ضم المغازي إليها . كما قال الحافظ في الفتح .

فلا يهولناك - أيها القارئ الفطن - ما ترى من اختلاف في العدة ؛ فالعبارات ليست حاصرة ، والمدد كما يقول بعض الاصوليين لامفهوم له ؛ فذكر الأقل لا ينفي ذكر الأكثر ؛ والمسألة كما قلت لك اعتبارية ، فمن ثم اختلفت

العبارات في العدة ؛ لاختلاف الاعتبارات ؛ وكل أخبر بما علم وقد يكون عند الواحد من صحابة رسول الله ﷺ ما ليس عند الآخر ، وقد يشهد الواحد منهم ما لا يشهد الآخر .

وهذا هو اللائق بصحابة رسول الله ﷺ ، والرعيّل الأول من المسلمين الذين نشروا الاسلام وضحووا في سبيله بالنفس والنفيس ، والاهل والولد ، وكان الواحد منهم لأن يخرج من أعلا جبل ، أهون عليه من أن يكذب على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أو يصفه بما ليس فيه ، أو ينسب اليه ما لم يصدر عنه .

وكانوا من العدالة ، ومن الصدق ، والضبط بالمحل الأرفع ، وكيف لا ؟ وقد أتى الله عليهم بالثناء المستطاب في القرآن الكريم ، وضرب بهم الامثال في التوراة والانجيل ، وأتى عليهم الرسول الكريم غاية الثناء .

ولا تعجب - يا قارئ الحصيف - إذا كنت أعنى بالتوفيق بين الآيات القرآنية ، والاحاديث والمرويات ، لأن هذا من جل مقاصدى في هذا الكتاب أن أبين أن آيات الله يصدق بعضها بعضا ، وتعارف ولا تتناكر ، وتتألف ولا تتخالف ، وأن الاحاديث الصحيحة النابتة لا يرد بعضها بعضا ، ولا يناقض بعضها البعض الآخر ، وأن لهذه وتلك مخارج صحيحة لمن أحمل الذهن ، وقدر الفكر ، وتناولها بالقلب المؤمن ، والعقل المتشد البصير ، رزقى الله وإياك : إيمانا ثابتا لا يتزعزع ، وقلبا بصيرا تقيا ، من الشكوك نقيبا ، وعلما نافعا . ولسانا ذا كرا . وبالحق قوالا . وعن الاسلام . ورجالاته منافحا . وأتم على عليك نعمة الاسلام . ولسان حالى وحالى يقول :

إني الاسلام لا أبلى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

## « حجة الوداع »

ها هي الواد قد جاءت ترى من كل ناحية ، وأضحت الجزيرة العربية مؤمنة موحدة ، وها هي دعائم الإسلام وشرائعه قد استقرت وبينها النبي بقوله وعمله ولم يبق من أصول الإسلام ما هو في حاجة إلى البيان للقولي والعمل من النبي ﷺ إلا الحج ، وها هو الصديق قد مهد بالحج سنة تسع للنبي أن يحج بالناس ليقفهم على مناسكها كما شرعه الله من لدن العليل إبراهيم عليه الصلاة ، ولينفي عن الحج ما شابه من بدع ومستحدثات ، وإنا لنلحس هذا المعنى جلياً في قوله صلى الله عليه وسلم ( كونوا على مشاعركم فانكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم ) رواه النسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقوله في هذه الحجة وهو يرمى جرة العقبة : ( لتأخذوا مناسككم فإني لأرى لعلى لا أحج بعد حجتي هذه ) رواه مسلم .

وتسمى هذه الحجة حجة الوداع ، لأن النبي ﷺ ودع المسلمين بهذا القول ، وحجة الإسلام لأنه لم يحج بعد الهجرة غيرها ، وأما قبل الهجرة فقد حج مراراً قبل النبوة وبعدها ، وحجة البلاغ لأن النبي باغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملًا ، وذكرهم بالمهم من شرائع الإسلام ، وحقوق الانسان ، وأشهد الله والناس على ذلك .

( الأذان بالحج ) ولم يكذب يحل شهر ذو القعدة من هذا العام حتى أخذ رسول الله في التجهز للحج ، وأذن في الناس بذلك ، وأمرهم بالتجهز ، فصادفت الدعوة هوى في النفوس ، فجاء الناس من كل فيج وصوب ، من القرى والبادى ، والسهل والجبل ، والوديان والصحارى ، مشاة وركباناً ، محدوم الرغبة الصادقة في حج بيت الله مهوى القلوب ، واثابة للناس ، والحرص على أن يحفظوا بالشرف الرفيع شرف مصاحبة الرسول ، والنظر إليه ، والسماع منه ، وضرب حول المدينة الخيام لمائة ألف أو يزيدون ، وحد بينهم

الإسلام ، وربط قلوبهم على المحبة والإخاء ، بعد أن كانوا أوزاعاً متفرقين ،  
وأعداء متباذرين .

( الخروج للحج ) وفي يوم السبت الخامس والعشرين من ذى القعدة  
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الالوف المؤلفة بعد أن صلى الظهر  
بالمدينة أربعاً ، وقد استخلف عليها أبادجانة ، وقيل : سباع بن عرقطة  
حتى وصل إلى ذى الحليفة<sup>(١)</sup> فصلى المغرب ركعتين ثم بات بها ، فلما أصبح  
اغتسل للأحرام ، وتطيب وليد<sup>(٢)</sup> رأسه ، وصلى ركعتين وكان رسول  
الله قد ساق معه الهدى ، قيل مائة ، وقيل دون ذلك ، فأشعر واحدة منها  
وقلدها نعلين ، وتولى إشعار الباقي وتقليده غيره ، ثم ركب ناقته (القصواء)  
وأهل بالحج قائلاً : ( لبيك اللهم لبيك ) لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد  
والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك ) ولما أشرفت ناقته على البيداء أدخل  
العمرة على الحج قائلاً : لبيك بعمرة وحجة ، وأما المسلمون فثمنهم من أحرم  
بالحج ، ومنهم من أحرم بعمرة . ومنهم من أحرم بعمرة وحج معاً كما روى  
في الصحيحين ، وسار الرسول والمسلمون وهم يلبون ويكبرون وهللون ، لا ينفكون  
عن ذلك كلما علوا شرفاً - مكاناً عاليًا - أو هبطوا وادياً ، وتجاوبت الأصداء  
بالتوحيد والتهليل ، وشهدت الصحراء هذا المشهد الفريد الذي لم تشهد له مثيلاً  
من قبل ، ولن تشهد له مثيلاً من بعد .

( بم أحرم النبي ) ؟ وقد اختلفت الروايات في الصحيحين وغيرهما من كتب  
الحديث والسير في صفة إحرامه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع اختلافاً  
كثيراً ، واختلف تبعاً لذلك أئمة العلم والفقه والحديث : أكان رسول الله مفرداً .  
أم قارناً ، أم ممتنعاً؟<sup>(٣)</sup> (وليس من شأنى هنا أن أعرض لذلك بالتفصيل . فذلك

(١) موضع على ستة أميال من المدينة وهو ميقات أهلها .

(٢) التلبيد : دهن الرأس بشيء لرج كصنغ مثلاً حتى لا ينبت ولا تنول به حوام .

(٣) المفرد : المحرم بالحج فقط ، القارن : أن يحرم بالحج والعمرة معاً . أو يحرم بالحج  
ثم يدخل عليه العمرة ، أو بالعكس . المتمتع : أن يتممها ولا في أشهر الحج حتى إذا فرغ  
منها أحرم بالحج .

يحتاج إلى رسالة ، ولكني أقول : إن الذي عليه المحققون من العلماء أن رسول الله ﷺ أهل بالحج ، ثم أدخل عليه الإحرام بالعمرة فصار قارنا ، واستمر على ذلك لم يتحلل من عمرته حتى قضى النسكين لأنه كان ساق معه الهدى كما ذكرنا ، ثم إنه ﷺ أمر من أحرم بالحج ولم يسق الهدى أن يجعله عمرة ويتحلل منها ، ثم يهل بالحج يوم التروية ، فن تم حصل هذا الاختلاف ، فن روى أو رأى أنه أهل بالحج فقط أراد ما أهل به أولا ، ومن قال : إنه كان قارنا أراد آخر أحواله ، ومن قال إنه متمتعاً أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع بالجمع بين الحج والعمرة في اشهر الحج ، أو أنه فهم من أمره بالاقْتصار على العمرة والتحلل منها ثم الإحرام بالحج بعد أن كان متمتعاً (١) .

وأحب أن يضع القارئ الفطن في اعتباره أنه من المستبعد أن تنفق عشرات الألوف هذه كلها على رواية أو رأى ، إذا لم يسمع الكل من النبي أو يروا ما صنعه في وقت واحد ، وبذلك لا يهوله هذا الاختلاف ، ويستبعد من تفكيره أن يكون مبعثه التناقض ، أو الهوى والتزويد .

وفي سرف - مكان قريب من مكة - أمر رسول الله من أحرم بالحج ولم يسق الهدى أن يجعل حجة عمرة ، وفي ( ذى طوى ) على مشارف مكة بات الرسول وأصحابه حتى صلى بهم الصبح ، ثم اغتسل لدخول مكة .

( وفي مكة ) ودخلت هذه الجموع الحاشدة مكة من الثنية العليا نهاراً جهاراً ، وكان ذلك في يوم الأحد الرابع من ذى الحجة فلما عاين الرسول البيت قال : ( اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا - ربنا - بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ، وتكريماً ومهابة وبراً ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً ، وتعظيماً وبراً ) رواه الشافعي والبيهقي .

(١) راجع صحيح مسلم بمرج الزوى ج ٨ ص ١٣٥ ، وفتح الباري ج ٣ ص ٣٢٥

والبدابة والنهاية ج ٥ ص ١٤٠

( م ٣٠ - السيرة النبوية ج ٢ )

( الطواف بالبيت ) وطاف رسول الله ﷺ وهو راكب ناقته ، يستلم الحجر الأسود بمحجن في يده ، لأجل أن يراه الناس فيقتدوا به ويسألوه ، ولأجل أن لا يصرف عنه الناس فقد غشوه من كل جانب وطاف بطوافه المسلمون وأمرهم أن يضطبعوا ويرملوا في الأشواط الثلاثة الأولى (١) ، ويمشوا على هيئتهم في الأربعة الباقية حتى إذا فرغ من طوافه أتى مقام إبراهيم وهو يتلو قول الله تعالى : ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) فصلى وراء ركعتين ، ثم استلم الحجر مرة أخرى .

( إلى الصفا والمروة ) ثم خرج من باب بني مخزوم إلى الصفا وهو يقرأ قول الله تعالى : ( إن الصفا والمروة من شعائر الله ) الآية ، أبدأ بما بدأ الله به فصعد عليه حتى عاين البيت فاستقبله قائلاً : ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله أنجز وعده وصدق عبده ، وهزم الأحزاب وحده ) ثم نزل إلى المروة ، ثم رجع إلى الصفا وهكذا حتى أتت سبعة أشواط ، فلما فرغ من السعي بينها أمر أصحابه بأن من لم يكن معه هدى فليجعل حججه عمرة وليتحلل منها ، فتباطأ بعض الصحابة في ذلك تأسفاً على عدم الاقتداء به ، فطيب خاطرهم ، وبين لهم السبب في عدم تحلله فقال : ( لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ، وجعلتها عمرة ) فحل الناس كلهم وقصروا ، ولم يبق محرماً إلا النبي ومن ساق معه الهدى .

( إلى الأبطح ) تم سار رسول الله والناس معه حتى نزلوا بالأبطح - مكان فسيح شرقي مكة - وأقام هناك إلى يوم الأربعاء يصلي بأصحابه ، ولم يعد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها .

(١) الرمل هو المروة ، وقد بينت معنى ذلك وحكمه في ص ٣١١ وما بعدها من كتابنا هذا  
(٢) هو الحجر الذي قام عليه سيدنا إبراهيم الخليل وهو بين الكعبة والبيت المقدس .  
إلى يومنا هذا . لذا تعاه باب الكعبة ، أما المحجن : فهو عصا مرفوعة في آخرها



( قدوم على ) وقدم على بن أبي طالب — رضى الله عنه — من اليمن فوافق النبي بهذا المكان ، ووجد زوجته السيدة فاطمة قد أحلت كما حل أزواج النبي ، ولبست ثياباً مصبوغة فقال : من أمرك بهذا ؟ قالت : أبي ، فأخبر الرسول — ول بذلك فقال : ( صدقت ، صدقت ) ثم قال له : ( بم أهلت ) قال : ( يا هلال كاهلال النبي ) وكان معه هدى ساقه معه ، فقال له النبي : ( أمكت على إحرامك ) وقدم أبي موسى الأشعري أيضاً ، لم يكن ساق الهدى فامرّه الرسول أن يسخن حجه العمرة ويتحلل منها ، رواها الشيخان .

( الخروج إلى منى ) وفى يوم الخميس الثامن من ذى الحجة ، ويقال له يوم التروية ، خرج النبي وأصحابه إلى منى بعد أن أحرم بالحج الذين كانوا قد تحلوا من عمرتهم من الأبطح ، وساروا حتى جاءوا منى ، فصلى بهم النبي للظهر والعصر ، والمغرب والعشاء والفجر .

( إلى عرفات ) وبعد شروق الشمس خرج النبي فاصداً عرفات ، وأمر أن تضرب له قبة ( بنمرة )<sup>(١)</sup> فسار رسول الله ولا تشك قريش إلا أنه سيقف بالمشعر الحرام<sup>(٢)</sup> كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، ولكن النبي أخلف ظنهم ، وسار حتى أتى عرفات ائتماراً بأمر الله فى قوله : ( ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ) فوجد القبة قد ضربت ، فنزل بها حتى إذا زاعت الشمس ركب ناقته ( القصواء ) حتى أتى بطن الوادى ( وادى عرنة ) وهناك خطب خطبته المشهورة الجامعة .

« خطبة عرفة » قال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه « أيها الناس : اسمعوا قولى ، فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الوقف أبداً ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم — حرام إلى أن تلقوا ربكم

( ١ ) بفتح النون وكسر الميم موضع بجانب عرفات

( ٢ ) جبل بالزدانة يسمى قزح

كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد  
فن كانت عنده أمانة ، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

إلا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع<sup>(١)</sup> وربا الجاهلية  
موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به رباعى العباس بن عبد المطلب .  
وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم ابن<sup>(٢)</sup> ربيعة بن الحارث  
ابن عبد المطلب .

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية<sup>(٣)</sup> .

والعمد قود ،<sup>(٤)</sup> وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بغير ، فن  
زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضى  
أن يطاع فيها سوى ذلك ، مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس : إن النسيء<sup>(٥)</sup> زيادة في الكفر يضل به إلى الذين كفروا يمحون  
عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته  
يوم خلق السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في  
كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاثه متواليات وواحد  
فرد : ذوالقعدة وذوالحجة والمهرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل  
بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس : إن لكم على نساءكم حقا ، ولهن عليكم حقا . لكم عليهن

(١) أى باطل (٢) اسمه لباس ، وقيل حارثة والأول أصح وهو ابن ابن هم النبي

(٣) السدانة خدمة الكعبة والسقاية . سقاية الحجيج (٤) قصاص

(٥) كانت العرب تدين بالأشهر الحرم التي يحرمون فيها القتال وربما كانوا يستعملون

ثلاثه شهور متواليه اعاجتهم إلى الحرب والقتال ، فيؤخرون حرمة الحرم إلى صفر ويعملون

صفر مكانه حتى صار التحريم لعدد الأشهر لا لذواتها ، وقد عاب عليهم القرآن هذا لاتباعهم

المهوى في التحويل والتحريم .

أن لا يوطنن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه يوتنكم إلا باذنكم  
فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعظوهن ، وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن  
ضرباً غير مبرح<sup>(١)</sup> ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن ، عوان<sup>(٢)</sup> عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً ،  
وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله<sup>(٣)</sup> ، فاتقوا  
الله في النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

أيها الناس . إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئء مال أخيه إلا عن  
طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ، فلا ترجعن بعدى كفاراً  
يضرب بعض رقاب بعض فإنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا  
أبدأ كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم ، وآدم  
من تراب : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي  
إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، وإنه لا وصية  
لوارث ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث .

والولد للفراش ، وللعاهر الحجر<sup>(٤)</sup> ، ومن أدعى إلى غير أبيه ، أو تولى  
غير مواله فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً  
ولا عدلاً<sup>(٥)</sup> ، وأنتم تسألون عني فأنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد  
بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويقولها على الناس :

(١) غير شديد ولا مؤلم (٢) جمع عاتيه وهي الأسيذة أي كالأبيات في ضعفهن

(٣) عقد النكاح .

(٤) العاهر : الزاني . الحجر : الرحم ، والمراد أنه لا ينسب إليه الطفل لأن الولد للفراش

(٥) الضرف التوبة . العدل : العديه

اللهم أشهد ، اللهم أشهد ، اللهم أشهد ، والسلام عليكم ورحمة الله (١) ،  
وكان جرير بن عبد الله البجلي يستنصت الناس ، وكان ربيعة بن أمية بن خلف  
يبلغ عن رسول الله ﷺ .

وبعد أن فرغ رسول الله من هذه الخطبة الجامعة أذن بلال ثم أقام فصلى  
النبي بالناس الظهر ، ثم أقام فصلى بهم العصر ، جامعاً بينهما جمع تقديم ولم  
يصل بينهما شيئاً ، ثم ركب ناقته حتى جاء الصخرات التي في أسفل جبل الرحمة  
فوقف عندها مستقبلاً القبلة ، حتى غربت الشمس ، وقال : « وقفت هنا  
وعرفات كلها موقف » ، وأكثر من الدعاء لأمته في هذا اليوم العظيم يوم  
عرفه ، وكان يوم جمعة ، هذا اليوم الذي تسكب فيه العبرات ، وتستجاب  
الدعوات ، ويتجلى الله فيه على عباده . فيباهى بهم الملائكة ، ويقول :  
« يا ملائكتي هؤلاء عبادي جاءوني شعثاً غبراً (٢) يرجون رحمتي ويخافون  
عذابي ولم يروني ، فكيف لو رأوني فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل لغفرتها  
لهم ، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه » (٣) .  
وقد روى « أن النبي لما أكثر من الدعاء لأمته بالمغفرة أوحى الله إليه أنه  
غفر كل شيء إلا ظلم بعضهم بعضاً » قول البيهقي .

« ما نزل في يوم عرفه » وفي هذا اليوم المشهور نزل على النبي ﷺ قول  
الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم  
الإسلام ديناً » . ولما نزلت هذه الآية بكى بعض الصحابة - ومنهم عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه - وكأثم فهموا منها الإشارة إلى قرب أجل الرسول ،  
ولم يقل لسيدنا عمر ؛ ما يبكيك ؟ قال : أنه ليس بعد الكمال إلا النقصان .  
« خطأ مشهور » وهو ما يزعمه البعض من أن هذه الآية آخر ما نزل  
من القرآن ، وهو غلط لم يقل به أحد من العلماء ، والحق أن آخر آية نزلت

(١) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٣٠٦ - ٦٠٥ صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ١٨٢

- ١٨٤ : البدايه والنهايه ج ٥ ص ١٧٠ . ١٧١

(٢) بضم الشين ، والفتن هم أنعت وأغبر

(٣) رواه عبد الرارق في منزه وأصله صحيح مسلم كتاب الحج من باب فضل يوم عرفه

وروى نحوه الامام أحمد في سنده

حتى لو له تعالى في سورة البقرة : « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » والمراد بإكمال الدين . إما إتمام حجهم على حسب ما شرع الله ، وإذلال الشرك وأهله بحيث لم يشاركهم فيه أحد من المشركين ، وهو تمام النعمة عليهم ، وأما إكمال الحلال والحرام ، وهذا لا يتأني نزول شيء بعدها لا يتعلق بالحلال والحرام<sup>(١)</sup> .

« إلى المزدلفة » ثم ركب النبي ناقته بعد الغروب ، وشد زمامها حتى لتسكاد رأسها تمس مقدمة الرحل وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يشير إلى الناس قائلاً : السكينة ، السكينة ، ليس البر بالإبضاع<sup>(٢)</sup> حتى أتى إلى المزدلفة<sup>(٣)</sup> فصلى بها المغرب والعشاء جامعا بينهما جمع تأخير بأذان وإقامتين ولم ينفل بينهما ، ثم اضطجع صلى الله عليه وسلم حتى صلى الفجر ، ثم ركب ناقته حتى أتى المشعر الحزام ، فاستقبل القبلة ، ودعا الله وأكثر من الدعاء وهلل ، وكبر ، وما زال واقفاً حتى أسفر الصبح جداً .

وقد روى « أن النبي عاود الدعاء لأمت في المزدلفة ، فأكثر من الدعاء ، فأوحى الله إليه : إني قد غفرت لهم لا ظلم بعضهم بعضاً ، فقال : يا رب انك قادر على أن تتيب المظلوم خيراً من مظلمه ، وتغفر لهذا الظالم ، فلم يجبه هذه العشبة ، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء ، فأوحى الله إليه أنه غفر لهم كل شيء ، فجعل ابليس يدعو على نفسه بالويل والنبور ، ويحتو التراب على رأسه ؛ رواه أبو داود الطيالسي ، وروى نحوه البيهقي ، وابن ماجه .

« إلى منى » ثم دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منى قبل أن تطلع الشمس مردفاً وراءه الفضل بن العباس حتى أتى وادى عسراً<sup>(٤)</sup> فأسرع بدابته ،

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم للمؤلف ص ١٢٥

(٢) الاسراع .

(٣) مكان معروف سميت بهذا لأن الناس يزدلفون أي يهتربون فيها إلى الله بالدعاء

(٤) بضم الميم وفتح ألحاء و كسر السين المنهدة

ثم قصد إلى الجرة الكبرى « حجرة العقبة » فرماها بسبع حصيات صفار يكبر عند كل حصة منها ، حتى إذا فرغ من الرمي انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده ، وقال : « نحرته ههنا ومنى كلها منحر » ونحر سيدنا على الباقي وهي تمام المائة ، ثم أمر أن يؤخذ من كل بدنه بضعة (١) ، فجملت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ، ثم حاق صلى الله عليه وسلم شعره والصحابة مطبقون به ، ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد واحد منهم ، وبذلك أحل صلى الله عليه وسلم وليس ثيابه وتطيب قبل أن يطوف بالبيت ، والمسلمون جميعاً يقتدون به في كل ما يصنع من المناسك ، ثم أمر علياً أن يتصدق بلحوم البدن وجلودها وجلالها ، ففعل .

« إلى الكعبة » ، ثم ركب صلى الله عليه وسلم حتى جاء البيت ليطوف طواف الإفاضة ، وهو ركن من أركان الحج بالاجتماع ، فطاف وصلى بمكة الظهر ولم يسع بين الصفا والمروة ، ثم أتى بنى عبد المطلب وهم يسقون الناس على بئر زمزم وقال : « وقال انزعوا بنى عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقائكم لنزعت معكم » فناولوه دلو فشرب منه حتى تزلج ، وأتى للسقاية (٢) التي يقوم بها العباس فقال : « اسقوني » فقال العباس : يا فضل ، اذهب إلى أمك فأت رسول الله بشراب من عندها فإن هذا يجعل الناس أيديهم فيه ، فقال النبي : « لا حاجة لي فيه ، اسقوني مما يشرب الناس » وهكذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتميز على أمته حتى في الشراب ، وهذا غاية العدل والمساواة ، وهكذا فليكن الملوك والأمراء ، والقادة ، والرؤساء . ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منى بعد الظهر ، فنزل حيث المسجد الموجود اليوم فيما يقال ، وأنزل المهاجرين عن يمينه ، والأنصار عن يساره والناس حولهم من بعدهم .

(١) بفتح الباء أى قطعة .

(٢) كافوا يتقون التمر والزبيب في الماء ويسقون الناس وهو من ما أمر الجاهلية التي أقرها السلام .

« خطبة يوم النحر » وفي يوم النحر خطب النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف على ناقته خطبة أخرى ، أكد فيها بعض ما ذكره في يوم عرفات من حقوق الانسان في الاسلام ، والوصاة بالأخوة والوحدة روى البخارى في صحيحه عن أبي بكره قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال أتدرون أى يوم هذا ؟ « قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال : « أليس ذو الجحى » قلنا : بلى ، قال « أى بلد هذا ، قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيميه بغير اسمه ، قال : أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا : بلى ، قال : فان دمائكم ، وأموالكم ، وفي رواية - وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم قال : « اللهم أشهد : فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » (١) وكان سيدنا من يبلغ عن النبي هذه الخطبة ، ثم سأله بعض الصحابة عن تقديم بعض المناسك على بعض ، وتأخير بعضها عن مكانه نسياناً وسهواً ، فاسأله عن شئ من ذلك إلا وقال : « لا حرج . لا حرج » .

« المقام بمنى » وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى يوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة (٢) يرمى الجمرات (٣) في كل يوم إذا ذاعت الشمس ، كل جمره بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة ويقف بعد كل من الجمرتين الأوليين مستقبلاً القبلة ، ورافعاً يديه يدعو ويطلق الوقوف ، فاذا رمى الثالثة انصرف ولا يقف بعدها ، وأقام النبي تلك المدة بمنى صلى باصحابه ويقصر الرباعية ولم يرخص إلا لعمه العباس وأعوانه بالمبيت بمكة لأجل السقاية .

« خطبة أوسط أيام التشريق » وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى خطبة أخرى أوسط أيام التشريق وهو يوم النفر الأول ، روى الحافظان البراز والبيهقى بسندهما عن ابن عمر قال : نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله

(١) صحيح البخارى - كتاب الحج - باب لعابه أيام منى .

(٢) هي الثلاثة التي تلي يوم النحر سميت بذلك لأنهم كانوا يشقون فيها اللحم ويذبحونها

(٣) هي ثلاث : العذرة الأولى التي تلي مسجد الضيف بمنى ، والجمر الوسطى وجمره العتبة .

والفتح « في أوسط أيام التشريق فعرف رسول الله أنه الوداع ، فأمر براحلته القسواء فرحلت ثم ذكر خطبته في هذا اليوم ، وعى تأكيد لبعض ما جاء في خطبتي عرفة ، ويوم النحر ، (١) .

وفي الحق أن تكرار الخطب في حجة الوداع كان أمرا لا بد منه ، فهي الحجة الوحيدة التي حجها الرسول ، وقد عز فيها الإسلام والمسلمون ، وأصبحت كتبهم هي النافذة في الجزيره العربية ، كما كانت الوداع الأخير ، فإشد حاجة المسلمين في هذا المشهد العظيم الفذ إلى التذكير والنصح والنوصية ، وإلى تكرار القول والتأكيد حتى يعوم ويحفظوه ولا ينسوه ، وإلى تفريرهم بابلاغ الرسالة ، وأداء الامانة ، وإشهاد الله عليهم ، حتى تقوم عليهم الحجة ، وتنقطع المعذرة ، وقد روى ايضا أن النبي خطبهم أيضا بمكة في اليوم السابع ، والظاهر أنها كانت لتعليمهم المناسك والمشاعر .

فائدة « كان يقال لليوم السابع من ذى الحجة يوم الزينة ، لأنه يزين فيه البدن التي تهدي بالجلال وغيرها واليوم الثامن يقال له : يوم التزوية لأنهم كانوا يروون فيه إبلهم من الماء ، ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده لأن هذه الأماكن لم يكن فيها يومئذ آبار ولا عيون ، أما الآن ففيها المائة كثير والمحدثه ، واليوم التاسع : يوم عرفة للوقوف فيه بها ، واليوم العاشر : يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر ، واليوم الحادي عشر : يوم القر لأنهم يقرون فيه ، ويقال له : يوم الردوس لأنهم يأكلون فيه ردوس الأضاحي ، وهو أول أيام التشريق ، وثاني أيام التشريق يقال له : يوم النفر الأول لجواز الخروج فيه إلى مكة لمن يريد التعجل ، وثالث أيام التشريق يقال له : يوم النفر الثاني قال عز شأه : « واذكروا الله في أيام معدودات ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه . . . » (٢)

(١) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠١ . ٢٠٢ .

(٢) البقرة / ٢٠٣ .



( إلى الأبطح بمكة ) وفي اليوم الثالث من أيام التشريق ، وكان يوم الثلاثاء ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فنفر بهم من منى حتى نزل بالأبطح وهو ( المحصب ) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به في الفتح وفي حجة الوداع ، وهو الخيف : خيف بنى كنانة ، وقد قدمت السبب في نزوله به <sup>(١)</sup> : فصلى بهم في الأبطح الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، وهجع هجعة استراح فيها من العناء ، وكان رسول الله بعث عائشة مع أخيها عبد الرحمن ليعمرها من التعميم ، لأنها لم تتمكن عند القدوم من أداء العمرة بسبب حيضتها ، فلما قضت حمرتها ورجعت . أذن النبي في المسلمين بالرحيل ، فارتحلت ، وطاف بالبيت طواف الزيارة ، وصلى بهم الصبح عند الكعبة ، ثم خرجوا من البلد الحرام من ( كدى ) راجعين إلى البلد الطيب ( المدينة ) وهو يكبرون ويهللو ويقولون : آيون تائبون عابدون ، ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

( في غد يرخم ) وفي مرجعه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة خطب بمكان يسمى ( غد يرخم ) <sup>(٢)</sup> مبينا فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبراءة عرضه مما تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن ، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جورا وتضييقا عليهم وبخلًا ، والصواب كان معه في هذا لأنها أموال صدقات وخمس ، وذكر من فضل علي وأماته وعدله وقربه إليه ما أراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه ، وكان مما قاله النبي في هذه الخطبة ما رواه النسائي بسنده عن زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدِير خُم قال : ( كافي قد دعيت فأجيت ، إني قد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، وأنظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لن

(١) ص ٣٥٠ (٢) بضم الغاء وتشديد الم . موضع قريب من المدينة .

يفترقا حتى يردا على الحوض ، ثم قال : الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم والى من والاه ، وعاد من عاداه ( قال الامام أبو عبد الله الذهبي : هذا حديث صحيح ، وقد استوفى الكلام على هذا الحديث الامام الحافظ المؤرخ بن كثير في بدايته مبينا الروايات الصحيحة من الحسنه من الضعيفة والموضوعه فيرجع إليه من يشاء<sup>(١)</sup> .

### ( أحداث في هذا العام )

( وفاة ابراهيم ابن النبي ) وفي شهر ربيع الأول من هذا العام ، وقيل : في رمضان ، وقيل : في ذى الحجة مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وهو ابن ستة عشر شهراً ، وقيل : أكثر من ذلك ، وقد كان النبي بمقضى الفطرة البشرية قد فرح بمولده فرحا عظيماً كما قدمنا ، فلا عجب إن كان حزنه عليه شديداً ، وقد دخل عليه وهو يجود بنفسه ، فصارت عيناه تذرفان بالدموع ، فقال عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ ا فقال : ( يا ابن عوف ، إنها رحمة ) وقال : « إن للعين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » رواه البخارى .

( وقال أيضاً : ) لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وإن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزناً أشد من هذا ) ثم غسل وكفن وصلى عليه النبي وأصحابه ، ودفع بالقبع<sup>(٢)</sup> بجوار السلف الصالح : عثمان بن مظعون .

وقد وافق يوم مات إبراهيم أن كسفت الشمس ، فقال الناس : كسفت الشمس لموت ابراهيم ا ا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آياتان من آيات الله ،

(١) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٨ - ٢١٤

(٢) مقبرة أهل المدينة ودفن فيها

فإذا رأيتهم فاقبلوا وادعوا الله ( رواه البخارى .

وإن المنصف ليتقف خاشعاً أمام هذا القول الحكيم الذى يدل على أن سيدنا محمداً نبى حقاً ، فلو لم يكن نبياً . وكان طالب ملك أو زعامة . أو شرف وجاه أو مدعى نبوة لاستغل اعتقاد الناس هذا أو على الأقل يستكت . ولم يزل الدجالون وأدعياء النبوة والمشعوذون . من لدن مسيامة إلى يومنا هذا يستغلون سذاجة الناس وجهلهم فى مثل هذا . بل ويحاولون ما استطاعوا التمويه على الناس والتلبس عليهم ، ولكنه النبى الذى لا ينطق عن الهوى ! ! وأى عظمة نفسية أعظم من أن لا يبنى الرسول رسالته فى أشد المواقف التى تملأ النفس غما وحزنا وربما تزهل الشخص عما هو حق ، لذلك لا تعجب إذا كان المستشرقون الذين كتبوا فى سيرة النبى . وتناولوا هذه القصة وقفوا منها موقف الاجلال والاعظام ولم يستطيعوا كتم اعجابهم وإكبارهم للنبى ، وعلان عرفانهم بصدق إنسان لم يرض فى أدق المواقف إلا الصدق وعلان الحق .

( تنبؤ مسيامة ) قدمنا ما كان من قدوم مسيامة الكذاب ، مع وفد بنى حنيفة . وأنه عرض على النبى أن يشركه فى الأمر أو يجعله له من بعده . فابى عليه ، وفى آخر سنة عشر ، أرسل الى النبى هذا الكتاب « من مسيامة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك . أما بعد فانى قد أشركت فى الأمر معك فإن لنا نصف الارض ، ولقريش نصفها ، ولكن قریشا قوم يعندون »

وقدم بالكتاب رسولان ، فقال لهما النبى : « وأنتما تقولان بمثل ما يقول ؟ » قالوا : نعم ، فقال . ( أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ) ثم كتب اليه ( بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى مسيامة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ) واستغل تعصب بنى حنيفة له ، وصار يمحرق ويموه ويكذب ، ويأتى بكلام يضحك النكلى . يزعم أنه قرآن نزل عليه ، حتى قضى على فتنته

وقتل في عهد الصديق رضى الله عنه .

« تنبؤ الأسود العنسى » وقد ظهر بصنعاء ، وادعى النبوة ، واستعان على ذلك بالسحر والشعوذة ، وكان « باذان » أميراً على صنعاء ، من قبل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما مات باذان تزوج امرأته ، وطرد من صنعاء المهاجر ابن أبى أمية المخزومي عامل النبي على الصدقات ، فكتب النبي إلى أمرائه وعماله أن يحيطوا به ويقتلوه ، وقد نجحوا في قتله بمساعدة ( المرزبانة ) زوجة باذان ، فقد سقته الخمر حتى سكر ، فدخل عليه فيروز واجز رأسه ، وجاء الخبر بذلك في أول خلافة الصديق صبيحة دفن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

### « السنة الحادية عشرة »

استهلت هذه السنة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد أن عاد من حجة الوداع موفور الكرامه ، مطمئن القلب ، منشرح الصدر ، أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وأكمل الله الدين ، وأتم النعمة وظهر الإسلام على الأديان كلها وما كلف النبي لينسى ما صنع الروم بالمسلمين في مؤته ، وقتل الأبطال : زيد وجعفر وابن رواحه وغيرهم ، وما هموا به من غزو المدينة حتى كانت غزوة تبوك . وإيثار الروم الانسحاب على القتال . فعزم على إرسال جيش للاقتصاص منهم فكان بعث أسامة بن زيد .

« بعث أسامة بن زيد » في آخر صفر من هذا العام ندب النبي الناس لغزوة الروم . فانتدب لذلك ثلاثه آلاف من خيار المسلمين فيهم كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر . وعمر ، وأبو عبيدة ، وسعد ، وسعيد ، وسامة بن أسلم ودعا النبي أسامة بن زيد وقال له . « سر إلى موضع مقتل أهلك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش . وأغر صباحاً عليهم . وأسرع المسير تسبق

الخبر ، فإن ظفرك الله بهم فأقل البت فيهم ، وكان أسامة شابا لم يبلغ العشرين من عمره ، مما دعا بعض الصحابة إلى التنكلم في إمارته ، فلما نمت المقالة إلى رسول الله قال : « إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان خليقا بالإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » رواه البخاري وعقد له اللواء بيده ، وخرج أسامة وعسكره بالجرف ، خارج المدينة استعدادا للسير ، وإنهم لعلي ذلك بلغهم اشتداد المرض بالرسول ، فلم يكن بد من التريث والانتظار فقد كان بالجيش كبار المهاجرين والانصار ممن تحم الاحوال أن يكونوا بالمدينة في هذا الظرف العصيب .

وقد كان تأمير أسامة لحكمة بالغة من الرسول ؛ إذ فيه حث له على التضحية في سبيل الله ، والحرص على الأقتصاص من قاتلي أبيه ، كما كان فيه قضاء على العنجهية العربية ، والتفاخر بالأحساب والأنساب ، وتقرير عملي لمبدأ المساواة في الإسلام ، وأيضا فقد كان من النوجهات النبوية الحكيمة إلى تهيئة الفرص للشباب الصالح ، وإثارة عزائمهم ، وحثهم إلى معالي الأمور ، وتعويدهم الاضطلاع بالتبعات للجسام ؛ والمهام العظام .

### « مرض النبي ووفاته »

« النذر بقرب أجل النبي » إن الأرواح الشفافة الصافية القوية لتدرك بعض ما يكون محبوا وراء حجب الغيب ، والقلوب الطاهرة المطمئنة لتحدث صاحبها بما عسى أن يحدث له فيما يستقبل من الزمان ، والعقول الذكية المستتيرة بنور الإيمان لتدرك ما وراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات ، ولنبينا محمد من هذه الصفات الحظ الأوفر ، وهو منها بالحمل الأرفع الذي لا يسامى ولا يطاول .

فلا تعجب إذا كان قد فهم من معارضة جبريل له بالقرآن مرتين في

رمضان عام حشرة قرب انقضاء أجله ، كما فهم ذلك من نزول سورة النصر حتى روى أنه قال لجبريل : « لقد نعت إلى نفسي »<sup>(١)</sup> فقال جبريل : « وللاخرة خير لك من الأولى » ولعلك على ذكره لمعاذ حين أرسله إلى اليمن ، وما قاله في حجة لوداع مودعا للناس ، ولا تعجب أيضا إذا كان بعض الصحابة فهم ذلك عند ما نزل قوله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم ) كما ذكرنا آنفا ، ومن سورة النصر أيضا وقد روى ذلك في صحيح البخاري عن عمر وابن عباس رضى الله عنهما<sup>(٢)</sup> .

( ابتداء المرض ) وكان ابتداء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواخر شهر صفر أو أول شهر ربيع الأول فقد أمر أن يستغفر لاهل البقيع ، فانطلق ومعه مولاة أبو موهبة فقال : السلام عليكم يا أهل المقابر ليبيئكم لكم ما أنتم فيه بما أصبح الناس فيه ، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ) ثم أقبل على أبي موهبة قائلا : ( اني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ) فقال أبو موهبة : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : ( لا والله يا أبا موهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ) ثم استغفر لاهل البقيع وانصرف ، وقد بدأ به وجهه فدخل على عائشة . فوجدها تشكى صداعا وتقول : وارأساء . فقال : ( بل أنا والله يا عائشة وارأساء ) ثم قال مداعبا لها : ( وما عليك لو مت قبلي فممت عليك ، وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ) ؟ وأتارت الكلمه الغيرة في نفسها ، فقالت : والله لكانني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فأعرست فيه باحدى نساءك فسكت الرسول واعتبرها مداعبه بمداعبة .

( اشتداد المرض ) وكان رسول الله يطوف على نساءه ، كما هو شأنه في

(١) اشتهر على الألسنة « لقد نعت إلى نفسي » بفتح الراء خطايا جبريل . والصحيح ما ذكرناه . يكون الراء لتأنيث .

(٢) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب إذا جاء نصر الله .

تمدهن ، ورعاية غاية العدل بينهن ، فاشتد به المرض وهو في بيت السيدة ميمونة ، فدعا نساءه وأستاذهن أن يمرض في بيت السيدة عائشة فأذن له ، فخرج بين عمه العباس وابن عمه على تخط رجلاه الأرض ، حتى أتى بيتها وكان يعود أهله وأزواجه ، وهو بيت عائشة ، وفي ذات يوم زارته ابنته فاطمة فرحب بها وأجلسها بجانبه ثم أسر إليها شيئاً فبكت ، ثم سارها ثانياً فضحكت ، فسألته عائشة عن السر ، فأجاب بأنه سر ، ثم أخبرته فيما به ، أن النبي أعلمها بقرب انتهاء أجله . وأمرها بالتقوى والصبر فبكت . ثم أخبرها أنها أول أهله لحوقاً به ، وأنها سيدة أهل الجنة فضحكت (١) وقابل العباس علياً فقال له : إني لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من مرضه هذا . إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . ثم أشار عليه أن يذهب إلى رسول الله يسألونه : فيمن هذا الأمر ؟ يعني الخلافة . إن كان فينا علمنا ذلك . وإن كان في غيرنا أوصى بنا . فقال له علي : لئن سألتنا رسول الله فثمنناها لا يعطيناها الناس بعده وإني والله لأنسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم رواد البخاري . وقد كان رسول الله يستشفى من ألم الحمى بالماء البارد . كما كانت ترقيه السيدة عائشة بالمعوذتين وقل هو الله أحد . وفي ذات مرة وقد غشى عليه لومه (٢) فلما أفاق أمر أن يصنع بكل من في البيت ، مثل ما صنعوا به إلا عمه العباس .

• صلاة أبي بكر بالناس ، ولما اشتد برسول الله وجهه قال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقال عائشة : إن أبا بكر رجل أسيف (٣) إذا قام مقامك لم يستطع أن يصل بالناس ، وأعاد النبي فأعادت ، وما حملها على قولها إلا خشية

(١) صحيح البخاري باب علامات النبوة . وب مرض النبي ووفاته

(٢) اللد : أن يسمى المريض الهواء كرها . وقد كان الدواء مرضاً آخر غير مرضه . فن ثم كرهه . والاقالسة مستقبضة بالحث على التداوى والاستشفاء

(٣) رقيق القلب يغلبه البكاء عند قراءة القرآن

أن يتشاءم الناس بأبيها ، فقال : ( إنكن صواحب<sup>(١)</sup> ) يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » فخرج أحد الصحابة ليخبر بذلك فلم يجد أبا بكر ، ووجد عمر فقال : قم يا عمر فصل بالناس ، فلما كبر سمع النبي صوته فقال : « يا أبا الله ذلك والمؤمنون ، وكررها فلم يصل أحد بعد هذا إلا أبو بكر ، فلام عمر الرجل على ما فعل ، فقال : والله ما أمرني رسول الله ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر الصلاة<sup>(٢)</sup> .

« يوم الخميس » وفي يوم الخميس : الذي قبيل وفاة الرسول ، خشي أن يموت قبل أن يعهد للناس في شأن الخلافة فقال — وحوله رجال من أهل بيته وأصحابه — : ( اتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ) فقال بعضهم — إشفاقا — إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، واختلفوا فمن قائل باحضار الكتاب ، ومن مانع ، فلما كثر الاختلاف قال : ( دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه ) وأوصاهم بثلاث قال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد ، بنحو ما كنت أجيزهم » وأما الثالثة فقبل الوصيه بالقرآن وقيل : تجهيز جيش أسامة رواه البخاري<sup>(٣)</sup> وفي الصحيح أيضا أن رسول الله قال : « لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فاعهد ، أن يقول القائلون ، أو يسمي المتمنون ، وفي رواية الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر ، .

« تنبيه » في بعض روايات الصحيح « أهجر ؟ استفهموه » والهجزة للانكار والنفي ، والهجر ما يقع من المريض من غير وعي ، والمراد انكار ونفي

(١) جمع صاحبه والمراد به هنا واحدة . وهي امرأة العزيز حيث استدعت النساء مظهرة الضيافة . وقصدها أن يرين حينه فيذكرنها في محبة ومرادتها عن نفسه

(٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣٢

(٣) صحيح البخاري — كتاب المغازي — باب مرض النبي ووفاته



أن يحصل منه ذلك ، أو أن يظن به ذلك ، فحاشاه أن يكون منه ذلك ، وفي بعضها « هجر » بغير الهمزة ، وهي محمولة على الإنكار والنفي أيضا ، والعرب في أساليبها قد تحذف حرف الاستفهام ويكون المعنى عليه (١) .

« خروج النبي إلى المسجد ، وفي هذا اليوم عزم النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج إلى الناس كي يوصيهم ويخطبهم ، فقال « أمر يقوا على من سبغ قرب لم تحل أو كيتنهن (٢) لعلي أعهد للناس » قالت عائشة : فأجلسنا في مخضب (٣) لحفصة ، ثم طفقنا نصب عليه الماء حتى طفق يشير إلينا بيده « أن فعلتن » فوجد من نفسه خفة ، فخرج على الناس ، وهم يصلون الظهر وهو يهادى بين رجلين ، فلما رآه أبو بكر أراد أن يتأخر فأومأ إليه أن مكانك ، ثم اجلس إلى جنب الصديق ، فجعل أبو بكر يصلي بالناس قائما ، والرسول يصلي وهو قاعد ، فن قائل أن رسول الله صلى مأموما وراه أبي بكر ، ومن قائل : إن رسول الله تولى الإمامة ، وصلى أبو بكر بصلاة النبي ، وصلى الناس بصلاة أبي بكر ، ولعل الأول أرجح لانه أدل على منزلة الصديق وأحقيته للخلافه ، (٤) وكانت هذه آخر صلاة صلاها رسول الله مع المسلمين ، ثم صعد المنبر فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه أصحاب أحد فأستغفر لهم ودعا ثم قال : « يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون ، والأنصار على هيئتها لاتزيد ، وإنهم عييتي (٥) التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم ثم قال : أيها الناس : إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله » ففهمها أبو بكر من دون الناس فسكى ، وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا ،

(١) فتح الباري ج ٨ ص ١٥٨

(٢) الوكاه ما يربط به ثم القربة

(٣) طست (٤) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٤

(٥) خاصتى وموضع سرى

فُعجب الناس لبكائه ، فكان المخير هو رسول الله : وكان أبو بكر أعلمهم بذلك فقال له رسول الله : « على رسلك يا أبا بكر » (١) ثم قال : إن أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر . ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن خلة الإسلام ومودته (٢) لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر . ثم قال : وإن قوماً من قبلكم إتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد . فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ثم قال : أيها الناس أنفذوا بئس أسامة فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إماره أيسه من قبله : وإنه لخليق للإمارة . وإن كان أبوه لخليقاً لها ( وكان مما قاله . « ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد . (٣) ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد ، ولا يقولن قائل : أخاف الشحنةاء من قبل رسول الله ألا وإن الشحنةاء ليست من شأني ولا من خلقي ، وإن أجبكم إلى من أخذ حقاً إن كان له على ، أو حالني فليقت الله عز وجل وليس لأحد عندي مظالمه » (٤)

إلا فتشهد الدنيا إلى أي حد وصل عدل الحاكم مع المحكومين ، وإلى أي حد بلغت المساواة ، وبلغ الاعتراف بالجميل لذوية ، والإقرار بالفضل لأهله ، وهل بعد هذا يدع مدع ، أو يزعم زاعم أن أحداً أحق بالخلافة من أبي بكر .

« إن للموت لسكرات » ثم اشتدت الحمى بعد برسول الله حتى قال له أبو سعيد الخدري « والله لا أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك ، فيجيبه : ( إنا معاشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء ، كما يضاعف لنا الأجر ) وفي هذه الشدة كان يقول ( اللهم أهني على سكرات الموت ) وكان كلما أفاق من غشيته قال : ( اللهم الرفيق الأعلى ) وكان رسول الله ﷺ حدثهم

(١) تمهيلي في البكاء حتى لا يسترسل القاس في اليكاه

(٢) صداقة الاسلام وعبي (٣) فلان منى (٤) البنية والنهابة ج ص ٢٣٠-٢٣١

قبل ذلك أن النبي لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة قالت عائشة: « فلما سمعته يقول ذلك ، وقد أدركته بحجة علمت أنه اختار الآخرة على الدنيا »  
رواه البخاري .

« صحوة الموت » وفي صبيحة الاثنين والصديق أبو بكر يصل بالناس الفجر كشف النبي ستر الحجر ، فنظر إليهم وهو قائم على حال حسنه ، ثم تبسم لما رأى من اجتماعهم على رجل واحد ، وألفهم وتأخيمهم ، فنكص أبو بكر على عقبيه ظننا أن رسول الله يريد أن يخرج للصلاة ، وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ، فأشار إليهم بيده أن أتوا صلاتكم ، ثم دخل الحجر وأرخى للستر فكان هذا آخر عهده بالمسلمين ، وفرح الصحابة غاية الفرح ، ظننا أن رسول الله ﷺ أبل من مرضه ، وما علموا أنها الصحوة التي تسبق الموت ، وانصرف بعضهم إلى عمه ، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وقال : ما أرى رسول الله إلا قد أفلح عنه الوجع وهذا يوم بنت خارجه إحدى زوجتيه وكانت تسكن بالسنح<sup>(١)</sup> فركب على فرسه ، وذهب إلى منزله .

« في الرفيق الأعلى » واشتدت سكرات الموت بالنبي ودخل عليه أسامة ابن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة ، فعرف أنه يدعوه وأخذت السيدة عائشة رسول الله وأستدته إلى صدرها بين سحرها<sup>(٢)</sup> ونحوها ، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر ويده سواك فجعل رسول الله ينظر إليه فقالت عائشة : آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فأخذته من أخيها ثم مضغته ولينته وناولته إياه فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك ، وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله : ( في الرفيق الأعلى )<sup>(٣)</sup> وكان آخر ما تسكلم به صلى الله عليه وسلم ( لا يبقى بجزيرة العرب دينان )

(١) السنح بضم سين مكان خارج المدينة كان للصديق مال فيه وبنت

(٢) السحر الرثه ، والنحر : الثغرة التي في أسفل العنق

(٣) الرفيق الأعلى : هم الذين ذكروهم الله في قوله : فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم =

وقوله : ( الصلاة وما ملكت أيمانكم ) حتى جعل يفرغ بها صدره ، وما يفصح بها لسانه .

فلما اشتد الضحى ، فاضت أطهر روح في الدنيا من جسدها ، وصعدت إلى بارئها راضية مرضية . وخرج أكرم إنسان على الله في هذا الوجود من الدنيا كما جاء إليها ، ولم يترك مالا ولا دينارا ولا درهما . ولا ولدا إلا فاطمة رضی الله عنها ، وإنما ترك هداية وإيمانا ، وشريعة عامة خادمة ، وميراثا روحيا عظيما وأمة هي خير الأمم وأوسطها ، وكان ذلك يوم الاثنين لهلال ربيع الأول ، وقيل لليوم الثاني منه ، وقيل لليوم الثاني عشر منه من العام الحادى عشر للهجرة : والاول هو الأرجح ، ويليه الثاني ، وأما الثالث فعليه مأخذ وإن اختاره ابن إسحاق والواقدي وابن سعد<sup>(١)</sup> .

( هول الناجمه ) وشاع الخبر في المدينة فاذا لهم ضجيج بالبكاء ، كضجيج الحجيج بالإحرام وأذهل النبأ سيدنا عمر فصار يتوعد وينذر من يزعم أن النبي مات ، ويقول ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم ، والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات .

« خطبة الصديق » وأقبل أبو بكر من السنج على فرس له لما بلغه الخبر ، فوجد عمر يكلم الناس ، وينذر ويتوعد ، فلم يلبثت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى في البيت يبرد حبرة ،<sup>(٢)</sup> فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه يقبله ، ويقول : « ما أطيبك حيا وميتا » وخرج

---

— من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين . وحين أوثاكت رفيقا ) وقيل هم الملائكة .  
وقيل هو الله جل جلاله وهو من أسماء الله الحسنى وصفاته بمعنى في كنهه ورسالة .

(١) نوع من ثياب اليمن .

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ١٠٦ والروض الأنف ج ٢ ص ٢٧٢

أبو بكر وعمر يتكلم فقال أجلس يا عمر ، وهو ماض في كلامه ، وفي ثورة غضبه ، فقام أبو بكر في الناس خطيباً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » قال عمر : فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ، ما نحمانى قدماى . وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات (١) ، وكذلك استنفاق الناس من غشيتهم لما سمعوا أبا بكر يتلوها .

« في سقيفه (٢) بنى ساعدة » في هذه الغمرة من الأسى والحزن ، كاد أن يضطرب أمر المسلمين في مسألة الخلافة فلا أنصار اجتمعوا في سقيفة بنى ساعدة ، واجتمع على والزبير وطلحة في بيت فاطمة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر و انضم إليه أسيد بن حضير في بنى عبد الأشهل ، فقال عمر لابى بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الانصار ، فانطلقا حتى أتيا السقيفة فاذا هم مجتمعون ، وإذا بين أيديهم رجل مزمل ، فاذا هو سعد بن عبادة به وجع فلما جلسوا قام خطيب الانصار فأنشأ على الله بما هو اهله ثم قال : ( أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين ، رهط نبينا ، وقد دفت منكم دافه تريدون أن تحزلونا من أصلنا ، وتحصنونا من الأمر ) فلما سكت أراد أن يتكلم عمر وكان قد زور في نفسه مقالة أعجبتة ولكن الصديق منعه لما يعلم فيه من حدة قد لا يقيد في هذا الموقف وقال له : على رسلك يا عمر ، ثم قام فتكلم قال الفاروق فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها في بدبته وأفضل : قال :

(١) صحيح البخارى - كتاب المغازى - باب من النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته .

(٢) مكان عايه ظله .

(٣) أعد وهياً .

« يا أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثرتهم ولادة في العرب ، وأمستهم رحماً برسول الله ، أسألتنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم : فقال تبارك وتعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان) فتحن المهاجرون ، وأنتم الانصار إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفداء ، وأنصارنا على العدو ، أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، فأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، فإنا الامراء . ومنكم الوزراء ) فقام أحد الانصار فقال أنا جذبلها المحكك<sup>(١)</sup> ، وعذيقها والمرجب<sup>(٢)</sup> . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش فكثرت وارتفعت الاصوات .

(بيعة الصديق ) وفي هذا الموقف العاصف قام الفاروق وكان جمهورى الصوت . فقال : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعه . وقال : يا معشر الأنصار ، أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأياكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، ثم قام المهاجرون فبايعوا ، ثم قام الأنصار فبايعوا . وهكذا وقى الله المسلمين شر الفرقة وجمعهم على أفضلهم أبى بكر .

( البيعة العامة ) وفي اليوم الثانى غدا الصديق ومعه عمر والصحابة إلى المسجد النبوى ، ليبايع الناس المبايعه العامه فصعد أبو بكر المنبر ، وقام عمر خطيباً بين يديه فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه : « أيها الناس . كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت : ولا وجدتها في كتاب الله . ولا كانت

---

(١) الجذبل : تصغير جذل ، وهو مود يكون في وسط برك الابل تحتكبه وتترجح إليه بضرب به المنل في الرجل يستشفى برأيه وتوجد عنده الراحة

(٢) عذيق تصغير عذق وهى النخلة ، المرجب الذى تبنى إلى جانبه دعامة تسنده لسكثرة حمله ، ونفاسته على أهله يضرب به المنل للرجل الشريف العظام في رءه ، والذي يكثر خيره

عهدا عهدها إلى رسول الله ؛ ولكنى كنت أرجو أن يعيـش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا - يكون آخرنا - فان يك محمد قد مات فان الله جعل بين أظهركم نورا تهتدون به ، فاعتصموا به تهتدوا وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين إذا هما فى الغار ، فإنه أولى المسلمين بأموركم ، فقوموا إليه فبايعوه « فقام الناس كلهم فبايعوه البيعة العامة (١) ، ونظر الصديق فى وجوه القوم فلم ير الزبير ، فدعا به فلما جاء قال له : ابن عمه رسول الله وحواربه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تـريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه . ثم نظر فلم يجد عليا فدعا به فجاء فقال له : ابن عم رسول الله وخنته على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تـريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه ؛ وهذا هو الحق فى مبايعة على للصديق ، وأنه بايع فى اليوم الثانى ، وأما يقال : إن بيعته كانت بعد ستة أشهر ، فإنما كان تجديد للبيعة وتـريقاً لها (٢) ، وهذا هو الظن بأبى الحسن والحسين ، وبقى الإسلام على رضى الله عنه .

( خطبة الصديق ) وخطب الصديق خطبه تعتبر من آيات الحكمة وفصل الخطاب ، أوجز فيها أصول الحكم فى الإسلام ، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ( أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ؛ الصدق أمانه ، والكذب خيانته ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أربح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم البلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله ) .

(١) صحيح البخارى - كتاب الأحكام باب الاستخلاف

(٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٥

## (تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وبعد هذه البيعة العامة انصرف المسلمون إلى تجهيز رسول الله مقتدين في كل ما أشكل عليهم بالصديق رضى الله عنه في تغميله ، وتكفينه ودفنه وقد حضر غسله من آل البيت العباس ، وعلى ، والفضل ، وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد ، وصالح مولى الرسول ، ودخل معهم بعد الإسهان أوس ابن خولى الانصارى ، وقد أسند على النبي إلى صدره وعليه قميصه وتولى غسله يعاونه العباس وابناءه ، وكان أسامة وصالح يصبان الماء ، ولم ير على من النبي ما يرى من الميت فصار يقول : أبى وأبى ما أطيبك حيا وميتا ! ! وكان يغسل بالماء والسدر<sup>(١)</sup> فلما فرغوا من تغميله كفنوه في ثلاثة أثواب بيض يمانية من قطن ، ولم يجهلوا في كفنه برد حبرة كما زعم بعض كتاب السيرة المحدثين<sup>(٢)</sup> ، بله أبو ذلك كما رواه مسلم وأبو داود<sup>(٣)</sup> وبعد أن كفنوه وضعوه على سريره في الحجرة ، ودخل الناس عليه أرسالا يصلون فرادى ، لا يجتمعون على إمام ، فلما فرغ الرجال صلى النساء ، ثم الصبيان . وبعد أن فرغوا من الصلاة اختلفوا في أى مكان يدفن ، أيدفن في مسجده ، أم يدفن بالبقيع مع أصحابه ، أم يدفن في بيته ، وحسم للصديق الخلاف بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما قبض نبي إلا ودفن حيث قبض » فقرر رأيهم على أن يدفن في حجرة السيدة عائشة حيث مات .

وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح<sup>(٤)</sup> كأهل مكة ، وكان أبو طلحة الأصبارى - وهو الذى كان يحنر لأهل المدينة - يلحد<sup>(٥)</sup> فأرسل إليهما

(١) نبت طب الرائحة يغسل به الميت كالصابون

(٢) حياة محمد ص ٤٩٤

(٣) البايبة والنهاية ج ٥ ص ٢٦٣

(٤) فى القاموس : ضرحه كمنعه . والميت حفر له ضرحا والضريرح البعيد ، والقبر والشق وسماه

او يلاحد « فالغنى يشق وسط القبر

(٥) فى القاموس « ولحد القبر كمنع راحده عمل له لحداً ، وهو الشق بجانب القبر ثم يوضع فيه الميت



العباس رسولين ، فاما رسول أبي عبيدة فلم يجده ، وأما الثاني فقد وجد  
أبا طلحة ، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ كأهل المدينة ، ونزل في  
الحفرة للعباس ، وعلى ، وقم ، والفضل ، وشقران ، ومعهم أوس بن خولى أيضا ،  
وأخذ شقران مولى رسول الله قطيفة كان يلبسها ففرشها للنبي في القبر وقال :  
والله لا يلبسها أحد بعدك .

وبين الأسي والحزن والدموع ، وتفطر القلب على الحبيب المغيب في الوجد ،  
أهالوا التراب على القبر الشريف ، ثم رشوا عليه الماء وكان ذلك في ليلة الأربعاء  
بعد يومين من وفاته ﷺ ، فلما توفي الصديق دفن بجانب صاحبه ، وكان هناك  
موضع قبر كانت عائشة تدخره لنفسها ، فلما طعن الفاروق أوصاعم أن يستأذنوا  
عائشة في أن يدفن بجانب صاحبيه ، فلما قبض استأذنها ، فأذنت وآترته على  
نفسها ، وتحققت رؤياها ، فقد كانت رأته أن ثلاثة أبقار سقطن في حجرتها ،  
فكان الثلاثة هم الثلاثة أبقار الذين ملأوا الدنيا إيمانا وهدى ، وعدلا ورحمة ،  
ونورا وضياء ووضعوا الاساس الصالح للحضارة الإسلامية الفذة التي أرسى  
قواعدها هؤلاء السادة الاخيار . وعزت عن أن يكون لها مثيل .

و تكمن القبور الثلاثة داخل المسجد حتى كان عهد الوليد بن عبد الملك ،  
فأمر نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز أن يوسع في المسجد من جميع جوانبه  
فاضطروا إلى إدخال الحجر في المسجد ومنها حجرة عائشة ، ومع هذا احتاطوا  
غاية الاحتياط ، فأحاطوا القبور بمخاط مرتفع كيلا تظهر في المسجد فيصل إلىها  
العوام ، ثم بنوا جدارين من ركني الحجرة الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا  
على هيئة رأس مثلث من الشمال ، حتى لا يتمكن المصلي من استقبال  
القبور في الصلاة عملا بتحذير رسول الله ﷺ حيث قال في مرض  
موته وأكثر من القول : ( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور  
أنبيائهم مساجد ) رواه الشيخان . وفي رواية لمسلم ( اتخذوا قبور  
أنبيائهم وصالحهم مساجد ) (١)

(١) شرح المختار من صحيح مسلم المؤلف ج ٢ ص ٦٥

( إقناذ جيش أسامة ) ولم يكبد المسلمون يفرغون من دفن رسول الله ﷺ حتى كان أول ما أمر به الصديق خليفة رسول الله - إقناذ جيش أسامة تنفيذاً لوصية النبي ، ورفض الصديق أن يستمع إلى قول الذين رأوا أن لا يخرج الجيش في هذا الوقت العصب والذين أشاروا بتعيين قائد أسن منه، بل وإلى أسامة حينما رغب أن يكون بجانب الخليفة وتم تجهيز جيش عند الجرف ، وأسامة على رأسه ، وخرج الصديق مع الجيش يودعه وهو ماش ، وأسامة راكب ، فقال : يا خليفة رسول الله لتركن أو لأزلن فقال : لاتركت ولا أركب !! وما على أن أغبر قدمي ساعه في سبيل الله !! ثم قال له وهو راجع : إن رأيت أن تعينى بعمر فافعل ؟ فأذن له . فلما رأى المتألمون من تأمير أسامة ما فعل الخليفة سكنوا ، وطابت نفوسهم ، وسار أسامة حتى وصل إلى البلقاء وحدود الشام ، فأغار عليهم وانتقم للمسلمين ولأبيه الذى قتل ، ثم عاد إلى المدينة بجيشه مظفراً منصوراً، بعد أن أراضى ربه، وأرضى نبيه، وأرضى خليفته .

### « المثل الكامل صلى الله عليه وسلم »

هاأنذا قد فرغت - ولله الحمد والمنة - من السيرة العطرة ولم يبق إلا أن أكتب فصولاً موجزة في صفاته ﷺ الخلفية ، والحلقية ليتجلى للقارئ أنه كان مثلاً فى كل شيء ، وأن الله سبحانه سواء على أحسن صورة ، وجهه ظاهراً وباطناً ، وتعهد بالعبادة والترية قبل النبوة وبعدها ، ثم توالى عليه فيوضيات الوحي وشرافات النبوة حتى صار مثلاً أعلى فى كل شيء واستأهل ثناء الله عليه بقوله « وإنك لعلى خلق عظيم » . ونحن لا نذكر أن فى تاريخ البشرية - ولا سيما الصفوة من الخلق ، وهم الأنبياء والمرسلون - أناساً فضلاء ذوى أخلاق ودين ، وهداء ومصالحين ، وعلماء وحكماء ، ومشرعين وفقهاء ، وملوكاً وخلفاء ملاؤاً الدنيا عدلاً ، بعد أن ملئت جوراً .... ورجالاً أوفياء أمناء لا يفترون

ولايخونون ، وسادة قادة ، وساسة عباقرة ، وقوادا شجعانا ، وأبطالاً لا يرهبون الموت ، وأن البشرية لا تخافوا في أي عصر من أمثال هؤلاء .  
ولكن الذي نلاحظه أنه لا يوجد رجل اجتمعت فيه كل هذه الصفات والمميزات مثل ما اجتمعت في نبينا محمد ، ولانكاد نعرف أحداً كمله الله بكل فضيله ، وتزهره عن كل رذيله ، مثل ما عرفنا ذلك لرسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وليس للمعجب من اجتماع هذه الصفات فيه ، وإنما العجب حقا أنها فيه على سواء ، فلا سفة تطغى على أخرى ، حتى تنكاد تطمسها ، ولا خلق يربو على آخر حتى يكاد يخفى معاملة ، وإنما هي صفات وزنت بميزان عادل لا يعول ، وأخلاق حسبت بحسبان دقيق لا يضل هداية في حكمة ، وعلم في فقه ، ورحمة في غير ضعف ، وعدل في غير عنف ، وحزم في حلم ، وصرامة في رحمة ، وغضب لله في غير جور ولا بطش ، وكرم في غير إسراف ، ودقة في غير فسولة ، ورافة في غير تفريط ، وعقل كبير في سعه قلب وجد في غير هزل ، ومزح في غير باطل ، وفصاحة في بلاغه ، وكلم جوامع في حكم نوايح ، ورجولة في مروءة ، وفحولة في عفة .

وهكذا لا يمكن لمنصف أن يمجّد في أخلاقه مفضلاً ، أو في سلوكه مطعناً ، وهذا المعنى لانجده في بشر أيا كان ، وهذا هو سر الإعجاز في أخلاق هذا النبي العظيم ، وهذا البشر العظيم !!

### « الفضيلة الانسانية في ذروة كمالها في نبينا محمد »

يقول الحكماء : إن الفضيلة وسط بين رذيلتين : فالشجاعة وسط بين الجبن وبين التهور ، والقصد في الإنفاق وسط بين التقدير والإسراف ، والعدل وسط بين البغي والظلم ، وبين هضم الحق ، والتفريط فيه ، والعفة وسط بين انتهاك حرّامات الغير ، وبين حرمان النفس من متعتها المشروعة ، والحكمة وسط بين الإسراف في استعمال العقل وتعدى أموره ، وبين البلادة والغفلة ، وهكذا .

والفضيلة من الأمور التي توأطأت عليها العقول السليمة ، ولا تختلف باختلاف الاشخاص والعصور . فالفضيلة لا يمكن أن تكون رذيلة ، ولا تكون فضيلة عند انسان ورذيلة عند آخر ، وهذا أمر لأعلم أحداً خالف فيه ، إلا ما كان من السوفسطائيين (١) ومن على ساكنتهم كالوجوديين اليوم ، فإنهم يخضعون الحق والفضيلة لأهوائهم ، وشهوات أنفسهم ، والناس يتفاضلون ويتمايزون بقدر ما يكون عندهم من الفضائل والأخلاق الكريمة ، والفضيلة لا تختص بأناس دون أناس ، ولا بجنس دون جنس ، وإنما هي أمر مشاع بين البشر ، يأخذ كل واحد منها بحسب فطرته واستعداده ، وتربيته ونشأته ، إلا أن هذه الفضيلة الإنسانية ، توجد أوفى ما تكون وأكمل ما تكون في أنبياء الله ورسله ، فقد فطرهم الله سبحانه على أكمل الصفات ، وخير الخلال ، إلا أن بعض هذه الفضائل قد تكون عند نبي أوفى منها عند آخر ، ومن ثم صارت هذه الصفات البالغة الكمال ، عند بعض الأنبياء بمنزلة الخصائص ، فالحلم والتسامح عند الخليل ابراهيم وعيسى أكثر منها عند نوح وموسى ، والشدة والأخذ بالعقوبة ، عند نوح وموسى ، أعظم منهما عند ابراهيم وعيسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

وكذلك فضلاء البشر كصحابة الأنبياء وحواريمهم ، ولاسيما صحابة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه تقوى بعض الفضائل عند بعضهم حتى تصير كأنها خصوصية ، فمنهم الذي يغلب عليه الحلم والرحمة والشفقة كالصديق رضى الله عنه ، ومنهم من يغلب عليه الشدة والصرامة فى الحق ، حتى مع أحب الناس إليه ، كالفاروق عمر رضى الله عنه ، ومنهم من يغلب عليه الحياء البالغ كالسيد الحمي عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فيفرط فى حق نفسه ، ومنهم من تغلب عليه الشجاعة والمصارحة بالحق ، وعدم المداهنة ، حتى ولو كان فى ذلك تثبيت أمر الخلافة كسيدنا على كرم الله وجهه ، ومنهم من يغلب عليه جانب الدهاء والسياسة ،

(١) السوفسطائيون : قوم وجدوا فى بلاد اليونان قديماً لا يؤمنون بأن حقائق الأشياء ثابتة فالق فى نظرهم ما يراه الواحد حقاً ، ولو كان فى الواقع باطلاً ، والباطل ما يراه باطلاً ولو كان فى الواقع حقاً ، وفربس من هؤلاء الوجوديون اليوم فليس للفضيلة والحق والمعيار .

ومعرفة كيف استرق النفوس كسيدنا معاوية رضى الله عنه ، وليس معنى هذا أن  
 ماعدا هذه الصفات التي برزوا فيها ، ليس لهم فيها عداها حظا وكلا وحاشا ، وليس أدل  
 على هذا من الصديق الأكبر رضى الله عنه ، فقد كانت سمته الغالبة في قصة أسارى  
 بدر وغيرها الرحمة والشفقة ، ومع هذا فلما جاور الرسول الرفيق الأعلى ،  
 وارتد بعض العرب كان أشجع من الشجاعة ، وأشد من الشدة ، في محاربتهم  
 وحتى قال للفاروق وقد ناقشه في قتال مانعى الزكاة : أجيبار في الجاهلية  
 خوار في الإسلام !! والفاروق عمر - وهو الشديد للقوى في الحق -  
 ما انتقم لنفسه ، وكانت تقابله المرأة فنعظه ، وتذكره ، وتنصحه بتقوى الله في  
 الخلق فإذا به يتطامن لها ويبكي ، حتى تخضل لحية !! وذلك كقصته مع السيدة  
 خولة بنت ثعلبة بن حكيم ، والمرأة الأعرابية التي كانت تعلق أولادها ، وهم  
 يتضاغون من الجوع حتى ناموا . . والناس طبائع ، ومعادن ، وفطرتهم ليست  
 واحدة ، ومرد ذلك كله إلى الله - جل جلاله - فسبحانه ، سبحانه ، تقدست  
 أسماءه ، وتباركت صفاته ووسع علمه كل شيء ، وجاءت حكيمته ، وعجزت العقول ،  
 مها بلغت عن إدراكه وأسراره ، فله المثل الأعلى ، وله الحكمة البالغة .

وقد أرحى إلى نفسى بما كتبت هذه المقارنة البديعة الصادقة التي صدع بها  
 المثل الكامل ﷺ عقب استشارة أصحابه في أسارى غزوة بدر ، فأدلى الصديق  
 برأيه وهو أخذ الفداء وتركهم عسى أن يهديهم أو يخرج الله من أصلابهم من  
 يرضى الله وينصر دينه ، وكان رأى الفاروق أن يقتلوا ولا يؤخذ منهم فداء ،  
 فقال النبي « إن الله ليأين قلوب رجال فيه ، حتى تكون ألين من اللين ، وأن الله  
 ليشد قلوب رجال حتى تكوف أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل  
 إبراهيم قال : « فن تبعنى فإله منى ، ومن عصاني فأنتك غفور رحيم » (١)  
 وكمثل عيسى قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فأنتك أنت العزيز الحكيم » (٢)

(١) إبراهيم/٣٧

(٢) المائدة/١١٨

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً،  
 وكمثل موسى قال: ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى  
 يروا العذاب الأليم، (١) أتم لليوم حاله، فلا يفلتن أحد إلا بفداء أو ضربه عنق،  
 وكان هذا اختياراً لما رأى الصديق رضى الله عنه .

وقد بلغت الفضيلة الإنسانية ذروة كمالها فى نبينا محمد ﷺ ويدهونى المقام  
 أن أقارن بين قولتى سيدنا نوح، وسيدنا موسى الآفتين وبين موقف حدث  
 لرسول الله ﷺ مرجه من ثقيف بعد أن عرض عليهم الدعوة الإسلامية فأبوا،  
 فرجاهم أن يكتموا أمره ولا يبلغوا قريشاً، ولكن القوم كانوا لثاماً، فإن  
 هم بمغادرتهم حتى أغروا به الصبيان والسفهاء يقذفونه بالحجارة وصاحبه ومولاه  
 زيد بن حارثة يدرأ عنه ويدفع، ولكن ماذا يقنى زيد فى هذا السيل المنحدر  
 من الحجارة، فأصيب جسمه ﷺ ودميت عقباه وسال الدم الزكى على أرض  
 الطائف ليكون شاهداً على لون من ألوان الكفاح فى سبيل العقيدة حتى الجثوة  
 إلى بستان لابنى ربيعه وبعد أن استراح قليلاً، ودعا الله بدعائه المشهور الذى  
 ختمه بقوله: « إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ». نعم، فالجراح، والآلام،  
 والمصائب كلها تهون مادام فى ذلك رضا الله، والنجاة من غضبه .

عاد وهو جريح الجسم مكلوم الفؤاد، حزين النفس، فتبدي له عند  
 « قرن الثعالب » ملك الجبال، وقال له: « إني رسول من الله إليك، إن شئت  
 أن أطبق عليهم الأخشبين (٢) فقلت؟! » ولقد كانت فرصة موآتبه لتبيل من  
 هؤلاء الذين آذوه، وأسألوا دمه، وليذهبوا مع الهاكسين الغابرين، وإن ذهبوا  
 فى الباقين من ينصر الدعوة ويقيم الإسلام، ولكن لو جاز هذا فى  
 حق بشر آخر، مها بلغ من الكمال العقلى والحلقى، فإن يجوز فى عقل  
 نبينا محمد ﷺ، ولا فى أخلاق نبينا محمد، ولا فى منطقته ﷺ! !  
 وهو لذى بلغت فيه الفضيلة ذروة كمالها.. وانتظر الملك الجواب، ولم يفكر النبى طويلاً،

(١) يونس / ٨٨

(٢) الأخشبان: حبلان بركة

لأن الأمر بالنسبة له لا يحتاج إلى تفكير، لأنه يتفق هو وفطرته التي فطره الله عليها، وأخلاقه التي جبل عليها، وجعلته سيد ولد آدم على الإطلاق، فقال صلى الله عليه وسلم: « لا بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً » !!

ودهش ملك الجبال لما سمع وقال : أنت - كما سماك ربك رءوف رحيم !!  
نعم - والله - لقد صدق من سماه الرءوف الرحيم ، ومن خاطبه هذا الخطاب الشريف الفذ « وإنك لعلی خلق عظیم ، !!

وهذا هو سيدنا موسى عليه السلام يدخل مدينة من المدن المصرية ، فوجد فيها رجلين يقتتلان ويتضاربان ، أحدهما اسرائيلي من شيعته ، والآخر قبطي من عدوه ، فاستنصر به الإسرائيلي على القبطي فضربه بجمع يده ، ففضى عليه ثبات ، وما كان موسى عليه السلام بقصداً قتله ، وإنما قصد دفعه ، وكثيراً ما يقصد الإنسان قصداً ويحصل خلافه ، فلذلك ندم من فعلته وتاب الى الله توبة نصوحاً ، وعزم على عدم العودة لمثل ذلك ، وعاهد الله على أن لا يكون معينا لمجرم قط (١) ورأس الإجرام هو الكفر ، ويليه المعاصي ، وهذا الوكز وان أفضى الى الموت ليس بذنب ، وإنما هو خلاف الأولى ، وكان عليه أن ينثب قبل الوكز أو يفصلهما عن بعضها من غير وكرز وإنما عده موسى ذنباً واستغفر الله منه لمقام موسى وعلو منزلته عن أن يحصل منه ذلك ، وقد قيل : ان ذلك كان قبل نبوته فهو من الصغائر التي يجوز مثلها على الأنبياء ، وهو الظاهر من قول موسى كما حكاه الله سبحانه في قوله : « ففررت منكم لما خفتكم ، فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين » (٢) ومهما يكن من شيء فهذا وأمثاله مما جاء به القرآن وجاءت به الأحاديث الصحيحة ، يدل على أن الأنبياء بشر ، وأن الكمال المطلق إنما هو لله وحده ، وعلى أهم لشدة معرفتهم بالله وقرهم منه يستعظمون في حق أنفسهم ما ليس عظيماً ، ويعتبرونه ذنباً يستغفرون الله تعالى منه ، وان لم يكن ذنباً في الحقيقة ونفس الأمر .

(١) أقرأ الآيات من سورة النقص من ١٥ - ١٧

(٢) الشعراء / ٢١

وأما نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فقد استأذنه سيدنا عمر -  
رضي الله تعالى عنه - أن ينزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، أحد أسرى بدر ، حتى  
يدلع لسانه فلا يقوم خطيباً بعد ذلك ضد النبي ودعوته ، فإذا كان جواب الرؤوف  
الرحيم ؟ « لا أمثل فيمثل الله بي ولو كنت نبياً » !! يا لسمو الرحمة ، وبالعظمة  
البشرية !! ثم يعرض النبي سيدنا عمر بالعفو عنه ، وعدم النيل منه فيقول :  
« وعسى أن يقوم مقاماً لاتذمه » وقد كان ، وصدقت نبوءة الرسول الكريم  
فقد وقف بعد الردة موقفاً كريماً حده الناس له ، وحفظه له التاريخ (١)

ومثل آخر أسوقه لبيان كمال الفضيلة الإنسانية في نبينا محمد ﷺ ، لقد كان  
عمر رضي الله عنه مشهوداً بالزهد وبلغ فيه مبلغاً ، صار مضرب الأمثال عمر  
هذا الزاهد ، الذي كان يداوم لبس المرقع ، وكان ينام على الحصى والتراب ،  
والذي كان يضرب اللب (٢) بنفسه ، ويهناً ابل الصدقة بالقرار يديه (٣) والذي  
كان يعيش الكفاف ، ويأندم الزيت بالعيش الجاف ، عمر الذي حرم على نفسه  
أكل السمسم عام الرمادة حتى ينجصب الناس ، وحتى صارت تكرر بطنه وتغير  
لونه ، وهو لا يهتم بذلك ، عمر الزاهد هذا دخل على رسول الله ﷺ لما اعتزل  
نساءه بسبب تظاهر بعضهم عليه ، وكان في مشربه له يرقى إليها بدرج ، وعلى  
الباب غلام اسمه رباح . فقال : يا رباح استأذن لي على رسول الله ﷺ ، فلم يأت  
رباح بجواب فرفع رأسه وقال استأذن لي على رسول الله ، فأني اظن أن رسول  
الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصه ، والله لئن أمرني رسول الله بضرب  
عنقها لأضربن عنقها !! فأشار إليه الغلام : أن أذن لك فدخل على رسول الله ،  
وما زال يلاطفه حتى تبسم ثم نظر عمر في الخزانة فوجد رسول الله ﷺ  
على حصر قد أثر في جنبه ونحت رأسه وسادة من آدم ، حشوها ليف ،

(١) انظر ص ١٢٣ من هذا الكتاب

(٢) الطوب النبي

(٣) يغسل جسدها ويطليه بالتمر ليداويها





سواء البطن والصدر، واسع الصدر، عظيم المنكبين<sup>(١)</sup>، ضخيم العظام .  
عبل<sup>(٢)</sup> العضدين والزراعين والأسافل، رجب<sup>(٣)</sup> الكفين والقدمين .  
سائل<sup>(٤)</sup> الأطراف، أنور المتجرد<sup>(٥)</sup>، دقيق المسربة<sup>(٦)</sup>، ربعة القد،  
ليس بالطول البائن، ولا بالقصير المتردد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب  
إلى الطول إلا طاله عليه السلام . رجل الشعر<sup>(٧)</sup> . إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل  
سنا البرق، وعن مثل حب الغمام، إذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثيابه،  
أحسن الناس عنقا، ليس بمطهم<sup>(٨)</sup>، ولا مكثم<sup>(٩)</sup> متماسك البدن، ضرب  
اللحم<sup>(١٠)</sup> إذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صلب<sup>(١١)</sup> وإذا النفث النفث معا،  
قال البراء: ما رأيت من ذى لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري  
في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجدر، وقال جابر بن سمرة - وقال له  
رجل كان وجهه مثل السيف - فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر،  
وكان مستديرا، وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به: أجل الناس من بعيد،  
وأحلاه وأحسنه من قريب، وفي حديث ابن أبي هالة، يتلألأ وجهه تلالأ  
القمر ليلة البدر! وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له: من رآه بديه هابه،  
ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله، ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم <sup>(١٢)</sup> .

وهذه الأوصاف تتم عن الذكاء والفتنة وكبر العقل، والقوة والبطولة  
والهيبة والجلال، والرزانة والوقار، وقد أملاها عليهم واقع الحال،  
لا مجرد الحب والخيال .

---

(١) المنكب يجم العضد والكتف (٢) ضخيم (٣) واسم (٤) طولها طولاً معتدلاً  
(٥) نير العضو المتجرد من الشعر (٦) الشعر الممتد من الصدر إلى السرة (٧) وسط بين التجمد  
والبطولة (٨) يادن كثير اللحم (٩) يجتمع لحم الحديد (١٠) ليس فيه استرخاء (١١) تكفأ:  
مشى إلى الأمام بقوة. سبب: مكان عال (١٢) الشائل الحمدية للترمذي ص ٨ - ٣٣٢ . وصحيح البخاري  
كتاب أحاديث الأنبياء - باب صفة النبي، وصحيح مسلم - كتاب الفضائل - صفة شمره صلى الله عليه وسلم .

ومن ثم نرى أن رسول الله ﷺ كان يخطى بالكمال الجسماني ، وسمات البطولة الجسدية الحقة ، ولو أنك أطلعت على ما يشترط اليوم من الصفات لتحقيق « كمال الأجسام » لوجدتها لا تزيد عما ذكر في صفات النبي الخلقية ، وهذا أمر كان لازماً ، فإن نبينا بعث بحاتم الأديان ، والشرائع ، لأمم الأرض كلها ، وشرع الله له الجهاد في سبيل حماية العقيدة ، ونشر هذا الدين ، لا بد أن يكون متهيئاً غاية التهيؤ للجهاد ، وأن يكون له من بسطة الجسم ما يهوه للجهاد والقيادة ، والشجاعة والإقدام . وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ جمع الله سبحانه له البطولة الجسمانية ، إلى البطولة النفسية .

### « نظافة جسمه وطيب ريحه »

هذا إلى نظافة جسمه ، وطيب ريحه وعرقه ، ونزاهته عن الإفذار والزواجر الكريمة ، وقد خصه الله بذلك ، ثم تممها وزادها بنظافة الشرع ، وخصال اللطافة ، والمداومة على التطيب والتطهر ، وبجانب الأظعمة الكريمة الرائحة ، عن أنس الله عنه قال : ( ما شممت عتيراً قط ، ولا مسكا ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ ولا مسمت شيئاً قط ديباً جا ، ولا حريراً إلا من مساً من رسول الله ﷺ رواه مسلم وغيره ) وعن جابر بن سمرة « أنه ﷺ مسح خده قال فوجدت ليدته برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة (١) عطار ، وكانت تلك رائحته سواء مس طيباً أو لم يمس ، وكان يصفح المصائح فيظل يومه يجدر يحمها ، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحتها ، وكان إذا مر في طريق يعرف أنه سلكه مما يخلفه فيه من طيبه وثبت في صحيح مسلم أنه نام في دار أنس فغرق . فجاءت أمه بقارورة فجمعت فيها عرقه ، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقالت : نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وفي رواية أخرى المسلم « فقالت : يا رسول الله نرجو بركته لصبيانا » . قال « أصبت » .

(١) يضم الجسم وهزمة على الواو وبدونها : الوعاء لدى يضم فيه متاعه



عجب إذا قال ( أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لي الكلام اختصارا ) رواه النسائي في سنه وأبو يعلى ، ورويت الفقرة الأولى من حديث للبخارى ومسلم .

وإليك ما قاله في وصف كلام رسول الله ﷺ ، أديب من أكبر أدياب العربية غير منازع وهو الجاحظ قال :

وأنا ذا كر بعد هذا فنا آخر من كلامه ﷺ ، وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثير عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : « وما أنا من المتكلمين »<sup>(١)</sup> فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التعقيب<sup>(٢)</sup> ، واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن المهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه الحجة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإقحام ، وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت به قدم ، ولا يادت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يئذ الحطب الطوال بالكلم القصار ، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتاج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج<sup>(٣)</sup> لا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة<sup>(٤)</sup> ولا يستعمل المواربة<sup>(٥)</sup> ولا يهمز ، ولا يلمز<sup>(٦)</sup> ، ولا يبطن ، ولا يعجل ،

(١) ص / ٨٦ والأية بتمامها « قل ما سألتكم عليه أجرا ، وما أنا من المتكلمين »

(٢) التعقيب : هو التعمير ، وهو أن يتكلم بأقصى قمره وهو لون من التكلف في الكلام

(٣) الفلج - بفتح الفاء وفتح اللام وسكونها - الفروز والقلب

(٤) المداع

(٥) المداهنة

(٦) الهمزة : العيب بالحوارح ، للمز والعيب بالأمان ، وقيل عما بمعنى

ولا يسهب ولا يحصر<sup>(١)</sup>، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى<sup>(٢)</sup> من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً . . . . . ثم قال .

قال مجد : قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . » .

وقد جمعت لك في هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار ، ولعل بعض من لم يتسع في العلم ، ولم يعرف مقادير الكلم ، يظن أنا قد تكلفناه من الأمتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره ، كلا ، والذي جرم<sup>(٣)</sup> التزويد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء ، وبهرج الكذابين عند الفقهاء ، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه .

فن كلامه صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار : « أما والله ما علمتم إلا لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » وقال : « الناس سواسية كأسنان المشط »<sup>(٤)</sup> . . . . وقال المسامون تكفاً دماؤهم ، ويسعى ، ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يدعى من سواهم<sup>(٥)</sup> فنفهم — رحمتك الله — قلة حروفه ، وكثرة معانيه .

وقال عليه الصلاة والسلام ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول<sup>(٦)</sup> . . . وقال : « خير المال سكة مأبورة ، وفرس مأبورة »<sup>(٧)</sup> . . .

(١) حصر يحصر حصراً من باب « تعب » عى في الكلام

(٢) الفجوى : المعنى

(٣) جملة جرماً وأثماً

(٤) رواه الديلمي

(٥) رواه أحمد وأبو داود

(٦) رواه الشيخان

(٧) السكة : السطر المصطفى من النخل ، الأبورة : المفضحة ، مأبورة : كثيرة التناج والنسل .

« الحيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة »<sup>(١)</sup> . . . وقال « الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة » « المستشار مؤتمن »<sup>(٢)</sup> رحم الله عبداً قال خيراً فغتم أو سكت فسلم »<sup>(٣)</sup> وقال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، »<sup>(٤)</sup> وقال : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وإنما لك من ماله ، ما أكلت فأفئيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، »<sup>(٥)</sup> وقال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب »<sup>(٦)</sup> وقال : « إن أحبكم إلى وأقربكم مني بحالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، والذين يألفون ، ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني بحالس يوم القيامة ، الثرثارون المتشدقون ، المتفهبون »<sup>(٧)</sup> إلى غير ذلك مما ذكره<sup>(٨)</sup> هذا العالم الأديب الأديب وقد ذكر هذا الإمام الحبير بكلام البلغاء جملة صالحة على كلام رسول الله ﷺ إلا أن منها ما ليس من كلام الرسول ﷺ ، وذلك مثل قوله : « الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم » فالصحيح أنه من كلام علي ، وقيل من كلام عمر ، ومنها ما هو

(١) رواه الشيخان

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن

(٤) رواه الديلمي والمسكوي

(٥) رواه مسلم

(٦) رواه مسلم

(٧) رواه البخاري رواه الترمذي وقال : حديث حسن قال الثرثارون : هم الذين يكذبون

من الكلام من غير داع ، والمتشدقون : الذين يألون فهم بالكلام تشدفاً وتكلفاً ، والمتفهبون : الذين يألون فهم بالكلام تكبراً وتنظماً .

(٨) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ١٦ - ٣٠ .

موضوع كما نص على ذلك أئمة النقد في الإسلام وهو « إن الأحاديث سنكتف عن  
كما كثرت عن الأنبياء من قبلي ، فإجاءكم عنى فأعرضوه على كتاب الله ، فما وافق  
كتاب الله فهو عنى ، قلته أو لم أقله » وهو كلام باطل لا يصدر مثله عن رسول  
الله ﷺ ، وكتاب « البيان والتبيين » ونحوه من كتب الادب ، لا يعول عليها  
في معرفة الاحاديث ما ثبت منها وما لم يثبت ، ولذلك حرصت على تخريج الاحاديث  
التي ذكرها الجاحظ في الهامش .

ومما ذكره الجاحظ من كتبه ﷺ التي تدل على مخاطبته كل قوم بلسانهم  
ولغتهم مارواه سعيد بن عفير عن ابن لمبعة عن أشياخه أن النبي ﷺ كتب إلى  
وائل بن حجر الحضرمى ولقومه « من مجد رسول الله ﷺ إلى الأقبال  
العباهلة من أهل حضرموت ، بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، على التبعة (١)  
شاه والتبمة لصاحبها (٢) ، وفي السبب الخمس (٣) ، لا خلط ، ولا وراط (٤) ،  
ولا شناق ، ولا شغار (٥) ، فمن أجى فقد أربى (٦) » وهى خصيصة عجيبه  
لرسول الله .

وأزيد على ما ذكره الجاحظ فأقول : ومن جوامع كنه ﷺ قوله :  
« إن المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه  
بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع » رواه البخارى

(١) التبعة — بكسر التاء — الأربون من الغنم .

(٢) التبمة : « الشاة الزائدة على الأربين » .

(٣) السبب : جمع سبب وهو المال المدفون فى الجاهلية .

(٤) الخـلاط : أن يخلط رجل لبله بأبل غيره أو بقرة ، أو غنمه لينم حق الله فيها ،

والوراط : الفش .

(٥) الشناق : بين القرىتين من الابل ولقنم وهو : الوقص والشغار . أن يزوج الرجل أخته مثلا

على أن يزوجه آخر أخته من غير مهر ، وهو ما أبطله الاسلام .

(٦) الأجباه : بسم الزرع قبل بدو صلاحه ، والأرباه من الربا .



ومسلم وقوله : « إتقوا النار ولو بشق تمره » رواه البخارى وقوله « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » رواه الشيخان ، وقوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه ، ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، فإن كان ولا بد فثلك ل طعامه ، وثلك لشرا به ، وثلك لنفسه ، رواه الترمذى وقال : حديث حسن وقوله : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » متفق عليه وقوله : « وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذى ، وقوله « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ، رواه الإمام مسلم فى صحيحه ، وقوله « المسلمون عند شروطهم » والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا » رواه أحمد ، وأبو داود ، والدارقطنى وقوله : « من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد » رواه البخارى وقوله : « ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » رواه البخارى وقوله : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » رواه البخارى وقوله : « الحياء من الإيمان » رواه الشيخان ، وقوله : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء » رواه البخارى وقوله : ( من يحفظ لى ما بين لحيه ، وما بين رجله <sup>(١)</sup> ، أضمن له الجنة ) متفق عليه وقوله : ( الرحم شجنة <sup>(٢)</sup> من الرحمن ) رواه البخارى وقوله : ( فى كل ذات كبد رطبة أجر ) متفق عليه وقوله : ( من لا يرحم لا يرحم <sup>(٣)</sup> ) رواه البخارى وقوله : ( من سن فى الإسلام سنة حسنة فلهن أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من

(١) ما بين لحيه أى فكبيه وهو لسانه ، وما بين رجله : فرجه .

(٢) لها وسجنة وصلة قريبة .

(٣) الأولى بفتح الياء والهاء ، والثانية بضم الياء وفتح الهمزة .

أوزارهم شيء) رواه مسلم إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي فاضت بها كتب الأحاديث والسنن .

ومن هذه الأحاديث التي هي من جوامع كله صلى الله عليه وسلم ، ما اعتبر من المبتكرات التي لم يسبق إليها النبي صلى الله عليه وسلم ، وسائر مسار الأمثال في شيوعها وذبوعها ، وذلك مثل حديث ( لا يلدغ . . . ) السابق ، وقوله ( الحرب خدعة ) وقوله ( الآن حمى الوطيس ) وقوله ( إن من البيان لسحرا ) ( وإن من السحر لحكما ) أي الحكمة .

وقوله في فرس أبي طلحة: « وجدناه بجرأ<sup>(١)</sup> » وقوله : « كما تدين تدان » ولا يفوتني أن أوصي الشباب والطلاب — ولا سيما المتأدبين منهم — أن يكثروا من قراءة كتاب الله ، وأحاديث رسول الله وسيكتسبون بذلك إيماناً وعلماً وعملاً ، وفصاحة وبلاغة ، وجزالة ألفاظ ، وقوة أسلوب ، وإشراق بيان .

### « شرف نسبه وكرم محتده »

وهذا أمر معروف غير منكور أقربه المخالف والموافق ، وليس من شك في أنه نخبة بنى هاشم ، وسلالة قريش ، وخلاصة مضر ، وإليه انتهى شرفها ، ومصاص البشرية كلها ، وقد أفصح صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم ) رواه مسلم والترمذي<sup>(٢)</sup> وقال ( بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا ، حتى كنت من للقرن الذي

(١) واسم الجري ، طويل النفس في العدو وكان في أول آره ليس كذلك فصار ببركة ركوب النبي عليه بجرأ لا بجرأ .

(٢) من حديث في الخصائص النبوية رواه الشيخان

(٣) زاد الترمذي الفقرة الأولى ، واتفقا على ما بعدها

كنت منه) رواه البخارى وقال : ( أنا محمد بن عبد المطلب، أإين الله عز وجل خلق خلقه ، فجعلنى من خير خلقه ، ثم فرقهم فرقتين فجعلنى من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى من خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نفسا) رواه أحمد واللفظ له والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وليس من شك فى النسب الزكى ، إذا انضم إليه الخلق الرضى كان خيرا وأزكى ( والناس معادن : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ) رواه البخارى (١).

## « النبي الزوج »

لقد خص رسول الله ﷺ بأن أباح الله له من الزوجات ما لم يسمح لغيره فقد تزوج إحدى عشرة ودخل بهن ، منهن اثنتان ماتتا فى حياته وها السيدتان خديجة ، وزينب أم المساكين ، وتوفى عن تسع . وهن . عائشة بنت الصديق ، وسودة بنت زمعة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش ، وأم حبيبة بنت أنى سفيان ، وجويرية بنت الحارث المصطلمية ، وصفية بنت حيى النضيرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية . وتسمى جاريتين : مارية القبطية ، وريحانة بنت زيد اليهودية ، وقد ماتت فى حياته .

وإذا كل الإسلام جعل للمرأة حقوقا لم تكن تحلم بها ، ورفع من شأنها فقد حظى بالنصيب الأوفى من ذلك نساء النسب ﷺ ، ولما أنكر الفاروق عمر على زوجته أن تراجع فى أمر قالت له : عجبالك يا ابن الخطاب أما تحب أن تراجع فى شىء ، أو ان بنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان فذهب الى ابنته يسألها فإذا هى تؤكد له ذلك ، وكان كثيرا ما يوصى بالنساء خيرا ويقول : ( خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى ) رواه ابن ماجه ، وفى حجة الوداع أوصى بهن خيرا كما أسلفنا .

وان الإنسان ليعجب كيف وفق النبي ﷺ بين هؤلاء التسع وهن مختلفات في السن ، والطباع ، والأخلاق والمشارب ؟ ! ولكن النبي بسعة عقله ، ورحابة صدره ، وكرم أخلاقه أمكنه أن يحسن عشرتهن ويعدل بينهن ، وأن يوفق بين رغباتهن ، وأن يعشن عيشة الأخوات لا عيشة الضرائر ، وإنها لبطولة حقا أن يكون عنده هذا العدد من الزوجات ، ويقوم بأعباء الرسالة ، وتكوين خير أمة ، وأول دولة في الإسلام على خير ما يكون والواحد منا تكون عنده الزوجة الواحدة ، والعدد القليل من الأولاد ، ومع هذا يكون في شغل شاغل ، وفي حيرة من التوفيق بين حقوق زوجته ، وولده والقيام بواجبات عمله على وجه مرضى ، ولكنه النبي الذي وسع الناس جميعا بعقله وصدره وبره ، وهن خيار نساء هذه الأمة الحريصات على رضا الله ورسوله ، ومع كونهن بهذه المنزلة فلم تخل معاشرتهن للنبي ﷺ من بعض مضايقات ومؤامرات ، بسبب ما ركز في فطرة المرأة من الغيرة ، وحب الاستئثار بالزوج .

فمن ذلك أنهم اجتمعن على النبي ، ورغبن إليه أن يوسع عليهن ، وأن يكون لهن ما للنساء الملوك وأصحاب الثراء ، وكان النبي قد أخذ نفسه وأهله وولده بالتقشف والتقلل من طيبات الحياة وزخارفها ، وفرض على نفسه وعليهن لونا من ألوان المعيشة لا يتميز عن معيشة عامة الأمة ، إن لم يقل ، وهو ﷺ قدوة المسلمين جميعا فليكن نساؤه كذلك قدوة لنساء الأمة ، لذلك تألم النبي لمطالبهن ، فاعتزلهن شهرا ، ولما اعتزل النبي نساءه شاع ذلك ، وعظم الأمر على الصحابة ، فذهب الصديق أبو بكر إلى المشربة التي اعتزل فيها رسول الله فإذا الناس جلوس محزونون ، فاستأذن على رسول الله ، فأذن له ، ثم جاء الفاروق فاستأذن . فأذن له ، فوجد النبي واجبا ساكتا وحوله نساؤه ، فقال أبو بكر : لأقولن شيئا أضحك به النبي ﷺ فقال : يا رسول الله



فلن أعود اليه وقد حلفت فلا تجبرى بذلك أحدا) رواه البخارى ومسلم ولكنها لم تعمل بما أوصاها به وأخبرت بذلك عائشة، وفي رواية عند مسلم أن التى شرب عندها العسل حفصة وأن اللاتى تظاهرن عائشة، وسودة، وصفيه، وأنه لما أخبرهن بشرب العسل عند حفصة قالت كل واحدة منهن: جرت محلة<sup>(١)</sup> العرفط، وأنه لما عرضت عليه حفصة أن تسقيه عسلا مرة أخرى امتنع وقال: (لا حاجه لى به) والأول هو الأصح<sup>(٢)</sup> وهو الألبق بسياق الآيه، وفي الصحيحين عن عمر: ان المتظاهرتين هما عائشه وحفصه وقد كانت هذه المؤامرة سببا فى اعتزال النبي نساءه شهرا، وفي الصحيحين أن عمر لما أخبره جاره الانصارى أن رسول الله اعتزل نساءه قال: رغم أنف حفصه وعائشه، وذهب الى عائشه فذكرها وحذرها، ثم ذهب الى ابنته فوبخها وغنفها وقال لها: والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا لطلقتك فبكت أشد البكاء، ثم قصد الى رسول الله فى مشربه له يرقى اليها بدرج وعلى الباب غلام اسمه رباح، فقال: يا رباح استأذن لى على رسول الله، فلم يأت رباح بجواب فرفع صوته وقال: استأذن لى على رسول الله فإنى أظن أن رسول الله ﷺ ظن أنى جئت من أجل حفصه، والله لئن أمرنى رسول الله بضرب عنقها لاضربن عنقها! فأنشأ اليه الغلام: أن أذن لك، فدخل على رسول الله وما زال يلاطفه حتى تبسم، ثم نظر عمر فى العزانه فوجد رسول الله على حصير قد أثر فى جنبه، وتحث رأسه وسادة من آدم حثموها ليف، وفيها قرظ مجموع، وأهب<sup>(٣)</sup> معلقه وفرق من شعير، فبكى فقال رسول الله (ما يبكيك يا عمر)؟ فذكر كسرى وقصر وما هما فيه، وما رأى فى المشربه فقال له: (يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولننا الآخرة؟)!

(١) جرت: أكلت.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٧٣-٩٢ صحيح البخارى - كتاب التفسير -

سورة النحر.

(٣) القرطابدينج بالجلد. اهب بضم الهمزة والهاء وبفتحة جيم لام وهو الملد.

أولئك قوم قد عجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا<sup>(١)</sup>.  
فلما انقضى الشهر نزل رسول الله ﷺ فانزل الله سبحانه معاتباً نبيه ،  
وخوفاً وحذراً نساءه قوله : ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة  
أزواجك . والله غفور رحيم ، قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم والله مولاكم  
وهو العليم الحكيم ، وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره  
الله عليه عرف بعضه ، وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال  
نبأني العليم الخبير ، إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله  
هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه إن  
طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات ، فإتاتن تأتبات عابدات  
سائحات ثيبات وأبكاراً )<sup>(٢)</sup> فكفر رسول الله عن يمينه . وتاب نساؤه إلى الله  
ورسوله ، وكان عمر رضى الله عنه لما دخل على رسول الله فوجده مغضباً  
قال له : يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله  
معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك .  
وقال لنسائه : ( عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن )  
فنزلت الآية على ذلك وعد هذا من موافقات عمر رضى الله عنه .

وذكر النسائي وابن جرير وابن مردويه وغيرهم أن نزول صدر سورة التحريم ،  
كان بسبب تحريم مارية القبطية ذلك أن حفصة كانت استأذنت رسول الله ﷺ  
في زيارة أبيها فأذن لها ، فأرسل إلى جاريتها مارية وباشرها في يوم حفصة  
وعلى فراشها فلما عادت وعامت بما كان صارت تبكي وتقول ، أما رأيت لى حرمه ؟  
ما كنت لتضع هذا بامرأة من نساءك ! فقال رسول الله : ( أليست هى جاريتى  
أحلها الله لى ) ؟ ثم ترضاها فأخبرها بأنها حرام عليه ، وبأن الصديق  
وأبائها سيتوليان الحلالة بعده وقال : ( لا تخبرى بذلك أحداً )

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٨٣ . وفتح البارى ج ٥ ص ٥٣٤

(٢) سورة التحريم ١ - ٥ سائحات : أى صائحات

(م ٣٣ - السيرة النبوية ج ٢)

فلما خرج رسول الله ﷺ قالت حفصة لعائشة: ألا أبشرك؟ إن رسول الله قد حرم أمته عليه، وقد أراحنا منها، وأخبرتها بما سيكون من شأن الخلافة فلما علم رسول الله ﷺ بما أفشته من سر غضب. واعتزل نساء شهر آثم أنزل الله قوله (يا أيها النبي . . . .) الآيات والراجح ما في الصحيح وأن ذلك كان بسبب تحريم العسل، وإن كان سياق الآيات أليق بمسألة تحريم مارية، ويمكن أن تكون الآيات قد نزلت بسبب تحريم العسل وتحريم مارية<sup>(١)</sup> فقد يكون سبب النزول حادثين أو أكثر كما هو مقرر في أسباب النزول.

هذه هي أهم الأحداث التي عكرت صفو حياة النبي الزوجية، وقد كانت أسبابا لتشريعات حكيمة في قرآن يتلى إلى يوم الدين، وفيها عدا هذه فقد كن مؤنات قانتات ثابتات عابדות صوامات، وكن خير معينات له على طاعة ربه، وتأدية رسالته، كما كن مصاييح إشعاع وهداية وعلم في حياة النبي وبعد وفاته، فرضى الله عنهن.

وقد كان رسول الله ﷺ يلاطفهن ولايفك عن مؤانستهن والتبسط معهن. ومن رفقته بين إنه أتى عليهن وسواق يسوق بين يسمى أنحشته، وكان يحدو للأبل فتشط وتسرع بالسير فر بما يؤلمهن ويتعبن فقال له: (ويحك يا أنحشته رويدك. سوقك بالقوارير) رواه الشيخان، وروى ابن من آخر ما نطق به قبل اللقوق بالرفيق الأعلى الوصية بالنساء. وقال: (حبب إلى من دنياكم النساء والطيب. وجعلت قرعة عني في الصلاة) رواه النسائي<sup>(٢)</sup> وحبب الزوجه حب فطرى. لأن فيه سكن النفس، وغذاء العاطفه، ورضا القلب، ومبعث هذا الحب الرحمة والشفقة، والرفق بالضعيف، لامتته إرضاء الغريزة الجنسية، وإشباع الشهوة، وإلا فقد قضى

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٥٤٣

(٢) اشتهر هذا الحديث بلفظ: «حبب إلى من دنياكم ثلاث... وزيادة ثلاث غير

ثابتة، ومن الحديث يردها لأن «وجعلت قرعة عني في الصلاة» ليس من أمور الدنيا.



شبابه مع زوجة واحدة مسنة تكبره بخمسة عشر عاما ،

وسئلت عائشة مما كان يصنع النبي في بيته قالت : ( كان يكون في مهنة <sup>(١)</sup> أهله )  
يعنى خدمتهم رواء البخارى فكان يساعدهم ويماون خدمه . ويحلب شانه ،  
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ، ويذهب إلى السوق ويحضر لهم طعامهم ولا يرى  
في ذلك منقصة ، ولأما يفض من شرفه وقدره ولم يؤثر عنه ﷺ أنه ضرب  
امراً ، أو عبداً ، أو خادماً ، أو شق عليه في شيء .

### ( النبي الأب )

وكما كان رسول الله الزوج المثالى المتسامح المتغاضى عن المفوات . كان الأب  
الحانى العطوف الشفيق ، وقد قدمنا طرفا من حبه لبناته ، وأبنائه ، وحزنه  
لفقدهن ، وبكائه عليهن بكاء الرحمة والشفقة ، وتمهده لابنه ابراهيم ، وذهابه إليه  
خارج المدينة كل يوم فيحمله ويشمه ويقبله . وكذلك كان يقبله ولدى ابنته فاطمة  
ويتسمها ويقول : ( ها ربحاتناى من الدنيا <sup>(٢)</sup> ) ولما رآه الأقرع بن حابس  
وهو يقبل الحسن قال : إن لى عشرة أبناء ما قبلت واحداً منهم فقال رسول  
الله ﷺ : ( إنه من لا يرحم لا يرحم ) وقدم على النبي ﷺ أحد الأعراب  
فوجد النبي والصحابة يقبلون الأولاد فقال : أتقبلون أولادكم ؟ فقالوا نعم ،  
فقال : والله ما تقبلهم فقال الرؤوف الرحيم ( أو أملك لك أن الله تزع الرحمة من قلبك ) !!  
( وقد كان يصلى بأمامة بنت بنته زينب - رضى الله عنها - يحملها على عاتقه .  
فإذا سجد وضعها . وإذا قام حملها ) رواء البخارى <sup>(٣)</sup> فأى مثل أروع من هذا  
فى بيته كانت تحب الذكور ، وتبغض الإناث بل وتندهن ؟

(١) مهنة : يفتح المم وكرمها وسكون الماء فيها : الغدوة ، وقيل المذق فيها .

(٢) كالشئ الطيب الريح الذى يشم ، ويحب ، ويقبل ، والأولاد يشمون ، ويحبون ،  
ويقبلون وهو من الكلام الموجسز البديع الذى لم يسبق إليه صلى الله عليه وسلم  
فدياً أعلم .

(٣) صحيح البخارى - كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبله ، ومعانفته .

وكان النبي يخطب ذات يوم على المنبر فجاء الحسن والحسين عليهما قيصان  
أحمران ، يمشيان ، ويتمثران فنزل النبي فحملهما ووضعهما بين يديه وروى  
عن عبد الله بن الزبير أنه رأى الحسن بن علي يجيء والنبي ساجد فيركب رقبتيه  
أوقال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ، ولقد رأيتني يجيء وهو  
راكع فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر ، وروى أن رسول  
الله كان إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا أرادوا أن يمتعوها  
أشار إليهم ( أن دعوهما <sup>(١)</sup> ) كما كان يلاعها إذا فرغ لهما ، فهل رأيت في باب  
المطف والشفقة على الأبناء ، وإشباع رغباتهن في اللهو واللعب أفضل وأسمح  
من هذا ؟!

وكان إذا دخلت عليه ابنته فاطمة يقوم لها ويقبلها ويقول لها :  
( مرحبا يا بنتي ) ويجلسها عن يمينه . وربما بسط لها ثوبه . فأى إكرام  
واجترام للأولاد يدانى هذا ؟ ! وكان يقول : ( فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد  
أغضبني ) <sup>(٢)</sup> فأى تأكيد لأواصر الحب والقربى فوق هذا ؟ !

### ( النبي الانسان )

لقد اتسمت حياته <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بالإنسانية وقد قدمنا الكثير من المثل لإنسانيته  
الفاخرة حتى مع الكفار والأعداء وذلك في معرض الحديث عن العبر في غزوة  
بدر ، وفي غزوة خيبر غنم المسلمون فيما غنموا صحائف من التوراة ، فطلبها  
اليهود ، فأمر بأعطائها إياهم وهو يعلم ما بها من تحريف وتبديل وهذا غاية  
الإنسانية في احترام الشعور الديني للأعداء . وروى صحيح البخاري أنه مر  
عليه بجنائز فقام لها . فقالوا : يا رسول الله أنها جنازة يهودي ! فقال :  
( أليست نفساً منفوسة ) ؟ ! فأى تكريم لبني آدم يسامى هذا ؟ !

(١) الاصابة ج ١ ص ٣٢٩

(٢) رواهما البخاري ، و« بضعة » بفتح الباء أي قطعة .

أوفى إحدى الغزوات وجد امرأة مقتولة فغضب وقال : « ما كانت هذه لتقاتل ، ! ونهى عن قتل النساء والصبيان رواه البخارى ومسلم . وكان إذا بعث بعثا أو جيشا أو صاهم قائلا : لا تغلوا ، ولا تندروا ، ولا تمنلوا ، ولا تقتلوا وليدا » (١) رواه مسلم وكان له خادم يهودى فكان إذا مرض عاده . فعاده مرة فمرض عليه الإسلام وأبوه حاضر فقال له : أطع أبا القاسم فاسلم فقال : الحمد لله الذى أنقذه من النار ، رواه البخارى إلى غير ذلك مما تجده فى ثنايا كتب الأحاديث والسيرة .

### « النبي المرئى المعلم »

وقد ذكرنا آنفا قوله : « إن الله لم يعنى متعنا . وإنما بعنى معلما ميسرا » وقال : « إنما بعث لا تتم مكارم الأخلاق . ومحاسن الأفعال » رواه مالك وأحمد . وقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم حياة تربية وتعليم ، وتأديب وتهذيب ، وبحسبنا شاهدا على هذا أنه بعث إلى قوم يعبدون الأصنام . ويسفكون الدماء . ويعتدون على الأعراض والأموال ويتظالمون ، ويتعاملون بالربا ، ويشربون الخمر ، ويفشون الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويتفاخرن بالأحساب والأنساب ، فلم يزل بهم يريهم ويتعهدهم حتى صير منهم موحدين أتقياء ، وحقاء علماء ، وحملاء رحماء ، وإخوانا متحابين أصفياء . وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس فى عقيدتها وعبادتها وعلمها وعملها ، وأخلاقها وسلوكها .

من كان يظن أن معاقل الوثنية فى الجزيرة العربية تصبح منارات للتوحيد الحالى ؟ ومن كان يظن أن العرب وهم أشد الناس اعتزازا وتفخرا بالأحساب والأنساب يصبحون أكثر الأمم اعترافا بالمساواة وتطبيقا لها ؟ حتى لقد تسنى لبلال الحبشى العبد الأسود أن يكون أول مؤذن فى الإسلام !! وحتى قال عمر بن الخطاب العدوى القرشى فى الصديق ومولاه بلال « هو سيدنا وأعق

(١) الفلول : الخيانة فى الفريضة ، القدر : نقص العهد وعدم الوفاء به ولا عملوا : المثلة : التشكيل بالعدو ، وقطع الأطراف ونحوها ، الوليد : الطفل .

سيدنا (١) وحتى عقل بلال خالدين الوليد المخزومي القرشي بعمامته ؛ تنفيذاً  
 لأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، واستلام خالد له !! فلما أجاب عما طلبه  
 سيدنا عمر أطلقه وأعاد إليه قلنسوته ، ثم عممه بيده وقال : نسمع ونطيع لولائنا ،  
 وأنفخم ونحزم موالينا (٢) أى ساداتنا بل من كان يظن أن المرأة تخرج من  
 اليمن إلى الكعبة فلا يعرض لها أحد بسوء ؟ وأن الحجر الذى كانت تمتزجة بلحوم  
 العرب ودمائهم (٣) يتركونها أبداً بعد التحريم ؟ وأن الربا الذى كان شائعا بين  
 العرب يقضى عليه هذا القضاء ؟ !! إن هذا سر من أسرار إعجاز الرسالة المحمدية .  
 لقد كان للنبي ﷺ فى تربية الأئمة وسائل من أهمها القدوة فقد كان أسوة  
 حسنة فى نفسه ، وفى أهله وفى بيته ، وفى كل تصرفاته فمن ثم أثمرت تربيته إيما  
 إثمار ، وكان رسول الله يربهم تارة بالقول ، وتارة بالعمل ، وتارة بهما معا ،  
 فقد قال ﷺ « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخارى ، وقال : « خذوا  
 عني مناسككم ... » رواه مسلم ، وقال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه  
 بعضا » وشيك بين أصابعه تبينا للقول بالفعل ولم تكن هذه التربية قصرا على  
 الرجال ، فقد رغب إليه النساء أن يجعل لهن يوما خاصا يعظهن ويعلمهن فيه ،  
 ففعل وقد تخرج فى مدرسة النبوة نساء بلغن للغاية فى العلم ، والعمل ، والحكمة  
 وكذلك لم تكن قصرا على الكبار ، بل استفاد منها ونشأ عليها الصبيان والفتيان  
 والفتيات ، وكان فى تربيته يتدرج معهم ، ويتخولهم بالموعظة والتعليم أيامادون  
 أيام ، كراهية السامة منهم والمشقة عليهم روى ذلك البخارى فى الصحيح (٤) .

(١) رواه البخارى .

(٢) أشهر مشاهير الاسلام ج ٢ ص ٤٥١ .

(٣) لقد بلغ من حبهم للخمر أن قال قائلهم :

إذا مت فادقنى لى جنب كرمه  
 ولا تدقنى بالذلة فأتى  
 تروى عظامى بعد موتى هروفا  
 أخاف إذا ماتت أن لا أذوقها

(٤) صحيح البخارى — كتاب العلم .

وكان من أساليب رسول الله ﷺ أن يلقى عليهم بعض الأسئلة التي تحتاج الإجابة عنها إلى علم ، وذكاء وفطنة شحذا لاذهانهم على التفكير ، واختياراً لذكائهم ، وتنشيطاً لهم ، وذلك مثل قوله : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، ولا ينقطع نفعها ، وإنما مثل المسلم حدثوني ما هي ؟ » قال ابن عمر : « فوقع الناس في شجر البوادي ، ووقع في نفسى أنها المخلّة ، ولكنه استنحي أن يجب احتراماً لكبار الصحابة ، ولما أخبر أباه بهذا بعد قال له : « لأن كنت قاتنا أحب إلى من أن يكون لي حمر النعم ، » .

وقد استرعى انتباه الكاتبين من فلاسفة الغرب في تاريخ الحضارات وارتقاء الشعوب ، أن الأمة الإسلامية طغرت طفرة واحدة وفي زمن وجيز على خلاف العادة والمعروف ، وعجبوا لهذا ولو أنهم وضعوا في حسابهم أن المربي هو النبي المؤيد بالآيات ، والمثل الأعلى للمربين ، والهداة والمرشدين وأن عماد هذه التربية هو القرآن معجزة المعجزات - لزال العجب ، ولعلموا أن هذا من إعجاز القرآن الاجتماعي والأخلاقي ، إلى جانب إعجازه العلمي والبياني ، وإلا فلن يستطيعوا أن يعادوا ذلك بمقتضى النظر المادي .

لقد رفع النبي ﷺ من شأن العلم والعلماء حينما قال كما قال الله : « وقل رب زدني علماً ، وقال : « العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، رواه أبو داود والترمذي ، ورفع من شأن المربين والمصلحين حينما قال لعلى رضى الله عنه : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » رواه الشيخان ، وبحسب العلماء والمربين والمعلمين هذا التقدير من إمام العلماء وقدوة المربين .

« النبي مع ربه »

وكان ﷺ أعرف الناس بربه وأعلمهم بجلاله وكلامه وصفاته فمن ثم كان أشدهم تقوى . وأكثرهم عبادة ، وقياماً لليل ، عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كان النبي يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه فقالت : يا رسول الله لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ؟ ! فقال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ؟ ! رواه البخارى وقالت : « كان عمل رسول الله ديمة (١) ، وأبيكم يستطيع » وقالت « كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، رواها البخارى وكان الله سبحانه أمره في مبدأ أمره أن يقوم الليل إلا قليلاً ، قال تعالى : « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً : نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً » (٢) فكان قيام الله واجباً محتوماً ، قيل عليه ، وقيل : عليه وعلى أمته ثم خفف عنه ، فنسخ الوجوب ، وصار مندوباً ، ولم يحدد للقيام وقت محدود ، بل ترك ذلك إلى القدرة والأستطاعة ، قال عز شأنه « إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ، ونصفه ، وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه ، فأتوا ما تيسر من القرآن .... ) الآية (٣) » وقال : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » (٤) .

ومع هذا كان دائم العبادة والتهجد ، وكان دائم التذكير لله ، والتفكير في خلق الله وآلائه ، لا يغيب قلبه عن الله ، فإن حصل من ذلك شيء بسبب شواغل الدنيا وهمومها استغفر الله تعالى ، وهذا هو المراد بقوله « إنه ليغان على قلبي وإنى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » رواه مسلم وفي رواية البخارى « أكثر من سبعين مرة » .

ومع عبادته وتقواه كان أبعد الناس عن التشدد والمغالاة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه ، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه فسكأتهم كرهوه ، وتنزهوا عنه فبلغه ذلك ، فقام خطيباً فقال : ( ما بال رجال بانهم عنى أمر ترخصت فيه فسكرهوه ، وتنزهوا عنه . فو الله

(١) المراد المواظبة على الطاعة والعبادة في جميع أوقات العام لأنه يواصل الليل بالتهجد بدليل الحديث الذى بعده وغيره ، وديمة : بكسر الهمزة .

لأننا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية (رواه مسلم وفي حديث آخر له قال (هلك المتنتعون) قالها ثلاثاً ، وهم المنشدون في غير موضع التشديد ، وكان دائم الدعاء لله ولا سبها إذا اشتد الكرب ، وتأزمت الأمور ، وقد قدمنا لك دعاءه في بدر وأحد ، والأحزاب وغيرها ، كما كان دائم الشكر لله ، لا يطنه النصر ، ولا تبطره النعمة ، وما كانت تشغله عبادته عن دنياه ، ولا دنياه عن عبادته وهكذا راعى رسول الله الفضيلة والوسطية في العبادة ، وكان النموذج الكامل للمسلم السمع الكريم وليس أدل على هذا من هذه القصة : روى الشيخان في صحيحيهما بسندهما - واللفظ للبخاري - عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها<sup>(١)</sup> ، فقالوا : وأين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً<sup>(٢)</sup> !! وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر !! وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً !! فجاء بهم رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا ، وكذا أما والله إنى لأخساكم لله ، وأتفاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى<sup>(٣)</sup> فليس منى » .

وفي رواية مسلم « فقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم لا أنام على فراش » .

وفي الصحيحين أيضاً عن سعد بن أبي وقاص قال : « رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل<sup>(٤)</sup> ، ولو أجاز له لاختصينا<sup>(٥)</sup> .

(١) بتشديد اللام المضمومة أى استقلوها .

(٢) هو قيد قبل لا لأصلى .

(٣) السنة الطريقة المشروعة وليس المراد السنة التى تقابل الفرس .

(٤) ترك النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة .

(٥) نزع الأنثيين حتى يفقد القدرة الجنسية .

وهذا هذا المنهج الوسط ، الذي جاءت به الشريعة الوسط ، للأمة الوسط التي هي خير أمة أخرجت للناس ، والاسلام ليس دين رهبانية ، فالرهبانية لا تليق بعمارة السكون ، وليست من سنن الانبياء ، والذين أتبعوا الرهبانية من اليهود والنصارى إبتدعوها من عند أنفسهم ، قال تعالى : « ورهبانية إبتدعوها ما كتبناها عليهم ، إلا إبتغاء رضوان الله ، فإرعوها حق رعايتها (١) » ، فهم مع إبتداعهم لها قصدوا إبتغاء رضوانه بالمبالغة في العبادة ، فلم يقوموا بحققها ولم يلتزموا بما أزموا به أنفسهم .

والاسلام وهو الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان ، ولاصلاح الدنيا والآخرة ، لا يتفق هو والرهبانية ، وهي نوع من التنطع في الدين ، وقد نبههم رسول الله كما سمعت ، وفي روايه الطبراني أن عثمان بن مظعون - رضى الله عنه - لما قال للنبي : أئذن في الخصاء ، قال له : « إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفة السمحة وفي رواية أخرى أرشده إلى علاج ما يعانى من مشقة العسوية فقال له : لا ، ولكن عليك بالصوم ، وصدق الله في وصف الأمة المحمدية حيث قال : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (٢) » .

### (النبي مع أصحابه)

وكان ﷺ رؤوفا رحيا بهم يتعهد حاضرهم ، ويسأل عن غاب منهم ، ويسلم عليهم ، ويشمت عاظمهم ، ويواسى فقيرهم ، ويعين ضعيفهم ، ويشاركهم في الأراء ، والنضراء ، ويعود مريضهم ، ويشيع ميتهم ، ويكسو عاريهم ، ويشبع جائعهم ويرعى أرااملهم ، وأيتامهم ، ويجالس فقراءهم والأعبد منهم ، ويحنك أطفالهم ، ويبارك عليهم ، ويداعب صبيانهم ليدخل السرور على نفوسهم ،

(١) الحديد / ٧٧

(٢) البقرة / ١٤٣



ما رؤى مادارجليه بينهم ، ولا عابسا في وجه أحد منهم ، ولا استأثر عليهم بشيء لنفسه ولا لأهله ، ولما عرض عليه صاحبه في ركوب البعير في غزوة بدر أن يعفياهم من ثوبته في المشى أبى ، وقال : ( ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منك ) وكان مع أصحابه في سفر فذبجوا شاة فقال واحد منهم : على ذبيحتها ، وقال الآخر : على سلخها وقال الثالث : على طبخها ، فقال رسول الله : ( وعلى جمع الحطب ) فقالوا : يا رسول الله نحن نكفيك العمل ، فقال : ( علمت أنكم تكفونى ولكنى أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه ) وفي حجة الوداع ذهب ليشرّب من السقاية فأراد عمه العباس أن يميزه بشراب خاص من البيت فأبى وقال : ( لا أشرب إلا بما يشرب منه الناس ) وكان كذلك لا يميز أهله بشيء ففي قصة المخزومية التي سرقت ، وأرادوا أن يشفوا في عدم إقامة الحد عليها قال : « وإيم الله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » رواه الشيخان ، ولما جاءت ابنته فاطمة تطلب منه خادما من السبي وقد مجلت (١) يدها من الرحى والعمل أبى وعلمها وزوجها دعوات يدعوان بها عند النوم وقال : « لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم . ولكن أيعهم وأنفق عليهم أثمانهم » رواه أحمد ، وروى أصل القصة البخارى (٢) وكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول : ( أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر ) وكان لا يأخذ أحداً بذنوب أحد ، ولا يصدق أحداً على أحد ، وروى عنه أنه قال : ( لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ) فهل رأيت في باب الحرص على الوقوف على أحوال الأمة ،

(١) السبي . ما يؤخذ في الحرب من رجال ونساء . مجلت . امتلأت بشوران إدارة الرحم

وكنزة من العمل .

(٢) صحيح البخارى - كتاب النكاح - باب عمل المرأتى في بيت زوجها .

وإزالة شكواها وقطع باب السعاية والوشاية بالرعية أبلغ من هذا ؟ !  
فلا عجب وهذا بعض ما كان يعامل به أصحابه أن أحبوه أكثر من جهنم  
أنفسهم ، وأن فدوه بأبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، حتى شهد بذلك  
الأصدقاء ، والأعداء .

### « النبي الرؤوف الرحيم »

وأما رحمته وشفقته على جميع الخلق فحدث عنها ولا حرج وبحسبه شرفا  
أن الله وصفه باسمين من أسمائه فقال : ( بالمؤمنين رؤوف رحيم ) وقد آذاه  
قومه وعشيرته أشد الإيذاء ، فوضعوا الشوك في طريقه ، ولقنوه على بابه ،  
وحاولوا خنقه وقتله ، ووطئوا رأسه وهو يصلي ووضعوا سلا الجزور على  
ظهره ، ومع ذلك كان يقول : ( اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ) ولما ذهب  
إلى تقيف داعيا إلى الإسلام ، فأبوا وأغروا به الصبيان والسفهاء حتى أدموا  
عقبه أرصد الله له في الطريق وهو راجع ملكا من ملائكته وعرض عليه أن  
يهلكهم ، فأبى وقال : ( بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله  
ولا يشرك به شيئا ) رواه الشيخان ، وفي رواية : فقال له جبريل  
( صدق من سماك الرؤوف الرحيم ) .

ومن المثل الرائعة في هذا ما رواه البزار بسنده عن أبي هريرة  
رضي الله عنه ، أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء  
— قال عكرمة أراه قال في دم يعني دية — فأعطاه رسول الله ﷺ  
شيئا ، ثم قال : « أحسنت إليك » ؟ قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت ! !  
فغضب بعض المسلمين ، وهموا أن يقوموا إليه ، فأشار رسول الله ﷺ :  
أن كفوا ، فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى  
البيت ، وزاده شيئا ، وقال : « أحسنت إليك » ؟ فقال الأعرابي :  
نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ! ! فقال له النبي ﷺ :  
« إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل

بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك » قال :  
 نعم فلما كان الغد أو العشية جاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الأعرابي  
 قال ما قال ، فزدناه فزعم أنه رضى ؛ أكذلك ) قال : نعم فجزاك  
 الله من أهل وعشيرة خيرا ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلى ومثل هذا الأعرابي  
 كمثل رجل له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفوراً ،  
 فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فإنى أرفق بها منكم ، وأعلم ،  
 فتوجه إليها وأخذ لها من قام الأرض ودعاها ؛ حتى جاءت واستناخت ،  
 وشد عليها رحلها ، واستوى عليها ، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل  
 ما قال ، فقتلتموه دخل النار<sup>(١)</sup> ، وسند القصة وإن كان فيه راو ضعيف  
 إلا أنه يؤخذ به في باب الفضائل ، وفي الحق أن هذا الحديث فيه نور  
 من نور النبوة ، وروعة في التمثيل لا يقدر عليها ولن يكون مصدرها إلا  
 النبي صلوات الله وسلامه عليه ، ومع كون المثل ليس بالأمر الغريب عن  
 البيئة العربية ، إلا أن النبي الفصيح البليغ ألبسه ثوبا قشيبا حتى بدأ  
 غاية في الروعة وغاية في التأمير ، هذا إلى ما بين المثل به ، والممثل  
 له من النطابق البديع ، والتوافق العجيب ! !

ومن رحمته بامته تخفيفه وتسهيله عليهم وكرامته المواظبة على بعض السنن  
 كالترابيح مخافة أن تفرض عليهم وكرامته كثرة سؤالهم حتى لا يكون سببا  
 في تحريم ما سكت الله عنه رحمة بهم ؛ وقد شملت رحمته المؤمن والكافر ،  
 والصديق والعدو ، والإنسان والحيوان والطيور ولما قالوا له : إن لنا في البهائم  
 لأجراً قال : في كل كبد رطبه أجر ، ونهى بل ( لئن من اتخذ الحيوان  
 عرضاً ) رواها الشيخان وكان من رحمته يميل إلى الإناء للهرة لتشرب منه ،  
 ومرض ديك له فقام على مريضه ، وقال : ( دخل امرأة النار في هرة حبسها  
 حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها وسقمتها إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من

(١) الشفا ج ١ ص ٩٦ ، تفسير ابن كثير والبغوى ج ٤ ص ٢٧٦ طالعار .

خشاش الأرض<sup>(١)</sup> رواه الشيخان وكذلك شملت رحمته الإنس والجن وصدق الله حيث يقول (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

ومن كل ذلك - وغيره أكثر منه - يتبين لنا شفقتنا ﷺ على الأمة ، وحرصه البالغ على حياتهم ، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم ، وإلى تحصيل السعادتين الدنيوية والدينية ، وإنا لنأس هذا المعنى الجليل في قوله ﷺ : إن مثلي ، ومثل أمي كمثل رجله استوقد فجعل الفراش والدواب يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ، ويغلبهن ، ويتقحمن فيها فهذا مثلي ومثلكم ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحمون فيها ، رواه الشيخان وإنما لروعة في التمثيل مع البساطه لا يقضى منها العجب !!

### ( النبي البطل الشجاع )

وأما الشجاعة والنجدة ، والقوة والنبات في وجه الموت فقد كان ﷺ منها بالمكان الذي لا يعجز ، والمنزلة التي لا تدفع ، وقد بلغ من قوته أنه صار ركاة ابن زيد فصرعه وماصرعه أحد قط فكان هذا سبب إسلامه ، وقد حضر المواقف المشهورة ، وفر السكاة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ، وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة ، وحفظت عنه جولة<sup>(٢)</sup> سواه ، ولعلك على ذكر مما ذكرناه عن ثباته في أحد ، أو حنين ، ووقوفه في فم الموت في بدر وغيرها عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلته فانطلق ناس قبل الصوت ؛ رسول الله ﷺ راجعا وقد سبقهم إلى الصوت على فرس لأبي طلحة في عنقه السيف وهو يقول : ( لم تراعوا ؛ لم تراعوا ) رواه الشيخان وقاله على رضي الله عنه : ( إنا كنا إذا حمى البأس ؛ وأحمرت الحلق اتقينا برسول

(١) خشاش الأرض بفتح الخاء ، دوابها وهواها

(٢) في القاموس : وجمال القوم حوله . انكشفر ثم كروا فالمن تهقر وانكشاف

الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس بأساً ( رواه أحمد ، وأعظم بها من شهادة من مثل علي ! !

وقد جمع رسول الله ﷺ إلى شجاعته وبطولته الجبانية الشجاعة النفسية والبطولة الروحية وإنا لنأس هذا في قوله لعمري أبي طالب وقد قال له : يا ابن أخي ابق على وعلى نفسك ، فظن أن عمه خاذله ، فقال قوله المشهورة : ( والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته ) وأخذت هذه العظيمة النفسية بنفس أبي طالب وبهرته ، فما كان منه إلا أن قال له : إذهب فقل ما أحببت ، فوالله لن أسلمك لشيء أبداً ! ! وفيما قدمناه في كتابنا من شجاعة النبي وبطولته الشيء الكثير .

ومع هذه الشجاعة الفائقة قد كان ربه وفارقاً بالناس رحياً بهم ، رقيق القلب ، تجرى دموعه رقة ورحمة ، فقد كان إذا رأى سيدنا مصعب بن عمير ، وهو يلبس في وشاة مع أنه ترعرع في أحضان النعيم ، ولكن أثر الشقاء مع الإيمان ، على النعيم في الكفر - بكى ! ! ولما أذن الله في زيارة قبر أمه ، « بالأبواء » أبكى وأبكى من حوله ، ولما مات ولده إبراهيم بكى وقال : « العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » ولما قال له عبد الرحمن بن عوف ، وقد رآه يبكي : « وأنت يا رسول الله ؟ » قال : « يا ابن عوف ، إنها رحمة » ! ! ولما ذهب النبي وأصحابه إلى سعد بن عباد يعودوه في مرضه ، وقد غشى عليه ، فبكى ؛ وبكى معه أصحابه ، وقال : إن الله لا يؤاخذ بدمع العين ولا يحزن القلب وإنما يؤاخذ بهذا ، وأشار إلى لسانه وقال في موقف آخر « إنها - الدمعة - رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » (١).

(١) صحيح البخاري كقلب الحناظر - باب البكاء عند المرض وباب يذهب الميت بكاء أهله عليه .

## « النبي الوفي بالعهد »

وكان صلى الله عليه وسلم أوفى الناس بالوعد ، وأرعاهم للعهد ، وأوصلهم للرحم قبل النبوة وبمدها ، وقد عاهد اليهود والمشركين فأنقض العهد ، ولا عرف منه الغدر ، ولما توفيت السيدة الجليلة خديجة كان دائم الذكر لها ، والثناء عليها حتى كانت عائشة تغار من ذلك وكان يحب حبيباتها ويمرهن ، فكان يذبح الشاة ، ويقطعها ، ويقول : ( أرسلوا إلى صديقات خديجة ) رواه البخاري . وكانت تستأذن عليه هاله بنت خويلد أخت خديجة فيهبس لها ، وترتاح نفسه ، لأن صوتها يذكره بصوت الحبيبة الغائبة خديجة ، وجاءته ذات يوم امرأة هيجوز من صويحبات خديجة فصار يسألها عن أحوالها ، ولما صارت إليه ، ولما خرجت قالت له عائشة : تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال ؟ ! فقال : ( إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب ، وكان يوصى بالوفاء ورعاية العهد حتى للحيوان . وقد قدمنا لك قصة المرأة التي ركبت ناقه فنذرت إن نجاها الله عليها لتذبحنها فلما أخبرته قال : ( بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ) ! ! فهل رأيت مثيلا لهذا في تاريخ البشرية ؟ !

وكما وفي للأحياء والأصدقاء ، وفي للأعداء ، فقد عاهد لليهود ، ووفى لهم ولكنهم عم الذين نقضوا العهد ، ولا سيما لما تحزب الأحزاب ، وعاهد المشركين في الحديبية ، ووفى لهم ، ولقد جاءه أبو جندل ، وأبو بصير مسلمين ، فردهما تنفيذاً لشروط العهد على كره منهما ، ومن المسلمين ، حتى جعل الله لها فرجا ومخرجا ، ولما دخل مكة عام عمرة القضاء ، وقضى بها ثلاثة أيام ليس معهم إلا السيوف في الأغماد ، جاء المشركون إليك كفى يخـرج فأبى بعض المسلمين عليهم ، ورغب إليهم الرسول أن يدعوهم حتى يعرس بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية فيأكل كل المسلمون ويأكلون معهم فأبوا ، فأمر رسول الله أصحابه بالانصراف وفاء بالعهد ، ودخل بها « برف » مكان قرب مكة .

بل بلغ به وفاؤه أن أمر بدفن عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن حرام  
والد جابر شهيدى أحد في قبر واحد لأنهما كانا متصادقين في حياتهما الدنيا  
وقد كان هذا الوفاء الذي وثقه الإسلام وزاده ، امتدادا لوفائه في الجاهلية ،  
لقد عاهد رجلا أن يلقاه في مكان كذا فمكث ثلاثة أيام يذهب إلى هذا المكان  
ثم قال ( لقد شفقت على يارجل أنا انتظرك هنا منذ ثلاث .

وكان صلى الله عليه وسلم أوصل الناس لرحمة وذوى قرابته ، ولكن ما كان يؤثرهم  
على من هم أولى منهم ، وكان يقول : « إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما  
وليى الله ، وصالح المؤمنين غير أن لهم رحما سأبلها بيلالى (١) رواه الشيخان .

### ( النبي العفو الحليم )

وأما الحلم والاحتمال ، والصبر على ما يكره ، والعفو والصفح والإغضاء ،  
فكل ذلك مما أدب الله به نبيه حيث قال له : ( خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض  
عن الجاهلين ) وقد فسرها جبريل عن رب العالمين فقال : « إن الله يأمرك أن  
تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » وقال سبحانه :  
( جزاء سيئه سيئه مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ) (٢) وقال عز شأنه :  
( ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ) (٣) فلا عجب أن كان كلبحر العذب  
الذي لا يعكره ما يلقى فيه من أحجار ، ولا تنزفه الدلاء وما من حليم صبور إلا  
وقد عرفت عنه زلة ، وحفظت عنه هفوة ما عدا صلى الله عليه وسلم لا يزيده كثرة الأذى  
إلا صبرا ولا إسراف الجاهل إلا حاما « وما انتقم لنفسه قط ، إلا أن ينتهك  
شيء من محارم الله عز وجل ، فينتقم لله » رواه مسلم وقد قدمنا في فصل رحمة  
طرفاً من عفوّه ، كما قدمنا في السيرة عفوّه عن غورث بن الحارث حتى كان سيباً

(١) سأصلها بحقها على ، وقد شبه النبي القطبية بالحرارة التي تجفف ما بين الناس من صلات ،  
والصلة باناء التي يبردها ، ويدهنها . ويرطب ما جف من علاقات . وهو من إنجازات النبوية  
البدية التي لم يسبق إليها فيها أعلم (٢) و (٣) الشورى / ٤٠ / ٤٣  
( م ٣٤ - السيرة النبوية ج ٢ )

في إسلامه ، وغنوه عن أهل مكة الذي صار مثلاً فريداً في الأولين والآخرين ، وإبائه علي من عرض عليه قتل ابن أبي راس النفاق أن يقتله قاتلاً ( كيف يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ) بل وإبائه علي ابنه عبد الله أن يقتل أباه . قاتلاً له : ( بل نحسن صحبته مادام بيننا ) .

ومن القصص الرائعة في هذا ما روى أن زيد بن سعة جاء قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه لم يحن أجل أدائه ، فجيذ ثوبه عن منكبه ، وأغلظ له في القول . ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مطل<sup>(١)</sup> فاتهره سيدنا عمر وشد له القول ، وسيدنا رسول الله ﷺ بيتهم ، ثم قال : « أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء . وتأمره بحسن التقاضي » ثم قال « لقد بقي من أجله ثلاث » ثم أمر عمر أن يقضيه ما له ويزيده عشرين صاعاً لما روعه ، وقد أثر هذا الموقف الفريد ، وهذا الحلم الفائق في نفس زيد فكان سبب إسلامه ، وكان يقول : ما بقى من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في عهد إلا اثنتين لم أخبرهما : يسبق حلمه جهله<sup>(٢)</sup> ، ولا تزيد شدة الجهل إلا حلماً ، فاخبرته بهذا فوجدته كما وصف !! وهذا شيء فوق العدل ؛ لأن العدل أن يقتض منه ، ولا يفعل يزيد مثل ما فعل بالرسول الكريم ، والعدل - أيضاً - أن يقضيه حقه فحسب ، لا أن يزيد عشرين صاعاً ، وليس ترويع الفاروق عمر رضي الله عنه زيدا بأعظم من ترويع زيد النبي صلوات الله وسلامه عليه ، على الفرق الشاسع ما بين مقام النبي ، ومقام زيد ، ولكنه النبي الخليم الذي يسبق حلمه غضبه ، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً !!

وجاءه أعرابي ذات يوم فجيذه جيذة شديدة حتى أثرت حاشية<sup>(٣)</sup> الثوب .

(١) يضم الميم وسكون الهاء جمع أطل والمطل بفتح الميم : التسيوف في الدين والهدى

(٢) يعني بغضبه ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يجهل ، فقابلته الرينة بالريئة ليس جهلاً

(٣) طرفه ، وجانبه من عند عنقه



في صفحة عاتقة . ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك . فانك لاتحمل لي من مالك . ولا من مال أهلك . فسكت النبي ﷺ ثم قال : ( المال مال الله وأنا عبده ) !! ( ثم قال : ) ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي ) قال . لا ، قال : ( لم ) ؛ قال : لآنك لاتكافئ السيئة بالسيئة ، فضحك النبي ﷺ ، وسر من جوابه ، وأمر أن يحمل له على بعير شعير ، وعلى الآخر تمر .

### ( النبي الكريم الجواد )

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان ﷺ لا يوازي في هذه الصفات ولا يبارى ، عن ابن عباس ، قال ( كان رسول الله ﷺ أجود الناس . وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ) رواه الشيخان . وما سئل شيئاً قط فقال : لا ، وكان جوده عن كرم في الطبع وسماحة في النفس ، وثقة في سمع خزائن الله ، روى الإمام مسلم عن أنس ( أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياها ، فأتى قومه فقال أي قوم أسلموا فواقه إن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى فاقة الفقر ) وكان رسول الله يعلم أن بعض الناس عبيد إحسان ، فكان يعطيهم يتألفهم بذلك ثم لم يلبثوا أن يصبوا من خيار المسلمين روى عن أنس قال : ( إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فلا يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدين وما عليها ) ويوم حنين تألف بعض حديثي العهد بالإسلام حتى أضحوا من المخلصين . وقد روى أنه أعطى صفوان بن أمية وهو مشرك ، وما زال يعطيه حتى صار رسول الله أحب الناس إليه ) رواها مسلم ، ويوم حنين أعطى النبي ﷺ الأقرع بن حابس ، وعينية بن حصن الغزاري ، وأباسقيان بن حرب ، وصفوان بن أمية كل واحد مائة من الإبل . ومالك بن عوف مائة وأعطى آخرين ، وأعطى العباس بن مرداس

دون المائة فانثا يقول فى ذلك شعراً ذكرناه فيما سبق، فقال النبى ﷺ : اقطعوا لسانه « فاكلوا له المائة ، وما كان هذا — علم الله — اسرافاً ، ولكنها سياسة شرعية قصد بها النبى ﷺ تالف هؤلاء الذين لم يلبثوا أن صاروا من أخلص الخلصاء للإسلام ، وكان لهم فى نشره جهاد مشكور وقد أراد النبى ﷺ صلوات الله وسلامه عليه — أن يبين لهم أن المال أهون شىء عليه فهو ليس بطالب مال ، وإنما طالب إيمان ومقيم دين ، وصانع رجال ، وأنه لا أرب له فى اكتناز الاموال ، ولو كان عنده مال بعدد رمال الصحراء لما بخل به عليهم ، لأنه ليس من خلقه ، عسى أن يعتبروا ، ويستعفوا عن مال المسلمين ، ومن قبل أعطى حكيم ابن حزام فاستزاد ، فاعطاء فاستزاد ، ثم قال له : ( يا حكيم إن المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخارة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع .. ) وقد أثر الدرس فى نفس حكيم فألى أن لا يأخذ من أحد شيئاً بعد الرسول حتى توفاه ، وكان أبو بكر ، وعمر رضى الله عنهما يعرضان عليه عطاءه ، فيأبى أخذه وجاءه رجل فسأله فقال : ( ما عندى شىء ولكن ابتع على <sup>(١)</sup> فإذا جاءنا شىء قضيناها ) فقال له عمر : ما كلفك الله مالا تقدر عليه ، فكره النبى ﷺ ذلك ، فقال رجل من الأنصار يارسول الله : أنفق ولا تخف من ذى العرش إقلالاً ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : ( بهذا أمرت ) رواه الترمذى فى الشمائل .

وكذلك كان شأنه ﷺ قبل النبوة ، مما يدل على أن خلق الكرم والسخاء متأصل فيه ، وفى حديث عائشة فى بدء الوحي أن خديجة رضى الله عنها قالت له : ( ما كان الله ليفعل بك إنك لتصل الرحم . وتحمل الكل . وتقرى الضيف وتكسب المعدوم : وتعين على نوائب الدهر ) رواه الشيخان ، والخبار عن جوده أكثر من أن تحصى .

(١) أى اشتر واجعل الثمن ديناً على

## (النبي الزاهد)

حقيقة الزهد في الدنيا إنما هو في الترفع عن زخارفها وعصمة النفس من التوسع فيها مع القدرة على ذلك ، لاعن تمننت وتحرير لما أحل الله من الطيبات ، ولكن عن تنزه أن يكون الانسان عبد أهوائه وأسير شهواته ، وملذاته ، وهذا هو زهد الأنبياء والمرسلين ، والصديقين والصالحين ، أما عدم التمتع والتوسع فيها عن عجز وفاقه فلا يسمى زهدا ، وقد كان زهد رسول الله في الدنيا زهد القادر المستطيع فقد أتى مفاتيح خزائن الارض ، وأحلت له الغنائم ولم نحل لأحد من الأنبياء قبله ، وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن ، وجميع جزيرة العرب ، وماداني ذلك من الشام والعراق ، وجلب إليه من أخماسها وجزيئها ، وصدقاتها مالا يحصى . وهاداه جماعة من الملوك ، والأمراء ، فما استأثر بشيء منه ، ولا خرج عن طبيعته من التقشف ، والنقل في المسالك المشرب ، والملبس ، والمسكن إلى غير ذلك مما لا يعتبر التوسع فيه فضيلة . روى عن عائشة ( أنه ربما يمر بهم الهلال والهلالات ولا يوقد لهم نار في بيت . وليس لهم طعام إلا الأسودان الماء والتمر ) رواه الشيخان ، وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات رواها البخاري . ومع هذا فقد كان يأكل اللحم ويؤتى له بالشاة المصلية — المشوية — فيجتز منها بالسكين ، ويحب الحلواء والعسل ، ويذهب إلى بئر عذبة لأبي طلحة فيشرب منها ، بل كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا على أميال من المدينة ، وكان يلبس للغليظ والحشن من الثياب ، ومع هذا يلبس البرود اليمينية ، والجيب الشامية ، وكانت له حلة حسنة يستقبل بها الوفود ويحضر بها الأعياد والجمع ، وكل ذلك من غير سرف ، ولا نخيلة فقد كان الغالب من أحواله النقل والقصد ، وهذه هي الفضيلة حقاً ، والنفوس الكبيرة هي التي تفرض سلطانها وإرادتها على الحياة ، وتأبى أن يكون لشيء في الدنيا سلطان عليها ، والتي تجرد غناها من

أنفسها لا من شيء خارج عنها ، وفي القصة من هؤلاء أولو العزم من الرسل ولا سيما خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام .

ومع كثرة ما جلب إليه من الفتوح والنصر لم يتحول عن خلقه ، ولم يحتجز لنفسه ، ولا لأهله إلا ما يقوم بالضرورة ، ولم يتأنل مالا ، بل صرفه في مصارفة ، وأغنى به غيره ، وقوى به المسلمين ، وكان يقول « ويسرنى أن لي أحدا ذهابا يبيت عندي منه دينار إلا دينار أرصده لديني » (١) وأتته دنائير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذ نوم حتى قام وقسمها ، وقال : الآن استرحت فلا تعجب إذا كان « مات ودرعه مرهونة عند يهودي نظير ثلاثين صاعاً من شعير » رواه البخاري وهكذا زهد في التوسع في المآكل والمشرب ، ليسبغ الناس ، ولبس الحشن ، والغليظ ليكنسى الناس ، وسكن في حجر من الطين واللبن ليجد الناس المسكن الذي يؤويهم ، ويقبهم الحر والبرد ، ولو أراد أن يكون له إيوان كإيوان كسرى ، أو قصور كقصور الروم بالشام ، أو التبابعة باليمن لفعل ولكن كيف ؟ ! وهو المتد الأعلى لكل من يأتي بعده من الخلفاء والملوك والأمراء والقدوة الحسنة لكل من يقصد العدل والفضيلة في الحكم ، والرخاء للامم والشعوب .

وإذا كان رسول الله ﷺ — وهو القدوة — مات على ما سمعت ، وهام ملوك المساميين ورؤساؤهم ، وحكامهم يعيشون عيشة البذخ ، والإسراف ، .. فما بالك لو أن رسول الله توسع ولو بعض التوسع ، وترك ولو بعض المال ؟ لو كان لكان الحال أدهى وأعظم ، والأمر أطم وأمر .

### ( النبي الحي )

كان رسول الله ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء ، وفي

للصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال : ( كان رسول الله ﷺ أشد حياء  
من العذراء في خدرها<sup>(١)</sup> ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه ) وقالت  
عائشة رضي الله عنها : ( لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً  
بالاسواق ، ولا يجزى بالسبيئة السيئة ، ولكن يعضو ويصفيح ) وكان لا يواجه  
أحدًا بما يكره حياء ، وكرم نفس ، عن أنس قال : ( دخل عليه رجل به أثر  
صفرة قال : وكان رسول الله لا يكاد يواجه أحدًا بشيء يكرهه فلما قام قال  
للقوم : لو قلتم له يدع هذه الصفرة ) رواه الترمذي في الشمائل ، وكان إذا بلغه  
عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان قال كذا أو فعل كذا ولكن يقول :  
( ما بال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا ) وهذا لعمر الحق أسلوب جليل  
في الترية واستماع النصيحة ، وكان يقول : ( الحياء من الإيمان ) و ( الحياء  
لا يأتي إلا بخير ) رواها الشيخان ، ومع هذا فقد كان يغضب ويواجه بالحق  
إذا انتهكت حرمت الشرع ، وينتصر لدين الله ، عن عائشة رضي الله عنها قالت  
« ماضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن  
يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك  
شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله تعالى » رواه مسلم ، وعنها قالت : « ماخير  
رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان  
أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمة  
الله تعالى » وهذا يدل على أن حياءه عن المواجهة فيما عدا ذلك مما تركه  
أفضل ، وأوزع ، أو فيما كان من حق نفسه تسامحاً وتنازلاً وأما حق الله ،  
وحق العباد فلا .

### « النبي المتواضع »

وكان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر والخبلاء ،

(١) العذراء : البنت البكر الحنن . ماستر فيه المراه من بيت ونحوه .

وحسبك في هذا أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختر الثاني وخرج على أصحابه ذات يوم فقاموا له فقال لهم: (لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً) وقال: (إنما أنا عبد آكل كل كفاً يأكل العبيد وأجلس كما يجلس العبيد) رواه أبو داود ويقول (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا: عبد الله ورسوله) رواه الترمذي في الشمائل . وكان يأكل مع العبد والخادم ويحمل حاجته من السوق ولما أراد أبو هريرة أن يحمل عنه شيئاً اشتراه قال له: (صاحب النوى أحق بشيئته أن يحمله) وكانت تقابله المرأة في سكك المدينة فتستوقفه فيقف حتى يقضى لها حاجتها . وعن أنس قال: (إن كانت الأمة - الجارية - من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حتى يقضى حاجتها) رواه البخاري، وكان يركب البعير، والحمار، ويردف وراء غيره، ولا يقبل أن يسير أحد وراءه وهو راكب، وحج على رحل رث، وعليه قطبفة لا تساوي أربعة دراهم، وقال « اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة » رواه الترمذي في الشمائل . ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة فقال له: « هون عليك فإنني لست بملك . إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، أي اللحم المشقق المجفف .

وقد فتحت عليه الدنيا ودانت له الجزيرة كلها فما أخرجه ذلك عن تواضعه وخلقه، ولما دخل مكة فاتحاً منتصراً طأطأ رأسه حتى لتكاد تمس مقدمة الرحل تواضعاً لله تعالى إلى غير ذلك من الأخبار الصحاح، والحسان التي زخرت بها كتب الحديث . والسير، والشمائل الحمديّة .

وشيء آخر لانكاد نجد له مثيلاً في تاريخ الدنيا، وهو أدبه ﷺ مع إخوانه الأنبياء، والمرسلين فقد باع به التواضع، وهضم النفس، والإقرار بالفضل لذويه أن يظهر بعضهم بمنزلة فوق منزلته مع أنه أفضلهم جميعاً بتهادة القرآن والحديث، والتاريخ الصادق، والواقع الذي لا ينكر، ففي الكتاب الكريم يقول الله تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله، ورفع

بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البنات ، وأيدناه بروح القدس (١) »  
فقد كاد يجمع المفسرون على أن المراد بقوله « ورفع بعضهم درجات »  
هو نبينا محمد ﷺ قال الزمخشري في تفسيره : « أى ومنهم من رفعه على سائر  
الأنبياء ، فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة ، والظاهر  
أنه أراد بهذا ﷺ ، لأنه هو المفضل عليهم ، حيث أوتى ما لم يؤت به أحد من  
الآيات المتكاثرة المرتقية إلى الألف آية ، أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن  
وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الأنبياء ، لأنه المعجزة الباقية على  
وجه الدهر ، دون سائر المعجزات ، وفى هذا الإبهام من تفضيم فضله ، واعلاء  
قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذى لا يشبهه ، والتميز الذى  
لا يلتبس (٢) » وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم وغيره « أنا سيد ولد آدم  
يوم القيامة .... » ورواه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، بزياده « ولا فخر ،  
وإذا كان سيدا فى الآخرة فهو سيد فى الدنيا من باب أولى .

فمن ذلك قوله ﷺ تعليقا على قول سيدنا يوسف عليه السلام لرسول الملك  
« قال : ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، إن ربي  
بكيدهن عليم (٣) » قال : « لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأحبت الداعى ،  
رواه الشيخان ، وقوله لما أودى من بعض المنافقين ، وضعفاء الإيمان :  
« رحم الله أخى موسى ، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر » رواه الشيخان ،  
وأحمد ، وأبو داود ، وفيه ما فيه من الإشادة بصبر سيدنا موسى وتحمله للأذى  
من سفهاء قومه ، ما لم يتحمله غيره .

وكذلك كان ﷺ يحاول ما أستطاع تبرئه صاحبه بعض الأنبياء بما يحتمل  
أن ينسب إليهم بما لا يليق بحالهم ، كقوله فى الدفاع عن جده « ابراهيم »

(١) البقرة / ٢٥٣

(٢) أنظر تفسير السلف وغيره عند هذه الآية .

(٣) يوسف / ٥٠

عليه الصلاة والسلام : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، يعنى فى قوله :  
 • وبإذ قال إبراهيم . رب أرني كيف نجح الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن قال :  
 بلى ولكن ليطئن قلبى (١) « يريد نفى ما عسى أن يدل عليه السؤال من  
 احتمال الشك ، يعنى أنه لم يكن شاكاً قط ، لأنى وأتم لسنا شاكين فى قدره الله  
 على البعث ، ولو جوزناه على الخليل لجاز على وعليكم ، ونفى الشك عنى وعنكم  
 أمر مسلم ، فقيه نفى للشك عن إبراهيم بطريق برهاني وكقوله فى حق أخيه  
 • لوط ، عليه السلام لما قال : « أو آوى إلى ركن شديد (٢) » ، يريد عشيرة قوية  
 تحميه « رحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد (٣) » رواه الشيخان  
 يريد الله تبارك وتعالى فأين من هذه المثل الفذة الفريدة ما يفعله الملوك ،  
 والرؤساء ، والأمراء ، ودهاقنة السياسة ، والزعماء وأمثالهم - قديماً وحديثاً -  
 من محاولة كل واحد منهم تنقيص من قبله ، والنيل منه ، والإرتفاع على انقاضه ،  
 وإظهار نفسه بمظهر البطولة التى تعز عن النظر ، وأنه المنفرد فى كل شيء !! ؟  
 ثم ليس هذا من أقوى الأدلة ، وأظهر البراهين على أنه النبى حقا ، وأنه العلم  
 الفردى فى سمو أخلاقه وكبر قلبه ، وعظم نفسه ، وأنه - صلى الله عليه وسلم -  
 لا يبارى ، ولا يسامى !! ؟

## «النبى العادل»

وكان رسول الله ﷺ أعذل الناس ، وأبعدهم عن الظلم ، ما ظم أحداً فى  
 دم ، أو عرض ، أو مال ، ولا جار فى حكم ، وكان من أخلاقه العدل فى الرضا  
 والغضب ، وكان مثالا للعدل مع نفسه وأهله ، وولده ، وصحابته ، ولقد بلغ من  
 عدله أنه كان ينصف الناس من نفسه وقد قدمنا لك فى پدر ما كان من قصته مع

(١) البقرة / ٢٦٠

(٢) هود / ٨٠

(٣) صحيح البخارى - كتاب التفسير - سورة يوسف ، وكتاب أحاديث الأنبياء . وصحيح مسلم كتاب  
 الفضائل . باب فضائل الخليل إبراهيم عليه السلام .



سواد بن غزيرة ، ورضائه أن يقتص منه طعنة طعنه إياها ، وهو يعدل الصقوف ،  
وما ذكره في آخر خطبة خطبها في مرض موته : « من جلدت له ظهرأ فهذا  
ظهرى فليستقد منه .... » ولما قال له أحد المنافقين بعد قسمة غنائم حنين :  
هذه قسمة ما أريد بها وجه الله قال له : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل ؟ »  
خبت وخسرت إن لم أعدل ، وقد سمعت آنفا قوله : ( لو أن فاطمة بنت محمد  
سرت لقطعت يدها ) وامتناعه أن يعطيها خادما مع شدة حاجتها ، وإيثار مصلحة  
أهل الصفة على مصلحتها ، وعدله البالغ مع زوجاته في القسم بينهم مع أن الله  
سبحانه وتعالى فوض إليه ذلك وخيره فيه بقوله : ( ترجى من تشاء مهين ،  
وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ، ذلك أدنى أن  
تقرأ عينهن ، ولا يحزن ويرضين بما آتينهن كلهن <sup>(١)</sup> ) ولم يقف الأمر في العدل  
عندما هو من حق المرأة في النفقة ، والكسوة والبيتوته ، بل شمل ذلك العدل في  
المباسة والمؤانسة والتعهد ، وكان يفعل ذلك بعد صلاة العصر غالبا وقد يكون  
بعد صلاة الصبح ، كما في الصحيح أما العدل والمساواة في الحب والميل القلبي  
فهذا لم يكلف به النبي ، ولم تكلف به الأمة لأنه أمر لا يدخل تحت الإختيار ،  
ولا تحت الوسع ، قال تعالى ( لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) وهذا هو المراد  
من قوله سبحانه ( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تملوا  
كل الميل فذروها كالمعلقة ) وكان النبي يقول : ( اللهم هذا قسمي فيما أملك ،  
فلا تؤاخذني ، فيما تملك ، ولا أملك ) .

### « النبي الصادق الأمين العفيف »

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مثالا كاملا للإمامة وأداء الحقوق لأربابها ، والصدق  
في الحديث ، لم تحص عنه خيانة ولا كذبة قط ، ولقد اشتهر بأمانته منذ صغره  
حتى لقب بالأمين ، ولما بلغ هرقل ملك الروم كتاب النبي داعيا له إلى الإسلام  
طلب ناسا من قومه يسألهم عنه ، فجيء له برهط فيهم أبو سفيان بن حرب

فكان عما قال له : دهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا ، قال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله !! ولما هاجر إلى المدينة ترك علياً بمكة ليرد الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها .

وأما عفته فكان أظهر الناس ذيلاً ، وأعفهم عن الحرم ، ما مست يده قط يد امرأة لا يملك عصتها ولا امتدت عينه إلى محاسن امرأة قط ، وقد عاش في مجتمع كانت تتوفر فيه مسارح الهوى واللهو فما عرفت عنه صورة ، ولا أحصيت عليه هفوة على ما كان يتمتع به من قوة وشباب ، وفقوة وجمال ، ومن شرف الأسرة .

### (آدابه الاجتماعية)

وأما آدابه الاجتماعية فقد أوفى فيها على الغاية ، وكان آدب الناس وأحسنهم عشرة ، وألينهم عريكة ، وأرعاهم لشعور الناس وكراماتهم ، فقد كان دائم البشر ، لا يطرؤى عن أحد من أصحابه بشرة ولا تبسمه ، ويعطى كل جليس من جلسائه نصيبه من الترحاب والرعاية حتى لا يظن أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أوقاربه لحاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف عنه ، وكان أحسن الناس إجابة ، مادعاه أحد من أصحابه إلا قال : لبيك ، وإذا حدثه أحد مال إليه بأذنه ولا ينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه ، وكان يبدأ من لقيه ولو صيباً بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، وما صافح أحداً فيرسل يده حتى يرسلها الرجل الآخر ، ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالسادة التي تحته ، ويعزم عليه في الجلوس عليها ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب ألقابهم تكريمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يفرغ منه ، وكان لا يجلس إليه أحد يصلى إلا خفف صلاته ، وسأل عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان يخدم ضيفه ، ويكرم الوافد عليه ، ولما قدم وفد النجاشي قام يخدمهم فقال له أصحابه : إنا نكفيك هذا ،

فأبى وقال : « إنهم كانوا لاخواننا مكرمين » وكان يقبل الهدية ، ويكافئ عليها وما صنع معه أو مع أهله أحد معروفاً إلا كافأه عليه ومن قوله في هذا ( من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه عليه فإن لم تستطيعوا فادعوا له ) رواه أبو داود والنسائي .

وكان من أدبه في الطعام أن يغسل يديه ويسمى الله في أوله ، ويحمد في آخره . ويأكل كل يمينه ، ويأكل من جانب القصعة وينهى عن الأكل من وسطها أو تتبع أطيب ما فيها ، وعن النفخ في الطعام ، وما عاب طعاماً قط : إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه .

وكان من أدبه في الشراب أن يشرب على دفعات . ويبين فمه من الإناء عند التنفس ، وكان ينهى عن التنفس في الإناء . والنفخ في الشراب ، ويسمى في أول الشرب ويحمد الله في آخره ، ويشرب بعد ما يشرب ضيوفه ، وكان يقول « ساقى القوم آخرهم شرباً » وكان من أدبه في الطعام والشراب تقديم أهل اليمين على أهل اليسار ، وذلك لأنه كان يحب التيامن في كل شيء ، وتقديم الكبار على الصغار ، لأنه الأمر الفطري الطبيعي وكان يقول : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغارنا » وكل ذلك ثابت بالأحاديث الصحاح والحسان ، فهل رأيت في باب الآداب الاجتماعية أفضل وأجل من هذا ؟

### (عظمة الشخصية المحمدية)

#### وأثرها في الدعوة

إن الناظر في التاريخ ، وسير الرسل ، والأنبياء ، والملوك ، والأمراء ، وأصحاب المذاهب والدعوات الإصلاحية يجد أنهم يتمتعون بشخصيات قوية تفرض آراءهم على من حولهم ، وتجعل كلامهم مسموعاً ، وأمرهم مطاعاً .

وقد يكون من أسباب هذه الشخصية القوية التجبر ، والتكبر ، والبطش بمن يخالفهم ، أو يحاول أن يخالفهم في الآراء ، أو يسامهم في المركز والسلطان ، وقد يكون من أسبابها ما يكون عليه الإنسان من بسطة في الجسم وما يمتاز به من قوة وشجاعة ، وطولة ولاسيما في مواطن الحروب . وعند لقاء الأبطال .

وقد يكون مبعثها ما أسبغ الله على صاحبها من هبة ووقار ، وما يمتاز به من  
عظمة الخلق ، وما يتحلى به من الفضائل التي تفرض احترامه على الناس ، وما يتمتعون  
به من عدل ورحمة ، وبر وإحسان ، وقد يكون مبعثها أنه من بيت عريق ،  
يتوارثون المجد صاغراً عن كبر إلى غير ذلك من الأسباب والبواعث. ورسى الله  
- ولا سيما أولو العزم منهم - قد أضي الله عليهم من الهبة والوقار ، والكمال  
الخلقي واختارهم من أوساط الناس ، وأشرفهم ، ما جعل لهم شخصيات  
عظيمة هيبية .

وفي الذروة من كمال الشخصية وعظمتها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد حاز صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله من الشرف ، وكرم النسب وزكاه الأصل ، والكمال الجسماني ، والكمال  
الخلقي ، ما لم يحزه أحد قط .

لقد كانت له شخصية فذة فريدة على ما كان عليه من رقة القلب ، ولين الجانب ،  
وسماحة النفس ، والحياء الفائق حتى كمن أشد حياء من العذراء في خدرها ،  
وعلى ما كان عليه من بغض العجب ، والتكبر ، والتجبر على الناس ، والتنكيل  
بهم ، وهذا مما لا يقضى منه العجب ! ! ولا يسعنا إلا أن نقول : إنه فضل من الله  
يؤتيه من يشاء .

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم - لا يحسدون النظر إليه ، ويفضون  
أبصارهم حياء منه ، ورضى الله عن أبي الحسن على رضى الله عنه حيث قال :  
« من رآه بديهته هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا  
بعده مثله صلى الله عليه وسلم » .

وقد كان لهذه العظمة الشخصية ، وهذه الهالة التي تحيط به والمهابة التي تعلم  
آثارها في رد بعض المشركين خاسئاً وهو حسير حينما يريد به شرأ ، بل كان في  
بعض الأحيان يأمر أعدى أعدائه بالشيء فلا يكون منه إلا الإذعان والخضوع ،  
وكانوا كثيراً ما يتواعدون على النيل منه فيواجههم ، فإذا بهم يخورون ، وتنهار  
قواهم ، وتضعف معنوياتهم ، وكان يأتيه الرجل ويده السيف ، أو تحت ثيابه

الخبجر يعني به شراً فإذا به يضطرب ، ويسقط سلاحه من يده ، ثم يكون التسليم والإسلام وسأذكر مثلاً من ذلك .

(١) روى ابن اسحاق فى سيرته قال : قدم رجل من إراش (١) بإهل له إلى مكة فابتاعها أى اشتراها - منه أبو جهل ، فقطله ، بأنماها فأقبل الأراشى حتى وقف على نادى قريش ، ورسول الله جالس فى ناحية من المسجد ، فقال يامعشر قريش من رجل يعدنى (٢) على أبى الحكم بن هشام ؟ فإنى غريب ، وابن سبيل وقد غلبنى على حتى ، فقال أهل المجلس ترى هذا ؟ وأشاروا إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبى جهل من العداوة ، إذ هب إليه ، فهو يعديك عليه ، يريدون الاستهزاء والسخرية منه ﷺ ، فأقبل الأراشى حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقام معه فلما رأوه قام معه قالوا الرجل بمن معهم اتبعه فانظر ما يصنع !؟

فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال : « عهد ، فأخرج » فخرج إليه وما فى وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه ! ! فقال ( أعط هذا الرجل ، قال : لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه له ! ! ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وقال للأراشى : « الحق لشأنك » فأقبل الأراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاء الله خيراً ، فقد أخذت الذى لى ! !

ولما جاء الرجل الذى أرسلوه ليرى ما يصنع أبو جهل ، قالوا له : ويحك ماذا رأيت ؟ ! قال : عجباً من العجب ! ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج وما معه روحه ! ! فقال له : « أعط هذا الرجل حقه » فأعطاه ! ! ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فلاموه ، وقالوا - ساخرين منه - : فوالله ما رأينا مثل الذى فعلت ؟ ! ! فقال أبو جهل : ويحك ، والله ما هو إلا أن ضرب

(١) بكسر الهزء ، والشين المنجمة موضع كما قال باقرت

(٢) يتصرّر وأخذنى حتى منه

على بابي ، وسمعت صوتاً فثقلت رعباً !! وأن فوق رأسه فحلا من الإبل ما رأيت  
مثل هامته ، ولا قصرته (١) ولا أنيابه لفحل قط !! فوالله لو آيت لأكلني !!

(٢) وإليك مثلاً آخر : اجتمع أشرف قريش في الحجر ، فذكروا  
رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل صبرنا على هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ،  
وشم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهنا ، وصبرنا منه على أمر  
عظيم ، فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن  
ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ! فعرف ذلك في وجهه فضى ،  
فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها !! ثم مر بهم الثالثة ففعلوا مثل ذلك ، فأقبل عليهم  
قائلاً : « أنسمعون يا معشر قريش ؟ وأما والذي نفسى بيده لقد جئتمكم بالذبح ،  
فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طائر وقع (٢)  
حتى أن أشدهم فيه وصاة بإيدائه ليرفؤه (٣) ، ويلاطفه ، ويقول له : انصرف  
أبا القاسم راشداً ، فما كنت بمجهول (٤) .

وهكذا كان الواحد منهم يأتي إلى رسول الله ﷺ قاصداً الشر ، أو أن ينال  
منه بالسب ، أو يغمزه ويلمزه ، فإذا واجهه النبي اضطرب وتلعثم وخارت قواه ،  
وتملكه الخوف .

(٣) ١١ وقعت غزوة بدر الكبرى كان النصر فيها للذمة القليلة المؤمنة ، على  
الفئة الكثيرة الكافرة فقد قتل فيها الكثير من المشركين ، وأسرى من أسرى ،  
وكان من الأسرى وهب بن عمير بن وهب الجمحي ، وكان أبوه شيطاناً من  
شياطين قريش ، وسفهاهم ، كما كان شديد الإيذاء للرسول ﷺ وأصحابه بمكة  
جلس يوماً بعد الواقعة مع صفوان بن أمية يتذاكران مصابهم في بدر ، وما نزل بهم

(١) عنقه أى : ثقل في ضخامة الجسم وطول العنق

(٢) يعنى أخذتم الخرف فكذبوا وطمانوا ونكسوا رؤسهم

(٣) ليدهته ، ويسكنه كالمعتذر له

(٤) السيرة لأبن هشام ج ١ ص ٢٨٩ ، ٣٨٩ ، والبداء والنهاية لأبن كثير ج ٣ ص ٤٦٠ ، ٤٦١

من الهزيمة الساحقة الماحقة ، فقال عمير والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه ، وعيال أختي عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى مجد فأقتله فإن ابني أسير عنده ، فأغتنمها صفوان بن أمية ، فقال له : على دينك ، أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا لا يسعني شيء ، ويمجز عنهم .

فقال له عمير فآتم علي ، قال : سأفعل . ثم أمر عمير بن وهب بسيفه فشحذ له ، وسم ثم انطلق حتى وصل المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتقدمون عن يوم بدر ، وما أكرمهم الله به - إذ نظر إلى عمير بن وهب ، وقد أناخ بعيره على باب المسجد متوشحاً بسيفه . فقال : هذا عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر (١) ، وهو الذي حرش بيننا ، وحزرنا (٢) للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فأخبره .

فقال له النبي : « أدخله علي » فأقبل إليه عمر فأخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبسه بها (٣) ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فلما رآه وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، أذن يا عمير » فدنا فقال له : « فما جاء بك يا عمير »؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه ، قال « أصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك فقال النبي : « بل قعدت أنت ، و صفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القلب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي ، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل مجداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك أن تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك » فإذا عمير تنهار قوته ، ويضعف أمام نظرات النبي الثاقبة ، وتدهله المفاجأة فإكأن منه إلا أن أقر ، وأذعن وقال : أشهد إنك رسول الله !! قد كنا يارسول الله

(١) هذان عقوبات عمر ، والهامة الصائبة ، فإظنه هو مظهر بعد

(٢) أي قدرنا : ذلك أنه لا نصادف الجيشان للقتال يوم بدر قال المشركون : احذر لنا أسعاب مجدنا فاستحال يفرسه حول المسكر ثم رمح اليهم فقال : ثلاثمائة وثلاثمائة رجل يزبدون قايلاً وينقصون قايلاً وهذا هو الواقع فقد كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وهذا يدل على خصافه العرب وحسن تقديرهم ورفه نظرهم .

(٣) الحماة : اسم الذي يشد به الفرس ، ليه أي لفه على عنقه ولبسته منه .

تكذبك بما كنت تأتينا به من خير السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصقوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ « فقهوا أخاكم فى دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله : إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لى، فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله ورسوله، وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك فى دينهم ، فأذن له رسول الله فلهجق مكة .

خبية أمل صفوان : وكان صفوان حين خرج عمير يعنى نفسه الأمانى ، ويقول : أبتروا بوقعة تأتكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان يخرج ، فيتلقى الركبان يسألهم عن عمير لينأكد من نجاح المؤامرة حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه !! فسقط فى يده ، وحلف أن لا يكلمه أبداً !! ولا ينفعه بنفع أبداً .

أما عمير فلما قدم مكة أقام بها يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير ، وهكذا نجده خرج كافرأ جاهداً على قتل النبي ، فإذا هو يعود مؤمناً صادقاً الإيمان !!

(٤) وفى غزوة من الغزوات ذهب النبي ﷺ إلى ظل شجرة ليسترح ، ولم يكن معه أحد ، فتسلل إليه وهو نائم رجل من شجرمان المشركين ، فانتبه النبي ﷺ ، فإذا الرجل واقف على رأسه راقماً سيفه ، فأرعب ولا خاف ، وإنما نظر إليه نظرات المؤمن بربه ، الواثق من حمايته ، فيقول الرجل : من يمنعك منى يا محمد ؟ ! فقال النبي ﷺ : « الله » !! فإذا الرجل يضطرب ، ومربع ، ويسقط السيف من يده !!

ويأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم السيف ، ويمسك الرجل به قائلاً : « من يمنعك منى » قال : عفوك ، فمفاعته !!



ولم يكن رسول الله ﷺ يتخذ من عظمة شخصيته ، وما كان يعلوه من المهابة ، والمهالة ، وسيلة إلى تخويف الناس ، أو ترويعهم أو الخط من كرامتهم ، وإنما كان على العكس من ذلك يهون على الناس ، ويخفف من رعبهم ، لقد دخل عليه ذات يوم رجل فأصابته من هيئته رعدة ، وخاف ، واضطرب ، وإذا بالتواضع ، الرءوف الرحيم يقول له .

هون عليك ، فإنى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ،  
( أى اللحم المشقق المجفف )

نعم - والله - ليس بملك ، ولكنه أعظم ، وأهيب من الملوك ، وليس متجبراً ولا طاغياً ، وإنما هو الرحمة المهداة للخلق أجمعين صلوات الله وسلامه عليك - يا سيدى يا رسول الله - يوم ولدت ، ويوم بعثت ، ويوم هاجرت ، ويوم يقوم الناس لرب العالمين .

### عالم فى فرد

هذه صور موجزة تحدد - إلى جانب مدارسنا من سيرة تحليلية - بعض معالم الشخصية المحمدية . ولا أقول كل المعالم فإن ذلك مما لا يدركه جنان ، ولا يستطيعه بيان ، فهو ﷺ كالوجود وستنتهى هذه الحياة ولا يزال ثم أشياء من أسرار هذا الوجود ، لا يحوم حولها عقل انسان ، ولا يفصح عنها لسان .  
وصدق القائل

وعلى تفنن واصفيه بحسنه      يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ومن البدهى أن فى الخلق صفة ، وصفوة هؤلاء الصفة أنبياء الله ورسله وفى الذروة منهم أولو العزم من الرسل . وذروة الذرى هو نبينا محمد خلاصة البشر وسلالة ولد آدم ، وقد يوجد الكثير من هذه الصفات والآداب أو بعضها عند الصفة من نبى ، أو رسول ، أو صديق ، ولكن لم نعلم أحداً جمع الله كل ما ذكرنا من الفضائل والخصائص مثل ما عرفنا ذلك لنبينا محمد ، وهو بهذا المعنى





## التعريف بالمؤلف

أسرة «أبو شبيه» من الأسر العربية العريقة التي اشتهرت بالفروسية وحب الجهاد في سبيل الله ، كما ينسب عن ذلك لقبها ، تركزت أصولها في عدة قرى من محافظة البحيرة ، ثم نزح بعض فروعها قديماً إلى بعض قرى محافظة كفر الشيخ ومحافظة الغربية

الاستاذ الدكتور محمد عبد أبو شبيه

٢ - ولد المؤلف في ١٥ / ٩ / ١٩١٤ في

قرية « منية جناح » مركز دسوق .

٣ - وقد نذر والده من يوم ولادته للقرآن الكريم ، وتلقى العلم بالأزهر

الشريف ، فما إن بلغ الرابعة حتى ذهب به إلى كتاب القرية ، وقد ربي هذا الكتاب أجيالاً بالقرية ، منهم جيل والده رحمه الله .

٤ - أم حفظ نصف القرآن الكريم في الكتاب في سن التاسعة ، إلى

جانب تعلمه القراءة والكتابة ومبادئ الدين والسيرة ، ثم فتحت المدارس الأولية ، فدخل مدرسة بلدته ، فأتم بها حفظ القرآن الكريم وحصل على الشهادة الأولية في سن الثانية عشرة تقريباً .

٥ - وفي عام ١٩٢٥ دخل معهد دسوق العلمي الديني ، وحصل منه على

الشهادة الابتدائية ، وفي عام ١٩٣٥ التحق بمعهد طنطا الثانوي الديني ، وحصل على الشهادة الثانوية ، وفي عام ١٩٣٥ التحق بكلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر المعمور .

٦ - وفي عام ١٩٣٩ حصل على الشهادة العالمية ، وكان من الأوائل ،

فدخل قسم الدراسات العليا « شعبة التفسير والحديث » وبعد دراسة خمس

سنوات ، دراسة لاتعرف الكلل أو الملل ، إنجح في الامتحان التمهيدى لشهادة العالمية من درجة أستاذ سنة ١٩٤٤ أمام لجنة من كبار العلماء ثم اشتغل بإعداد رسالة الدكتوراة .

٧- وفي نوفمبر ١٩٤٦ نوقش في رسالة العالمية من درجة أستاذ ، الدكتوراة ، مناقشة علنية أمام لجنة خماسية من كبار العلماء فحصل عليها بدرجة الامتياز .

٨- وفي ديسمبر من تلك السنة عين مدرساً بكلية أصول الدين ، ومازال يترقى من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ حتى وصل إلى مرتبة العمادة .

٩- وفي أكتوبر ١٩٦٩ عين أول عميد لكلية أصول الدين ، أول كلية في أول فرع أنشئ لجامعة الأزهر بأسبوط ، ومازال يسير بالكلية قدماً حتى اكتملت سنواتها الأربع عام ٧٣/٧٢ وسعى حتى أنشئت بفرع الجامعة كليتان أخريان ، كلية اللغة العربية وكلية الشريعة الإسلامية والقانون

١٠- وفي مطلع حياته العلمية أعير إلى المملكة العربية السعودية ، للتدريس بالمعهد العالي السعودى بمكة المكرمة ، وللمشاركة في اصلاح التعليم الدينى ووضع مناهجه ، وقد قضى أربع سنوات بجوار بيت الله الحرام ، إهى ربيع عمره ، وفي سنة ١٩٦٣ أعير إلى كلية الشريعة بجامعة بغداد فمكث فيها عاماً ، وفي عام ١٩٦٦ أعير إلى الجامعة الإسلامية بام درمان بالسودان فمكث فيها نحو ثلاث سنوات .

١١- يكتب الآن في كبرى المجلات العالمية والدينية في مصر وغيرها من بلاد الإسلام والمعروفة ، من منذ ربع قرن أو يزيد ، والتي محاضرات وحضر ندوات في مصر وغير مصر .

١٢- له أحاديث في الإذاعة والتليفزيون في مصر وفي المملكة العربية السعودية وفي العراق والسودان .

١٣- عني بالتأليف في علوم القرآن والسنة والدفاع عنها ضد المبشرين والمستشرقين وأتباعهم وألف في ذلك كتباً كثيرة .

١٤ - كون مدرسة علمية من تلاميذه ومريديه في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية والعربية ، تنزّه بالقرآن وعلومه ، والسنن وعلومها ، والتأليف فيها وإجلاء محاسنها ، وما أكثرها وتقديم هذه العلوم في لغة سهلة مستساغة ، وفي عرض حسن جذاب .

١٥ - له مؤلفات مطبوعه أهمها :

- (١) المدخل لدراسة القرآن الكريم مجلد في نحو ٥٠٠ صفحه
  - (٢) السيرة النبويه في ضوء القرآن والسنة (الجزء الاول) في نحو ٥٤٣ ص
  - (٣) . . . . . (الجزء الثاني)
  - (٤) أعلام المحدثين . . . . . مجلد في نحو ٤٠٠ صفحه
  - (٥) شرح المختار من صحيح مسلم بن الحجاج ثلاثه أجزاء في مجلد
  - (٦) علوم الحديث . . . . . جزء متوسط
  - (٧) في أصول الحديث . . . . . جزء متوسط
  - (٨) رسالة (الاسراء والمعراج) . . . . . جزء متوسط
  - (٩) رسالة (الكتب الصحاح الستة) طبع ضمن سلسلة مجمع البحوث الاسلاميه
  - (١٠) رسالة (نظرة الاسلام إلى الربا وحلول للمشكلة)
  - طبع ضمن سلسلة مجمع البحوث الاسلاميه
  - (١١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير
- مجلد كبير تحت الطبع بمجمع البحوث

- (١٢) الحدود الاسلام مقارنه بالقانون الوضعي مقدم للطبع بمجمع البحوث
- (١٦) إلى جانب هذا فهناك الكثير من الكتب والرسائل المحفوظه ، والبحوث التي القيت بمجمع البحوث الاسلاميه في دوراته السنويه ، عدا المئات من البحوث والمقالات التي نشرت بالصحف والمجلات العلميه والدينيه ، والندوات والمحاضرات التي القيت بمصر وغيرها من البلاد العربية .

## فهرست الكتاب

رقم صفحة	الموضوع	رقم صفحة	الموضوع
٤٢	موادعة النبي لليهود		مقدمة الطبعة الثانية
٤٥	بناء النبي ببأشنة		مقدمة الطبعة الأولى
٤٩	السرايا في السنة الأولى	٦	بين عهدين : المكي والمدني
٥٠	سرية حمزة بن عبد المطلب	٩	منزلة المساجد في الإسلام
٥٠	سرية عبيدة بن الحارث	١٠	بناء مسجد قباء
٥١	سرية سعد بن أبي وقاص	١٢	إلى المدينة
٥١	رأينا في هذه السرايا	١٤	توسل الانصار إلى الرسول أن
٥٢	مزاعم المستشرقين في هذه السرايا	١٥	ينزل تندهم
٥٣	أحداث هذا العام	١٧	اليوم المشهود
٥٤	السنة الثانية للهجرة - تشريع الجهاد	١٩	في دار أبي أيوب الأنصاري
٥٦	لم شرع الجهاد في الإسلام؟	٢٠	اسلام عبد الله بن سلام وبعض أهله
٦٠	حكم الجهاد في الإسلام	٢١	بناء المسجد النبوي
٦٤	الترويج في الجهاد والاستشهاد	٢١	الاطوار التي مر بها بناء المسجد النبوي
٦٧	الاطوار التي مر بها الجهاد	٢٤	فضل المسجد النبوي
٧٠	رد الفرية الكبرى	٢٥	بناء حجر أمهات المؤمنين
٨١	أحداث وتشريعات - تحويل القبلة إلى الكعبة	٢٧	حمى المدينة
٨٤	تشريع فريضة الصيام	٢٨	حالة المدينة السياسية والاجتماعية بعد الهجرة
٨٧	زكاة الفطر	٢٨	المهاجرين
٨٧	صلاة العيد	٣٠	الأنصار
٨٨	الصوم والنظر والعيد - من روافد الاشتراكية	٣١	المنافقين
٨٩	تشريع الزكاة في الإسلام	٣٤	اليهود أو بنو اسرائيل
٩٢	الزكاة اساس الاشتراكية الاسلامية	٣٦	الاخاء بين المهاجرين والانصار
		٣٩	المؤاخاة بين المسلمين بمكة
		٤٠	مآثر الانصار الخالدة

تابع فهرس الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٤٠	العتاب في الفداء	٩٢	الغزوات والسرايا في السنة الثانية
١٤٠	ظنين المشركين بشأن أسارى بدر	٩٥	سرية عبد الله بن جحش
١٤٤	نتائج غزوة بدر	٩٨	غزوة بدر الكبرى
١٤٥	موطن العيرة في بدر	١٠٠	ابو سفيان واستنقار قرش
١٥٢	أحداث السنة الثانية	١٠٣	فرار أبي سفيان
١٥٣	وفيات	١٠٣	مسير المسلمين إلى بدر
١٥٤	السنة الثالثة	١٠٤	استشارة النبي أصحابه في القتال
١٥٤	غزوة الكدر	١٠٦	تنطس أخبار قريش
١٥٥	غزوة غطفان أو ذي أمر	١٠٧	تعرف أخبار العير
١٥٦	غزوة أحد	١٠٨	جيش المسلمين في بدر
١٧٥	المشركات يمثلن بشهداء أحد	١٠٨	مشورات حكيمة
١٧٨	من استشهد في أحد	١١٦	القوى الروحية تقوى القوى المادية
١٨١	دفن شهداء أحد	١١٨	امداد الله المسلمين بالملائكة يوم بدر
١٨٤	سبب الهزيمة في أحد	١٢١	وصاة النبي ببعض القرشيين
١٨٦	ما نزل من القرآن في أحد	١٢٢	مثل عليا للإيمان
١٩٠	آثار غزوة أحد	١٢٣	قتلى المشركين
١٩١	غزوة حمراء الاسد	١٢٣	موقف انساني للرسول
١٩٢	حوادث هذا العام	١٢٤	البشرى بالنصر
١٩٣	السنة الرابعة للهجرة	١٢٥	الاختلاف على غنائم بدر وقسمتها
١٩٤	سرية الرجيع	١٢٧	الابوة إلى المدينة
١٩٧	أصحابه بئر ومعوته أو سرية الفداء	١٢٧	وصاة النبي بالأسرى
٢٠١	غزوة بدر الآخرة	١٢٩	قتل اسيرين
٢٠٢	حوادث هذا العام	١٣٠	اسارى بدر
٢٠٣	زواج رسول الله بزینب بنت خديجة	١٣٢	وصول النذير بالهزيمة إلى قريش
٢٠٤	زواج النبي بأم سلمه	١٣٣	افتداء الاسرى
		١٣٨	قيمة الفداء
		١٣٩	وعده الله الاسارى بالخير ان اسلموا

تابع فهرس الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٠	المهاجرات المؤمنات	٢٠٧	السنة الخامسة
٢٩١	تفسير الآيتين الواردتين في هذه الحادثة	٢٠٨	غزوة بنى المصطلق أو المريع
٢٩٢	أحداث وتشريعات هذا العام	٢١٠	حدثان عظيمان
٢٩٣	تحريم الخمر	٢١٣	حادثة الألفك
٢٩٦	تبليغ الإسلام في العالم	٢١٩	وقفات عند قصة الألفك
٢٩٧	كتاب رسول الله إلى القيصر هيرقل	٢٢٢	تفسير آيات الألفك
٢٩٩	كتاب كسرى	٢٢٦	غزوة الخندق والاحزاب
٣٠٠	كتاب المقوقس عظيم مصر	٢٣٨	ما نزل من الآيات في غزوة الاحزاب
٣٠١	كتاب النجاشي	٢٤٣	زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
٣٠٢	بقية الكتب	٢٤٧	أباطيل المبشرين والمستشرقين
٣٠٤	السنة السابعة - غزوة ذى قرد	٢٥٧	نزول آية الحجاب صبيحة عرسها
٣٠٦	غزوة خيبر	٢٥٨	تشريع الحجاب في الإسلام
٣٠٦	غزوة ذات الرقاع	٢٦٢	تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان
٣٠٧	قدوم مهاجري الحبشة	٢٦٣	فرض الحج
٣٠٨	سريه بشير بن سعد	٢٦٦	السنة السادسة
٣٠٨	سريه غالب بن عبد الله	٢٦٦	سريه محمد بن مسلمة قبل نجد
٣٠٩	عمرة القضاء والقضية والقصاص	٢٦٧	غزوة بنى لحيان
٣١٤	تشريعات وحوادث هذا العام	٢٦٨	سريه كرز بن جابر الفهري
٣١٥	تحريم نكاح المتعة	٢٦٩	سريه عمرو بن أمية الضمري
٣١٦	زواج النبي صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي النضرية	٢٧٠	غزوة الحديبية
٣١٨	زواج النبي صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث	٢٧٦	صلح الحديبية
٣٢٠	موقف النبي من اليهود	٢٧٩	كتابة كتاب الصلح
		٢٨٢	مكاسب المسلمين من صلح الحديبية
		٢٨٤	تفسير سورة الفتح



تابع فهرس الكتاب

رقم صفحة	الموضوع	رقم صفحة	الموضوع
٣٨٦	غزوة الطائف	٣٢٠	محاولتهم الوقعه بين الاوس والخزرج
٣٨٩	وفد هـ وازن واسترداد السيابا	٣٢١	الجدل بين اليهود والمسلمين
٣٩٥	اسلام كعب بن زهير	٣٢٣	اليهود بالجزيرة العربية
٣٩٦	تشريعات وأحداث العام	١٢٤	يهود بنى قينقاع
٤٠٠	السنة التاسعه	٣٢٦	قتل كعب بن الاشرف
٤٠١	غزوة تبوك	٣٢٧	غزوة بنى النضير
٤٠٧	وفد صاحب ابله وأهل حرباء واذرح	٣٢٩	ما نزل غزوة بنى النضير
٤٠٩	الايوبه الى المدينه	٣٣٣	غزوة بنى قريظه
٤١٠	هدم مسجد الضرار	٣٣٨	قتل سلام بن ابى الحقيق
٤٢٠	تفسير ما نزل من الآيات فى تبوك	٣٢٩	غزوة خيبر
٤٢٩	قدوم نقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٤٦	السنة الثامنة
٤٣٦	حج الصديق أبى بكر بالناس	٣٤٦	اسلام خالد وعمرو وعثمان بن طلحه
٤٤٠	عام الوفود	٣٤٨	غزوة مؤتة
٤٤١	وفد بنى تميم	٣٥٣	غزوة ذات السلاسل
٤٤٣	وفد بنى عبد القيس	٣٥٥	فتح الفتوح فى الاسلام
٤٤٤	وفد بنى حنيفه	٣٦٥	اجارة أم هانئ رجلين
٤٤٥	وفد أهل نجران	٣٦٩	أهدار النبي بعض الدماء
٤٤٨	وفد طيء وعدي بن حاتم	٣٧٢	خطبه النبي عداة الفتح مؤكدا حرمة مكة
٤٤٨	وفد زيد الخيل	٣٧٤	أكان فتح مكة عنوة أم صلحا؟
٤٤٩	وفد بنى عامر	٣٧٧	بنت خالد بن الوليد الى بنى جذيمه
٤٥٠	قدوم رسول ملوك حير الى رسول الله	٣٧٩	هدم الأصنام
٤٥١	وفود أخرى	٣٧٩	غزوة حنين
		٣٨٥	سريه أوطاس

تابع فهرس الكتاب

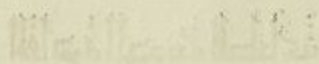
رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٥١٩	النبي مع ربه	٤٥٣	السنة العاشرة
٥٢٢	النبي مع اصحابه	٤٥٥	بعث العمال والقضاء والأمراء
٥٢٤	النبي الرؤوف الرحيم		إلى اليمن
٥٢٦	النبي البطل الشجاع	٤٥٨	حجة المفارق والسرايا والبعوث
٥٢٨	النبي الوفي بالعهد	٤٦٣	حجة الوداع
٥٢٩	النبي العفو الخليم	٤٧٦	أحداث في هذا العام
٥٣١	النبي الجواد الكريم	٤٧٨	السنة الحادية عشرة
٥٣٣	النبي الزاهد	٤٧٩	مرض النبي ووفاته
٥٣٤	النبي الحجي	٤٩٢	المثل الكامل ﷺ
٥٣٥	النبي المتواضع	٤٩٣	الفضيلة الانسانية في ذروة كمالها
٥٣٨	النبي العادل		في نبينا محمد ﷺ
٥٣٩	النبي الصادق الأمين العفيف	٤٩٩	صفاته الخلقية
٥٤٠	آدبه الاجتماعية	٥٠١	نظافة جسمه وطيب ريحه
٥٤١	عظمة الشخصية المحمدية وأثرها	٥٠٢	كآل عقله
	في الدعوة	٥٠٢	فصاحة لسانه
٥٤٧	عالم في فرد	٥٠٨	شرف نسبه وكرم محتده
٥٤٩	التعريف بالمؤلف	٥٠٩	النبي الزوج
	فهرس الكتاب	٥١٥	النبي الأب
	اهم المراجع	٥١٦	النبي الانسان
	تصويب الخطأ المطبعي	٥١٧	النبي المرئي المعلم

## « أهم المراجع الأصلية »

- |             |    |  |
|-------------|----|--|
|             | ١  | القرآن الكريم  |
|             | ٢  | تفسير العلامة الزمخشري   |
| ط المنار    | ٣  | تفسير الإمامين البغوي وابن كثير                                  |
| ط دار الكتب | ٤  | تفسير العلامة القرطبي  |
| ط منير      | ٥  | تفسير العلامة الألوسي  |
| ط الشعب     | ٦  | صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري                                 |
|             | ٧  | صحيح الإمام مسلم بن الحجاج                                       |
|             | ٨  | موطأ الإمام مالك بن أنس  |
|             | ٩  | سنن أبي داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجه                   |
|             | ١٠ | مسند الإمام أحمد بن حنبل   |
|             | ١١ | فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر ط البهية             |
| ط حجازي     | ١٢ | شرح مسلم للإمام النووي   |
| ط السعادة   | ١٣ | الاصابة في تاريخ الصحابة للحافظ ابن حجر                          |
| ط »         | ١٤ | الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر الأندلسي                           |
| ط الحلبي    | ١٥ | سيرة ابن هشام  |
| ط الجمالية  | ١٦ | الروض الأتق للسيهلي  |
| ط السعادة   | ١٧ | البداية والنهاية للحافظ المؤرخ ابن كثير                          |
| ط الحلبي    | ١٨ | زاد المعاد من هدى خير العباد للإمام ابن القيم                    |
| ط البهية    | ١٩ | الشهائل المحمدية للإمام الترمذي                                  |
| ط استانبول  | ٢٠ | الشفافي التعريف بمحقوق المصطفى للقاضي عياض                       |
| ط بيروت     | ٢١ | الطبقات الكبرى لابن سعد  |
|             | ٢٢ | تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري                                |
|             | ٢٣ | نور اليقين للشيخ الحضري  |
| ط ١٣٦٧ هـ   | ٢٤ | حياة محمد للدكتور هيكل   |
| ط الألي     | ٢٥ | لتاريخ الاسلامي للدكتور محمد مصطفى زيادة ط خاصة بكلية أصول الدين |
| » » » ط     | ٢٦ | للاستاذ محمد حبيب أحمد ط   |
|             | ٢٧ | حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ العقاد ط الهلال              |
|             | ٢٨ | المدخل لدراسة القرآن الكريم للدؤلف ط الأزهر                      |



Handwritten text, possibly a signature or date, located in the center of the page.



Faint, illegible text or a stamp located at the bottom center of the page.

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٠٦٢ لسنة ١٩٧٢

القاهرة الحديثة للطباعة

أحمد بهاء الدين الخروطة

٣ شارع الجدي بالقاهرة

تليفون ٩٣٤٦٠ - ٥٠٠٠٠٠٠٠



القاهرة الحديثة للطباعة  
أحمد بهي الدين الخروطة  
٣ شارع الجدي بالقاهرة  
تليفون ٩٢٤٦١ - ٥٠٠٠ تا ١٤٩١٤١







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0045342350

